

جامعة الجزائر -2-

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الدور السياسي والحضاري للدولة السامانية

خلال القرنين

3 و 4 هـ / 9 و 10 م .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط .

إشراف الأستاذ الدكتور:

- أحمد شريف

إعداد الطالب:

- هوشان سامي

السنة الجامعية

1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م .

جامعة الجزائر - 2 -

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ .

الدور السياسي والحضاري للدولة السامانية

خلال القرنين

3 و 4 هـ / 9 و 10 م .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط .

أعضاء لجنة المناقشة :

أ. د . بشار قويدر :	رئيسا .
أ. د . أحمد شريفبي :	مقروا .
أ. د . عبد العزيز بوكنة :	عضوا .
د . نبيلة عبد الشكور :	عضوا .
<u>إعداد الطالب :</u>	هوشان سامي .

السنة الجامعية

1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهم الاختصارات .

ت = توفي .

ق . م = قبل الميلاد .

م . = ميلادي .

هـ . هجري .

مج . = مجلد .

ج . = جزء .

ق . = قسم .

ص . = صفحة .

P . = page .

المقدمة

1- التعريف بالموضوع وأهميته :

لقد كان من نتائج حركة الفتوحات أن بسطت الدولة الإسلامية سيطرتها على مناطق واسعة ، خاصة في العصر العباسي ، الأمر الذي نتج عنه انقسام الدولة الإسلامية إلى قسمين ، مشرق ومغرب ، ويشمل المغرب كل المناطق التي تقع غرب العاصمة العباسية بغداد ، على غرار بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب الإسلامي أو ما يعرف حاليا بشمال إفريقيا ، أما باقي المناطق والتي تقع شرق بغداد فعُرفت باسم المشرق الإسلامي ، وتشمل على وجه العموم مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر وتركستان ... ، التي تمكّن المسلمون من فتحها وضمها لدولتهم .

وقد استخدم عدد من الجغرافيين المسلمين مصطلح المشرق ، فالمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وفي خضم حديثه عن المناطق التي زارها على العهد الساماني ، على غرار خراسان وبلاد ما وراء النهر وفارس وسجستان والتي تقع شرق بغداد ، استعمل مصطلح المشرق للتعبير عنها ، كما كان هذا المصطلح مُستعملا كذلك في المكاتبات الرسمية ، مثل كتب التفويض بحكم المنطقة والتي كانت تُرسل من الخلافة للأُمراء بهذا الجزء من الدولة الإسلامية ، كما ورد هذا المصطلح على لسان عدد من العلماء .

ومن المعروف تاريخيا أن سكان المشرق الإسلامي قد ناهضوا الحكم الأموي ، في ظل سوء معاملة الولاة لهم واعتبارهم كموالي رغم إسلامهم ، ولهذا فقد ساهموا بدور فعال في ثورة العباسيين ضدهم ، وكانوا سببا رئيسيا في إسقاط الحكم الأموي وقيام الدولة العباسية خلفا له ، وبناء على هذا فقد حظي هذا القسم من الدولة الإسلامية بأهمية كبرى إبان حكم العباسيين ، وبرز منه وزراء وقادة كبار ، حتى أن قسما معتبرا من الجيش العباسي كان من هذه المنطقة ، التي ساهمت كذلك بشكل كبير في تطور الأحداث السياسية بالدولة العباسية .

وفي أعقاب ظهور ما عُرف في التاريخ الإسلامي بالدويلات المستقلة عن مركز الخلافة ، والتي برزت أول الأمر ببلاد المغرب ، لكن ما لبثت أن انتقلت إلى بلاد المشرق أيضا ، نتيجة الضعف الذي بدأ يستشري في كيان الدولة العباسية وظهور شخصيات قيادية من أسر عريقة بهذه المنطقة ، اعترافا الطموح لإقامة كيانات مستقلة عن الدولة الأم ، خاصة في ظل الشعور القوي بالقومية الفارسية والاعتزاز بأجداد وتراث الفرس القدماء وحضارتهم والذي بدأ يظهر جليا خلال هذه المرحلة ، والتي عرفت فيها الخلافة العباسية بعض الضعف خاصة في أعقاب وفاة الخليفة العباسي " الواثق بالله سنة " 232 هـ / 847 م ، ونهاية العصر العباسي الأول أو عصر الحكم المركزي لكل أنحاء الدولة ، الذي كان فيه الخليفة يسط نفوذه وهيمنته وسلطته على كل أجزاء الدولة .

ففي أعقاب نهاية هذا العصر وفي ظل المساحة الكبيرة التي كانت تتربع عليها الدولة العباسية ، وما نتج عن هذا الأمر من صعوبة في تسيير دفة الحكم من قبل الخليفة العباسي ، وإحكام سيطرته على كامل هذه الرقعة الجغرافية ظهرت اللامركزية في تسيير عدد من المناطق ، نتيجة ظهور هذه الأسر العريقة التي تمكنت من إنشاء كيانات سياسية خاصة بها ، في ظل دولة الإسلام الأم ، الدولة العباسية ، وبذلك ظهرت بمنطقة المشرق نفس الظاهرة التي عرفها المغرب .

وقد أردت من خلال دراستي هذه أن أكشف النقاب عن واحدة من بين أهم الدول التي قامت بمنطقة المشرق الإسلامي ، وكان لها دور كبير في تاريخ هذه الأمة ، بما خلفته من مآثر ومنجزات خلدت ذكرها وأعلت شأنها ، هذه الدولة هي الدولة السامانية (261 هـ - 389 هـ / 874 - 999 م)، والتي ساهمت عديد الأمور على قيامها لعل أهمها الأحوال السياسية المضطربة التي عرفت المنطقة ، وتمرد عدد من القوى التي ظهرت بالشرق على الدولة العباسية ، الأمر الذي ألجئها إلى الدّفع بالسامانيين إلى واجهة الأحداث بالمنطقة خاصة وأنّ دولة الخلافة كانت قد خبرت ولأهم لها وتأكدت من ذلك في عدد من المواقف التي كانت قد اعتمدت فيها عليهم .

إذن فالتطورات التي شهدتها الساحة الإسلامية قد مهدت لظهور هذه الدولة ، وأركز هنا على لفظ الدولة حتى لا أقع في خطأ وقع فيه عدد من الدارسين ، من خلال تسميتهم للدولة السامانية وغيرها من الدول التي ظهرت بالشرق باسم الدويلات المستقلة ، ذلك أنّ السامانيين تمكنوا من إقامة دولة في المشرق بكامل مقوماتها بدءا من المساحة الكبيرة التي كانت تخضع لحكمهم ، كما تمكنوا من تكوين جيش قوي يآتمر بأمرهم ، كما كان لهم نظامهم التشريعي والسياسي الخاص بهم ، فضلا عن الميزانية الكبيرة التي كانت تحت تصرفهم حتى أنّ العباسيين أنفسهم كانوا لا يشاركونهم فيها ، وعليه فالسامانيون تمكنوا من إقامة دولة مستقلة في نطاق الدولة العباسية الأم ، وبمباركة من دولة الخلافة نفسها عكس الكثير من الدول التي ظهرت بالمنطقة وسلكت منهاج مخالفا ومعاديا لمنهج الخلافة .

والسامانيون من أسرة عريقة في أمجادها حتى قبل اعتناقهم الإسلام ، وعرفت المناطق التي خضعت لحكمهم الذي دام أكثر من قرن من الزمن ازدهارا في شتى المجالات ، وقد برزت كقوة مؤثرة بالمنطقة وساعدها على ذلك عديد المقومات ، منها قوتها العسكرية التي أصبح بمرور الوقت قوامها العنصر التركي الذي تمكن السامانيون من صقله وتهذيبه بنشر الإسلام بين ظهرائه ، وأتاحت قوة السامانيين العسكرية لهم الفرصة للتصدي لأعداء الخلافة ومناهضتها بالمنطقة ، كما كانت سببا رئيسيا في تمكنهم من توسيع رقعة حكمهم ، فضلا عن الثروة الاقتصادية التي تتميز بها منطقة خراسان وبلاد ما وراء النهر ومهارة الصناعات بها في مختلف المجالات ، كما أن المنطقة كانت قوة تجارية كبيرة بحكم موقعها الإستراتيجي الذي جعل من أراضي الدولة السامانية معبرا ومحطا لرحال القوافل التجارية ، والنفوذ الساماني بهذه المناطق قد استمر إلى غاية سقوط دولتهم ، وقد ساعدت هذه الظروف على انتشار الرخاء الاقتصادي بالمدن السامانية ، الذي انعكس إيجابا على سكان هذه الدولة .

كما تميزت السياسة الداخلية للدولة السامانية بانتهاج أسلوب قوامه العدل والإصلاح ، الأمر الذي كانت نتيجته إيجابية خاصة في ظل التمايز العرقي واللغوي لسكان الدولة السامانية ، وقد عاشت المناطق الخاضعة للحكم الساماني وبالأخص في خراسان وما وراء النهر ، ازدهارا حضاريا في شتى المجالات ، فقد عرفوا حق العلم وأهله الأمر الذي نتج عنه نهضة علمية وأدبية كبيرة ، وأصبحت المدن السامانية تعج بالعلماء في مختلف التخصصات ، خاصة في ظل الاحترام الكبير الذي كانوا يحظون به من قبل الأمراء والعامة على السواء ، فبرز

عدد كبير من العلماء الذين خلّد التاريخ ذكرهم ، ومن أبرز منجزات السامانيين الحضارية كذلك هي المدارس ومراكز التعليم المتنوعة التي انتشرت بكثرة على هذا العهد ، إضافة إلى تمكنهم من نشر الإسلام في وسط الترك الوثنيين الذين اعتنقوا الإسلام بفضل جهود معتبرة بذلها السامانيون ، متبعين في ذلك وسائل وأساليب عدة خدمة لهذا الهدف ، وقد عنونت هذه الدراسة بعنوان ، الدور السياسي والحضاري للدولة السامانية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر ميلاديين .

2- أسباب اختيار الموضوع :

منذ ولوجي إلى ميدان الدراسات التاريخية وأنا مولع بالتاريخ الإسلامي ، الذي يستهويني أكثر من غيره ولهذا فقد كنت عازما على دراسة موضوع في هذا المجال ، وتعود أسباب اختياري لهذا الموضوع بالتحديد إلى أيام السنة النظرية ، والتي تحمست فيها لدراسة موضوع له علاقة بالمشرق الإسلامي ، وشرعت في البحث والمطالعة بهدف الوقوف على موضوع محدد ، وتعددت قراءاتي في هذا التاريخ الواسع وكثرت وكنت دائما أطلب آراء الأساتذة حول عدد من الأفكار التي تتبادر إلى ذهني ، حتى أشار علي الدكتور أحمد شريفي بإمكانية التطرق إلى دراسة موضوع له علاقة بالدولة السامانية .

فبدأت بالإطلاع على تاريخ هذه الدولة وكانت رغبتني في معرفة المزيد عنها وعن تاريخها تزداد بازدياد الإطلاع ، خاصة في ظل إسهاماتها الحضارية الكبيرة في التاريخ الإسلامي ، التي تولد لدى الدارس لها رغبة كبيرة لمعرفة المزيد عنها ، خصوصا وأن التطرق لمثل هذه الموضوعات والدراسات المتعلقة بالمشرق الإسلامي قليلة في جامعاتنا ، فالخوض في هذا الميدان حديث العهد بالنسبة لنا ، هذا عن الأسباب الذاتية أما عن الأسباب الموضوعية فتتمثل في رغبتني الملحة في إثراء المكتبة الوطنية بمثل هذا الموضوع الثري ومحاولة معالجة النقص من حيث التطرق إليه ، خاصة وأنّ هذه الدولة قد ساهمت بشكل حيوي وفعال في بناء الصرح العتيق لحضارتنا الإسلامية المجيدة ، ورغم ذلك فقد بقيت الكثير من صفحات عزها مجهولة لدى الكثير من الدارسين والمهتمين بالتاريخ في جامعاتنا ، خاصة وأنّ جل الدراسات الجامعية بالجزائر تتمحور حول المغرب وحضارته ولا ضير في هذا غير أننا في الأصل أمة واحدة لا ينبغي علينا بحكم واقع اليوم أن نتناسى هذا ، فأمة واحدة كنا ، وأمة واحدة ينبغي أن نكون ، وبناء على كل ما سبق فقد قررت المضي قدما في هذا البحث ولله الحمد والمنة .

3- إشكالية الموضوع :

ولدراسة الموضوع من مختلف جوانبه ، انطلقت من عديد التساؤلات التي تطرح نفسها وبإلحاح حول تاريخ هذه الدولة ، وظروف نشأها ، وأوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، وأهم منجزاتها الحضارية .

- فمن هم السامانيون ؟ وما أصلهم ؟ وكيف برزوا على ساحة الأحداث السياسية بالمنطقة حتى تمكنوا من تأسيس دولتهم التي بلغت مبلغا عظيما ؟

وما هو موطنهم ، ومعتقدهم قبل الإسلام ؟ وكيف كان اتصالهم بالإسلام واعتناقهم له ؟ ثم الدخول في خدمته ؟

وكيف تم لهم تأسيس دولة بمنطقة المشرق الإسلامي ؟ وما هو موقف الدولة العباسية من دولتهم ؟ هل أيدت هذا الأمر أم عارضته ؟ وكيف أصبحت العلاقات بين الطرفين ؟

وبظهور الدولة السامانية ، كيف كان نظام حكمها ؟ وما هي أبرز تنظيماتها الإدارية ؟ وماذا عن أحوالها الاجتماعية وأوضاعها الاقتصادية ؟ وكيف كانت ؟

وفي ظل الفوضى والقلق السياسي والمذهبية التي سادت منطقة المشرق الإسلامي خلال هذه المرحلة ، كيف كانت علاقاتها مع دول الجوار ؟ وما مدى تأثير هذه العلاقات على الدولة السامانية ؟

وهل تركت الدولة السامانية خلال مدة قيامها منجزات حضارية تُنسب لها ، وتحفظ ذكرها كدولة خلّفت أثرا في تاريخ الأمة الإسلامية ؟ وإن حدث هذا فما هي أهم هذه المنجزات الحضارية للدولة السامانية ؟

كل هذه التساؤلات دفعتني إلى الاهتمام بهذا الموضوع ، وتقديم محاولة بسيطة تُسلط الضوء على هذه الدولة التي ظهرت خلال فترة هامة من فترات تاريخنا الإسلامي .

4- خطة البحث : قسّمت البحث إلى أربعة فصول مع مقدمة وخاتمة .

ذكرت في **المقدمة** الإشكالية والدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع والنقاط المستورة لمعالجة هذا البحث كما ذكرت خطة البحث وبعض المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها .

جاء **الفصل الأول** التمهيدي بعنوان " السامانيون لمحة تاريخية " وقسمته إلى أربعة عناصر ، ذكرت في **العنصر الأول** سبب التسمية ، وتطرق من خلاله كذلك إلى أصلهم ، خاصة في ظل التضارب في هذه المعلومات بين عدد من المصادر والمراجع ، أما **العنصر الثاني** فاستعرضت من خلاله نسبهم العريق ، وفي **الثالث** تطرقت إلى موطنهم الأصلي ، ومعتقدهم قبل الإسلام ، وفي **الرابع** تحدثت عن اتصال جدهم بالمسلمين وإسلامه وما تبعه من إسلام باقي أفراد بيته ، ودخولهم في خدمة الإسلام .

أما **الفصل الثاني** فجاء بعنوان " تأسيس الدولة السامانية وعلاقتها بالخلافة العباسية " ، وهو يتكون من أربعة عناصر ، تطرقت من خلالها إلى تمكّن السامانيين من إقامة دولتهم ، وإلى علاقة هذه الدولة الناشئة مع الدولة العباسية الأم ، واستعرضت من خلالها كذلك نظام حكم هذه الدولة ونظمها الإدارية ، كما تطرقت فيه كذلك إلى الحياة الاجتماعية بهذه الدولة ، وأهم العناصر البشرية المشكلة لها ، إضافة إلى نظامها الطبقي ودور المرأة ومكانتها فيه ، وعرضت فيه كذلك بعض وسائل الترفيه المنتشرة على العهد الساماني، وفي العنصر الأخير من هذا الفصل تطرقت إلى مختلف جوانب الحياة الاقتصادية بهذه الدولة ، من زراعة وصناعة وتجارة داخلية وخارجية وتطرقت كذلك إلى عملتها وجانب من معاملاتها المالية .

أما **الفصل الثالث** الذي جاء بعنوان " العلاقات السياسية للدولة السامانية مع دول الجوار " ، والذي تندرج تحته أربعة عناصر ، فتطرقت من خلاله إلى علاقات الدولة السامانية مع القوى المجاورة ، خاصة في ظل الاضطراب والقلق التي تميزت بها المنطقة خلال هذه المرحلة ، حيث أنّ عددا من هذه القوى قد أعلن التمرد والعصيان وخرج عن طاعة الخلافة ، وكان لا بد أن يمتد إليه سلاح التأديب الساماني ، باعتبار أنهم كانوا بمثابة القوة التي تعتمد عليها الخلافة لسيطرتها بالمنطقة ، خاصة وأنّ السامانيين كانوا على علاقة جيدة في الغالب مع العباسيين ، وكلاهما كان على المذهب السني ، عكس عدد من القوى التي اختلفت مذهبيا وفكريا مع الخلافة وخصّصت أول عنصر من هذا الفصل للعلاقات السياسية للدولة السامانية مع الدولة الصفارية وما جرت بينهما من أحداث عجّلت بزوال الصفاريين ، أما العنصر الثاني فكان عن علاقاتهم مع الدولة الزيدية الشيعية بطبرستان ، التي كانت الدولة العباسية غير مرتاحة لوجودها ، وبيّنت دور السامانيين في القضاء عليها ، وفي كلتا الحالتين فقد تمكن السامانيون من ضم أراضي جديدة إلى حكمهم .

أما العنصر الثالث فكان عن علاقتهم السياسية مع البويهيين الشيعة ، وبيّنت من خلاله دور البويهيين في تدهور العلاقات التي لطالما كانت ودية بين كل من السامانيين والعباسيين ، أما العنصر الأخير فقد قسّمته إلى قسمين ، الأول عن علاقاتها مع الدولة الغزنوية والثاني تطرقت من خلاله لعلاقاتها مع الدولة القراخانية ، وقد كان قوام هاتين الدولتين هو العنصر التركي ، الذي ازداد نفوذه وتعاظم شأنه في الدولة السامانية ، ذلك أن السامانيين قد ساهموا بشكل كبير في إسلام العنصر التركي ، بحكم الحوار بين الطرفين ثم اعتمدوا على هذا العنصر كثيرا في تسير شؤون دولتهم ، الأمر الذي كان تأثيره سلبيا عليهم حيث نتج عنه زوال دولتهم ، بعد أن اقتسم أراضيها كل من الغزنويين والقراخانيين .

أما **الفصل الرابع** من هذه الدراسة ، فجاء بعنوان " المنجزات الحضارية للدولة السامانية " ويتكون من أربعة عناصر ، تطرقت خلال العنصر الأول منه إلى العوامل التي ساهمت في النهضة الحضارية زمن السامانيين ، أما العنصر الثاني فأوردت من خلاله المنجزات الحضارية للسامانيين في المجال الديني ، في حين استعرضت في العنصر الثالث من هذا الفصل ، التطور والازدهار الذي شهدته العلوم على اختلافها إبان العهد الساماني الذي تميز ببروز عدد من العلماء الذين خلّد التاريخ ذكرهم في مختلف المجالات ، حتى أنّ المدن السامانية قد أصبحت مقصدا لطلاب العلم من كل مكان ، أما العنصر الأخير فطرقت من خلاله للتطور الذي عرفته مختلف أنواع الفنون ، ذلك أن عناية الأمراء السامانيين بالفن وأهله لم تكن أقل أهمية من عنايتهم بالعلماء في مختلف المجالات والتخصصات ، وبعد أن تطرقت إلى كل هذه الإنجازات عرفت السبب الذي جعل عددا من المؤرخين يعتبرون زوال هذه الدولة من بين أكبر الضربات التي شهدتها المنطقة في تاريخها .

أما خاتمة البحث فقد كانت عبارة عن مجموعة من أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة وأتبعتها بملاحق ذات علاقة بالموضوع ، إضافة إلى فهرس للأعلام والأماكن .

5- الإطار الزمني والمكاني:

إنّ الإطار الزمني لهذه الدراسة محدد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين وهي الفترة التي شهدت قيام الدولة السامانية وبروزها ، وهذا في أعقاب قيام الخلافة العباسية ببغداد بجعل بلاد ما وراء النهر إقليما منفصلا عن خراسان ، على إثر استيلاء الصفاريين على هذا الإقليم بعد ضعف الطاهريين حيث قام الخليفة العباسي المعتمد بإرسال منشور بولاية جميع أعمال ما وراء النهر من جيحون إلى أقصى الشرق للأمر نصر الساماني ، وقيام إسماعيل بالخطبة لأخيه نصر في بخارى سنة 261هـ / 874م هذا مع الرجوع إلى أيام الخليفة المأمون ، التي برز فيها أولاد أسد الساماني الأربعة نوح أحمد يحيى وإلياس الذين تولوا أمر سمرقند فرغانة الشاش وأشروسنة تباعا ، ويستمر الإطار الزمني إلى غاية سقوط الدولة السامانية والقضاء عليها نهائيا ، على أيدي الغزنويين من جهة خراسان ، وخانات الترك من جهة بلاد ما وراء النهر وذلك سنة 389هـ / 999م مستغلين الضعف الذي دب في أوصالها ، مع التطرق إلى المحاولات والجهود التي بذلها المنتصر الساماني ، في سبيل إعادة مجد أسرته الزائل والتي لم تتوقف إلّا في أعقاب توقف النبض في صدره .

أما في ما يخص **الإطار المكاني**، فإن موضوع الدراسة يتركز أساسا في منطقة خراسان وما وراء النهر وذلك لأن سلطان السامانيين فيهما كان مستمرا وبلا انقطاع ، حتى زوال دولتهم ، مع العلم أن توسعات السامانيين ونفوذهم قد امتد إلى مناطق عدة في المشرق الإسلامي ، وإن كان هذا النفوذ متقطعا في عدد من هذه المناطق على غرار طبرستان والري والجل وبلاد سجستان ، ولهذا سيكون التركيز على إقليمي خراسان وما وراء النهر أكثر

من غيرهما ، ومن أهم المدن والخواضر السامانية سمرقند ، بخارى ، الشاش وأشروسنة إضافة إلى بلخ ، مرو نيسابور وهراة

6- المنهج المتبع في الدراسة :

ولإنجاز هذه الدراسة فقد قمت بجمع المادة من المصادر والمراجع ، وبعد قراءة هذه المادة ، قسّمت العمل إلى فصول ، وشرعت في تحرير البحث ، واعتمدت على عدد من المناهج العلمية الموضوعية هي :

المنهج التاريخي الوصفي : اعتمدت عليه في سرد الأحداث بطريقة وصفية كرونولوجية ، لفهم الأحداث بالتسلسل ، واعتمدت عليه في عدد من أجزاء البحث ، خاصة أثناء الفصل التمهيدي ، وكذلك أثناء الحديث عن علاقات السامانيين مع غيرهم من دول الجوار .

المنهج المقارن : واعتمدت عليه أثناء وجود اختلاف وتضارب في المعلومات الواردة في المصادر ، فكنت أعمد للمقارنة بينها ، وأحاول ترجيح بعضها للوصول إلى بعض الاستنتاجات ، كما كنت أضيف بعض التعليقات التي أرى أنها مفيدة ، خاصة وأني اعتمدت على عدد من المصادر الفارسية المترجمة ، وعدد من المصادر العربية ويوجد بينهما بعض الخلاف في عدد من الروايات للأحداث التاريخية .

المنهج التحليلي النقدي : وذلك من خلال تحليل بعض الحقائق قدر الإمكان ، أو نقد بعض ما قيل فيها اعتمادا على مصادر ومراجع أخرى ، من ذلك أسباب صراعها مع دول الجوار مثلا .

7- تقييم المصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث :

وقد اعتمدت لإنجاز دراستي هذه على عدد من المصادر والمراجع والتي لا غنى عنها ، ومن أهمها :

أ- المصادر الفارسية المترجمة إلى العربية : والتي خدمتني في البحث كثيرا ، وأشرف على ترجمتها عدد من الدكاترة في اللغة الفارسية والذين لهم علاقة وطيدة بالتاريخ ، وتكمن أهمية بعض هذه المصادر في أن أصحابها كانوا قد عاصروا العهد الساماني ، أو كانوا قريبين منه زمنيا ، ومن أبرزها :

- كتاب تاريخ بخارى لأبي بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت 348 هـ / 959 م) ، والذي كان هدية منه إلى الأمير الساماني الملقب بالحميد نوح بن نصر بن أحمد سنة 322 هـ / 943 م بعد أن انتهى من تأليفه ، وتكمن أهميته في كون صاحبه كان معاصرا للسامانيين وجلّ ما يرويه من أخبار كان قريبا منها ، وأصل الكتاب عربي ترجم للفارسية ، غير أنّ الأصل العربي قد ضاع فيما يبدو ، فتم نقل النص الفارسي إلى العربية مع العلم أن هذا الكتاب تُرجم كذلك إلى الروسية والفرنسية عن أصله الفارسي ، وتكمن أهمية هذا المصدر في كونه أطلعنا عن الكثير من الأخبار عن السامانيين ، عن نسبهم وبداية ولايتهم ، وما جرى من أحداث مهمة في إمارة كل واحد من أمراء هذه الأسرة ، كما أنه يزودنا بالكثير من المعلومات حول العاصمة بخارى كوصف حدائقها وأنهارها

ومساجدها وأسواقها ، فضلا عن ما يلحق بها من مدن تابعة لها ، وبالرغم من الاختصار في معلوماته ، إلا أن هذا الكتاب القيم قد خدمني في أغلب مراحل البحث ، وفي جوانب عدة منها الجغرافية والاقتصادية والثقافية والتاريخية ، فضلا عن الأخبار السياسية ، وقد قام بتحقيقه وترجمته إلى العربية الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي .

ومن المصادر المهمة كذلك كتاب **زين الأخبار** لأبي سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود **الكرديزي** (ت 443 هـ / 1051م) الذي أرخ للحوادث منذ بدأ الخليقة إلى منتصف القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي وهذا المصدر منوع المواضيع ففيه التاريخ والآثار والأعياد والعادات والتقاليد والأنساب والمعارف وقد أورد ذكر حكم كل الأمراء السامانيين بشيء من التفصيل حيث خصص لهم جزءا مهما من الباب السابع في كتابه ، مما جعل اعتمادي على هذا المصدر كبيرا في بحثي وفي معظم أجزائه المتعلقة بالجانب السياسي والعسكري ، بدءا من الأحداث المتعلقة بالسامانيين قبل إسلامهم وحتى زوال حكمهم ، كما اعتمدت عليه كذلك في بعض الجوانب الإدارية والاقتصادية، وقد تكفلت الدكتورة عفاف السيد زيدان المتحصلة على الدكتوراه في الأدب الفارسي والتي درست إلى جانب الفارسية التاريخ كذلك بترجمته إلى العربية .

ومن المصادر المهمة كذلك والتي أفادني كثيرا كتاب **سياسة نامة** للوزير السلجوقي **نظام الملك الطوسي** (ت 485 هـ / 1092 م) ، الذي يحوي في طياته معلومات مهمة عن نظام الحكم والإدارة على العهد الساماني كما أورد في كتابه العديد من مآثر السامانيين ، كما تطرق إلى ظهور الباطنية الشيعة بخراسان وما وراء النهر وبين كيف كان رد الدولة السامانية عليهم ، كما أفادني هذا الكتاب كثيرا في التعرف على دور العنصر التركي في الدولة السامانية ، والمكانة الكبيرة التي وصل إليها ، وتطرق كذلك بشيء من التفصيل إلى تمرد القائد التركي ألبتكين الذي كان النواة الأولى لظهور الدولة الغزنوية ، وقد قام بترجمة هذا الكتاب عن الفارسية الدكتور يوسف بكار ، ونظرا لقيمة هذا الكتاب فقد طبع عدة مرات ، وترجم إلى عدة لغات منها الروسية والفرنسية والانجليزية والألمانية والتركية .

ومن المصادر الفارسية المترجمة كذلك كتاب **تاريخ طبرستان** لصاحبه بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار (ت 613 هـ / 1216 م) والذي أفادني كثيرا في مبحث العلاقات السامانية مع الزيدتين الشيعة ، الذين أقاموا دولة لهم في طبرستان ، وقد اعتمدت كثيرا على هذا المصدر خاصة في هذا المبحث ، وتطرق بكثير من التفصيل إلى تاريخ هذه المنطقة غير أنني قد قارنت ما جاء فيه من أحداث مع عدد من المصادر ، خاصة وأن ميله كان للزيدين ، وقد قام بترجمة هذا المصدر أحمد محمد نادي .

ومن المصادر الفارسية المترجمة كذلك كتاب **سفر نامة** للرحالة الفارسي **ناصر خسرو علوي** والذي كان شيعي المذهب ، واستفدت من هذا الكتاب في وصفه لبعض جوانب خراسان ، إضافة إلى كتاب **فارس نامة لابن البلخي** وغيرها .

ب - المصادر الفارسية المترجمة إلى اللغة الفرنسية :

واعتمدت خلال بحثي على مصدر مهم منها ، وهو كتاب *Histoire des Samanides* وهو ترجمة للفرنسية عن أصله الفارسي الذي ألفه محمد بن خاوند شاه الملقب **بميرخوند** (ت 903 هـ / 1497 م) وقام بترجمته وتحقيقه المستشرق الفرنسي شارل فرانسوا ديفرميري إلى الفرنسية ، وهذا الكتاب جزء من موسوعته الشاملة المعنونة **بروضة الصفا** ، والمقسمة إلى مقدمة سبعة أقسام وخاتمة تتطرق إلى تاريخ الإسلام والمسلمين ، وكل قسم من أقسامها كتاب مستقل بذاته ، وقد ترجم هذا المستشرق الفرنسي وحقق الكثير من أعمال ميرخوند ، وورد في هذا الكتاب الكثير من أخبار السامانيين بدءاً من قيام دولتهم وحتى سقوطها وأفادي كثيراً في الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها الدولة السامانية ، كما استفدت منه كذلك في عدة أمور تتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي .

ج- المصادر العربية :

والتي لا غنى عنها في الدراسات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي ، وهي عديدة ومتنوعة واستفدت منها في الكثير من جوانب البحث ، ومن أهمها كتب الرحالة والجغرافيين وكتب التاريخ العام ، وقد كان عدد من أصحاب هذه الأعمال قد عاش فترة حكم السامانيين ، ومنهم من كان على احتكاك بأمرأى هذه الدولة أو دخل عليه وجالسه ومن أهمها أذكر :

*** كتب الرحالة والجغرافيين :** ويأتي في مقدمتها كتاب **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** لصاحبه الرحالة **المقدسي البشاري** (ت 380 هـ / 990 م) ، الذي زار بلاد ما وراء النهر وخراسان خلال فترة حكم السامانيين ، وقدم لنا معلومات كثيرة تخدم الموضوع في مختلف جوانبه ، فمن الناحية الاقتصادية قدم لنا وصفاً دقيقاً لأهم منتجات الأراضي السامانية سواء الزراعية أو الصناعية ، وقدم لنا وصفاً دقيقاً بصدارتها وأحوال تجارتها كما استفدت منه في بعض جوانب الحياة الثقافية ، حيث تطرق إلى مجالس المناظرات التي كانت تعقد بحضور الأمير الساماني وأهم ما يدور فيها كتلك التي كانت تعقد عشية كل جمعة من رمضان وتطرق إلى الأوضاع الاجتماعية السائدة بالأراضي السامانية ومكانة العلماء في هذه الدولة ، فضلاً عن ما فيه من معلومات سياسية مهمة ، وهذا الكتاب كان من بين أهم مصادر البحث .

ومن المصادر الجغرافية كذلك كتاب **المسالك والممالك للإصطخري** ، وكتاب **صورة الأرض لابن حوقل** والذي يعتبر مراجعة وتطويراً للكتاب السابق ، وكلاهما من جغرافيين القرن الرابع هجري العاشر ميلادي وتكمن أهمية هذين الكتابين في كون صاحبيهما معاصرين للدولة السامانية ، وكلاهما نشأ في منطقة قريبة من الأراضي السامانية ، وقدمنا لنا معلومات مهمة وكثيرة تتعلق بإقليمي خراسان وما وراء النهر ، وغيرهما من المناطق التي خضعت لحكم السامانيين وما يلحق بهذه المناطق من مدن ، وهذه المعلومات في مجالات عدة بالأخص منها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد اعتمدت عليهما في أجزاء كثيرة من البحث ، ولكن بشكل أكبر أثناء التطرق إلى الجانب الاقتصادي للدولة السامانية ، كما استفدت من **مختصر كتاب البلدان** لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني

المعروف بابن الفقيه ، في عدة مواضع من هذا البحث ، وإن كنت اعتمدت على المصادر السابقة الذكر بشكل أكبر ، ومن الرحلات التي اعتمدت عليها **رحلة ابن فضلان** الذي زار بخارى ودخل على الأمير الساماني نصر بن أحمد سنة 309 هـ / 961 م ، وكذلك **رحلة ابن مهلهل الخزرجي** المتوفى في أواخر القرن الرابع هجري العاشر ميلادي ، الذي حدثنا عن المصاهرة التي تمت بين نصر بن أحمد الساماني وملك الصين ، بزواج نوح ابن نصر من بنت ملك الصين والتي أنجبت له عبد الملك ، وقد كان الخزرجي حاضرا في قصر الأمير الساماني لما قصده رسل ملك الصين لمصاهرته ، وقد استفدت كثيرا من هذه المصادر الجغرافية وهذه الرحلات في بحثي .

***كتب التاريخ العام :** والتي لا يمكن إنجاز بحث له علاقة بالتاريخ الإسلامي بدونها ومن أهمها :

الكامل في التاريخ لصاحبه **ابن الأثير** (ت 630 هـ / 1233 م) والذي يشتمل على تاريخ العالم منذ بدأ الخليقة إلى غاية قبل وفاة صاحبه بعامين ، ويعتبر من أهم كتب التاريخ العام التي كتبت بالعربية ، وهو يعتمد على نظام الحوليات وأمدنا بمعلومات هامة عن السامانيين في الأجزاء السادس والسابع والثامن من كتابه ، بدءا من قيام الدولة وحتى سقوطها ، كما أفادني في الحوادث التي جرت بين هذه الدولة ومختلف القوى المجاورة لها فضلا عن ما أورده من معلومات أخرى تتعلق بالزراعة والتجارة وغيرها ، خاصة وأن ابن الأثير يمتاز بدقة معلوماته وشموليته وكان اعتمادي على هذا المصدر كبيرا في بحثي .

ومن كتب التاريخ العام التي اعتمدت عليها كذلك كتاب **تاريخ ابن خلدون** **والبداية والنهاية لابن كثير** وكتاب **تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه** (ت 461 هـ / 1069 م) ، الذي كان عهده قريبا من عهد الدولة السامانية ، وهذه الكتب أفادتني في جوانب كثيرة من البحث ، ومن المصادر المهمة في البحث كذلك كتاب **الأنساب للإمام أبي منصور التميمي السمعاني** (ت 562 هـ / 1167 م) ، الذي أفادني في التعرف على الكثير من الشخصيات العلمية التي سطع نجمها على الأراضي السامانية ، كما سهلت علي مؤلفات **ياقوت الحموي** مثل **معجم البلدان** و**معجم الأدباء** مهمة التعرف على المناطق والمدن السامانية وضبط حدودها ، والتعرف على جغرافيتها ، أما معجم الأدباء فقد أورد تراجم لعدد من الشخصيات العلمية البارزة على العهد الساماني ، ومن المصادر التي أفادتني في البحث كذلك كتاب **ابن أبي أصيبعة** **المعنون بعيون الإنباء في طبقات الأطباء** ، والذي استفدت منه في كثير من المعلومات عن ابن سينا والرازي والبيروني ، الذين يعتبرون من أهم الشخصيات العلمية التي برزت زمن السامانيين ، إضافة إلى غيرها من المصادر التي لا يسع المقام لذكرها جميعا .

كما اعتمدت على عدد كبير من المصادر التي كتبها أصحابها على العهد الساماني وفي ظل رعاية السامانيين أنفسهم ، على غرار كتاب **مفاتيح العلوم للخوارزمي** (ت 387 هـ / 997 م) ، الذي كتبه للوزير الساماني الذي اشتهر برعاية العلم والعلماء وهو الوزير أبي الحسن العتيبي ، واستفدت منه كثيرا فيما يخص العلوم التي كانت منتشرة على العهد الساماني ، وكذلك كتب **أبي منصور الثعالبي** (ت 429 هـ / 1038 م) الذي برز نجمه كثيرا على العهد الساماني ، ومن كتبه التي اعتمدت عليها لإنجاز هذا البحث كتاب **يتيمة الدهر في محاسن أهل**

العصر وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب وكتاب لطائف المعارف وكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وكتاب الاقتباس من القرآن الكريم ، وكذلك كتاب لأبي الريحان البيروني والذي يحمل عنوان الآثار الباقية عن القرون الخالية وغيرها .

د- الدراسات الجامعية : أهمها دراسة مقدمة على مستوى كلية الدراسات العليا بجامعة الأردن بإشراف الدكتور عبد العزيز الدوري ، للباحث إحسان ذنون الثامري بعنوان " الحياة العلمية زمن السامانيين " وهي رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ، طبعت سنة 2001 م بدار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، وقد جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى ستة فصول ، وقد استفدت منها كثيرا ، حيث سمحت لي هذه الدراسة بالتعرف على أهم المصادر والمراجع التي لها صلة بالبحث ، منها من تمكنت من الحصول عليها ومنها من لم يسعفني الحظ للوصول إليها ، وقد جاءت هذه الدراسة كما يدل عليها عنوانها مخصصة للجانب العلمي والثقافي ، ولذلك فقد استفدت منها كثيرا في هذا المجال ، فمكنتني من التعرف على أبرز العلوم والعلماء على العهد الساماني ، كما استفدت منها في الجانب الذي له علاقة بمراكز التعليم على العهد الساماني ، وهي أول دراسة من نوعها في هذا المجال كما يذكر صاحبها ، وإن كان بحثي وهذا العمل يلتقيان بعض الشيء في الحياة الفكرية ، إلا أنني أعتبر أن بحثي يقدم إضافة لها علاقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وحتى الحضاري ، غير أن عمله يبقى أكثر شمولية من عملي في ما يخص الجانب الثقافي ، وقد استفدت من هذا العمل كثيرا .

- ومن الأعمال الأكاديمية كذلك رسالة دكتوراه بعنوان " خراسان في العصر الغزنوي " بإشراف الأستاذ الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مقدمة بقسم التاريخ في كلية اللسانيات بجامعة قطر ، لصاحبها محمد حسن عبد الكريم العمادي ، وقد طُبِعَ هذا العمل بالأردن سنة 1997 م ، وقد استفدت من هذا العمل المقسم إلى أربعة أبواب بشكل كبير من البابين الأول والثالث ، أما الأول استفدت منه فيما يتعلق بضعف النفوذ الساماني بخراسان في أواخر أيامهم ، وأهم الأحداث التي جرت بين الطرفين الساماني والغزنوي والتي كانت نتيجتها زوال النفوذ الساماني نهائيا عن خراسان ، أما الباب الثالث فاستفدت منه فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي في خراسان على العهد الغزنوي ، حيث ذكر صاحبه السامانيين كثيرا ، خاصة أن الأنشطة الاقتصادية من صناعة وتجارة والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية قد بقيت على العهد الغزنوي ، كما كان حالها على العهد الساماني فالجانب الاقتصادي بخراسان لم يتغير حاله كثيرا بين العهدين الساماني والغزنوي .

هـ - المراجع المترجمة : وهي متنوعة بين من ترجمت من الفارسية أو الروسية أو الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية ، ومن أهمها :

كتب المستشرق الروسي فاسيلي فلاديميروفيتش بارتولد والذي يعتبر مؤرخ تاريخ آسيا الوسطى الأول ويرجع إليه كل الباحثين في هذا المجال ، ومن أهم كتبه والتي خدمت البحث في كل أجزاء كتاب تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ترجمه عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، وتعتبر المعلومات الواردة في كتابه الأكثر دقة ، خاصة وأن جل دراساته تتعلق بتاريخ هذه المنطقة ، ومن كتبه التي اعتمدت عليها كذلك كتاب

تاريخ الترك في آسيا الوسطى والذي ترجمه أحمد السعيد سليمان ، والذي استفدت منه كثيرا في دور السامانيين لنشر الإسلام بين أوساط قبائل الترك وجهودهم المبذولة لهذا الغرض ، إضافة إلى كتابه **تاريخ الحضارة الإسلامية** ترجمة حمزة طاهر ، والذي استفدت منه كذلك في الجانب الحضاري .

ومن المراجع المهمة كذلك **تاريخ بخارى** للمستشرق المجري **أرمينوس فامبري** ترجمة أحمد محمود الساداتي والذي تطرق إلى تاريخ السامانيين بشيء من الإيجاز والتركيز في نفس الوقت ، وركز على مراحل قوة هذه الدولة ثم تدهور أوضاعها وسقوطها ، كما أبرز جانبا من الحياة الثقافية على عهد هذه الأسرة وبين كيف أصبحت مدنهم محجرا ومقصدا للعلماء ، نظرا للتبجيل التي توليهم إياه هذه الدولة .

كما استفدت كذلك من كتاب **آدم ميتز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري** ، وكتاب **موريس لومبار الإسلام في مجده الأول** ، وكلاهما تطرق إلى تاريخ السامانيين ودورهم الحضاري ومساهماتهم وإنجازاتهم ، مما جعلني أستفيد منهما في عملي هذا ، إضافة إلى مجموعة من المراجع الأخرى المترجمة من مختلف اللغات الأوروبية .

ومن المراجع المترجمة عن الفارسية والتي خدمت البحث كثيرا كتاب **تاريخ إيران بعد الإسلام** للمؤرخ الإيراني **آشتياني إقبال عباس** والذي تطرق إلى تاريخ كل الدول الفارسية التي ظهرت بعد ظهور الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر هجري العشرين ميلادي ، ورغم كونه شيعي المذهب إلا أنه اعترف بأن مرحلة حكم السامانيين السنة كانت من بين أزهى فترات المنطقة وأكثرها عزا ومجدا ، واستفدت منه في كثير من الأمور المتعلقة بالبحث وخاصة في ميدان نظم الحكم والإدارة في الدولة السامانية .

و- المراجع العربية الحديثة : وهي كثيرة وسأذكر أهمها ، وهي في الغالب تتحدث عن الدولة السامانية بشيء من الإيجاز ، وفي إطار حديثها عن تاريخ الدول الإسلامية المستقلة في المشرق ، ومن أهمها :

مؤلفات **عصام الدين عبد الرؤوف الفقي** ومن بين التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي** وكتاب **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق** ، وكلاهما تطرق بشيء من الإيجاز للتاريخ السياسي والعسكري للسامانيين وعلاقاتهم مع القوى المجاورة ، وفي الكتاب الأول إضافة تتعلق بالجانب الحضاري ، كما اعتمدت على كتابه **بلاد الهند في العصر الإسلامي** والذي استفدت منه في الصراع الذي قام بين السامانيين والغزنويين .

كما اعتمدت كذلك على كتاب **بوريبوي أحمدوف و زاهد الله منوروف والمعنون بالعرب والإسلام في أوزباكستان** ، والذي استفدت منه في نظام الحكم والإدارة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالدولة السامانية ومن الكتب التي استفدت منها فيما يخص الترك ودور السامانيين في إسلامهم ، وعلاقاتهم بهم وأوضاعهم داخل الأراضي السامانية ، كتاب **حسن أحمد محمود المعنون بالإسلام في آسيا الوسطى** وكذلك كتاب للدكتورة **زبيدة عطاء الموسوم بالترك في العصور الوسطى** .

إضافة إلى كتاب أبو العلا إبراهيم عبد المنعم سلامة الذي يحمل عنوان في تاريخ الدول الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية ، وكذلك كتاب الدول الإسلامية المستقلة في المشرق التاريخ والحضارة لصاحبه الدكتور محمد عبد المنعم الجمل ، وكتاب أحمد محمد عدوان موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي وهذه المراجع قد تطرقت إلى عدة نواحي في الدولة السامانية بشكل موجز غير أنني استفدت منها كثيرا .

هذا إضافة إلى مجموعة أخرى من المراجع على غرار كتابين لمحمد علي البار أولهما المسلمون في الإتحاد السوفييتي عبر التاريخ وهو يتكون من جزئين ، والثاني التركستان مساهمات وكفاح وقد تطرق فيهما إلى حكم السامانيين في خضم حديثه عن تاريخ ما يطلق عليه حاليا تركستان ، كما استفدت كذلك من كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي ، الذي اعتمدت عليه في تعريف عدد من الشخصيات وإيراد تراجم لها ، إضافة إلى مجموعة أخرى من المراجع ، التي تتطرق إلى التاريخ العباسي بصفة عامة .

ي - المراجع الأجنبية : والتي كان أساس مؤلفيها هي المصادر العربية التي اعتمدت عليها إضافة إلى المصادر الفارسية ومن أهمها :

كتاب The Lands of the Eastern Caliphate لصاحبه . G. Le STRANG والذي عرف فيه بالمناطق الشرقية للدولة الإسلامية تعريفا جغرافيا ، واستفدت منه في تعريف بعض الأماكن الوارد ذكرها في البحث إضافة إلى كتاب Barthold المعنون ب : Turkestan down to the mongol invasion والذي اعتمدت عليه في أصل السامانيين ونسبهم في بداية البحث ، وهذين الكتابين من أهم المراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة .

هذا بالإضافة إلى عدد من المقالات الواردة في عدد من الدوريات المتخصصة والموسوعات ، باللغة العربية وكذلك الفرنسية والإنجليزية ، والتي أفادتني كثيرا في البحث خاصة في ما يخص العلاقات السامانية مع القرخانيين والتي عجلت ضرباتهم بزوال الدولة السامانية .

8- صعوبات البحث :

وقد واجهت عدة صعوبات أثناء فترة انجازي لهذا البحث ، فبغض النظر عن الصعوبات والعراقيل الروتينية التي تواجه أصحاب البحث الأكاديمي ، كتشتت المادة وتفرقها بين ثنايا المصادر المختلفة الأمر الذي يتطلب جهدا كبيرا من أجل تجميعها ، فضلا عن بعد المسافات بين المكتبات ، فإن أهم الصعوبات تتمثل أساسا في انعدام عدد كبير من المصادر والمراجع اللازمة لإنجاز البحث بمكتباتنا ، وبفضل الانترنت تمكنت من الحصول على بعض منها ، غير أن عدد معتبر من الدراسات الحديثة والمصادر المهمة للبحث ، قد حال بيني وبين الحصول عليها ، صعوبة التنقل إلى خارج أرض الوطن ، وقد بحثت كثيرا عن واحد من أهم المراجع اللازمة للبحث وهو كتاب للمؤرخ الروسي بارتولد ، والمعنون بتركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ولم أتمكن من الحصول عليه

إلا في أعقاب سفر أحد الزملاء إلى تركيا وبعد جهد كبير منه ، فجزاه الله كل خير ، كما كان من بين صعوبات البحث كذلك كثرة الأخطاء الواردة لدى عدد من المراجع التي تطرقت إلى تاريخ السامانيين بشكل موجز ، والتي مرّدها إلى تضارب في المادة الموجودة في عدد من المصادر ، ومن أكثر الأخطاء الشائعة والتي تطلب مني التدقيق فيها جهدا ووقتا معتبرا ، هو الأخطاء في المعلومات وكذلك الأسماء والتواريخ ، وهناك صعوبة أخرى تتمثل في عدم إتقاني للغة الفارسية ، فبالرغم من أن الكثير من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها مترجمة من الفارسية إلى العربية ، إلا أنّ اللغة الفارسية تساعد على الإطلاع أكثر على المصادر والبحوث بلغتها الأصلية . ورغم هذه الصعوبات والتي كان لا بد من مواجهتها والتغلب عليها ، فإنني أتمنى أن أكون قد وفقت في إزالة اللبس والغموض حول جوانب عدة من تاريخ السامانيين ، وبالتالي فتح المجال أمام مزيد من الباحثين للتطرق إلى مواضيع لها علاقة بهذا الشأن .

9- الشكر والعرفان :

وفي ختام هذا العمل الذي تطلب جهدا ووقتا كبيرا وتوفيقا أكبر من رب العالمين ، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد شريف الذي قبل الإشراف على الموضوع ، ولم ييخل علي طيلة فترة إنجاز البحث بتوجيهاته وإرشاداته ، وتشجيعه لي لمواصلة العمل فجزاه الله عني كل خير ، كما أشكر كل أساتذتي في السنة الأولى ماجستير ، وأخص بالذكر الأستاذ بشار قويدر الذي أثار لنا درب الدراسات المشرقية كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام ، الذين قبلوا مناقشة البحث ، وأتعهد بأن أتبع إرشاداتهم وتوجيهاتهم ، وسأصحح الأخطاء الواردة فيه بناء على ملاحظاتهم وتصويباتهم ، وأشكر كذلك كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا البحث من زملاء وأساتذة ، وأخص بالذكر الأستاذ أحمد جلايلي الذي زودني بعدد من المراجع والتوجيهات على حساب وقته ، وكذلك عماد هوشات الذي ساعدني في ترجمة الكثير من النصوص الإنجليزية والفرنسية رغم انشغاله ، إضافة إلى كل من ساعدني من الأصدقاء معنويا والذين لا يسع المقام لذكرهم جميعا ، فلهم مني كل الشكر وأدعو الله أن يجازيهم بأفضل مما عنده .

والله من وراء القصد وعليه التكلان .

الفصل الاول : السامانيون لمحة تاريخية .

المبحث الأول : التسمية و الأصل .

أولا – سبب التسمية .

ثانيا – أصل السامانيين .

المبحث الثاني : نسب السامانيين .

المبحث الثالث : موطنهم ومعتقدهم قبل الإسلام .

أولا – موطنهم قبل الإسلام .

ثانيا- معتقدهم قبل الإسلام .

المبحث الرابع : اتصالهم بالإسلام و المسلمين .

المبحث الأول : التسمية و الأصل .

أولا - التسمية :

ينتسب السامانيون إلى أسرة فارسية عريقة الأجداد ، وقد استمدوا اسمهم من إحدى قرى المشرق تسمى سامان ، ولُقب جدهم الذي بنى هذه القرية وأسس أركانها ، وأطلق عليها اسم سامان ، "بسامان خداه" ، كما كان يلقب أمير بخارى "ببخار خداه" ، وبذلك فمعنى سامان خداه أمير سامان¹ ، كبير سامان أو رئيس سامان² ، وهذا دليل على أن هذه القرية كانت تحت حكم جدهم وخاضعة لرأيه .

وفي الوقت الذي يُقر فيه "الترشحي" بأن سامان قرية من قرى منطقة بلخ³ ، وهو الرأي نفسه الذي ذهب إليه "كارل بروكلمان" ، حينما قال بأن سامان خداه هو سيد قرية سامان التي كانت تقع في منطقة بلخ⁴ وهو ما ورد كذلك بدائرة المعارف الإسلامية⁵ ، غير أن "المقدسي" أورد بأن قرية سامان لا تقع في منطقة بلخ إنما هي إحدى قرى مدينة سمرقند⁶ ، و أيدته في هذا الطرح "أشتياني إحسان عباس" ، الذي قال بأن السامانيون كانوا يتوارثون إمارة هذه القرية التي هي من قرى سمرقند⁷ .

¹ - الترشحي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت. 348 هـ / 959م) : تاريخ بخارى ، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، ط. 3 ، (د . ت) ص. 90.91.

² - الثامري إحسان ذنون : الحياة العلمية زمن السامانيين - التاريخ الثقافي لخراسان و بلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث و الرابع لهجرة ، (رسالة دكتوراه منشورة) دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط. 1، 2001، ص. 10.

³ - الترشحي : المصدر السابق ، ص. 91؛ وعن مدينة بلخ انظر مبحث موطنهم قبل الإسلام ، ص . 9 وما بعدها بصفحات .

⁴ - بروكلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة ، أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط. 9، 1981 ، ص. 262.

⁵ - دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتناوي و آخرون ، مج . 11 ، ص . 76.

⁶ - المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت. 380 هـ / 990 م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ، بيروت ، مطبعة بريل ، 1906 ، ص. 338؛ أما سمرقند فهي من أجل مدن ما وراء النهر ، اختلف في من بناها وقد ورد بأنها من أبنية ذي القرنين ، لها اثنا عشر بابا وبها الكثير من المزارع والبساتين ، ومن مدنها كمانية ودبوسية وأشروسنة والشاش ونخشب .. فتحتها قتيبة بن مسلم سنة 87 هـ / 706 م ، انظر (الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت . 626 هـ / 1229 م) : معجم البلدان ، مج. 3 ، دار صادر ، بيروت ، 1397 هـ / 1997 م ، ص. 246 وما بعدها) .

⁷ - أشتياني إحسان عباس : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205 هـ / 820 م - 1343 هـ / 1925 م) ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1989 ، ص. 133.

وفي الوقت الذي نسب المؤرخون السابق ذكرهم ، السامانيون إلى اسم القرية مع الاختلاف حول انتمائها إلى بلخ أو سمرقند ، يرى فريق آخر من الباحثين أن السامانيين أخذوا اسمهم هذا من اسم جدهم " سامان " الذي ينتسبون إليه ¹ ، والذي هو كبير الأسرة السامانية ² .

وبين من ينسبهم إلى اسم القرية ، ومن ينسب اسمهم إلى جد من أجدادهم حاول "ياقوت الحموي " التوفيق بين القولين ، حيث يقول : "...و يمكن الجمع بين القولين ، لأن سامان خداه معناه المالك سامان لأن خداه بالفارسية المملك فيكون أرادوا ذلك ، ثم غلب عليهم هذا الاسم ، و ذلك كقولهم شاه أرمن مملك الأرمن وخوارزم شاه لصاحب خوارزم ، ويقولون لرؤساء القري " ده خدا " ، لأنّ ده اسم القرية وخدا مالك وكأنه قال مالك القرية أو رب القرية . " ³ .

و بذلك يكون سامان قد حمل هذا الاسم الذي أطلقه هو نفسه على القرية التي بناها ، وأصبح فيما بعد يطلق عليه ويُعرف به ⁴ ، فاسمه كاسم القرية .

ثانيا - الأصل :

أما عن أصل سامان ونسله فقد أقر أغلب المؤرخين ، أنهم من أصل فارسي عريق ، فسامان خداه كان من أبناء الملك " بهرام جوبين " ⁵ ، الذي يعد من خيرة أبناء فارس ، هذا ما قصد إليه " النرشخي والبيروني وابن الأثير والكرديزي وميرخوند وابن خلدون وبارتولد " ، فهم من سلالة الأسرة الساسانية الفارسية ⁶ ، والتي حكمت تلك المنطقة زمنا طويلا .

¹ - الكرديزي أبي سعيد ، عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت. 443هـ / 1051 م) : زين الأخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2006 ، ص.108.

² - العمادي محمد حسن عبد الكريم : خراسان في العصر الغزنوي ، تقديم نعمان جبران ، دار الكندي للنشر و التوزيع ، الأردن ، 1997 ، ص.14.

³ - الحموي: المصدر السابق، مج.3 ، ص.172-173.

⁴ - الجمل محمد عبد المنعم : الدول الإسلامية المستقلة في المشرق - التاريخ والحضارة - دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2002 ، ص.199.

⁵ - عن بهرام جوبين ، أنظر ص . 5 من الرسالة وما بعدها .

⁶ - النرشخي : المصدر السابق ، ص.91 ؛ البيروني أبو الريحان أحمد بن محمد (ت. 440 هـ / 1048 م) : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزغ ، 1878 ، ص . 39 ؛ ابن الأثير الجزري أبي الحسن علي (630 هـ / 1233 م) : الكامل في التاريخ ، مج.6 ، إعداد إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط.4 ، 1424هـ / 2003 م ، ص.253 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص.208 ؛ ابن خلدون عبد الرحمن (ت. 809 هـ / 1406 م) : تاريخ ابن خلدون ، مج.4 ، ط.1 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1413 هـ / 1992 م ، ص.399 ؛ -Mirkhond : Histoire des Samanides , traduit au français par, M .Defréremy, paris, =

وقد أكد المستشرق "كليفورد بوزورث" أن السامانيين من الفرس ، غير أنه شكك في أنهم ينحدرون من سلالة الساسانيين بأباطرة الفرس القدماء ، واعتبر أنهم زعموا ذلك فقط ، فمؤسس أسرهم سامان كان دهقاناً¹ بمنطقة بلخ قبل إسلامه² .

وقد ظهرت آراء حديثة إعتبرت أن السامانيين أتراك ، ينتمون تحديداً إلى قبائل الغز ، وأن أصل أجدادهم كان من أطراف سمرقند³ ، ولأن "عبد العزيز جنكيزخان" يعتبر السامانيين أتراك ، فقد إعتبر أن الدولة السامانية هي أولى دول الترك التي قامت بعد الإسلام في "تركستان"⁴ ، حيث أن نسب السامانيين حسبه يرجع إلى "سامان يواغي" ، وهو من قبائل أوغور التركية ومن رهبان معبد نوبهار⁵ في بلخ⁶ .

إلا أن الدور الكبير للسامانيين في بعث وإحياء التراث واللغة الفارسية الحديثة ، التي إمتزجت بالمؤثرات العربية هذه الفارسية التي بدأت على عهدهم تظهر كلغة للفكر والحضارة⁷ فضلاً على تشجيعهم الكبير للأدب الفارسي ، الذي بدأ في الإنتعاش منذ القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد حيث برزت كنتيجة لهذا التشجيع عديد المؤلفات بالفارسية على غرار "الشاهنامه للفردوسي" ، و"مختصر تاريخ الطبري للبلعمي" وزير منصور الأول بن نوح" (350-366هـ / 961-976 م)⁸ . إضافة إلى التاريخ الطويل من الحروب والغارات ، المتبادلة

=imprimerie royal p.113 ; Barthold Wassily :turkistan Down to The Mongol invasion ,second edition ,translate by GIBB M . A , osmania univercity library , London, p . 209 .

¹ - الدهقان: من أشرف الفرس يحكمون أهل القرى ، و يملكون الأراضي الشاسعة التي يسهر على رعايتها وزرعها رجاله و أتباعه ، استعان المسلمون بهم في كثير من الاعمال مثل جمع الخراج لصالح الدولة ، انظر (جرجي زيدان : أبو مسلم الخراساني ، كلمات عربية للترجمة و النشر ، القاهرة ، 2011، ص.17) .

² - بوزورث أ . كليفورد : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - دراسة في التاريخ و الأنساب - ، ترجمة حسين علي اللبودي ، مراجعة سليمان ابراهيم العسكري ، مؤسسة الشراع العربي ، ط.2، 1995 ، ص.151.

³ - أبو العلا إبراهيم عبد المنعم سلامه : في تاريخ الدولة الإسلامية الشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2005 ، ص . 81 .

⁴ - تركستان : اسم جامع لجميع بلاد الترك ، وكان أول حد لهم مع المسلمين هو منطقة فاراب وتمتد أراضيهم وصولاً إلى حدود الصين والتبت وكانت مدنها المشهورة ستة عشر مدينة ، أنظر (الحوي : المصدر السابق ، مج . 2 ، ص . 23 وما بعدها بصفحات) .

⁵ - عن النوبهار ، انظر ص . 11 من الرسالة .

⁶ - جنكيزخان عبد العزيز : تركستان قلب آسيا ، طبع الجمعية الخيرية التركستانية ، (د.ت.)، ص.53. وعن ديانتهم ، أنظر مبحث معتقدتهم قبل الاسلام ص. 14 وما بعدها بصفحات) .

⁷ - حسن أحمد محمود و أحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، ط.1، (د.ت) ، (د.م.)، ص.466.

⁸ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، ج.3 ، دار الجيل بيروت و مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط 15 ، 1422هـ / 2001 م ، ص.87- 88 .

بين السامانيين والأتراك على المناطق الحدودية بينهما ، ومحاولة كل طرف التوسع على حساب الآخر¹ ، فهذه الأمور تقودنا إلى القول بأن السامانيين ليسوا من الترك بل هم من الفرس ، بل إن هناك من ذهب إلى حد اعتبار أنّ الحركة الإيرانية القومية ، قد برزت في الدولة السامانية بشكل أكثر وضوحا وظهورا في غيرها من الدول الفارسية الأخرى² .

ومن خلال هذا الطرح يمكن القول أنهم من بلخ وينتمون إلى العنصر الفارسي ، وهذا يفسر أسباب اهتمامهم الكبير بحركة بعث الشعر الفارسي على عهدهم ، وعدم محاولتهم إخمادها أو القضاء عليها³ .

وبعد أن تأكدنا من انتمائهم للعنصر الفارسي ، نحاول الآن أن نتأكد من صحة نسبهم إلى "بهرام جوبين" .

¹ — بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1996 ، ص.56.

² — حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص.465.

³ — أبو العلا : المرجع السابق، ص.182.

المبحث الثاني - نسب السامانيين :

بعد أن تطرقنا إلى أصل التسمية ، وتؤكدنا من انتمائهم للعنصر الفارسي نُعرِّج الآن للحديث عن نسبهم فقد أجمعت جُلُّ المصادر التي تطرقت إلى السامانيين على أنهم من ولد "بهرام جوبين" ، ذلك النبيل الفارسي المولود بالري¹ لمرزبان أي "حاكم أذربيجان"² "بهرام جشنش"³ وإشتهر بهرام جوبين ، الذي كان قائدا عسكريا ، من قواد الجيش الفارسي بالهمة العالية والطموح ، ولقد ألحق عديد الهزائم بخصوم الفرس ، سواء من البيزنطيين أو الأتراك ، الذين هددوا أمن الإمبراطورية الساسانية وزعزعوا إستقرارها ، في حروبه العديدة التي خاضها ضدهم⁴ ، فعلا ذكره بين هذه الشعوب وذاع صيته بينهم ، واشتهر لديهم بالبأس النجدة⁵ .

ولما تولى "هرمزد" عرش الفرس الساسانيين (579 - 590 م) ، جرت مفاوضات بين بيزنطة والفرس بهدف الوصول إلى سلم يكون بمثابة وضع حد للاضطرابات والحروب بين الطرفين ، إلا أن مآل هذه المفاوضات كان الفشل⁶ ، فاندلعت الحرب بينهما من جديد ونظرا للتاريخ الحافل بالانتصارات ضد الأعداء "لبهرام جوبين" الملقب - بالرجل الخشبي - والذي كان يُعد أكفأ القادة الفرس خلال تلك الحقبة ، فقد أسندت له القيادة العليا للجيش الفارسي ، لكن جيش الفرس مُني بالهزيمة مما دفع "بهرمزد" - ملك الفرس - لنزع قيادة الجيش من "بهرام جوبين" ، وتم ذلك بطريقة مذلة ولم يحفظ له فضله على الإمبراطورية⁷ ، الأمر الذي دفع به لرفع راية العصيان ، بحيث قام بثورة عنيفة ضد الملك مستغلا التفاف الجند حوله ، وانتهت هذه الثورة بعزل الملك ، سنة 590 م⁸ .

¹- الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات ، تعتبر قصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور 160 فرسخا ، قد كانت مدينة جيدة البناء والعمران ، وهي من أعمر المدن بالسكان ومن أشهر قراها قوهذ والسد ومرجى ..وقد غزاها المسلمون أول الأمر على عهد عمر بن الخطاب ، انظر (الحموي : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 115 وما بعدها) .

²- أذربيجان : إقليم واسع قصبته تبريز ومن أشهر مدنه خوي وسلماس وأرمية ... ، والغالب على هذه المنطقة الجبال وكثرة القلاع والخيرات الواسعة والفواكه الكثيرة ... تم فتحها زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انظر (الحموي : المصدر نفسه ، مج . 1 ، ص . 128 وما بعدها) .

³- البيروني : المصدر السابق ، ص . 39 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 253 .

⁴- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 179 .

⁵- الإصطخري إبراهيم بن محمد الكرخي : المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1937 ، ص . 292 .

⁶- سبب فشل هذه المفاوضات راجع إلى ملك الفرس الجديد - للمزيد حول هذه القضية أنظر (كريستنسن آرثر : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحي الخشاب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د . ت .) ، ص . 427) .

⁷- كريستنسن آرثر : المرجع نفسه ، ص . 427 .

⁸- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 180 .

ولما بلغ هذا الخبر لمسامع ابن الملك " أبرويز " ، أسرع بالعودة من أذربيجان إلى المدائن طلباً للملك ، أين جلس على العرش ووضع التاج خلفاً لأبيه (590 - 628 م¹) ، وكان من نتائج ثورة " بهرام جوبين " ، انتشار الفوضى وعدم الاستقرار في سائر البلاد أما الملك السابق " هرمزد " ، فبعد أن سمل الثَّوار عينيه بقليل ، فقد تم قتله والتخلص منه نهائياً في سجنه² .

أما عن " بهرام جوبين " والذي كان ذا طموح عال فإنه رفض مبايعة الملك الجديد ، على بلاد الفرس والمقصود هنا " كسرى الثاني برويز " ذلك لأنه رام العرش لنفسه ، وهو أمر لم يكن له سابق في تاريخ الساسانيين وأمام قوة جيوش بهرام جوبين فقد اضطُر كسرى إلى الفرار نحو بيزنطة ، للإحتماء بعرش إمبراطورها " موريس"³ ، في الوقت الذي دخل بهرام العاصمة لوضع التاج على رأسه ، ثم قام بسك النقود بإسمه⁴ .

ولم يهنأ بهرام جوبين ، الذي تلقب "ببهرام السادس" - العابر - بالمنصب الذي طالما طمح إليه ، إذ لقي معارضة قوية من كبار رجال الدولة وبالأخص رجال الدين الذين عارضوا حكمه بشدة ، وقامو بتأليب الرأي العام ضده ، فانفض من حوله الكثير من أتباعه باستثناء اليهود الذين رأوا فيه حامياً لهم ولمصالحهم فدعموه بالمال ، أما المنفضون من حوله فقد انضموا إلى كسرى الذي حالف إمبراطور الروم ، بعد أن قدّم لهم العديد من التنازلات⁵ ، كل هذا في سبيل استرجاع عرشه .

وبالفعل فقد تمكن من تحقيق غايته ومأربه ، بعد معارك طاحنة ضد بهرام جوبين وأتباعه ، حيث تمكن من هزمه وقهره في أذربيجان ، ممّ اضطره إلى الفرار إلى بلاد الترك ، والتي شهدت نهايته مقتولاً بعد ذلك بزمان يسير⁶ بسبب دسائس ومكائد دبرها له " كسرى الثاني برويز " حتى يتخلص منه نهائياً⁷ .

¹ - ابن البلخي : فارس نامه ، ترجمة يوسف الهادي ، الدارالثقافية للنشر ، القاهرة ، 1421 هـ / 2001 م ، ص.92.

² - المقدسي المظهر بن طاهر : البدء و التاريخ ، (ينسب تأليفه الى ابي زيد محمد بن سهل البلخي) ، ج.3 ، باريس ، 1903 ، ص.169 .
كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، ص.427-428.

³ - موريس : ورد في جدول اسماء ملوك النصرانية عند البيروني باسم "ماوريقوس معين كسرى على بهرام جوبين " انظر (المصدر السابق ، ص .59) .

⁴ - كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، ص.428.427.

⁵ - تنازل كسرى للإمبراطور البيزنطي موريس على مدينتي دارا و ميافاقيين ، في مقابل أن يعينه على استعادة عرشه أنظر(كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، ص.428) .

⁶ - المرجع نفسه ، ص . 428 - 429 .

⁷ - المقدسي المظهر بن طاهر : المصدر السابق ، ج.3 ، ص.170.

إذن فمن نسل هذا القائد الكبير ينحدر سامان ، الذي تنتسب إليه الدولة السامانية ، والتي علا ذكرها ، وبلغ شأنها في التاريخ الإسلامي مبلغا عظيما¹.

وقد أوردت المصادر نسب السامانيين إلى بهرام جوبين كاتالي :

"أسد بن سامان خداه بن جثمان بن طمغاث بن نُوشرد بن بهرام جُوبين ، بن بهرام جشنش² بن منوزاد خسرو بن بزسي بن بهرام بن أردشير بن سابور بن يزدجرد "³ ، أما الكرديزي فقد ذهب في نسبهم وصولا إلى " منشى بن كيومرث " والذي قال عنه بأنه أول ملك على وجه الأرض⁴ ، والذي دام ملكه حسب ما ورد في بعض الكتب ثلاثين سنة⁵.

بقي أن أشير إلى الاختلاف الوارد في كتابة الأسماء في بعض المصادر ، فضبط الأسماء كان صعبا نوعا ما ، إلا أنها كانت متقاربة ، ومكمن الصعوبة كما يقول ابن خلدون : " أنه لا وثوق لنا بضبط هذه الأسماء . "⁶.

وبعد أن تعرفنا على سبب تسميتهم ثم أصلهم وتأكدنا من نسبهم الفارسي وصولا إلى بهرام جوبين ، نحاول الآن الحديث عن موطنهم و معتقدتهم قبل الإسلام .

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص.91.

² - القزويني حمدا لله (ت 750 هـ) : تاريخ كزیده ، منشور ضمن تاريخ بخارى ، ص . 145؛ البيروني : المصدر السابق ، ص . 39 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج.6، ص.253 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج.4 ، ص.400.

³ - الداوداري أبو بكر بن عبد الله بن أبيك : كنز الدرر و جامع الغرر ، ج.5، تحقيق دوروتيا كرافولسكي ، بيروت ، 1413 هـ / 1992 م ، ص.306.

⁴ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص.208.

⁵ - المقدسي المطهر بن طاهر : المصدر السابق ، ص.138.

⁶ - ابن خلدون : المصدر السابق، مج.4 ، ص. 400.

المبحث الثالث - موطنهم ومعتقدهم قبل الإسلام :

أولا - موطنهم قبل الإسلام :

بعد أن كنا قد تأكدنا من كون السامانيين من الفرس ، سنتطرق الآن للحديث عن موطنهم قبل إسلام جدهم "سامان خداه"، والذي كان مدينة "بلخ" ، وسيوضح لنا هذا أكثر في المبحث الخاص بإتصالهم بالإسلام وسنحاول الآن أن نتعرف أكثر على موطنهم قبل الإسلام .

بلخ (Balakh) بفتح الباء وسكون اللام وآخرها خاء معجمه ، هكذا ضبطها "أبي الفداء"¹، وهي مدينة قديمة²، من أقدم مدن آسيا تقع حاليا في شمال أفغانستان ، عُرِفَت لدى اليونانيين بإسم باكترة (باختر) واسمها القديم "زراسب أو زراسب"³، تقع في مستو من الأرض بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ ، قيل عنها بأنها مدينة إقليم خراسان العظمى ، ودار مملكة الأتراك والمثلث بها لازم وبها العساكر والأبناء ، والقواد والعمال والأسواق العامرة والمتاجر والأموال الواسعة والأحوال الصالحة⁴.

وهي من أشهر مدن خراسان وأكثرها خيرا ، فغلاها الوافرة تحمل إلى جميع خراسان وحتى إلى خوارزم ، وقد ورد ذكرها في كتاب الملحمة المنسوب لبطليموس⁵، هناك من يرى أن أول من أمر ببنائها هو الملك "لهراسب بن كيوكي بن كيكوس"⁶، وقيل كذلك أن أول من أمر بتشيدها هو الملك الاسكندر المقدوني (ت 322 ق م.) ، لذلك كانت تعرف بالإسكندرية نسبة إليه⁷، و يعرف نهر جيحون بنهر بلخ ، بينهما حوالي عشرة فراسخ⁸.

¹ - أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1850 ، ص . 460 .

² - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 374 .

³ - النرشخي : المصدر السابق ، هامش ص. 90 .

⁴ - الادريسي أبي عبد الله محمد بن محمد (ت 599هـ / 1166م) : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مج . 1، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، (د . ت) ص. 483 ؛ الحميري محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط . 2 ، 1984 ، ص. 96 .

⁵ - الحموي : المصدر السابق ، مج . 1 ، ص . 479 .

⁶ - المصدر نفسه ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج. 1 ، ص. 198.

⁷ - الحموي : المصدر السابق ، مج . 1 ، ص . 479 .

⁸ - نفسه ، ص . 480 .

ولقد تعددت الروايات في قضية فتح مدينة بلخ من طرف المسلمين ، بين من يقول بأن فتحها تم على يد "الأحنف بن قيس التميمي" ، من قبل " عبد الله بن عامر بن كريز" في أيام خلافة "عثمان بن عفان" رضي الله عنه (23-35 هـ/644-655 م) ¹ ، وبين من يقول بأن فتحها تم على يد " عبد الله بن سمرة" في زمن خلافة " معاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنهما (41-60 هـ/661-680 م) ² .

وقد كانت مدن طخيرستان والختل وبنجهير و بذخشان ، و الباميان والمدن التابعة له ، كلها تدخل ضمن أعمال مدينة بلخ ، ويجري في أراضيها نهر يسمى دهاس ³ يسقي قراها ، أما بناؤها فقد كان الطين واللبن وهي كثيرة المساكن والأسواق ، يتوسطها المسجد الجامع ، ويحيط بها سور من تراب ليس له خندق وله سبعة أبواب ⁴ منها باب معبد النوبهار الواقع على ضفة نهر دهاس ، وقد أحاط بكل جوانبها الكروم والجناات والبساتين والمنتزهات ⁵ .

عُرفت بعدد الألقاب "بلخ بامي أو بلخ البهية" ، مدينة الرايات العالية ، دار الفقه ، قبة الاسلام وأم البلاد ⁶ عُرفت أيضا " بشهر إبراهيم أو مدينة إبراهيم" ، وهي من أهم المدن الأثرية في أفغانستان ⁷ ، وقد كان بها في العهد الإسلامي عدد كبير من المدارس في مختلف العلوم ، وكذلك إقامات الطلبة والمعلمين الذين تُجرى لهم الأرزاق ⁸ ، وعُرف عن أهلها تدقيق النظر في غوامض العلوم ⁹ ، وقد خرج من هذه المدينة عدد كبير من العلماء في مختلف ألوان العلوم فضلا عن الفقهاء ¹⁰ .

¹ - الحموي : المصدر نفسه ، مج . 1 ، ص . 480 . ، أبي الفداء : المصدر السابق ، ص . 461 .

² - الحميري : المصدر السابق ، ص . 96 .

³ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 373 . ، أبي الفداء : المصدر السابق ، ص . 461 .

⁴ - من أبوابها أيضا باب رحبة باب الحديد باب اليهود باب الهندوان باب شست بند و باب يحيى ، أنظر (الاضطخري : المصدر السابق ، ص . 278) . و قد أورد ليسترنج كي بأن الاضطخري يقول بأن سور بلخ يحف به خندق - هناك خطأ من ليسترنج . الاضطخري لم يذكر هذا ، أنظر (الاضطخري : المصدر السابق ، ص . 278 ؛ و ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص . 462) .

⁵ - الادريسي : المصدر السابق ، ص . 483 . ، الحميري : المصدر السابق ، ص . 96 .

⁶ - المدرس محمد محروس عبد اللطيف : مشايخ بلخ من الحنفية و ما انفردوا به من المسائل الفقهية ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ص . 5 . (رسالة دكتوراه مطبوعه 1977) .

⁷ - النرشخي : المصدر السابق ، هامش ص . 90 .

⁸ - الادريسي : المصدر السابق ، ص . 483 . ، الحميري : المصدر السابق ، ص . 96 .

⁹ - الحميري : المصدر نفسه . ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 374 .

¹⁰ - ابن حوقل : المصدر نفسه ؛ أبي الفداء : المصدر السابق ، ص . 461 .

أما قديما فقد كانت مدينة بلخ مركزا لانتشار الديانة الزرادشتية ، إذ أن حاكمها الملك " كشتاسب " كان قد أقسم في أعقاب مقتل " زرادشت " على نصرته دينه ، وجعله الديانة الرئيسية في بلاده ¹ ، والأرجح أن الديانة الزرادشتية ، قد ظلت الديانة الأكثر شيوعا وانتشارا ببلخ إلى أيام الفتح الاسلامي بها ، بل ربما تكون مدينة بلخ قد بقيت مركزا للديانة الزرادشتية بحكم وجود معبد النوبهار بها .

والنوبهار بناء أقامه البرامكة ² ببلخ ، فبعد أن وصفت لهم مكة وحال الكعبة ومدى تعظيم العرب وقريش لها أمروا ببناء النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ، وقاموا بتزيينه ، وتعليق الجواهر النفيسة عليه ، ونصبوا حوله الأصنام وأصبح هذا المعبد محل تعظيم من قبل الفرس الذين اتخذوه محجا يقصدونه كل عام ، ويلبسونه مختلف أنواع الثياب ³ .

ويعتبر النوبهار من أكبر بيوت النار عند المجوس ، والسادن -الخادم- الأكبر لهذا البيت جد البرامكة ، الذين كانوا يتوارثون رئاسة أمور الدين الزرادشتي بمدينة بلخ طيلة فترة حكم أسرة الساسانيين ⁴ ، وقد كان البرامكة أهل شرف على مر الدهر بمدينة بلخ ⁵ .

ومعنى النوبهار حسب "ياقوت الحموي" البهار الجديد ⁶ ، بينما أورد "ليسترنج كي" بأن معناه أول الربيع وبواكيره إذ أنهم كانوا يكللونه بالريحان لا سيما في فصل الربيع ⁷ ، والنوبهار بناء عظيم عليه قبة كبيرة ، تعرف بإسم " الأستن " ، يزيد إرتفاعها عن مئة ذراع ، بأروقة مستديرة حولها ، و يحيط بالبيت ثلاثمائة وستون مقصورة مخصصة لمن يقوم بأمر النوبهار من خدمه وسدنته ، بحيث يقوم على أمره كل يوم واحد منهم ثم لا يعود إلى خدمته إلا بعد مرور سنة كاملة ، وقد كان هذا البيت محجا حتى لملوك الهند والصين وكابل وغيرهم ⁸ .

¹ - عن هذا الموضوع ، انظر ص . 15 وما بعدها .

² - البرامكة : نسبة إلى برمك المجوسي وهو كاهن فارسي من مدينة بلخ كان جدهم من أكبر خدمة بيت النار ، انظر الموقع islaammemo.cc/2004/03/20/1420.html

³ - الحموي : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 307 .

⁴ - ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص . 463 .

⁵ - الحموي : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 307 .

⁶ - النوبهار ، نو تعني الجديد ، كانت سنتهم إذا بنوا بناء جديدا أن يكللوه بالريحان ، وكان اول ما ظهر من الريحان في ذلك الوقت هو البهار ، فسمي المعبد نوبهار - البهار الجديد - لذلك . أنظر (الحموي : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 307) .

⁷ - ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص . 463 .

⁸ - الحموي : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 307 - 308 ، ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص . 463 - 464 .

وكان للنوبهار أراضي خاصة به ، يتولى إدارة شؤونها البرمك وتبلغ مساحتها سبعة فراسخ في مثلها ، وأهل قرى تلك المناطق خدم وتبع للبرمك يحكم فيهم كيف يشاء ، وقد كانت ثروة البرامكة الذين يتوارثون سدانة النوبهار كبيرة جدا ، فضلا عن الغلال التي تدرها الأراضي الخاصة بالنوبهار ، فقد كان لهذا البيت عديد الأوقاف والضياع ، فضلا عن الهدايا الكبيرة التي تحمل إليه والتي لا تقدر بثمن¹.

ولما فتح المسلمون إقليم خراسان كان على رأس سدانة النوبهار البرمك " أبي خالد بن برمك " ، والذي انتهى به الأمر إلى إعلان إسلامه ، وتبعه في ذلك خلق كثير ، وقد تم تخريب النوبهار من طرف المسلمين بعد دخولهم مدينة بلخ².

وقد تعرضت مدينة بلخ في تاريخها الطويل لعدد المحن ، حيث خربت وأعيد بنائها أكثر من مرة ، فمثلا في المرة التي لجأ فيها " سامان خداه " إلى والي الأمويين بخراسان " أسد بن عبد الله القسري " (ت 120 هـ / 738 م) كانت مدينة بلخ قد دُمرت من جراء الهجمات والغارات المتعاقبة سواء من الأتراك أو من الدهاقين عليها ، الأمر الذي حتم على " أسد بن عبد الله القسري " أن يعيد بنائها ، ونقل معسكره إليها سنة 107 هـ / 726 م ، وقد إتخذها فيما بعد مقرا لإقامته³.

كما تم تخريبها في أعقاب إستيلاء الأتراك الغز عليها سنة 550 هـ / 1155 م ، و في أعقاب خروجهم جدد أهلها بنائها في موضع غير موضعها السابق ، واستعادت بذلك سابق عزها ، قبل أن تتلقى ضربة قاصمة أخرى في أعقاب تخريب المغول لها مرة أخرى سنة 617 هـ / 1220 م⁴ ، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة في أعقاب خرابها هذا ووصفها بأنها : " خاوية على عروشها غير عامرة ... وكانت ضخمة فسيحة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن ... " .⁵

إذن فهذه نبذة تاريخية عن مدينة بلخ ، موطن السامانيين قبل إسلامهم ، فماذا عن معتقداتهم خلال هذه الفترة؟

1 - الحموي : المصدر نفسه ، مج 5 ، ص 308 .

2 - المصدر نفسه .

3 - أبو العلا : المرجع السابق ، ص 183 .

4 - ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص 462 - 463 .

5 - ابن بطوطة شمس الدين محمد اللواتي الطنجي : تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1417 هـ / 1997 م ، مج 3 ، ص 40 - 42 .

ثانيا - معتقد السامانيين قبل الإسلام :

أما عن معتقدهم قبل الإسلام ، فقد ذهبت عديد المصادر والمراجع إلى القول بأنهم كانوا يدينون بالديانة الزرداشتية ، فجدهم "سامان خداه" قبل اعتناقه الإسلام ، على يد والي الأمويين بخمرسان " أسد بن عبد الله القسري " ¹، كان موبدا من موبدة الزرداشتية ² .

والموبدة في الديانة الزرداشتية هم طبقة رجال الدين العليا ، ورئيس الموبدة والذي يطلق عليه " موبدان موبد " بمثابة البابا عند النصارى ³، أما الديانة الزرداشتية فهي تنسب إلى " زرداشت بن بورشسب " الذي ظهر في أيام حكم الملك " كشتاسف " ⁴ ، و قد كان أبوه من أذربيجان أما أمه فهي من الري و اسمها " دعد " ⁵ .

وزرداشت من الأقوام الآرية التي هاجرت إلى بلاد إيران واستقرت بها ، وقد كانت هجرات هذه الأقوام تباعا بدءا بالميديين ثم الفارسيين و الفرثيين ، وصلت أول مجموعة إلى المنطقة المستهدفة في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد وتمركزت بشرق إيران ، أما الدفعة الثانية والتي استقرت بغرب إيران وشمالها الغربي فقد وصلت في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد ⁶ .

أما عن اسم زرداشت (zarathustra) ، فإنه ينطق في الفارسية القديمة " زاراشسترا " ، أما في الفهلوية وهي الفارسية خلال مراحلها المتوسطة ، فإنه يُنطق " زاراتهسترا " وحُرف عند اليونان إلى " زاراسترو " إذن فإسمه عرف بعدة تهجئات وقراءات تختلف عن بعضها البعض .

¹ - الكرديزي: المصدر السابق ، ص . 208 ؛ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص . 80 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 133 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 182 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 198 ؛ ابراهيم أيوب : المرجع السابق : ص . 146 .

² - الكرديزي: المصدر السابق ، ص . 208 .

³ - كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، ص . 105 .

⁴ - ورد عند ابن الأثير بإسم " بشتاسب بن لهراسب " ملك بعد أبيه " لهراسب بن كيوكي بن كيكافوس " الذي أمر ببناء مدينة بلخ - أبوه - و قد ظهر زرداشت برسالته بعد ثلاثين سنة من حكم كشتاسب ، و قصده زرداشت وهو ببلخ ، فأمن برسالته و حمل الناس عليها ، و زعم زرداشت أن كتابه وحي من الله تعالى ، و قد تمت كتابته على اثنا عشر ألف قطعة جلد من جلود البقر و نقش بالذهب . أنظر (ابن الأثير : المصدر السابق ، مج.1 ، ص.198) .

⁵ - الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت.548هـ/1135 م) : الملل و النحل ، ج.2 ، تصحيح أحمد فهيمي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط.2 ، 1413هـ/1992 م ، ص. 262-263 .

⁶ - منعم حبيب الشمري و زنا كاظم معن : مقال الزرداشتية ثنوية أم توحيد ، منشور ضمن مجلة كلية التربية واسط ، العدد 11 ، السنة 2010 ، ص.115 .

كما أن معنى كلمة زرداشت ورد فيها هي الأخرى خلاف بين الباحثين ، وممكن الخلاف هو صعوبة تفسير معنى كلمة زارا (zarath) التي وردت تارة بمعنى عجوز وتارة بمعنى أصفر وتارة أخرى بمعنى سريع ، أما النصف الثاني من الكلمة أوسترا (ustra) فهي تعني في الفارسية القديمة جمل ، كما أنها لا تزال تستعمل بهذا المعنى في الفارسية الحديثة وبذلك يكون معنى الاسم " صاحب الجمل العجوز " أو صاحب الجمل السريع " أو صاحب الجمل الأصفر" ¹ والذي يُعتبر أقرب معنى لإسم زرداشت وأكثرها تحقيقاً للإجماع ².

كما أعطي إسم زرداشت معاني وتفسيرات أخرى كثيرة ، من طرف الشعوب المجاورة للفرس تقترب هذه المعاني أحيانا من المعنى السابق ، وتبتعد عنه أحيانا أخرى ³.

وقد أجمعت آراء المؤرخين على انتمائه إلى قبيلة ماداي أو ميديا (madia) ⁴، التي تعد أكبر القبائل الآرية التي استوطنت في منطقة إيربانا فيجا (airyanna vaeja) هذه المنطقة التي كانت محط رحال القبائل الآرية النازحة نحو إيران ، وقد حدد القزويني موقعها ما بين نهر بلخ إلى منتهى أذربيجان وأرمينيا وصولاً إلى القادسية وانتهاء عند بحر فارس ، ووصفها بأنها صفوة الأراضي و أشرفها ⁵.

وقد أجرى بعض مؤرخو الزرادشتية دراسات للنظر في تاريخ ميلاد زرادشت ، ذلك أنه كان محل خلاف وبعد عدة عمليات حسابية معقدة ، واستناداً إلى أهم الأحداث في تاريخ الرجل ورسالته ، فقد توصلوا إلى تحديد سنة 660 قبل الميلاد سنة ميلاده ، ويبقى هذا التاريخ غير يقيني ⁶.

أما عن ميلاده فقد كان في شمال إيران الحالية ⁷، أي بأذربيجان تحديداً إلى الغرب من بحيرة أورميا (urmia) على ضفة نهر أراس أو نهر داريز ، الذي يعبر عنه في كتب الجوس بالنهر المقدس ، وذلك لأن ولادة زرادشت كانت فيه ، ولما بلغ السابعة من عمره أرسله والده ليدرس علوم عصره ، وقضى مع معلمه ثمانية أعوام تعلم خلالها

¹ - الشفيح الماحي أحمد : زرادشت و الزرادشتية ، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية ، جامعة الملك سعود ، الحولية الحادية و العشرون ، 1422 هـ / 2001 م ، ص. 14 .

² - منعم حبيب الشمري و رنا كاظم معن : المرجع السابق ، ص . 115 .

³ - الماحي : المرجع السابق ، ص. 15.

⁴ - الميديين : هم سكان إيران الأصليين ينتمون إلى الفرس ، ويتكلمون اللهجات الآرية وهم من الجنس الهندو الأوروبي ولهم خصائص فيزيولوجية مشتركة، عنهم انظر (Alphonse Delatire : **le peuple et l'empire des mées** jusqu'a la fin du règne de cyaxare , l'académie royale de Belgique, 1883 , p . 7 .)

⁵ - الماحي : المرجع السابق ، ص. 15 - 16 ؛ منعم حبيب الشمري و رنا كاظم معن : المرجع السابق ، ص . 115 .

⁶ - الماحي : المرجع نفسه ، ص. 17 - 18 .

⁷ - منعم حبيب الشمري و رنا كاظم معن : المرجع السابق ، ص . 115 .

الفارسية كتابة وقراءة وحفظ عقيدة قومه ، ودرس مختلف آداب زمانه ، كما تعلم أيضا طرق علاج المرضى وإعداد الأدوية فضلا عن الزراعة وكيفية الاهتمام بالحيوانات¹.

ولما بلغ الثلاثين من عمره قرر اعتزال الناس للتأمل والتفكير ، فهجّر قريته وأهله لمدة عشر سنوات كاملة قضاها في أحد الكهوف² بجبل سابلان ، وبعد هذا الانقطاع الطويل عن الناس شرع في نشر شريعته بين قومه ، بإعتبار أنه رسول³ لقومه يوحى إليه وأن هدفه سعادة قومه ونجاتهم في الدنيا والآخرة⁴.

بدأ زرادشت دعوته التي أزعجت الكهنة ورجال الدين ، ذلك أن منهجها سيؤدي إلى هدم أركان مجتمعهم القديم ليحل محله مجتمع مختلف تماما في الأفكار والأهداف ، ودخل في صراع فكري ومذهبي معهم ، ذلك أنهم حاولوا بشتى الطرق لصدّه عن دعوته ، وتمكن معارضوه من حمل الحكام على طرده من موطنه ، فخرج من بلده حزينا الفؤاد كسير الخاطر ، وبدأ في التنقل عبر القرى التي رفضت استقباله ذلك أن أعدائه تمكنوا من تشويه صورته لديهم⁵.

وكان ملك إيران خلال تلك الفترة هو " كشتاسب " أما مقر إقامته فكانت بلخ ، فتوجه إليه يدعوه لدينه إلا أن بعض المعارضين لزرادشت تمكنوا من الإيقاع به عند الملك ، الذي زج به في السجن ، و خلال هذه الفترة أصيب جواد الملك المفضل بعاهة غريبة عجز عن علاجها الأطباء وحكماء البلاط والسحرة ، فاشتد زرادشت على الملك الإيمان بالله إن هو أشفى له حصانه ، فوافق الملك على ذلك وبإيمان الملك بدعوة زرادشت تبعه كل أهل بيته وعمال البلاط ، ثم توالى اعتناق الرعايا لهذا الدين الجديد ، الذي استقطب كذلك العديد من العلماء والحكماء ، وأصبحت رسالة زرادشت منهجا للدولة⁶ ، وقوام التفكير الديني بالمنطقة⁷.

¹ - الماحي : المرجع السابق ، ص. 17 - 18 .

² - نيتشه فريديريك : هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس ، مطبعة جريدة البصير ، الاسكندرية ، 1938 ، ص. 3 .

³ - يرى ابن الجوزي أن زرادشت مدعى للنبوّة فقط ، مثله مثل الكثير ممن ظهروا بتلك المنطقة و مثله يقول ابن الاثير الذي يعتبر كذلك أن زرادشت مدعى للنبوّة ، أنظر (ابن الجوزي البغدادي أبي الفرج : تلييس ابليس ، دار ابن خلدون ، ص. 73؛ ابن الاثير الجزري : المصدر السابق ، مج . 1 ، ص. 197 .) .

⁴ - الماحي : المرجع السابق ، ص. 22 - 23 .

⁵ - المرجع نفسه ، ص. 24 - 25 .

⁶ - نفسه ، ص . 26 - 28 .

⁷ - السقاف أبكار : الدين في الهند و الصين و إيران ، العصور الجديدة ، ص. 323 .

وأقيم ببلخ العاصمة معبدا رئيسيا للديانة الجديدة ، وانقطع فيه زرادشت للعبادة في أواخر أيامه ، والتي شهدت تمكن الطورانيين¹ من دحر الجيوش الفارسية والاستيلاء على بلخ العاصمة ، وأثناء تخريبهم للمدينة كان زرادشت متواجدا بالمعبد ، أين تقدم إليه ثلاثة جنود طورانيين واغتالوه وهو يصلي في صومعته سنة 583 ق . م عن عمر قدر بسبع و سبعين سنة حسب محوس الهند² .

وأثناء سقوط العاصمة ومقتل زرادشت كان الملك " كشتاسب " متواجدا " بسجستان " ³ ، فأقسم على نصرته الدين وتقويته ، وولى الحكيم " جاماسف " الذي لازم زرادشت وتعلم منه كثيرا ، أمور القيادة الروحية في البلاد⁴ .

ويعتبر " ألافستا " الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين ، وهو يحوي النصوص المقدسة في الفكر الزرادشتي ويُعرف عند المؤرخين العرب بالأبستاق ، وهذا الكتاب لم يدون في زمن واحد بل عبر فترات متفرقة ، وهذا ما أدى إلى وجود اختلاف بين أقسامه⁵ .

وقد كان لبروز الأفكار المجوسية القديمة وصراعها مع الأفكار الزرادشتية ، دور في إنحراف الدين الزرادشتي الذي فقد بساطته وأصبح خليطا من كافة المعتقدات التي سادت تلك المنطقة ، وظهر الانحراف جليا بدءا من القرن الثالث قبل الميلاد ، ببروز فكرة تعظيم النار كرمز لله في الحياة الدنيا⁶ ، أما " ابن الجوزي " رحمه الله فيرى بأن زرادشت قد جاء في الأساس بعقيدة ضالة ، عكس ما يعتقده البعض من أن معتقده قد حُرّف على يد أتباعه⁷ .

¹ - الطورانيون هم من شعوب أواسط آسيا - تركستان الحالية - ، وصلوا إلى درجة عالية نسبيا من الحضارة في العصور القديمة ، هاجر جزء منهم إلى أوربا واستوطنوا فيها خاصة بنواحي البلقان والبحر ... ، للمزيد عنهم انظر المواقع (www.inrp.fr/edition-electronique) .
(www.cnrtl.fr/definition/touranien) .

² - الماحي : المرجع السابق ، ص . 29 .

³ - إحدى بلدان المشرق ، وهي ولاية واسعة اسم مدينتها زرنج ، بينها وبين هرة مسيرة ثمانية أيام وأرضها رملية ينتشر فيها النخيل والتمر ، ومن مدنها بست هيسوم زرنج زالق ... وأهلها من الفرس ويكثر فيها الخوارج ، انظر (الحموي : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 190 - 191) .

⁴ - الماحي : المرجع السابق ، ص . 26 .

⁵ - أقسام الافستا هي : أ - غاثا - gathas - تتكون من 17 عشر قسم كل قسم يسمى هات أو ها ترجع نسبتها الى زرادشت .
ب - يسنا - yasna - هي الأناشيد العبادية ، ج - يشتها تنقسم الى 21 يشت ، مخصصة لعبادة الآلهة من غير آهورمزدا ، د - ونديداد تتكون من 22 فصل وهي الأحكام العبادية للفرد والمجتمع ، هـ - ويسبرد وهي فصل من الاشعار التي تمجد الخير و الخلق تتألف من 24 فصل ، و - إضافة الى فصل الأدعية والأذكار المتكون من ثمانية أقسام والمسمى خرده أوستا . أنظر (منعم حبيب الشمري و رنا كاظم معن : المرجع السابق ، ص. 115 - 116) .

⁶ - الماحي : المرجع السابق ، ص . 88 - 89 .

⁷ - ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص . 73 - 74 .

وكانت الزرادشتية تقوم على عبادة الله ، والكفر بالشیطان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث ...¹ ، وقد ورد في الكتاب المقدس على لسان زرادشت أنه خاطب أتباعه قائلا : " أنا مؤمن مخلص وناطق بالبركة ."².

وقد أبطل زرادشت معتقدات المجوس القدماء إذ قال بوجود إله واحد اسمه " أهورمزدا " الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد الأحد ، ومن العناصر الأساسية للزرادشتية الاعتقاد بالحياة الآخرة ، فحياة الإنسان لا تنتهي بموته في هذا العالم المادي بل له حياة أخرى ، فالذين عملوا الصالحات يدخلون عالم السعادة ، والذين دنسوا أنفسهم بالشروع يدخلون عالم الشقاء ويقول أيضا أنه بعد فناء جسم الإنسان تبقى روحه لملاقاة جزائها الذي تستحقه كما تحث الزرادشتية على الصدق في النية والقول والعمل³.

وفي الوقت الذي ذهب فيه بعض الباحثين إلى اعتبار زرادشت نبي ، وأنه كان يعتقد بالوهمية إله واحد مطلق عالمي ومجرد ، يخلص صاحباً مقال الزردشتية ثنوية أم توحيد إلى القول بإمكانية اعتبار الزرادشتية خطوة نحو التوحيد أو مرحلة وسطية بين التعددية التي سادت أفكار الشرق الأدنى القديم و بين التوحيد اللاحق بها .

وفي أعقاب تمكن الإسكندر المقدوني من احتلال إيران سنة 330 ق . م . ، وإحراقه لأجزاء أصلية من كتاب الزرداشتيين ، تراجع دور الديانة الزرداشتية⁴ وإيران بالمنطقة لقرون⁵ ، إلا أن قاد " أردشير الأول " مؤسس حكم الأسرة الساسانية ثورة قامت على أساس ديني ، حيث تحالف الساسانيون مع رجال الدين الزرادشت انتهت هذه الثورة بتتويج " أردشير " سنة 226 م كأول ملك من الأسرة الساسانية⁶.

واستمرت الصلات الوثيقة بين الساسانيين ورجال الدين من الزرداشتيين⁷ ، وقد أمر " أردشير " بجمع نصوص " ألافستا " بهدف تدوينها بعد أن حفظها أتباع زرداشت في الصدور ما يقرب من خمسة قرون¹ كما اشتهر هذا

¹ - حسب الشهرستاني أن زرادشت نبي ، و تلك أهم مبادئ رسالته ، أنظر (المصدر السابق ، ج.2 ، ص . 266) .

² - خليل عبد الرحمان : أفسستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية ، روافد الثقافة و الفنون ، دمشق سورية ، ط . 2 ، 2008 ، ص. 726.

³ - سغفان كمال : معتقدات آسيوية [العراق فارس الهند الصين و اليابان] ، دار الندى ، ط . 1 ، 1419 هـ / 1999 م ، ص. 107 -

108.

⁴ - منعم حبيب الشمري و رنا كاظم معن : المرجع السابق ، ص. 116-117.

⁵ - مكاريوس شاهين : تاريخ إيران ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1424 هـ / 2003 م ، ص . 65 .

⁶ - كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، ص . 130؛ حسن أحمد محمود : الاسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحين العربي و التركي) ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1986 ، ص. 18 .

⁷ - كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، ص . 130.

الملك الساساني بتعصبه الشديد للدين الزرادشتي ، وشدد الخناق على كل من لا يعتقد بهذا الدين ، وكان يقول لابنه بأن الدولة لا تقوم بغير دين ويؤصيه بالحرص على دين إيران قدر الحرص على دولتها ² .

وقد تمتعت طبقة رجال الدين بمكانة مرموقة داخل المجتمع ، ذلك أن نصوص كتابهم المقدس ، كانت تقسم المجتمع إلى أربع طبقات أعلاها منزلة طبقة رجال الدين ³ ، وبناء على هذا فإن سلطاتهم الروحية كان كبيرا فضلا عن سلطاتهم الدنيوية إذ أنهم من كبار الملاك ، وبالأخص كبار طبقة رجال الدين ، حتى أنهم كانوا يعيشون وفق قوانينهم الخاصة وشكلوا ما يشبه دولة داخل دولة ⁴ .

إذن فالسامانيون فضلا عن نسبهم الفارسي العريق ، فإنهم كانوا ينتمون إلى طبقة شريفة في مجتمعهم ، ذلك أن جدهم " سامان خداه " كان من كبار رجال الدين الزرادشتيين ، حيث أنه كان من المواظدة ، وهذا ما يفسر تلك الممتلكات الكبيرة من الأراضي وغيرها والتي كانت تحت تصرفهم ، والتي حملت المستشرق بوزورث إلى القول بأن جدهم سامان خداه كان من كبار دهاقنة منطقة بلخ ⁵ ، وهذا كذلك ما دفع "أسد بن عبد الله القسري" والذي اشتهر بمواساة الأسر الكبيرة ، إلى مساعدة سامان خداه الذي لجأ إليه في إحدى محنه ⁶ .

وبعد أن تطرقنا إلى معتقدتهم قبل الإسلام ، فيا ترى كيف كان اتصالحهم بالمسلمين ؟ وكيف تم إعتناقهم لهذا الدين الجديد ؟ .

¹ - منعم حبيب الشمري و رنا كاظم معن : المرجع السابق ، ص. 116- 117 .

² - مكاريوس شاهين : المرجع السابق ، ص . 67 .

³ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 20 .

⁴ - كريستنسن آرثر : المرجع السابق ، 104 - 105 ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 18 .

⁵ - كليفورد بوزورث : المرجع السابق ، ص . 151 .

⁶ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 90 .

المبحث الرابع : إتصالهم بالإسلام :

حدث أول إتصال للسامانيين بالدولة الإسلامية ، على عهد الخليفة الأموي " هشام بن عبد الملك " (105 – 125 هـ / 724 – 743 م)¹. في أواخر أيام حكم الدولة الأموية² ، حيث أن الغارات والحملات المتكررة³ من الأتراك والدهاقين ، على منطقة خراسان عموما وبلخ خصوصا قد ولدت اضطرابات كبيرة وكثيرة بالمنطقة⁴ ، كانت السبب الرئيسي الذي دفع بسامان خداه الذي كان لا يزال يدين بالزرداشتية⁵ إلى الفرار من بلخ والخروج منها ، في أعقاب تغلب هؤلاء الأعداء عليها وعدم قدرته على ردهم والتصدي لهم ، وكان والي خراسان من قبل الأمويين " أسد بن عبد الله القسري " (116 – 120 هـ / 734 – 737 م)⁶ خلال هذه الفترة متواجدا بمدينة مرو ، فقصده سامان خداه مستجيرا به طالبا عونه للتغلب على أعدائه .

وقد اشتهر "أسد بن عبد الله القسري" بعدد الخصال الحميدة التي جعلت سامان خداه يقصده ، منها حميته ونصرته للمظلومين والمضطهدين سواء كانوا عربا أو غير عرب ، حتى تلقب " بناصر المظلومين " ⁷ ، فضلا عن صلاحه وكرمه ورعايته لحقوق الأسر العريقة وتبجيلها ، فأعانه على أعدائه وكسر شوكتهم وأعادته سيدها على بلخ معززا مكرما ، كل هذا جعل " سامان خداه " متأثرا " بأسد بن عبد الله القسري " ، مُعجبا به حافظا لفضله عليه، وانتهى به الأمر إلى الإسلام على يديه⁸ ، وأعقب إسلامه إسلام كل أسرته⁹.

¹ - عرف عن هشام بن عبد الملك الحزم والعقل و شدة كرهه للدماء ، انظر (السيوطي جلال الدين : تاريخ الخلفاء مراجعة محمود رياض الحلبي ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط.4 ، 1420هـ/1999 م ، ص.218 .) .

² - العمادي : المرجع السابق ، ص . 14 .

³ - نتج عن هذه الحملات المتكررة تدمير مدينة بلخ ، مم دفع بأسد بن عبد الله القسري إلى إعادة تعميرها و بنائها ، أنظر (أبو العلا : المرجع السابق ، ص.183 .) .

⁴ - المرجع نفسه .

⁵ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص.208.

⁶ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 183 .

⁷ - النرشخي : المصدر السابق ، ص.90.

⁸ - المصدر نفسه ، ص . 91 .

⁹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 182 .

وكنوع من الوفاء والتقدير من سامان لفضل صاحبه عليه ، قام بعد أن رزقه الله ولدا بتسميته " أسد " تيمنا به وتوطدت العلاقة بينهما أكثر بمرور الأيام ، وأصبح "سامان "شخصا مقربا من " أسد بن عبد الله " وخادما للإسلام وسيفا من سيوف المسلمين بإقليم خراسان ¹.

خلف أسد أباه سامان ، وانضم إلى " أبي مسلم الخراساني " الذي حمل على عاتقه عبء الدعوة لبني العباس بهذا الإقليم ، وفي أعقاب قيام الدولة العباسية استمرت العلاقة الوطيدة ، حيث أنه كان من " رجال عيسى بن ماهان " ، الذي تولى أمر خراسان بكتاب من هارون الرشيد (170 - 193 هـ / 788 - 809 م) ²، و"رزق " أسد بن سامان " بأربعة أبناء هم " نوح أحمد يحيى وإلياس " ³، كانوا جميعا موالين لبني العباس وقد علا شأنهم وذكرهم في هذه الدولة ، وخاصة في الإقليم الشرقي منها ، وبرز دورهم أكثر في خلافة الرشيد ⁴.

ففي أعقاب قيام " رافع بن الليث بن نصر بن سيار " ⁵ بشق عصا الطاعة على العباسيين ، واستيلائه على سمرقند بعد أن قتل والي العباسيين عليها سنة 190 هـ / 806 م ، قام بالدعوة لنفسه فبايعه الكثير من أهل تلك الناحية فعظم شأنه وقوى جثته ، فأصدر هارون الرشيد أمرا لوالي خراسان " علي بن عيسى بن ماهان " ⁶ " لمحاربتة إلا أنه هُزم أمامه ⁷.

وقد شغل هذا التمرد من رافع بال الرشيد كثيرا ، ذلك أنه كان متخوفا من أن يتمكن رافع من الاستيلاء على كل خراسان ، لذلك فقد قصدها الرشيد بنفسه وصحب معه ابنه المأمون ، وأصدر أمرا " لهرثمة بن أعين " ⁸ واليه

¹- أبو العلا : المرجع نفسه، ص. 183 .

²- المرجع نفسه ، ص . 184 .

³- النرشخي: المصدر السابق ، ص. 111 ؛ الكرديزي: المصدر السابق ، ص. 208 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج. 4، ص. 400 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، مج. 6، ص. 253 ؛ الدوداري أبو بكر : المصدر السابق ، ص. 306.

⁴- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 184 .

⁵- هو من بيت امارة و رئاسة ، كان نائبا لهارون الرشيد على ما وراء النهر عزل و حبس بسبب امرأة و بعد هربه تمرد على العباسيين و دعا لنفسه ، إلا أن هزمه هرثمة في حربه معه ، مات سنة 195 هـ / 811 م ، انظر (الزركلي خير الدين : الأعلام ، قاموس تراجم ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، ج. 3، ط. 15، 2002 ، ص. 12-13 .) .

⁶- من كبار القادة العباسيين على عهدي الرشيد و الأمين ، و لاه الأمين على همدان و أصبهان و قم . قتل في الحرب بين الأمين و المأمون سنة 195 هـ / 810 م . أنظر (. الزركلي : المرجع السابق ، ج . 4 ، ص . 317) .

⁷- الدمشقي أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي : البداية والنهاية ، تحقيق محمد بن سامح عمر ، دار ابن الجوزي القاهرة ، مج. 5، ج. 10، ط. 1، 1431 هـ / 2010 م ، ص. 242 ؛ الزركلي خير الدين : المرجع السابق ، ج. 3، ص. 12-13.

⁸- كان واليا على افريقية و مصر بأمر من هارون الرشيد ، ثم عينه على خراسان سنة 181 هـ / 797 م ، هزم رافع سنة 193 هـ / 809 م . مات مقتولا بسجن مرو الذي حبسه فيه المأمون سنة 200 هـ / 816 م ، انظر (الزركلي : المرجع السابق ، ج . 8 ، ص . 81) .

على العراق لكي يخرج لحرب رافع ، الذي كان قد قام بتحسين سمرقند بشكل جيد¹ ، و ضم كل بلاد ما وراء النهر إلى صفه فعظم شأنه ونزل بجيشه في بخارى ، وبعد اجتياز هرثمة لنهر جيحون وجد نفسه في موقف ضعف ذلك أن الناس هالهم ما بلغه " رافع بن الليث " من قوة فتخلوا عن هرثمة ، الذي عجز في ظل هذه الظروف من القضاء عليه ، فكتب المأمون إلى أبناء " أسد بن سامان " يخطب ودهم ليتعاونوا مع هرثمة في سعيه الحثيث للقضاء على تمرد رافع ، وبمشاركتهم في الحرب تغير ميزان القوة لصالح هرثمة ومن ورائه بني العباس² ، الشيء الذي أرغم رافع على طلب الصلح مع هرثمة ، فهدأ بال المأمون بهذا الصلح الذي جاء في وقته ، خاصة وأن الرشيد توفي أثناء هذه الفترة بمدينة طوس سنة 193هـ / 809 م³ .

وعظم شأن أبناء "أسد بن سامان " الأربعة وخصّصوا بمكانة خاصة عند "المأمون " ، أيام ولايته خراسان حيث قربهم واستعملهم ، ولما انصرف إلى العراق بعد أن صارت الخلافة إليه عين " غسان بن عباد " مكانه أميراً على خراسان وهو من قرابة الفضل بن سهل وأوصاه بآل سامان خيراً ، وأمره بتعيينهم في مناصب رفيعة بالدولة رعاية لحقهم نظير صدق وفائهم وإخلاصهم له .

فقام غسان بتعيين كل منهم على مدينة هامة من مدن خراسان ، فولى نوح بن أسد سمرقند ، وأخاه أحمد فرغانة ويحيى الشاش وأشروسنة ، وولى على هراة أخاهم إلياس ، كان هذا سنة 204 هـ / 819 م ، ولما خلف " طاهر بن الحسين " " غسان بن عباد " على ولاية إقليم خراسان ، أقرهم في حكم ما تحت أيديهم من بلاد سنة 206 هـ / 821 م ، وبذلك أصبحوا عمالاً مساعدين للطاهريين⁴ بتلك المناطق⁵ ، وقد أضيف لإلياس حكم سجستان في أعقاب تولي " طلحة بن طاهر " حكم الدولة الطاهرية بعد وفاة والده سنة 207 هـ / 822 م⁶ ، وبذلك ظل

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص.111. ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص.199-200.

² - فاميري : المرجع السابق ، ص.91 .

³ - النرشخي : المصدر السابق ، ص.111 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص.200.

⁴ - الطاهريين : نسبة إلى طاهر بن الحسين الذي أسس الدولة الطاهرية (205 - 259 هـ / 820 - 872 م) ، وقد كان طاهر من كبار قادة العباسيين وساند المأمون في نزاعه ضد أخيه الأمين ، وأقر المأمون الطاهريين في حكم المشرق ، وسقطت دولتهم على يد الصفاريين الذي تمكنوا من دخول العاصمة الطاهرية نيسابور 259 هـ / 872 م. أنظر (الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1420 هـ / 1999 م ، ص. 33 وما بعدها) .

⁵ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص.208 ؛ وقد ذكر النرشخي أن سنة تعيينهم على الولايات الأربعة كانت 202 هـ و لم يذكر سنة 204 هـ عكس بقية المصادر ، أنظر (المصدر السابق ، ص.111؛ وأنظر كذلك إبن الأثير : المصدر السابق ، مج.6 ، ص.253 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج.3 ، ص.381 ؛ فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص.93-94 .) .

⁶ - آشتياني : المرجع السابق ، ص.16 .

أبناء " أسد بن سامان " في مناصبهم ، وقد شهدت المناطق الخاضعة لحكمهم هدوءا واستقرارا ، كما حافظوا على ولائهم للدولة العباسية ¹.

وقد تعاون والي سمرقند " نوح بن أسد " مع " عبد الله بن طاهر " ، في القضاء على " الحسن بن الأفشين " القائد التركي الذي أثار سخط الخلافة آنذاك ، فبمجرد أن أصدر الخليفة المعتصم (218 - 227 هـ / 833-842 م) ² أمره إلى نوح وجده رهن الإشارة لتلبية أوامر الخلافة ، واستمر حكم نوح لسمرقند إلى غاية وفاته 228 هـ / 842 م ، وبذلك فقد كان أول من توفي من أبناء أسد الأربعة ، ولأنه لم يترك ولدا يخلفه ، فقد أقر الطاهريون أخويه أحمد ويحيى للإشراف على سمرقند وأعمالها خلفا لنوح ³.

وهذا دليل على رضا الطاهريين ومن ورائهم الخلافة العباسية ⁴ على السامانيين ، واقتناعهم بالأعمال التي يقومون بها ، فلو أنهم شهدوا منهم أي تقصير أو عجز عن أداء الأعمال المنوطة بهم ، لما تم توريث حكم سمرقند لأحمد ويحيى السامانيين ، في أعقاب وفاة أخيهم نوح ، حيث أنه كان بالإمكان تعيين أي شخص من خارج البيت الساماني لحكم سمرقند ، دون وجود أدنى إشكال خاصة وأن نوح لم يترك من يرثه ، من هنا يظهر لنا جليا أن أبناء أسد الساماني كانوا محل ثقة من طرف الخلافة العباسية .

وظل يحيى قائما بأعماله على الشاش وأشروسنة إلى أن وافته المنية عام 251 هـ / 865 م ، وتوفي بعده بسنة أخوه إلياس ⁵ بمرارة ، فخلفه ابنه محمد على رأسها بأمر من " عبد الله بن طاهر " ، وكان لإلياس ولد آخر يدعى إبراهيم وصل إلى رتبة قائد لجيش الطاهريين بإقليم خراسان ⁶.

إلا أن أحمد كان الأرفع شأنًا من بين أبناء " أسد بن سامان " ، حيث آل إليه حكم منطقة شاسعة ، فقد بسط سيطرته على فرغانة والشاش وسمرقند وجزء من إقليم الصغد ، وظل قائما بأعمال هذه الأقاليم إلى أن توفي سنة

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 185 .

² - المرجع نفسه .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 253 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 381 .

⁴ - أنظر ملحق رقم 5 ، وهو جدول بالخلفاء العباسيين خلال فترة الدراسة ، ص . .

⁵ - ورد خطأ في دائرة المعارف الإسلامية ، و التي إعتبرت أن أول من توفي من الاخوة الاربعة هو الياس ، في حين أن جل المصادر التي اطلعت عليها ، أجمعت أن نوح هو أول من توفي من أبناء أسد الأربعة ، أنظر (دائرة المعارف الإسلامية : المرجع السابق ، مج . 11 ، ص . 77).

⁶ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 186 .

250هـ / 864 م¹ ، وقد اشتهر " أحمد بن أسد " في حياته بعدد الخصال الحميدة ، منها شدة ورعه وحُبّه للعلم وقد وُصف بأنه كان عالماً².

و كان " لأحمد بن سامان " سبعة أبناء هم ، نصر ويعقوب وكنيته أبو يوسف ويحيى وكنيته أبو زكرياء ، وأبو الأشعث المسمى أسد ، وإسماعيل وإسحاق وحيد المكنى بأبو غانم وإشتهر بشكل كبير من بين هؤلاء الإخوة السبعة إسماعيل وأخوه الأكبر نصر ، الذي وافق الطاهريون على أن تنتقل أعمال سمرقند وما يليها إليه ، فأصبح بذلك نائباً للطاهريين بهذه المناطق ، واستمر كذلك حتى سقوط الدولة الطاهرية على أيد جنود الدولة الصفارية الذين تمكنوا من دخول نيسابور عاصمة الطاهريين عام 259هـ / 869 م ، ثم الاستيلاء على إقليم خراسان في نفس السنة³ ، وفي ظل التغيرات التي طرأت بالمنطقة ظهرت الدولة السامانية كقوة يُحسب لها حسابها على مسرح الأحداث ، فكيف حصل ذلك ؟ .

¹ - مصطفى أحمد محمود : أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية و اللامركزية الادارية ، تقدم الامام جاد الحق علي جاد الحق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 ، ص. 217 ؛ الثامري: المرجع السابق ، ص. 12.

² - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 113 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص. 253 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص. 381 ؛ أحمد محمد عدوان : موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1410 هـ / 1990 م ، ص. 53.

الفصل الثاني : تشييد الدولة السامانية وعلاقتها بالخلافة العباسية.

المبحث الأول : الدولة السامانية وعلاقتها بالخلافة العباسية .

أولا - تأسيس الدولة السامانية .

ثانيا - علاقتها بالخلافة العباسية .

المبحث الثاني : نظام الحكم والنظم الإدارية .

أولا - نظام الحكم .

ثانيا - النظم الإدارية .

المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية في الدولة السامانية .

أولا - عناصر السكان .

ثانيا - طبقات المجتمع في الدولة السامانية .

ثالثا - مكانة المرأة في المجتمع الساماني .

رابعا - الزواج .

خامسا - بعض وسائل التسلية والترفيه في المجتمع الساماني .

المبحث الرابع : الحياة الاقتصادية بالدولة السامانية .

أولا - الزراعة .

ثانيا - النشاط الحرفي (الصناعة) .

ثالثا - التجارة في الدولة السامانية .

المبحث الأول : تأسيس الدولة السامانية وعلاقتها بالخلافة العباسية .

أولا - تشييد الدولة السامانية :

ظلّ " نصر بن أحمد " عاملا مخلصا للطاهريين على سمرقند وما يليها ، حتى تمكن الصفاريون¹ من القضاء نهائيا على الدولة الطاهرية سنة 259 هـ / 872 م² ، في أعقاب تمكنهم من بسط هيمنتهم على حاضرتهم مدينة نيسابور³ ، هنالك أرسل الخليفة العباسي " المعتمد على الله " (256 - 279 هـ / 870 - 892 م) ، أمرا يقضي بتعيين " نصر بن أحمد الساماني " أميرا على ما وراء النهر سنة 261 هـ / 874 م⁴ ، حيث بعث له عهدا بولاية هذه المنطقة⁵ ، بعد أن أقرها إقليما منفصلا عن خراسان ، وهذا كتقدير لولائه وإخلاصه للخلافة العباسية¹ واتخذ نصر من مدينة سمرقند حاضرة لدولته الفتية².

¹- الصفاريون : أسس يعقوب بن الليث الصفار ، الدولة الصفارية (254-290 هـ / 867-903 م) في إقليم سجستان والمناطق المجاورة له ، حتى تمكن السامانيون من القضاء على هذه الدولة وضم أراضيها لحكمهم على عهد إسماعيل بن أحمد الذي تمكن من أسر عمرو بن الليث الصفار وسجنه سنة 290 هـ / 903 م ، انظر (بديوي يوسف علي : عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط ، دار وحي القلم ، سوريا ، ط . 1 ، 1431 هـ / 2010 م ، ص . 242 - 243 .) .

²- الجمل : المرجع السابق ، ص . 201 .

³- عدوان : المرجع السابق ، ص . 92 .

⁴- يرى الجوزجاني و النرشخي و فامبري بأن منشور أعمال ما وراء النهر وصل إلى نصر بن أحمد بن أسد الساماني سنة 251 هـ / 865 م ، و تحديدا في غرة رمضان حسب ما أورده النرشخي ، إذ أن الخليفة العباسي الواصل بالله ، قد جعل ما وراء النهر إقليما منفصلا عن الطاهريين في خراسان و عين عليه نصر بن أحمد مما ساعد على تقوية نفوذ السامانيين بالمنطقة الشرقية للخلافة ، و قد علق أبو العلا عبد المنعم سلامة على قول الجوزجاني بأنه كان : " وجهها حيث كانت الدولة الطاهرية تمر بحالة ضعف و تلفظ أنفاسها الأخيرة ... فقدردت الخلافة العباسية للسامانيين إخلاصهم فجعلت إقليم ما وراء النهر منفصلا عن خراسان و أقرتهم عليه . " ، أنظر (النرشخي : المصدر السابق ، ص . 112 ؛ أبو العلا نقلا عن الجوزجاني : المرجع السابق ، ص . 186 - 187 ؛ فامبري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 94 .) ؛ ويعتبر هذا الرأي مخالف لأغلب آراء المؤرخين ، و الذين اعتبروا بأن بداية الدولة السامانية كان سنة 261 هـ / 874 م ، ولو كان الخليفة الواصل بالله قد أقرهم فعلا على هذا الإقليم بعد فصله عن خراسان سنة 251 هـ فلماذا يصدر الخليفة المعتمد بعد مرور حوالي عشر سنوات نفس القرار ؟ ، كما أن الخليفة الواصل بالله كان قد توفي سنة 232 هـ / 847 م والذي كان خليفة على المسلمين سنة 251 هـ / 865 م ، هو أبو العباس المستعين بالله 248 - 252 هـ / 863 - 866 م هذا يعني أن ما ذهب إليه النرشخي والجوزجاني وغيرهما خاطئ ، والأصح أن سنة 261 هـ / 874 م ، هو تاريخ تعيين نصر بن أحمد الساماني على بلاد ما وراء النهر من الخليفة المعتمد .

⁵- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ) : تاريخ الاسلام و فييات المشاهير و الأعلام ، ج . 20 ، تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . 1 ، 1412 هـ / 1992 م ، ص . 6 ؛ الطبري محمد بن جرير : تاريخ الرسل و الملوك ، ج . 9 ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف مصر ، ط . 2 ، 1975 ، ص . 514 ؛ ابن كثير إسماعيل القرشي : البداية و النهاية ، مج . 6 ، ج . 11 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط . 1 ، 1431 هـ / 2010 م ، ص . 88 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 254 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 381 ؛

- Mirkhond : op . cit , p . 115.

ويعتبر هذا التاريخ من الناحية الرسمية هو تاريخ بروز الدولة السامانية ، على مسرح الأحداث بالمنطقة الشرقية للخلافة العباسية ، كدولة قائمة بذاتها تابعة إسمياً للخلافة العباسية ببغداد ، فمنشور ولاية " نصر بن أحمد " في هذه المرة صدر بشكل مباشر من الخليفة ، أما من قبل فمرسوم تعيينهم كان يصدر عن عمال إقليم خراسان الطاهريين ، ذلك أنهم كانوا تبعاً لهم³.

ويُعلق " أحمد محمد عدوان " عن هذه القضية قائلاً : " و يبدو أن الخلافة العباسية قد اتخذت هذه الخطوة حماية لمصالحها ، حيث أخذت الدولة الصفارية في تهديد هذه المصالح خاصة بعد تحطم آخر معقل للطاهريين في نيسابور عام 259 هـ / 872 م ، فكان إبراز الأسرة السامانية والدفع بها إلى مسرح الأحداث السياسية والعسكرية أمراً حيويًا للخلافة لتضع بذلك حداً لأطماع الصفاريين . " ⁴ .

إذن فقد أدت مجموعة من العوامل منها حسن سيرة الأمراء السامانيين السابقين ، وثقة الخلافة العباسية في أبناء هذه الأسرة ، نتيجة للخدمات الجليلة التي قدّموها لها من قبل والتي ثُمّ عن ولاء شديد أظهره السامانيون للخلافة ، فضلاً عن الظروف التي سادت المنطقة خلال هذه الفترة ، كل هذه العوامل مجتمعة خدمت السامانيين ومكّنتهم من إقامة دولة مستقلة لهم بمنطقة المشرق الإسلامي ، وبذلك أصبحت علاقتهم مباشرة مع الخلافة العباسية ، بعد أن كانوا عمالاً للطاهريين بالمنطقة .

وقد نتج عن الشرعية التي منحتها الخلافة العباسية للدولة السامانية الناشئة ، في هذه المنطقة الشديدة القلاقل والإضطرابات ، تقوية سلطتهم الأمر الذي مكّنتهم من فرض النظام ، مما أدى إلى إزدهار أوضاع بلاد ما وراء النهر ، في ظلّ عهدها الجديد تحت الحكم الساماني⁵.

و لقد تعاقب على حكم الدولة السامانية منذ الإعلان الرسمي عن ميلادها ، سنة 261 هـ / 874 م وإلى غاية سقوطها سنة 389 هـ / 999 م ، عشرة أمراء كلهم من نسل سامان خداة⁶ ولعل أبرزهم وأكثرهم قوة هو

¹ - إبراهيم أيوب : التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ، ط 1 ، 1989 ، ص. 147 .

² - . 115 p , op . cit , mirkhond ؛ وقد ورد خطأً عند إبراهيم أيوب إذ اعتبر بأن نصر بن أحمد قد اتخذ بخارى عاصمة لدولته ، انظر (المرجع السابق ، ص. 147) .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج 6 ، ص 254 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج 3 ، ص. 381 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص 92 - 93 .

⁵ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص 94 .

⁶ - أنظر ملحق رقم 01 الخاص بأسماء الأمراء السامانيين ، وسنوات حكمهم و ألقابهم ص . .

" إسماعيل بن أحمد " (279 - 295 هـ / 892 - 907 م) ، وكذلك " نصر الثاني بن أحمد بن إسماعيل " (301 - 331 هـ / 913 - 942 م) ، ولقد لُقب كل أمير من الأمراء السامانيين العشرة بلقب عُرف به .

وقد أعتبر " السادتي أحمد محمود " أن " نصر الثاني بن أحمد " ، هو أعظم الأمراء السامانيين ¹ ، ولا يرجع هذا إلى قوة شخصيته ، حيث إنه من هذه الناحية كان دون إسماعيل بكثير بقدر ما يرجع إلى أنّ الضعف قد بدأ يظهر على الدولة في أعقاب وفاته ، حيث خلا العرش الساماني من الرجال الأقوياء من بعده ² ، بدليل أن الدولة السامانية بدأت تفقد الكثير من أراضيها ، لصالح دول الجوار رويدا رويدا .

- توسعات الدولة السامانية :

عمل السامانيون منذ بدء ظهور دولتهم على توسيع رقعتها ، فبعد أن كانوا قد تمكنوا من ضم بخارى إلى حكمهم سنة 260 هـ / 873 م ، في أعقاب إستنجاد سكانها بوالي سمرقند " نصر بن أحمد الساماني " ، الذي سير إليهم أخاه " إسماعيل " ، الذي تمكن من إعادة الهدوء للمدينة والقضاء على الفوضى التي كانت منتشرة فيها ، قام بالخطبة فيها لأخيه نصر والي سمرقند ³ .

وبعد أن إنتقل حكم الدولة السامانية لإسماعيل في أعقاب وفاة أخيه نصر سنة 279 هـ / 892 م ⁴ ، قام بنقل عاصمة الدولة من سمرقند إلى بخارى ، التي بقيت حاضرة لدولتهم ⁵ حتى تاريخ سقوطها ، وفي عهده إزدادت الدولة السامانية قوة وضم إقليم خراسان إلى دولته ، بعد أن هزم الصفاريين سنة 287 هـ / 900 م ⁶ ، وتمكن في نفس السنة من هزيمة العلويين بطبرستان ، وبذلك أصبحت دولته تمتد من الصحراء الكبرى حتى خليج البصرة ومن حدود الهند حتى بغداد ⁷ ، وبذلك أصبح عمال إسماعيل هم ولاية الأمر في كل من مرو نيسابور الري آمل قزوین أصفهان شیراز هراة وبلخ ذلك أن كل هذه المناطق أصبحت خاضعة لحكمه ⁸ .

¹- السادتي أحمد محمود : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا و حضارتها ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1979 ، ص . 143 .

²- دائرة المعارف الإسلامية : المرجع السابق ، ص . 80 .

³- الترشيحي : المصدر السابق ، ص . 115 - 117 .

⁴- ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 371 .

⁵- الترشيحي : المصدر السابق ، ص . 117 .

⁶- فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 101 - 102 .

⁷- ستانلي لين بول : الدول الإسلامية ، ترجمة محمد صبحي فرزات و محمد أحمد دهمان ، ج . 1 ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق ، ص .

268 .

⁸- فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 104؛ انظر الملحق رقم 2 ، يمثل الدولة خريطة الدولة السامانية في أقصى إتساعها ، ص . .

وتولى الحكم " أحمد بن إسماعيل " في أعقاب وفاة والده سنة 295 هـ / 907 م¹ ، و تمكن من فتح سجستان سنة 298 هـ / 910 م ، إلا أنه لم يستطع الحفاظ على طبرستان و جرجان حيث تغلب عليهما " الحسن بن علي الزيدي " و طرد والي السامانيين منهما² ، وانتهى الأمر بأحمد مقتولا سنة 301 هـ / 914 م ، على يد غلمانه³.

إعتلى عرش السامانيين بعد أحمد ابنه نصر الثاني⁴ ، الذي في عهده بلغت الدولة السامانية أقصى إتساع لها ، ومن بين العوامل التي ساعدته على ذلك ، هو إستعانته في تدبير شؤون دولته بوزيرين عُرِفَ عنهما الكفاءة وحسن التسيير ، وهما تباعا " أبي عبد الله الجيهاني " و "أبي الفضل البلعمي " ، فضلا عن بروز قادة جيش أكفاء في عهده على غرار " حمويه بن علي " و "أبي بكر محمد بن المظفر و ابنه أحمد " من بعده ، إضافة إلى "قزاتكين " و "سيمحور الدواتي "⁵.

ورغم المشاكل الكبيرة التي تعرضت لها الدولة السامانية خلال فترة حكم " نصر بن أحمد " الذي تولى أمور البلاد وهو ابن ثماني سنوات ، من خلال تمرد عدد من أفراد البيت الساماني عليه ، طمعا في الحكم مثل تمرد عم أبيه "إسحاق ابن أحمد" وتمرد إخوته الثلاث إبراهيم يحي ومنصور⁶ ، إلا أنه تمكن من القضاء على كل هذه التمردات ، واستعاد طبرستان من الزيديين سنة 309 هـ / 921 م ، وأصبح تحت حكمه إضافة إلى بلاد ما وراء النهر وخراسان كل من فارس و طبرستان وكرمان و جرجان والعراق⁷.

ويبدو أن سيطرة السامانيين كانت كبيرة ، على المناطق الخاضعة لهم وبالأخص في خراسان وما وراء النهر حتى أن القائمين على أعمال فرغانة خجندة وأشروسنة وسمرقند والشاش وغيرها ، كانوا لا يسمحون للوفود بالعبور إلى

¹ - القرماني أحمد بن يوسف (ت 1019 هـ / 1610 م) : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، تحقيق أحمد حطيط و فهمي سعد ، مج .

2 ، عالم الكتب ، ط . 1 ، 1416 هـ / 1996 م ، ص . 423 .

² - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 131 ؛ - Mirkhond : op . cit . p . 129 .

³ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 212 .

⁴ - ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 405 .

⁵ - أبو العلا عبد المنعم : المرجع السابق ، ص . 212 .

⁶ - لقد أثرت تمردات أمراء البيت الساماني كثيرا على الدولة ، وكانت من بين أسباب ضعفها ، للمزيد عنها أنظر (ص .)

⁷ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي ، 1987 ، القاهرة ، ، ص . 17 ؛ الفقي :

الدول المستقلة في المشرق الإسلامي ... ، المرجع السابق ، ص . 45 .

بخارى إلا بإذن الأمير الساماني ، حتى أن صاحب فرغانة ويدعى مالك كتب إلى " نصر بن أحمد " يستأذنه بالسماح للوفد الصيني بالعبور إلى بخارى للقاءه من عدمه ¹.

وكان " أحمد بن إسماعيل " يتفقد إقليم خراسان وبعض النواحي بمملكته ، الأمر الذي انعكس إيجاباً على رعيته ²، ويظهر النفوذ الساماني في خوارزم جلياً من خلال إرسال السامانيين لبعض الخارجين عنهم إلى سجونها ليقتضوا فترة العقوبة المفروضة عليهم هناك ³، وكان أمير خوارزم يُخاطب الأمير الساماني بلفظ الأمير الأجل ⁴، وبلغ نفوذ السامانيين في خوارزم ، إلى حد أن السفارة العباسية المتوجهة إلى بلاد البلغار، أخذت إذناً من " نصر بن أحمد " كي تتسلّم بُستاناً فيها ⁵.

وعلى العموم فقد أخذت مساحة الدولة السامانية في التقلص تدريجياً ، في أعقاب وفاة " نصر الثاني بن أحمد " حيث أن خلفائه لم يتمكنوا من حفظ حدود البلاد التي خلّفها ، بدءاً من ابنه نوح الذي فقد بعض الأجزاء من دولة أبيه على غرار الري و شيراز التي استولى عليهما البويهيون ⁶ ، وفي عهد " منصور بن عبد الملك " فقدت الدولة السامانية طبرستان جرجان والديلم ⁷ ، إلا أنّ ابن الأثير اعتبر تمرّد " خلف بن أحمد " على السامانيين سنة 354 هـ / 965 م وحربه معهم ، أول وهن دخل على الدولة السامانية ، حيث طمع أصحاب الأطراف فيهم لسوء طاعة أصحابهم لهم ⁸.

ثم تعرضت الدولة للزوال على عهد " نوح بن منصور " (366 – 387 هـ / 976 – 997 م) ، بسبب الضعف الكبير الذي استشرى فيها ⁹، إلا أن سقطت نهائياً وبصفة رسمية على عهد " منصور بن نوح " الذي خرج في أيامه ملك آل سامان من أيديهم ¹.

¹ - القاضي الرشيد بن الزبير (ق 5 هـ) : الذخائر و التحف ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات و النشر ، الكويت 1959 ص . 141 .

² - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 131 .

³ - نظام الملك الطوسي (ت 485 هـ) : سياسة نامه ، ترجمة يوسف بكار ، ط. 2 ، مطبعة السفير ، الأردن 2012 ، ص . 266 .

⁴ - أحمد ابن فضالان : رسالة بن فضالان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، تحقيق سامي الدهان ، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق ، سوريا ، 1376 هـ / 1960 م ، ص . 81 .

⁵ - ابن فضالان : المصدر نفسه ، ص . 77 .

⁶ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 116 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق... ، المرجع السابق ، ص . 18 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي ... ، المرجع السابق ، ص . 46 .

⁸ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 289 – 290 .

⁹ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ج . 3 ، ص . 93 .

ثانيا - علاقتها بالخلافة العباسية :

من خلال تتبع مراحل العلاقة بين الدولة السامانية والخلافة العباسية ، يمكن القول أنها قد مرّت بمرحلتين بارزتين مختلفتين عن بعضهما البعض ، المرحلة الأولى تميزت بحرص السامانيين على إظهار ولائهم وطاعتهم للخلافة والدفاع عن مصالحها ورعاية هيبتها وحرمتها ، أما المرحلة الثانية فتغيرت فيها الأوضاع نوعا ما بحيث إنفرط عقد التعاون الذي كان متينا بين الطرفين ، ويُمكن اعتبار الحد الفاصل بين المرحلتين هو سنة 334 هـ / 954 م ، والتي تُمثل السنة التي سيطر فيها البويهيون على مقاليد الخلافة العباسية في بغداد ، حيث أصبحت قرارات الخليفة خاضعة لأهواء البويهيين ، لذلك ساقسم العلاقات بينهما إلى مرحلتين .

أ - العلاقات السامانية العباسية قبل سنة 334 هـ / 945 م :

لقد تميزت العلاقة بين الدولة السامانية والخلافة العباسية ، بأنها كانت علاقة وطيدة حتى أن المؤرخ الإيراني " آشتياني إحسان عباس " ذهب إلى حد القول : " بأن الدولة السامانية لم تخرج قط عن تبعية وقبول الأمر الروحي للخليفة في بغداد ، وكانت تعتبر نفسها دائما مُطيعه ومُنفذة لأوامر الخليفة ... " ² ، ذلك أن السامانيين كانوا على مذهب أهل السنة وهو نفس مذهب الخلافة ، كما إعتبروا الخليفة العباسي أمير المؤمنين ، وهو أميرهم الذي له الزعامة الروحية عليهم ، فيجب عليهم طاعته والإمتثال لأوامره " ، فسلكوا بذلك مسلك الطاهريين في الولاء لبني العباس ودولتهم ³ .

ولطالما جاهر السامانيون بهذا الولاء ، و قد أورد " العتبي " أن أمراء هذه الأسرة دون سواهم الذين لُقبوا بلقب " ولي أمير المؤمنين " ⁴ .

أما عن تعيين أمراء بني سامان على أعمالهم ، فقد كان يتّم بمباركة الخليفة العباسي نفسه ففي أعقاب ضُعف الدولة الطاهرية ، أرسل الخليفة " المعتمد " منشور ولاية ما وراء النهر " لنصر بن أحمد " سنة 261 هـ / 874 م ⁵

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 142 .

² - آشتياني : المرجع السابق : ص . 162 - 163 .

³ - المرجع نفسه .

⁴ - دائرة المعارف الإسلامية : المرجع السابق ، ص . 79 .

⁵ - Mirkhond : op . cit , p . 114 .

هذا بعد أن كانت الخلافة قد خبرت ولائهم لها ، وتأكدت من قدرتهم على ملأ الفراغ الذي خلفه سقوط الدولة الطاهرية ، والتي كانت حليفا قويا للخلافة بالمنطقة ¹ .

هذا الولاء الذي ظهر جليا بدءا من إشتراكهم مع "هرثة بن أعين" بأمر من المأمون ، في خلافة أبيه "هارون الرشيد" في حرب "رافع بن الليث بن نصر بن السيار" ، الذي كان خروجه على العباسيين قد أرق هارون الرشيد وكبار رجال دولته ، فباشتراكهم في الحرب إلى جانب هرثة تمكنوا من هزم رافع بن الليث وحملوه على الصلح مع هرثة ، و صاهروا بينهما سنة 193 هـ / 809 م ، و هي نفس السنة التي توفي فيها هارون الرشيد ² .

ولقد قام المأمون لما كان واليا على خراسان بتقريب أبناء أسد بن سامان الأربع واستعملهم كما أوصى خلفه على خراسان غسان بن عباد بتوليته ، ورعاية حقهم ومكانتهم وكمكافئة من الخلافة للسامانيين على إخلاصهم وكفائتهم ، التي أظهروها في الأحداث السابقة فضلا عن صلاحهم وحسن سيرتهم ، فقد أقرتهم على مناصبهم ، التي توارثوها حتى أصدر الخليفة المعتمد على الله ، أمر التولية على بلاد ما وراء النهر "لنصر بن أحمد" ³ .

إذن فظهور الدولة السامانية على مسرح الأحداث السياسية بمنطقة المشرق الإسلامي ، كان في مرحلة حساسة من حياة الدولة العباسية ، و مكمن الخصوصية في هذه المرحلة هو الضعف الكبير الذي بدأ يستشري في كيان الدولة العباسية ، هذا الضعف الذي جعلها محل أطماع العديد من الأطراف والقوى المتربصة بها ، والتي كانت أهدافها لا تتوافق وأهداف الخلافة العباسية ، والتي فضلا عن ضُعفها كانت قد فقدت حليفا قويا والمتمثل في الدولة الطاهرية ، التي لطالما شددت أزر الخلافة بالمنطقة .

وأقوى خطرين واجهتهما الخلافة العباسية خلال هذه المرحلة ، تمثلتا في القوتين الصفارية والزيدية اللتين كانت لهما أهداف إستقلالية عن الخلافة ، ومما زاد من حدة الخلاف بين العباسيين وهاتين القوتين ، هو الإختلاف المذهبي بينهما ⁴ .

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 211 .

² - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 111 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 253 - 254 .

⁴ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 211 - 212 .

فكان بذلك قرار مباركة الدولة السامانية الناشئة ، يعتبر خطوة سياسية من الخلافة ، بهدف حماية مصالحها التي أصبحت تحت طائل التهديد من قبل القوى السابقة الطامعة فيها ¹ لذلك فقد عمد الخليفة العباسي إلى دعم هذه القوة الناشئة وتأييدها حتى ضمنت تجاوزها لمرحلة البدايات الصعبة ، التي تعرفها الدول الحديثة عند ظهورها وتأكد من تثبيتها لأقدامها بالمنطقة ، وذلك كي تشدّ هذه الدولة الناشئة بدورها من أزر الخلافة بالمنطقة وتعينها على مواجهة الأخطار المحدقة بها هناك ².

ولقد كانت الدولة السامانية من الناحية القانونية جزءا من الدولة الإسلامية الكبرى ، المتمثلة في الدولة العباسية والتي يعتبر الخليفة هو الحاكم الأعلى لها ، وعليه فالسامانيون كانوا نوابا للخليفة على المناطق التي يحكمونها ، إلا أن واقع هذه التبعية كان إسميا فقط ، بحكم أن الدولة السامانية من الناحية العملية ، كانت لها إدارتها وأجهزتها الخاصة وميزانياتها المستقلة عن الخلافة فضلا عن جيوشها .

إنّ المساحة الواسعة التي تربعت عليها الدولة العباسية ، وضُعبية الإتصال مع مختلف هذه المناطق ، حال دون تمكن الخليفة من فرض هيمنته المباشرة على كل هذه الأقاليم في نفس الوقت ، يُضاف إلى هذا تغلُّب حكام أقوىاء على هذه الأقاليم ، ومنهم الحكام السامانيون ، الذين إستقلوا في إدارة شؤون ولايتهم ، إلا أن هذا الإستقلال لم يكن كليا نظرا لما تتمتع به الخلافة العباسية عليهم من نفوذ ³.

حتى أن الأمير الساماني كان لا يكسب صفة الشرعية في الحكم إلا إذا حصل على تفويض من الخليفة العباسي يُقرُّ له فيه حكم ولايته ⁴ ، هذا التفويض الذي كان يتجدد بوفاة أحد أو كلا الطرفين – الأمير الساماني أو الخليفة العباسي – ⁵ ، مثلما فوض الخليفة المعتضد بالله " نصر بن أحمد " وبعد وفاته أخاه إسماعيل بحكم الدولة السامانية وأرسل لهما العهد واللواء ، ولما توفي " المعتضد " وخلفه " المكتفي بالله " ، أرسل عهد تلك المناطق لإسماعيل وبعد وفاته وإعتلاء ابنه أحمد عرش السامانيين ، أرسل له الخليفة المكتفي عهد الولاية ، كما أقر الخليفة " المقتدر بالله " " أحمد " في حكمه ، بعد وفاة الخليفة السابق المكتفي وخلافته له ⁶.

¹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 92 - 93 .

² - الجمل : المرجع السابق ، ص . 212 .

³ - الفقي : الدويلات المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 221 .

⁴ - المرجع نفسه .

⁵ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 205 .

⁶ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 209 - 210 .

كما أن السامانيين كانوا بحاجة لإعتراف من الخلافة ، بحكم المناطق التي تمكنوا من ضمّها إلى دولتهم بمجهوداتهم الحربية الخالصة ، حتى يكون حكمهم لها مُستمد من أساس شرعي متمثل في إقرار من الخلافة لهم ، بِحُكم هذه المناطق و بذلك لا ينازعهم فيها أحد ، مثلما حدث لما ولي "المعتضد بالله" سنة 287 هـ / 900 م ، " إسماعيل بن أحمد " على خراسان بعد تمكنه من هزم " عمرو بن الليث " وأسر¹ ، حيث أرسل له لواء وعهد حكم خراسان مضافا إليه عهد الري ، قزوین و زنجان التي ألحقها بخراسان².

تجدر الإشارة إلى أن السامانيين وبحكم مهمتهم الثغرية ، كانوا يتجنبون دوما الصراع الداخلي مع القوى الإسلامية الأخرى ، إلا أنهم اضطروا في بعض الحالات للدخول في الحرب مع هذه القوى الإسلامية ، إما دفاعا عن أنفسهم أو دفاعا عن مصلحة الخلافة وحفظا لأملاتها ، مثلما حصل في صراعهم مع الصفاريين ومثلما حدث كذلك بينهم وبين العلويين في طبرستان³.

ومن مظاهر ولاء السامانيين للخلافة العباسية ، هو تكريم رسل الخليفة وإرسال الهدايا إليه ، مثلما فعل " إسماعيل بن أحمد " مع " محمد بن عبد الصمد " رسول الخليفة المكتفي ، الذي حمل إليه عهد ولواء خراسان ، حيث وصله بثلاثمائة ألف درهم وأعاد له بغداد بكثير من الهدايا⁴ ، كما أكرم ابنه أحمد ، " طاهر بن علي " رسول الخليفة المكتفي الذي حمل إليه عهد الدولة السامانية بعد وفاة أبيه ، وقد عقد رسول الخليفة " طاهر بن علي " لواء البلاد بنفسه " لأحمد بن إسماعيل " ، الذي أحسن إليه وأكرمه ومنحه أموالا كثيرة⁵.

ومن دلائل الولاء الساماني لبني العباس والعلاقات الحسنة بين الطرفين ، هو حرص الأمراء السامانيون على إرسال الهدايا للخلافة نفسها ، بهدف توطيد العلاقة معها وكسب رضاها ، فقد أرسل إسماعيل الساماني سنة 280 هـ / 893 م ، هدية إلى المعتضد تضم تسعة و أربعين جملا عليها محامل فيها غلمان مرد أتراك وخزرا ، بأقبيّة سمور وقلانس وإثنين وخمسون غلاما تركيا وخزرا بدواهم وسلاحهم ، واثنين وثلاثين بازيا منهم إحدى عشر بازيا أبيض وثلاثة فهود وعشرون دابة شهاري بجلال وبراقع ديباج⁶.

¹ - ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 400 - 401 .

² - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 209 .

³ - حسن احمد محمود و أحمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص . 467 ؛ حورية عبده سلام : المرجع السابق ، ص . 56 - 57 .

⁴ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 209 .

⁵ - نفس المصدر ، ص . 210 .

⁶ - القاضي بن الزبير : المصدر السابق ، ص . 42 .

كما وصلت هدايا من السامانيين¹ سنة 298 هـ / 910 م ، إلى الخليفة " جعفر المقتدر بالله " (295 - 319 هـ / 908 - 931 م)، تحتوي على مئة وعشرون غلاما بكامل عدتهم من دواب وسروجها ولجمها ، وكمية معتبرة من الثياب وخمسة بيوت فرش طبري مذهب ببسطها وآلتها ، وخمسة براني فضة فيها خمسون منا من المسك ، وألف ومئة من جلود السمور والأفناك والثعالب ، وخمسون بازيا ، وثلاثون رحا مفضضة وغيرها².

وبدورها كانت الخلافة تبادل السامانيين الهدايا والمساعدات ، مثلما حدث حينما أرسل الخليفة " المعتضد بالله " في جمادى الثانية سنة 288 هـ / 901 م ، مع رسل منه للأمير الساماني " إسماعيل بن أحمد " مجموعة من المساعدات المالية بلغت قيمتها ثلاثة آلاف ألف درهم وقيل عشرة آلاف ألف درهم ، ليوزعها على جيوش خراسان المتوجهة لحرب أصحاب " طاهر بن محمد بن عمرو " ³ بسجستان ، فضلا عن مجموعة من الهدايا لإسماعيل من ضمنها تاج وسيف من ذهب وبعض الجواهر⁴.

وهذا التبادل للهدايا بين الطرفين دليل على متانة العلاقة بينهما خلال هذه المرحلة ، كما كان السامانيون يبعثون بالهدايا للخلافة في أعقاب الانتصارات التي يحققونها ضد أعدائهم فلما تمكنوا من القضاء على " ماكان بن كالي" وقتله سنة 329 هـ / 941 م ، أرسل " نصر بن أحمد " برأسه إلى الخليفة " المتقي بالله " مع هدايا كثيرة حملها له رسوله " أبو الفضل العباس بن شقيق " ⁵، وهذا من أجل التأكيد على ولائهم لها رغم قوتهم التي بلغوها .

ومن مظاهر ولاء السامانيين للخلافة هو قراءة اسم الخليفة في الخطبة في مختلف المناسبات الدينية ، وكذلك بعد تحقيقهم للانتصارات العسكرية والفتوحات ، فلما تمكن " إسماعيل بن أحمد " من فتح طراز بعد معارك ضارية تلى فيها الخطبة باسم الخليفة العباسي "المعتضد بالله " سنة 280 هـ / 893 م ⁶ ، وإلى جانب ذكر أسمائهم مع

¹ - ذكر القاضي ابن الزبير أن من بعث الهدية هو إسماعيل بن أحمد ، لكن يبدو أن هناك خلط ذلك أن إسماعيل كان قد توفي سنة 295 هـ و خلفه ابنه أحمد 295 هـ / 301 هـ لذلك فيكون أحمد هو من أرسلها و ليس أبوه ، أنظر (المصدر نفسه ، ص . 59 .) .

² - المصدر نفسه ، ص . 59 .

³ - سنتطرق إلى هذه الحرب في مبحث العلاقات السامانية الصفارية ، في الفصل الثالث .

⁴ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص 84 .

⁵ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 236 .

⁶ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 123 .

أسماء الخلفاء في المنابر، حرص السامانيون كذلك على ضرب أسماء الخلفاء العباسيين إلى جانب أسمائهم على العملة المتداولة في بلادهم¹.

ويظهر ولاء السامانيين للخلافة كذلك من خلال الدخول في الحرب بناء على أوامرها ، فقد عملوا على ضم طبرستان من يد " محمد بن زيد العلوي " الذي جاهر الخلافة بالعداء فامتد إليه سلاح التأديب الساماني ، حيث تمكنوا من طرد العلويين من طبرستان ، التي أصبحت منطقة سامانية بأمر من الخليفة نفسه ، كمكافئة لهم على إحباط هذه الحركة المناوئة للخلافة ، وخطب بإسم الخليفة في هذه المنطقة ، التي كانت تعتبر منطقة خارجة عن طاعته².

يظهر الولاء الساماني للعباسيين كذلك من خلال تنفيذ أوامرهم دون مناقشة ، فلما تمكن إسماعيل من أسر " عمرو بن الليث الصفار " ، وصله كتاب من الخليفة وهو في سمرقند يطلب تسليمه ، وكان نصه كالآتي : " من عبد الله بن الإمام أبي العباس المعتضد بالله أمير المؤمنين إلى أبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد مولى أمير المؤمنين ... " ³ ، ولأنه لم يكن له أن يرفض فقد أرس أسيره للخليفة ، رغم الحزن الذي أظهره عليه ، حتى أنه في آخر لقاء بينهما لم يتمكن من رفع وجهه في حضور " عمرو بن الليث " خجلا منه⁴.

كذلك لما طلب الخليفة " المقتدر بالله " سنة 317 هـ / 929 م ، من الأمير الساماني " نصر بن أحمد " محاربة الزيديين والعمل على إسترداد المناطق التي تمكنوا من إحتلالها ، عن طريق كتاب وصله منه ، مما جاء فيه : " ... إني ضمنك المال والدم فأهملت أمر الرعية وأضعفتها ، وأهملت البلد حتى دخلته المبيضة ... " ⁵ ، بادر نصر مباشرة في حرب الزيديين الخارجين عن طاعة الخلافة ، بالرغم من المشاكل الداخلية⁶ التي كانت تتخبط فيها الدولة السامانية ، وعمل على إسترجاع هيبة العباسيين التي زعزها عصيان الزيديين⁷.

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 206 ؛ و أنظر ملحق رقم 3 ، ص . يتضمن نموذج لبعض العملات السامانية .

² - المرجع نفسه ، ص . 205 .

³ - الترشيحي : المصدر السابق ، ص . 128

⁴ - المصدر نفسه .

⁵ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 220 .

⁶ - تميز عهد نصر بن أحمد بكثرة المتمردين عليه من أهل بيته نظرا لحدثة سنه ، بدءا من عم أبيه اسحاق بن أحمد الذي خرج عليه ، ثم أعقبه تمرّد إخوته عليه إبراهيم يحيى و منصور ، ولم يتمكن من القضاء على هذه الحركات المناوئة لحكمه إلا في سنة 320 هـ / 932 م ، انظر (الترشيحي :

المصدر السابق ، ص . 133 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 213 - 215 .) .

⁷ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 220 .

وعلى العموم فقد عُرِف عن الأمراء السامانيين بأنهم كانوا حريصين على طاعة الخلافة ، وتنفيذ أوامر الخلفاء بحذافيرها ، فإسماعيل بن أحمد كما يذكر كل من النرشخي و فامبري كان يعتبر أن طاعة الخلفاء من طاعة الله عز وجل ، ولذلك فتنفيذ أوامره أمر واجب ولازم شرعا ¹.

إذن فالسامانيون كانوا يعلمون بما للخليفة عليهم من سلطان في الواقع ، كما أن الخليفة كان على دراية بأن هذه الأمور من خلع وضرب للسكة بإسمه والخطبة له في الجمع والأعياد مجرد تقليد محض ، يُثْم عن إحترام السامانيين لهم ²، حيث إن السامانيين في الواقع ظلُّوا يتمتعون بالإستقلال الذاتي عن حكومة بغداد ، بالأخص في الإدارة الداخلية لأُمور دولتهم فالأمراء السامانيون دون سواهم من كان لهم الحق في تعيين ولاية على الأقاليم التابعة لهم أو عزلهم من مناصبهم ، فأساس العلاقة بين السامانيين والعباسيين كان قائما على الود ، الأمر الذي جعل الخلفاء يعتمدون على بعض أمراء هذه الأسرة ، في إقرار سلطانتهم بالمنطقة ، ومُعاقبة كل من يتجرأ للتطاول على الخلافة ³.

ولقد كان الطرفان يتبادلان الخبرات في الجانب الإداري ، من ذلك مراسلة الجيهاني وزير نصر بن أحمد و القائم بأُمور دولته نظرا لحدثة سنه ، بغداد يطلب إستنساخ تشكيلات الديوان والبلاط المستعملة في عاصمة الخلافة بهدف إستعمال بعضها في بلاط وديوان بخارى ⁴.

وكان كل خراج البلاد الخاضعة للسامانيين يدخل إلى خزينتهم ، ولم يتم إلزامهم بدفع ضريبة سنوية لحكومة بغداد ، هذا بإستثناء الهدايا التي بعثها السامانيون للخلافة بهدف إستجلاب رضاها بين الحين والآخر بمحض إرادتهم ، حيث أنه ومنذ إستيلاء الصفاريين على إقليم خراسان بعد هزيمتهم للطاهريين سنة 259 هـ / 873 م وتحديدهم لسلطة الخلافة العباسية ، كانوا قد توقفوا عن دفع الأموال لحكومة بغداد ، وعليه فإن الخلافة لم تجد غضاضة في منح إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر ، إلى السامانيين المُعترفين بسلطان الخلافة عليهم ، دون إلزامهم بدفع الأموال سنويا إليها ⁵.

¹-النرشخي : المصدر السابق ، ص . 113 ؛ فامبري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 98 .

²- المرجع نفسه ، ص . 98 – 99 .

³- العمادي : المرجع السابق ، ص . 16 – 17 .

⁴- الكرديزي: المصدر السابق ، ص 213 .

⁵- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 206 .

ومن الحوادث التاريخية التي تعطينا دلالة واضحة عن مدى عمق أواصر العلاقات بين الطرفين ، هو قيام الخليفة العباسي المقتدر سنة 319 هـ / 931 م ، بإرسال قوة عسكرية إلى طبرستان ، للقضاء على الأطماع التوسعية " لمرداويج بن زيار" الذي ثار على السامانيين وحاول توسيع مناطق نفوذه على حساب ممتلكاتهم¹ ، فالدولة العباسية لم تكتف بإصدار الأوامر لحليفها فقط ، بل ساندتها واهتمت بكل خطوة يخطوها السامانيون .

كما أن العباسيون وعلى الرغم من إعتمادهم الكبير على السامانيين ، في إقرار سلطتها بالمنطقة وضرب القوى المعادية لها هناك ، إلا أنها راعت قدراتها وإمكاناتها العسكرية ، فلم تزد الزج بها في مغامرة غير محمودة العواقب في أعقاب رفض " علي بن بويه" سنة 322 هـ / 934 م ، دفع المبلغ الواجب عليه للخليفة " الراضي " (322 - 328 هـ / 934 - 940 م) ، مقابل تقليده أعمال بعض بلاد الجبل² ، حيث أنها لم تطلب من السامانيين خوض الحرب ضده بهدف تأديبه ، خاصة وأن الخلافة نفسها كانت تعاني ضعفا شديدا ، يصعب معه عليها أن تتمد السامانيين بأي دعم عسكري ، في حال نشوب صراع بويهي ساماني من أجل مصالحها³ .

وعلى الرغم من أن العلاقة بينهما خلال هذه المرحلة كانت حسنة ، إلا أن ثمة حادثة أسالت الكثير من الحبر وفتحت الباب أمام تأويلات⁴ المؤرخين في محاولة لتفسيرها ، ألا وهي قيام الخليفة " المعتضد بالله " ، بعد أن فوّض الأمير "إسماعيل بن أحمد الساماني " بحكم بلاد ما وراء النهر ولقبه بلقب حامي الملة والمدافع عن الخليفة من أعدائه ، بإرسال كتاب إلى "عمرو بن الليث" ، يُحرّضه فيه على حرب إسماعيل وخلعه⁵ من حكم بلاد ما وراء النهر مما أدى إلى نشوب حرب بين الطرفين الساماني الصفاري دامت عدة سنين ، وانتهت بانتصار الجيوش السامانية وأسر عمرو بن الليث⁶ ، وقد أثقلت هذه الحرب كاهل الدولة السامانية كثيرا .

وباستثناء هذه الحادثة التي وقع خلاف في تفسير المغزى من ورائها ، فعلى العموم العلاقة بين السامانيين والخلافة العباسية كانت علاقة وطيدة ، قائمة على العمل المشترك بينهما والإحترام المتبادل ، إلا أن العلاقة بين الطرفين تغيرت بعد السيطرة البويهية على بغداد ، فكيف أصبحت العلاقة بين الطرفين في أعقاب هذه السيطرة ؟

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 220 - 221 .

² - بلاد الجبل : اسم علم للبلاد المعروفة عند العجم خطفا بالعراق ، وهي منطقة تمتد بين أصفهان إلى زنجان وقزوین وهمدان والدينور والري ، للمزيد انظر (الحموي : المصدر السابق ، ص . 99 - 100) .

³ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 221 - 222 .

⁴ - عن إختلاف المؤرخين في تفسير هذه الحادثة انظر ص . 117 - 118 .

⁵ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 99 .

⁶ - الفقي : الدويلات الإسلامية المستقلة في المشرق ،...، المرجع السابق ، ص . 43 .

ب - العلاقات السامانية العباسية بعد سنة 334 هـ / 945 م :

لقد أخذت العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة السامانية منحى آخر ، مُغاير تماما للوضع السابق ، وهذا في أعقاب السيطرة البويهية على مقاليد الأمور في بغداد ، هذه السيطرة التي كانت نتيجة للضعف الكبير الذي دبّ في شرايين الخلافة ، وقد نتج عنه خُضوع الخلفاء العباسيين السُنيّ المذهب لأهواء وإرادة أمراء بنو بويه الشيعة¹، حيث فقد العباسيون سلطانهم الفعلي لصالحهم².

وكان من الطبيعي أن يعمل البويهيون بعد السيطرة على بغداد ، على قطع روابط الودّ بين الخلافة والسامانيين خصوصا في ظل الوقائع والنزاعات الكبيرة التي كانت بينهم وبين السامانيين ، والتي سأتطرق إليها أثناء حديثي عن العلاقات السامانية البويهية .

وقد أثر الضعف الذي أصاب الخلافة بدوره على السامانيين ، الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة العديد من الأخطار لوحدهم ، تمثلت في كثرة المتربصين بها من الأعداء في الخارج ، والراغبين في الانفصال من قادة الأقاليم على الأطراف ، الأمر الذي دفع بحال هذه الدولة نحو التدهور والتزدي³.

لقد تزامنت السيطرة البويهية على بغداد مع إمارة الأمير " الحميد نوح بن نصر " (330-343 هـ / 941 - 954 م)، والذي جرت في عهده حرب بينه وبين عمه " إبراهيم بن أحمد " الذي نازعه الملك⁴، كما حاول عدد من ولاة الأقاليم الانفصال عنه ، لذلك فقد أرسل " نوح بن نصر سنة " 333 هـ / 945 م ، بسفارة لمقابلة الخليفة " المستكفي بالله " (333 - 334 هـ / 945 - 946 م)، لإطلاعه على ما يجري ضده من مؤامرات تستهدف نزع الحكم منه ، إلا أن البويهيون حالوا دون وصول هذه السفارة للخليفة ، وهناك من اعتبر أنّ من بين أهم أسباب إقدام البويهيين على عزل الخليفة المستكفي سنة 334 هـ / 946 م ، هو تخوفهم من تأييده " لنوح بن نصر " ضد خصومه⁵.

¹ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 205 - 206 ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ج . 11 ، ص . 255 - 256 .

² - البيروني : المصدر السابق ، ص . 132 .

³ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 223 .

⁴ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 150 .

⁵ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 223 .

وقد أورد " محمد عبد المنعم الجمل " أن بعض المؤرخين ذهبوا إلى القول بأن البويهيين قد أجبروا الخليفة المستكفي قبل عزله، على إصدار قرار يؤيد فيه معارضي الأمير الساماني ، ولقد أجبر هذا الحاحز البويهي الذي حال بين السامانيين والخلافة ، على دفعهم للاعتماد على أنفسهم في التصدي لأعدائهم والطامعين في ملكهم ¹.

ولأن البويهيين لم يكن يخدمهم الاستقرار داخل الدولة السامانية ، إذ كان يُعتبر تهديدا لهم فقد عمل البويهيون على دفع الخلفاء العباسيين للاعتراف بالخارجين والثائرين على الدولة السامانية ، ممّ أضعف موقفها السياسي بمنطقة المشرق الإسلامي ، فلما أظهر " أبو علي بن محتاج " قائد السامانيين على خراسان العصيان للدولة السامانية وقيامه بالخطبة فيها لنفسه سنة 343 هـ / 955 م ، وتحالفه مع " ركن الدولة بن بويه " ²، عمل البويهيون على إقناع الخليفة العباسي " المطيع لله " (334-363 هـ / 946-974 م) بتعيينه واليا على هذا الإقليم ، وبعثوا له بالخلع والتقليد لحكم خراسان .

كما بعثوا له قوة عسكرية مكنته من دخول نيسابور ، أين خطب فيها وفي المناطق التي أحكم عليها سيطرته للخليفة العباسي " المطيع لله "، ويبدو أن سوء العلاقات بين السامانيين والعباسيين ، التي كان سببها البويهيون قد دفع السامانيين خلال هذه المرحلة إلى قطع الخطبة للخليفة ، حيث يذكر " ابن الأثير " أنّ الخطبة كانت قد قُطعت للعباسيين بخراسان ، ³ وحدث هذا في الفترة التي أصبح فيها الخليفة ألحوبة بيد البويهيين يُعينونه ويعزلونه كما يشاؤون ⁴.

ولقد أرسل " ركن الدولة " إلى أخيه " معز الدولة " يطلب حلفا ولواء بولاية خراسان ، للقائد الساماني " بكر بن مالك " ، الذي وافق على الصلح معهم وهذا بعد وفاة " ابن محتاج " سنة 344 هـ / 956 م ⁵ ، هنا يتضح جليا سعي البويهيين لإفساد العلاقة بين الخلافة والسامانيين بشكل مطلق ، وبمختلف الوسائل .

ولأن الخليفة العباسي كان تحت السيطرة المطلقة للبويهيين ، فقد حصلوا على تقاليد من الخلافة ، أو بالأحرى أصدروا تقاليد بإسم الخلافة تمنحهم الحق في حُكم بعض الأقاليم السامانية ، الأمر الذي أزم العلاقة بين الطرفين

¹ - المرجع نفسه ، ص . 224 .

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 247 .

³ - المصدر نفسه ، ص . 249 .

⁴ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 225 .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 253 .

البويهى والساماني ، ووسّع الشرخ العباسي والساماني ، منها حصول البويهيين على حق حكم جرجان للأمير "فخر الدولة البويهى" سنة 373 هـ / 983 م¹.

ونظرا لكل ما سبق فإن العلاقة بين الخلافة الخاضعة لبني بويه ، والسامانيين قد أخذت في التدهور والإتجاه نحو الأسوأ ، حتى أن الخلافة قد أصبحت لا تتدخل في تولية أو تركية أمراء الدولة السامانية² ، الذين بدورهم لم يعد يهمهم رأي الخلافة ، من ذلك أنهم أصبحوا يمنحون الألقاب لكبار القادة دون الرجوع إليها ، مثلما فعل نوح حينما لقب " محمود الغزنوي بسيف الدولة" ولقب أباه " سبكتكين بناصر الدولة " ³.

إذن فالسامانيون كانوا مخلصين للخلافة ، محافظين على ولائهم لها يسعون دوما إلى إرضائها وحفظ مصالحها إلا أنّ سيطرة البويهيين على مقاليد الأمور في بغداد قد غير هذا الواقع ، ودفع السامانيين دفعا لتغيير سياستهم تجاه الخلافة ، التي لم تعد ترعى مصالحهم ، ذلك أنها في الحقيقة أصبحت مجرد غطاء يعمل من ورائه البويهيون على بسط نفوذهم وتحقيق مآربهم وكسر شوكة خصومهم ، والسامانيون من بينهم أو من أهمهم .

وفي أعقاب تكالب عديد القوى على الدولة السامانية ، من أجل تقاسم أراضيها وممتلكاتها التي آلت لكل من القراخانيين والغزنويين⁴ ، وبطبيعة الحال البويهيين⁵ ، الذين كان لهم نصيب من التركة السامانية ، لم تحرك الدولة العباسية ساكنا من أجل الحفاظ عليها ، و بهذا إنتهت العلاقات العباسية السامانية بزوال هذه الدولة من على الوجود بصفة رسمية ، سنة 389 هـ / 999 م .

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 226 .

² - المرجع نفسه .

³ - العمادي: المرجع السابق ، ص . 24 .

⁴ - ابراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 150 ؛ العسيري : المرجع السابق ، ص . 223 .

⁵ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 226 .

المبحث الثاني : نظام الحكم و النظم الإدارية .

أولا - نظام الحكم :

لقد كانت الدولة السامانية من الناحية القانونية تابعة للخلافة العباسية ، إلا أن هذه التبعية في الحقيقة كانت تبعية إسمية فقط ، تمثلت في أداء بعض فروض الولاء والطاعة للخلافة ، فالسامانيون كانوا مستقلين ذاتيا عن الحكومة المركزية ببغداد ، وقد كان حاكم الدولة السامانية هو الأمير ، كما حمل أمراء الدولة السامانية والذين كانوا ملوك زماهم لسنوات طويلة ، وحكموا مناطق شاسعة ألقابا فقد تلقب كل أمير من الأمراء السامانيين بلقب واحد¹.

ومن خلال النظر في تاريخ السامانيين ، نخلص إلى أن نظام الحكم في هذه الدولة قد كان وراثيا ، فالإمارة لم تخرج من هذا البيت مطلقا طيلة أيام حكم السامانيين ، والتي امتدت بصفة رسمية من (261 - 389 هـ / 874 م - 999 م) ، فالأمراء العشرة الذين تعاقبوا على إمارة الدولة كلهم من نسل " سامان خداه " ².

كما يتضح لنا من خلال دراسة تاريخ السامانيين ، أنه لم يكن هناك نظام ثابت أو قاعدة محددة ، يتم بواسطتها توريث الحكم ، فأحيانا يخلف الأخ أخاه ، مثلما حدث بعد تولي " إسماعيل بن أحمد " في أعقاب وفاة أخيه نصر سنة 279 هـ / 892 م³ ، كما قد يخلف الابن أباه بحكم الوراثة ، وهو التقليد الذي غلب على توريث الحكم في الدولة السامانية ، وقد يحدث وأن يتولى طفل صغير السن أمور البلاد رغم وجود من هو أجدر منه للقيام بأعباء الحكم بحكم السن والخبرة في الحياة ، وفي هذا يكون لكبار رجال الدولة دور كبير ، كما تتدخل في هذا الأمر أيضا النساء ، بهدف وصول واحد من أبنائهن إلى إمارة الدولة ، مثلما حدث لما تولى " نوح الثاني ابن منصور " سنة 366 هـ / 976 م . وهو صغير السن مقاليد الأمور بالدولة ، وأصبح بذلك لأمه الأمر والنهي في تسيير شؤون الدولة ، وقد قال عنهما بعض أهل ذلك العصر :

أمران يعجز ذو الرياضة عنهما رأي النساء وإمرة الصبيان

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 192.

² - أنظر ملحق رقم 4 ، ص . ، خاص بشجرة نسب البيت الساماني .

³ - ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 400 - 401 .

أما النساء فميلهن إلى الهوى و أخو الصبا يجري بغير عنان ¹.

وقد تدخل حتى الغلمان في توجيه الأمور ، مثلما حدث عندما أقدموا على اغتيال الأمير " أحمد بن إسماعيل " الذي كان حسن السيرة عادلا بين الرعية ، سنة 301هـ / 913 م وعينوا خلفا له ابنه نصر البالغ من العمر ثمان سنين ².

كما أن القضاة والفقهاء وضُغوطاتهم على رجال الجيش ، ساهمت - مثلما أورد نظام الملك - في تنازل " نصر بن أحمد " عن إمارة الدولة لابنه نوح سنة 331 هـ / 942 م ، في أعقاب اتهامه بإتباع مذهب الباطنية ، حتى أن قادة الجيش قالوا عنه : " لا نريد أميرا كافرا ... " وقد قضى الأمير الجديد " نوح بن نصر " على الباطنية في خراسان و ما وراء النهر الذين كانوا قد استقوا في عهد والده ³ ، و هذه الرواية تدحض تماما الطرح الذي ذهب إليه " أحمد معمور العسيري " من أن السامانيين كانوا شيعة رافضة ⁴.

كما أن إرادة رجال الجيش في فترة ضعف الدولة السامانية ، كان لها دور في تحديد مصير أمير الدولة ، مثلما حدث عندما تجرأ القائدان العسكريان " بكتوزون " و " فائق " على عزل الأمير " منصور بن نوح " ، وسمّل عينيه وعينوا ابنه " عبد الملك " خلفا له سنة 389 هـ / 999 م ⁵.

إلا أن الأمير الساماني كان لا يكتسب صفة الشرعية أو الرسمية ، إلا إذا صدر مرسوم من الخليفة العباسي ببغداد بمباركته وتفويضه لحكم تلك الأقاليم نيابة عنه ، وبذلك يخضع له كل أفراد البيت الساماني فكلمة الفصل في أمر الحكم تصدر من بغداد ⁶.

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 210 .

² - حيث نqm عليه غلمانه كثرة مجالسته للعلماء ، أنظر (الترشيحي : المصدر السابق ، ص. 131 - 133 ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص. 147 .)
³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 254 - 258 ؛ إلا أن ابن الأثير كان قد أورد رواية مخالفة لما ذكره نظام الملك عن نهاية نصر بن أحمد ، حيث أورد بأنه مرض وطال مرضه الذي لازمه ثلاثة عشر شهرا فأقبل على العبادة و بنى له بيتا في القصر سماه بيت العبادة ، وكان يقبل عليه حافيا للصلاة فيه والتضرع إلى الله عزوجل و تجنب الآثام والمنكرات إلى أن مات و دفن بجانب والده ، و خلفه ابنه نوح ، من هذه الرواية نستشف بأن نصرا لم يعتنق مذهب الباطنية ولم يعزل من حكمه ، أنظر (المصدر السابق ، مج. 7 ، ص . 175 .) .

⁴ - أحمد معمور العسيري : موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ / 1996م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الدمام ، ط . 1 ، 1417 هـ / 1996م ، ص . 222 ؛ وقد اعتبر آشتياني إحسان عباس وهو شيعي المذهب أن السامانيون سنة متعصبين و طالما كان علماء السنة يستظهرون بهم عكس الشيعة والباطنية الذين سخطوا عليهم ذلك أنهم عانوا في عهدهم ، أنظر (المرجع السابق ، ص . 162 - 163 .) .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج. 8 ، ص. 3-4 ؛ آشتياني إحسان عباس : المرجع السابق ، ص. 161.

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي ... ، المرجع السابق ، ص. 221.

ثانيا - النظم الإدارية :

لقد بسطت الدولة السامانية سلطانها على أراضي شاسعة ، ولم يكن لهم أن يتمكنوا من فرض هيمنتهم على كل هذه المناطق ، لولا ذلك الجهاز الإداري الجيد التنظيم الحسن التنسيق والذي أتاح لهم ذلك ، كان على هرم السلطة في الدولة السامانية الأمير أما الهيئة التنفيذية فتكونت من جهازين أو مؤسستين هما قصر الحاكم الأعلى أو البلاط والدواوين الحكومية التي تسهر على تسيير أمور البلاد .

1- الأمير : لقد تربع على هرم السلطة في الدولة السامانية الأمير ، الذي كان بمثابة الحاكم المطلق للبلاد وصاحب الصلاحيات الواسعة ومصدر كل السلطات ، حتى أن أوامره كانت بمثابة القوانين الواجب تطبيقها¹ .

ومن وظائف الأمير العدل بين الرعية ، والحرص على إعطاء كل ذي حق حقه ، ومنع أصحاب النفوذ والقوة من التعدي على الرعية وظلمهم² ، ويرى " نظام الملك " أنه وحتى يتحقق هذا فيجب على الأمير أن يجلس بنفسه للمظالم ، يومين في الأسبوع للاستماع للمظلومين ومطالبهم ، والنظر في شكاويهم ثم الحكم لهم أو عليهم وهذا من شأنه أن ينشر العدل في الدولة حيث أن المظلومين الساعين لمن يُنصفهم ويُعيد لهم حقوقهم سيتشجعون للمثول بين يديه ، وبذلك تحف وطأة الظلم ويخاف أهله من عدل السلطان وعقابه³ ، وقد كان الأمير الساماني " إسماعيل بن أحمد " يجلس بنفسه للمظالم⁴ ، وقد وصفه نظام الملك بالعدل جدا ، ولقّب في حياته " بالأمير العادل "⁵ .

وقد اشتهر عديد الأمراء السامانيين بحسن السيرة والصلاح والعدل ، على غرار " أحمد بن إسماعيل " الذي سار سيرة أبيه في العدل والإنصاف بين الرعية⁶ ، وكذلك " نصر بن أحمد " الذي وصفه " النرشخي " بأنه كان أعدل من أبيه⁷ .

-Barthold : op . cit . p . 226 .

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص. 192 ؛

² - المصدر نفسه ، ص . 61 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي ،... ، ص. 221.

³ - سياسة نامة ، ص. 54.

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق، مج. 6 ، ص. 250.

⁵ - سياسة نامة : ص. 55.

⁶ - النرشخي : المصدر السابق ، ص. 131.

⁷ - المصدر نفسه ، ص. 134.

كما كان للأمير الساماني الحق في تعيين وعزل وترقية ، القادة العسكريين والموظفين من المدنيين في كل البلاد الخاضعة لحكمه ، وهذا يُعتبر دوره الرئيسي¹ ، إلا أن هذا كان في فترات قوة الدولة السامانية وقوة أمرائها أما في مراحل الضعف والتقهقر ، فإن الأمير نفسه كان يخضع لأهواء رجال القصر والبلاط وقادة الجيش والوزراء ، وحتى النساء خصوصا في ظل تولي صغار السن تسيير أمور الدولة السامانية² .

ومن وظائف الأمير أيضا الإشراف بنفسه على متابعة المشاريع والمنجزات الكبرى في البلاد ، مثل بناء المدن والحصون وتشييد القلاع والمباني الكبيرة والرباطات وبناء الجسور وشقّ القنوات ، كما عمل أيضا على تشجيع الزراعة والاهتمام بالريف³ . وقد كان يُعين الأمير مجموعة من الموظفين .

أ - المستشارون : تعتبر الشورى أمرا ضروريا في الإسلام ، ورغم ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم من علم ووحى ومعجزات وهبها له المولى عز وجل ، إلا أن الله تعالى أمره في محكم التنزيل بالشورى : " وشاورهم في الأمر ..."⁴ ، كما قال تعالى أيضا : " ...وأمرهم شورى بينهم ..."⁵ ، وهذا حتى يعلم كل الخلق أن لا غنى لهم عن الشورى .

واعتبر الوزير " نظام الملك " أن المشاورة في الأمور من قوة المرء وكمال عقله وتُبعد نظره ، فالناس تختلف في درجات العلم والذكاء واستبصار الأمور وفهم حقيقتها ، ونصح بوجوب مشاورة العلماء وكبار السن من أصحاب الخبرة في الحياة ، ومن كثرت رحلاته وأسفاره من الناس⁶ ، فإن هذا يؤدي في غالب الأحيان للوصول إلى الرأي الصواب والتدبير الحسن ، وقد كان " نصر بن أحمد " يجالس العلماء والعقلاء ويشاورهم ويستمع لنصائحهم ، ولم تنقض إلا سنة واحدة على حاله هذه حتى أصبح يُضرب به المثل في الحلم وكثرة العفو⁷ ، كما أن ابنه الأمير " نوح بن نصر " كان دائم الجلوس إلى العلماء والفقهاء واستشارتهم ، حتى أنه لا يقضي في أمر من أمور دولته دون الرجوع إليهم ، الأمر الذي ساهم كثيرا في استقامة أمور دولته⁸ .

1- Barthold : op . cit . p . 227 .

2- آشتياني : المرجع السابق ، ص.163.

3- عدوان : المرجع السابق ، ص.108 ؛

4- القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية 159.

5- سورة الشورى ، الآية 38.

6- نظام الملك : المصدر السابق ، ص.128-129.

7- عدوان : المرجع السابق ، ص . 114 .

8- نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 265 .

ولأن " منصور ابن نوح " لم يكن كثير الجلوس إلى العلماء والفقهاء ، فقد فسدت أوضاع الدولة السامانية على عهده ، وقوى نفوذ الباطنية في بلاده حتى أنهم أصبحوا يقتلون أهل السنة في عدد من مناطق دولته ، ولم يعلم هو بكل هذه المستجدات ، ذلك أن خاصته ومُقرّبيه كانوا يعتنقون مذهب الباطنية بدورهم دون علمه ، الأمر الذي دفع بأحد قضاة بخارى يدعى " أبا أحمد " لملاقاة " الأمير منصور " ، وأطلعه سرا على ما يدور في بلاده وبلغه رسالة في هذا الصدد من أئمة بخارى ، ولامه على عدم مجالستهم واستشارتهم في أمور الدولة ، وبذلك فقد أيقظه من سباته وغفلته ، فخرج وتصدى لهم ، وعرض الوزارة على هذا القاضي غير أنه رفضها ونصحه بتعيين " أبي علي البلعمي " فهو شخص كفؤ ومخلص للدولة ، فما كان من الأمير الساماني إلا أن استجاب له ¹.

وتتمثل مهمة المستشارين في نصيح الأمير وإعلامه بالحلال والحرام وحثه على إتباع الحق واجتناب الباطل ، ودفعه للالتزام بأوامر الشرع ونواهيه ، كما كانوا يتدارسون معه القرآن الكريم والحديث النبوي ² ، وسير الأمراء العدول حتى يتمكن من إصلاح أحوال الناس وذلك لأنه إذا توفرت في الأمير إلى جانب الملك حب العلم فقد حاز الخير الكثير ذلك أن أفضل القرارات تأتي بالعلم والشورى ، أما الأمير فكان يُجري الأرزاق للعلماء من بيت المال ويكرمهم فبهم وبعلمهم يصلح ملكه ³.

ويبلغ من إجلال السامانيين للعلماء أنهم كانوا يولونهم حتى مناصب الوزارة ، فوزير " نوح بن نصر " هو قاضي بخارى " أبو ذر " صاحب كتاب **المختصر الكافي** ، والذي لم يكن في زمانه أفقه منه ⁴ ، وكان " إسماعيل بن أحمد " ينهض من مجلسه إذا دخل عليه الفقهاء ⁵ ، وقد كان الأمراء السامانيون يكثرون من مجالسة العلماء وتكريمهم ، وكانت لهم مكانة خاصة في المجتمع الساماني ، حتى أنهم كانوا يستشيرونهم في اختيار العمال ⁶ فمستشارو الدولة السامانية في الغالب كانوا من الفقهاء والعلماء ، إضافة إلى كبار رجال الدولة من وزراء وقادة عسكريين إضافة إلى أصحاب الخبرة في مختلف مجالات الحياة .

ب - الندماء : ولأن الأمير بحاجة إلى أن يُرفه عن نفسه ، وينطلق على سجيته ، فقد اتخذ السامانيون الندماء حتى يطارحوهم ما يريدون دون عناء ، ومن فوائد النديم مؤانسة الأمير ، ونظرا لطول تواجده معه فإنه يكون

¹ - نظام الملك : المصدر نفسه ، ص 265 .

² - الذهبي : تاريخ الاسلام ... ، المصدر السابق ، ج 26 ، ص 119 - 120 .

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص 97-98 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص 221-222 .

⁴ - النرشحي : المصدر السابق ، ص 137 .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج 6 ، ص 255 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص 339 .

كذلك بمثابة المدافع عنه في حال وقوع خطر ما ، والنديم بإمكانه الهزل مع الأمير دون تكلف ، كما أن الأمير يتعرف من خلال له على أمور وخبايا لم تصله ولا يعلمها من سواه ، والنديم يكون حافظا للنوادر لاعبا للنرد والشطرنج ، يجيد الغناء واستعمال الآلات الموسيقية ، كما أنه يرافق الأمير في نزهاته ورحلاته للصيد وأوقات اللعب والميسر ، فهي أمور لا يمكن للأمير فعلها مع الوزراء وكبار رجال الدولة ، حتى لا يخسر هيئته معهم ووقت النديم مع الأمير محدد ، حتى يتفرغ الأمير لتسيير أمور الدولة .

وقد كان للأمراء السامانيين عشرين ندima ، كل له رتبته الخاصة ومقامه ، فقد خُصصت أماكن جلوس بعضهم وأماكن لوقوف البعض الآخر منهم في حضرة الأمير ، وكان لندماء الملك رواتب لعيشهم تصرفها لهم الدولة وكان بعض نداء أمراء " بني سامان " من الأطباء والمنجمين ¹ ، فالأطباء منهم تولوا كذلك مهمة الإشراف على طعام الأمراء وأمورهم الصحية ، أما المنجمون منهم فكانوا يخبرونهم عن طوابع السعد وأوقات النحس ² ، وقد يدفع النديم بالأمير إلى ارتكاب بعض الأخطاء ، مثلما حدث " لنصر بن أحمد " حينما زين له بعض المقربين منه وبعض الندماء الذين اعتنقوا مذهب الباطنية هذا المذهب ، فاعتنقه وكان سببا في إثارة فتنة أدت إلى اضطرابه التنازل على العرش ³ .

ج - حرس الأمير : ولأنَّ الأمراء والملوك لابد لهم من حرس ، يخدمونهم ويلازمونهم في حلهم وترحالهم ، فقد كانت تُراعى مجموعة من الشروط في الحرس الساماني منها ، حسن المظهر والشجاعة والتمرس في مختلف أنواع وأساليب القتال ، ويتم تسليحهم بأفضل أنواع الأسلحة وتنظيمهم بشكل جيد ، وكان يتولى مهمة الإشراف على كل خمسين فردا منهم نقيب ، يتولى إصدار الأوامر وإسناد المهام إليهم ، مع تسجيل أسمائهم باستمرار في الديوان أما رواتبهم فتجرى لهم بشكل دائم ، وقد جرت العادة في دول المشرق الإسلامي أن يكون للأمير ألف جندي من المشاة خاص به وبمحايتة تكون إقامتهم في القصر ⁴ ، فضلا عن مئتي فارس يطلق عليهم المفردون أو المختارون ⁵ ، ونظرا للدور الخطير الذي يقومون به فيجب الاحتياط من أمرهم احتياطا تاما ، والاستفسار عن

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص. 164 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص. 223.

² - الفقي : المرجع نفسه .

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص. 254 .

⁴ - نظام الملك : المصدر نفسه ، ص. 130 .

⁵ - المفردون مأخوذة من الفرد ومعناها الذي لا نظير له ، وهم حرس مستخصون للموكب وملازمة الدار .. أنظر (المصدر نفسه ، هامش ، ص .

أحوالهم سرا وعلانية بغرض التأكد من ولائهم وإخلاصهم ، وأثناء القيام بمهمة حراسة أبواب القصر ليلا كان يتولى الإشراف عليهم مشرف ، خوفا من أن يتمكن الأعداء من شراء ذممهم¹.

وأي إهمال في أمر هؤلاء أو من هؤلاء ، من شأنه أن يؤدي إلى نتائج كارثية مثلما حدث عندما شُغل الحرس وجميع خاصة الأمير " أحمد بن إسماعيل " عن ربط الأسد² ، على باب البيت الذي ينام فيه ، فتمكن جماعة من الغلمان من قتله يوم الخميس 11 جمادى الثانية 301هـ / 913 م³.

وكان حرس الأمير في الدولة السامانية يتكون من العبيد وأغلبهم من الأتراك ، الذين يشترون لهذا الغرض⁴ والمشراف الأول على كل هؤلاء الحرس سواء المشاة منهم أو الفرسان هو " أمير الحرس " ، الذي إلى جانب مهمته الأساسية ألا وهي حماية الأمير فإنه كان يشارك في الأعمال الحربية عند الضرورة⁵.

إلى جانب الأمير وحاشيته فقد تشكل الجهاز الإداري للدولة السامانية ، من جهازين أو مؤسستين ، هما قصر الحاكم الأعلى أو البلاط⁶ وثانيهما هو الدواوين الحكومية⁷.

2- البلاط : يتواجد على رأس هرم السلطة فيه ، "كبير الحجاب " "حاجب سالار " "حاجب بوزورغ" ، الذي يُعتبر المسؤول الأول على كافة رجال البلاط ، والمدير الأساسي لأموار الأمير وأسرته ، وبالأخص إذا كان الأمير الساماني حديث السن عاجزا عن تولي أموره بنفسه ، لذلك يتولى رعايته وينوب عنه في تسيير أمور الدولة والحفاظ عليها⁸ ، ولا يتولى أحد هذا المنصب إلا بعد أن يمر بمراحل طويلة في خدمة البيت الساماني ، بحيث

¹ - نظام الملك : المصدر نفسه ، ص. 164 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص. 223.

² - كان من عادة حرس الأمير " أحمد بن إسماعيل " ، كل ليلة ربط أسد على باب البيت الذي ينام فيه ، فإذا حاول شخص ما الدخول إليه ، يهاجمه ذلك الأسد ، لكن في تلك الليلة نسي الخدم ربط الأسد على الباب، كما لم يقيم الحراس بدورهم في تلك الليلة ، فاستغل بعض الغلمان هذه الفرصة وقاموا بقتله ، ولقب بالأمير الشهيد ، واتهم كاتبه نصر بن اسحاق بالضلوع في عملية القتل هذه فأعدم ، و ألقى القبض على بعض أولئك الغلمان وتم قتلهم ، في حين فر البعض الآخر منهم إلى تركستان . (أنظر النرشخي : المصدر السابق ، ص. 131-132 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص. 212).

³ - النرشخي : المصدر السابق ، ص. 131-132 .

⁴ - Barthold : op . cit . p . 227 .

⁵ - عدوان : المرجع السابق ، ص. 109

⁶ - ويعرف أيضا بالدارغاخ أنظر، (بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : العرب والإسلام في أوزباكستان ، تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1999 م ، ص. 101).

⁷ - المرجع نفسه ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص. 163 ؛ Barthold : op . cit . p . 227 .

⁸ - آشتياني : المرجع نفسه ، ص. 163-164 ، بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص. 102.

يثبت صدق ولائه لهذا البيت¹، والحاجب هي أعلى رتبة قد يصل إليها الغلام التركي في جهاز الدولة السامانية، ومن أبرز من تولى هذا المنصب من الأتراك "ألبتكين" الذي كان حاجب الحجاب في عهد الأمير "عبد الملك بن نوح"، حيث ارتفع شأنه إلى درجة أن الوزير كان يأتمر بأمره ويلتزم بتنفيذ أوامره وتعليماته، كما أن رأي كبير الحجاب كان جد مهم في اختيار أمير للبلاد، إذا لم يحدد الأمير المتوفي وليا للعهد، وقد حدث أنه لما توفي "عبد الملك بن نوح" أن أشار "ألبتكين"، بتولية أمور البلاد للأمير شاب ذو خبرة في الحياة، وعارض بذلك تولي "منصور بن عبد الملك" الإمارة لحدثة سنه، وهذا ما أدى فيما بعد إلى الصراع بين الطرفين الأمر الذي دفع "ألبتكين" إلى الفرار نحو غزنة².

ويأتي في هرم السلطة بعد كبير الحجاب، منصب **صاحب الحرس** أو أمير الحرس أو قائد حرس البلاط، وهذا المنصب تقليدا لما كان موجودا عند الأمويين والعباسيين، مهمته الأولى تنفيذ أوامر الأمير - الحاكم -، وعن مهامه في الدولة قال نظام الملك: "كان منصب أمير الحرس دائما من أهم المناصب بعد منصب الأمير والحاجب الكبير... ذلك أن لمنصبه علاقة بالتنكيل حتى أن الناس كانوا يهابونه أكثر مما يهابون السلطان".³ ويروي كذلك نقلا عن الخليفة "المأمون" أنه قال: "...لي أميرا حرس، وكلاهما لا شأن له منذ الفجر حتى الليل سوى قطع الرؤوس والأيدي والأرجل والضرب بالهراوات والزج في السجون". فوظيفته بالدرجة الأولى هي إنزال العقاب بمن يستحقه بلا رحمة⁴.

ولمساعدة أمير الحرس فقد كان تحت إمرته خمسين رجلا من أقوى الرجال، مسلحين بأجود أنواع الأسلحة وأحدثها، وإذا صدر من أمير الحرس أي خطأ أو تقاعس في أداء مهمة ما فيتم تغييره⁵.

أما المكلف بالشؤون الاقتصادية للدارغاخ فكان يُعرف **بالوكيل الخاص**، ويُختار من عليّة القوم وأشرفهم بحيث يكون أمينا محترما وثقة، ذلك أن مهمته مسؤولية الإشراف بالدرجة الأولى، على توفير حاجيات الملك في مختلف القصور بدءا من المؤن لمطبخ الأمير وحاشيته وأهل قصره، وكل ما يحتاجه أولاده والحشم من أغراض ولوازم

¹ - عدوان : المرجع السابق ، ص.109.

² - نظام الملك : المصدر السابق ، ص.146-149؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص.232؛ وسأنتظر أكثر إلى هذه القضية في مبحث العلاقات السياسية بين السامانيين والأتراك الغزنويين والقراخانيين .

³ - المصدر نفسه .

⁴ - بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص.103؛

-Barthold : op . cit . p . 228 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 214 .

على اختلافها، كما يوفر حاجيات الخدم ، والأعلاف ولوازم الإسطبل الملكي ، وكان لزاما عليه أن يكون دائم الاستعداد لإطلاع الأمير على كيفية تصريف الأموال ، حيث أنه مُعرّض للمسائلة والمكوث بين يديه في أي وقت يستدعيه فيه ، فكما يمكن أن يطلبه الأمير مرة في الشهر فقد يستدعيه كذلك يوميا ، ولذلك فعليه القيام بأعماله وحساباته بمنتهى الدقة والنظام ¹ ، وله وظائف أخرى داخل القصر إضافة إلى ما سبق ، فهو بمثابة عين الأمير وأذنه في القصر ، حيث ينقل مختلف الأخبار التي يراها مهمة وعاجلة للأمير ، حتى يتمكن من التصرف واتخاذ الإجراءات اللازمة في وقتها حتى يتمكن من ضبط الأمور ² .

أما المنصب الرفيع التالي ، هو منصب خوجائي بوزورغ أو السيد الكبير ، وهو المسؤول عن كافة الموظفين من الرجال المتواجدين بالقصر ³ .

كما وُجد أيضا في البلاط الساماني عدد كبير من صغار الموظفين من خدم و بوابين وفراشين ووطباخين ...، وكان أغلب هؤلاء الموظفين البسطاء من العبيد والمماليك ⁴ ، ويرى " نظام الملك " أنه ولكي يتقن هؤلاء الموظفين أعمالهم ويقبلون عليها بجد ، يجب مكافئة الخدم الذين يتقنون ويحسنون أداء أعمالهم ، ولا يقصرون فيها كما يجب معاقبة المهملين لأعمالهم ، كل على قدر الجرم الذي اقترفه ، فإن كان التقصير يحتاج إلا عقاب فيجب القيام به لفرض الانضباط ⁵ .

3- الديوان :

أما عن تنظيم أمور الدولة وإدارة شؤونها ، فإنه كان يعتمد على عدد كبير من الدواوين بلغ عددها حسب " بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف " وأيضا " بارتولد " عشرة دواوين ، كل ديوان منها مختص بإدارة شأن معين من شؤون الدولة ⁶ .

وقد كانت هذه الدواوين في الغالب تقع في مبنى واحد ، بحيث يجعل لصاحب كل ديوان مكان خاص به ، يدير منه أعماله ويكون قريبا من مركز إقامة الأمير ¹ ، ففي بخارى كانت قلعة " أرك " مقر للملوك والأمراء والقادة

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص.173.، بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص. 103 .

² - المرجع نفسه . ، الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص.223.

³ - بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص.103.

⁴ - نفسه ، نظام الملك : المصدر السابق ، ص.168.

⁵ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 168.

⁶ - بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص.103؛
- Barthold : op . cit . p . 229 .

كما كان يوجد بها السجن ودواوين الدولة المركزية العشرة والقصر الملكي وبيت الحرم والخزانة² ، وكان الأمير "نصر بن أحمد" قد أمر خلال فترة حكمه ، ببنائها³.

أما المسؤول الأول على كل هذه الدواوين ، التي تسهر على تنظيم شؤون الدولة فكان هو الوزير أو السيد الكبير خواجه برزك⁴.

وقد جعل "نظام الملك" مجموعة من الشروط الواجب توافرها في الوزراء ، منها حسن الاعتقاد بحيث لا يكون من أصحاب المذاهب الخبيثة ، وحذا لو يكون شافعي أو حنفي المذهب ، وأن يكون أهلا للمسؤولية يحسن المعاملة و التدبير مخلصا للملك ، ومن الأحسن - حسب رأيه - أن يكون الوزير من صلب الوزير مثلما جرت عليه العادة عند ملوك العجم⁵.

وقد برز في الدولة السامانية عدد كبير من الوزراء المحنكين ، الذين قدموا خدمات جليلة لها ، منهم "أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني"⁶ ، الذي شغل منصب الوزارة خلال فترة حكم "أحمد بن إسماعيل" وابنه "نصر" من بعده ، والذي تولى الإمارة وهو ابن ثمان سنين وبفضل جهود هذا الوزير الذي أحسن إدارة أمور الدولة وشؤون الحكم ، استقرت أوضاع الدولة وصفا الجو "لنصر بن أحمد" ، وتصفى مصادر أنّ هذا الوزير كان عالما شديدا الذكاء بصيرا بخبايا الأمور ، وله مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم ، ومن الأعمال التي قام بها وفيها دليل على مدى رجاحة عقله ، هو أنه كتب رسائل إلى ممالك زمانه من الروم والتركمان والهندوستان والصين والعراق والسند والعرب وغيرها ، فاستنسخوا له جميع الدواوين والبلاطات ، فدرسها كلها وأخذ عنها ما هو حسن ، وأمر باستعمالها في بلاط ودواوين بخارى ، وبذلك انتظمت أمور الدولة السامانية بحسن رأيه وتدبيره وإخلاصه كما كان له دور كبير في القضاء على القلاقل التي ظهرت إبان حكم "نصر بن أحمد"⁷.

¹ - عدوان: المرجع السابق ، ص.190.

² - الترشيحي: المصدر السابق ، ص.44؛ الثامري: المرجع السابق ، ص. 25 .

³ - عدوان : المرجع السابق ، ص.110.

⁴ - عدوان : المرجع نفسه ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص. 164 ؛ Barthold : op . cit . p . 229 .

⁵ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص.210-211.

⁶ - يقول آشتياني احسان عباس أن الجيهاني كان زنديقا ، إذ أنه كان يتبع المانوية باطنا ولا يظهرها .أنظر (المرجع السابق ، ص.165).

⁷ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص.212-213. ، الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص.222.

ومن مؤلفات " الجيهاني " كتاب في الجغرافيا ووصف البلدان والطرق وعقائد الأمم ، المسمى بالمسالك والممالك وهذا المؤلف ضاع ولم يصلنا ¹ ، وفي إمارة " نوح بن نصر " ، إستوزر على أمور دولته " أبي الفضل محمد بن محمد الحاكم " ، والذي اشتهر بلقب الحاكم الجليل ، ومن بين التقاليد التي أرساها في الدولة السامانية معاش الرعية - عشيرنية الحشم - وأعطى الحاكم رواتب كبيرة للعاملين في ديوان الدولة والقصر ، مما أدى إلى وقوع عجز في الميزانية نتج عنه عدم دفع رواتب الجند ، لذلك قاموا باغتياله سنة 335هـ / 946م ² .

كما تولى منصب الوزارة لنوح أيضا قاضي بخارى أبو ذر ، والذي قال عنه " النرشخي " أنه لم يكن ببخارى أفقه منه في زمانه ³ . ومن الوزراء السامانيين أيضا " أبو الحسن العتيبي " ، الذي تمكن من إدارة الدولة بعدل مما أدى إلى استقرار أوضاعها ، كما تصدى لغارات البويهيين والزياريين ، وأفشل بعض أطماع القادة العسكريين من أمثال فائق وأبي سيمحور الأمر الذي دفعهم للتخلص منه ⁴ .

ويُعتبر العتيبي من أشهر الوزراء السامانيين ، وقد تولى الوزارة في إمارة " منصور بن نوح " (350-366هـ / 961-976م) ، وهو من قام بترجمة كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري من العربية الى الفارسية ، وقد اعتبر بعمله هذا واضع حجر الأساس لعلم التاريخ عند الفرس ⁵ .

كما تعرض بعض الوزراء للعزل من قبل الحجاب وقادة الجيوش ، مثلما حدث في إمارة " عبد الملك بن نوح " أين عُزل وزيره " محمد بن عزيز " دون إذن منه ، وتم سجنه حيث قضى بقية أيام عمره وتم تعيين " أبا جعفر محمد " بدلا عنه ⁶ .

فأغلب وزراء الدولة السامانية كانوا على قدر كبير من العقل والكفاءة ، مما ساهم في تسيير أمور البلاد بطريقة حسنة ، بحيث بسطوا هيمنتهم على مجريات الأمور ، في حين أن البعض الآخر من الوزراء لم يتمكنوا من فرض أنفسهم بسبب الأوضاع المتردية إبان فترة وزارتهم ، وانتهى أمرهم إما إلى العزل أو السجن وحتى القتل أحيانا مثلما حدث " لمحمد الحاكم " الذي عجز عن دفع مرتبات الجند ، كما تم التخلص من الوزير " أبو الحسن

¹ - بروكلمان : المرجع السابق ، ص . 265 . ' آشتياني : المرجع السابق ، ص . 165 .

² - الكرديزي : المصدر السابق ، ص. 217-218 . ، الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص. 226 .

³ - النرشخي : المصدر السابق ، ص. 137 .

⁴ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص. 226 .

⁵ - بروكلمان : المرجع السابق ، ص. 264 .

⁶ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص. 223-224 .

العتبي " ، لأنه كان حجر عثرة في وجه أطماع القائدين العسكريين فائق وأبي سيمجور ، وتم سجن " محمد بن عزيز " حتى وفاته ¹ .

إذن فالوزير بحكم منصبه كان لديه العديد من الصلاحيات والسلطات ، في تسيير الدولة وتدير أمور الملك تصل إلى حد الحق في انتخاب الأمير ، في حالة عدم وجود ولي للعهد وكان يشاركه في اتخاذ هذا الرأي قادة الجيش ، الذين تجاوزوا صلاحياتهم في بعض الأحيان وهذا ما أدخل الدولة عديد المرات ، في اضطرابات وقلقل وجرحها إلى موجات عنف ، وأكثر ما أزم العلاقة بين الوزراء وقادة الجيش هو التأخر في دفع رواتب الجند الذي دفع أحيانا بعض الوزراء حياتهم ثمنا له ² .

4- الجهاز الإداري :

أما الجهاز الإداري الذي كان تحت إمرة الوزير ، فقد ضم عددا كبيرا من الدواوين أبرزها :

1- **ديوان الوزير:** ويتولى الإشراف على جميع موظفي الدولة ، وقد توارث أفراد من نفس الأسرة هذا المنصب على عهد السامانيين على غرار " آل العتبي " و " آل الجيهاني " و " آل البلعمي " ، غير أن هذا التوارث لم يكن بطريقة يخلف فيها الابن أباه مباشرة ، فالأسرة التي تخرج منها الوزارة لا تعود لها إلا بعد مرور سنوات ³ .

2- **ديوان المستوفي :** ويقوم عماله بإدارة أموال خزانة الدولة ⁴ ، وعمل موظفي هذا الديوان الأساسي ، هو تدقيق الحسابات في مداخيل الدولة ومختلف وجوه الصرف والإنفاق ⁵ .

3- **ديوان عميد الملك :** يعرف أيضا بديوان عماد الدولة ، يهتم بعلاقات الدولة الخارجية مع مختلف الدول والإمارات والأقاليم ، ويذكر " بارتولد " أن المقصود به في العهد الساماني هو ديوان الرسائل ، أو ديوان الإنشاء ⁶ .

4- **ديوان صاحب الشرطة :** أو قائد الحرس الأميري ¹ ، مهمته ضبط النظام وحفظ الأمن في العاصمة ومختلف ربوع البلاد .

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص 226.

² - آشتياني احسان عباس : المرجع السابق ، ص . 164 - 165 .

³ - Barthold : op . cit . p . 229 .

⁴ - idem .

⁴ - بورتيوي أحمدوف و زاهد الله مونوروف : المرجع السابق ، ص . 104 ؛

⁵ - قدامة بن جعفر الكاتب : الدواوين من كتاب الخراج و صناعة الكتابة ، تحقيق مصطفى الحياوي ، نشر بدعم الجامعة الأردنية ، 1986 ، ص 30.

⁶ - Barthold : op . cit . p . 230.

5- ديوان صاحب البريد : أو مؤسسة المواصلات ² ، والمكلف بهذا الديوان يجب أن يكون ثقة متحفظا ، ذلك انه يتولى أمر استقبال الكتب الواردة من مختلف نواحي الدولة ليعرضها على الأمير ، وإرسال الرسائل إلى أصحابها وكان لصاحب البريد علاقة مع الجواسيس الذين ييتمهم الأمير في مختلف الولايات والأقاليم ، في هيئة تجار وسياح و دراويش ، حيث أنهم ينقلون إليه أخبار هذه المناطق وهو بدوره ينقلها إلى الأمير ³ ، وعماله يتولون تحرير وثائق التولية والعقود والرسائل الرسمية والسياسية ، وقبل أن يصبح الجيهاني وزيرا بالدولة السامانية ، كان يشغل منصب رئيس لهذا الديوان ، وقد أهله كفاءته إلى منصب الوزارة ⁴ ، وكان عماله كذلك يبعثون بتقارير دقيقة من مختلف الأقاليم مباشرة للأمير ⁵ .

6- ديوان المشرف : أو الديوان الأميري ، من مهامه معرفة كل ما يجري من أحداث في قصر الحاكم الأعلى وإطلاع الأمير عليها عند الضرورة ⁶ ، وبواسطته يكون " نوح بن نصر " قد علم بالمؤامرة الانقلابية التي تحاك ضد والده وبذلك تمكن من إفشالها ⁷ ، وكان المسئول عنه يبث نوابه في مختلف المدن كذلك لرصد المعلومات ، ويتولى أيضا مهمة مراقبة صرف الأموال على بلاط الأمير ⁸ .

7- ديوان الضياع : يشرف على إدارة أملاك وضياع الأمراء وعقاراتهم ⁹ ، وما يُصرف على هذه الممتلكات من نفقات ¹⁰ .

8- ديوان المحتسب : عمله مراقبة وفرض النظام في الطرق والأماكن العامة ¹¹ ، كالأسواق ومحاربة الغش والفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وللمحتسب صلاحيات واسعة حتى أن الأمراء والولاة لا يتدخلون

1- Barthold : idem p . 229.

2- بوريوي أحمدوف و زاهد الله مونوروف : المرجع السابق ، ص. 104 .

3- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 245 .

4- المرجع نفسه ، ص. 248-249 .

5- Barthold : op . cit . p . 231.

6- barthold : idem ,p.229 .

6- بوريوي أحمدوف و زاهد الله مونوروف : المرجع السابق ، ص. 104 ؛

7- نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 256-257 .

8- Barthold : op . cit . p . 231 .

9- بوريوي أحمدوف زاهد الله مونوروف : المرجع السابق ، ص. 104

10- قدامة بن جعفر : المصدر السابق ، ص . 26 .

11- بوريوي أحمدوف و زاهد الله مونوروف : المرجع السابق ، ص. 104 .

في عمله¹ ، وقد كان السامانيون يعهدون بهذا المنصب لأحد خواصهم من الأتراك ، كما تولى هذا المنصب على عهدهم كذلك بعض رجال العلم².

9- **ديوان الأوقاف** : يتولى الإشراف على الممتلكات والعقارات الوقفية³ ، وقد تم إلغاء ديوان الأوقاف الذي وُجد على عهد السامانيين فيما بعد ، حيث أصبح أمر الأوقاف من مهام القاضي⁴.

10- **ديوان القضاء**⁵ : مهمته العمل على إحقاق الحق وإبطال الباطل فهو المحكمة العليا ، ويتولى أمر الفصل في النزاعات بين المتخاصمين القاضي ، الذي يجب أن تتوفر فيه عديد الشروط ، فيجب أن يكون عالما ورعا ويجب على الدولة أن تُقرر له أجرا كبيرا حتى لا يئد يده إلى الحرام⁶ ، وكان الوزير " أبو ذر " قاضيا على بخارى قبل أن تتم ترقيته لمنصب الوزير في عهد " نوح بن نصر " ⁷ ، كما كان الأمراء السامانيون أنفسهم يجلسون للنظر في مظالم العامة وحاجاتهم ، والفصل بين المتخاصمين⁸ ، الأمر الذي أدى لانتشار العدل بالأراضي السامانية . وفي الحقيقة ليست هذه كل الدواوين السامانية ، بل كانت هناك مجموعة أخرى مثل ديوان الخراج ، وديوان العارض الذي يختص بشؤون الجيش وتغطية نفقاته العسكرية ، ورواتب الجند وأسلحتهم وحيولهم وملابسهم فضلا عن توفير الخرائط والمؤن ، ومن الذين تولوا أمر هذا الديوان " بكر بن مالك " ، والذي شغل كذلك منصب قائد الجيش الساماني في عهد " عبد الملك بن نوح " ، وغيرها من الدواوين⁹.

5- نظام الحكم في الولايات السامانية :

كانت الدولة السامانية كغيرها من دول المشرق الإسلامي ، مقسمة إلى ولايات على رأس كل منها وال مسؤول عن تسيير أمورها الإدارية والمالية ، وحفظ أمنها واستقرارها والتصدي لأي خطر خارجي يتهدها ، يعينه في أداء مهامه مجموعة من الموظفين منهم صاحب الشرطة والمكلف بالبريد وموظف مهمته جباية الخراج ، يعرف

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 244 .

² - Barthold : op . cit . p . 231.

³ - بوربيوي أحمدوف و زاهد الله مونوروف : المرجع السابق ، ص . 104 .

⁴ - Barthold : op . cit . p . 232 .

⁵ - idem . p . 229.

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 243 - 244 .

⁷ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 137 .

⁸ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 61؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 255 .

⁹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 248-249 .

باسم " البندار " إضافة إلى صاحب الجند والمكلف بالضيايع السلطانية ، وبواسطة الأموال التي يقوم بجبايتها يعمل الوالي على تطوير ولايته ، أما ما زاد عن الحاجة من هذه الأموال فيُرسَل إلى خزانة الدولة ¹.

وقد أولى الأمراء السامانيون أهمية بالغة لقضية اختيار الولاة الأكفاء ، وكان الأمير يتولى مهمة تعيينهم واختيارهم بنفسه ²، ويُشترط أن تتوفر في الولاة مجموعة من الخصال ، منها حسن السيرة والعدل في الأحكام والرفق بالرعية وأن يحرص الوالي على متابعة عماله ، حتى لا يستولوا على أموال الناس بالباطل بحكم مناصبهم وصلاحياتهم ويجب أن يُلزم الوالي عماله بمراعاة ظروف الرعية وأخذها بعين الاعتبار ³، كما أن الأمير يوصي الوالي بالحرص على التثبت من أمانة القاضي والمحتسب وبقية العمال ، حتى يطمئن على أحوال الرعية ⁴.

وكانت المراسيم تقضي على أنه في أعقاب تعيين الأمير للوالي ، يقوم هذا الأخير بأداء قسم الولاء والطاعة للأمير والتعهد بالإخلاص للدولة ، أمام مجموعة من الشهود فيهم الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة ، ويذكره الأمير بواجباته ثم يمنحه خلعة الولاية ، وهي مكونة من عمامة وحلّة مطرزة ومجموعة من الأثواب ، تميزه عن غيره ويتميز بها عنهم ⁵.

وكان حكام الولايات السامانية على نوعين ، ففي بعض الولايات ، السلطة تكون بيد بعض رجال البيت الساماني مثلما حدث لما كان الأمير " إسماعيل " واليا على بخارى في إمارة أخيه " نصر بن أحمد " ⁶ ، كما كانت سلطة بعض الولايات بيد كبار القادة العسكريين (يعرفون باسم سيناخ سيلار) ⁷ ، الذي قد يكون غلاما من أنجب الغلمان ، ولا يتولى الولاية إلا بعد بلوغ سن السابعة والثلاثين ⁸، ومن أمثلة هذا النوع " ألبتكين " والذي تولى إمارة حكومة خراسان سنة 349 هـ / 960م ⁹.

¹ - المرجع نفسه ، ص . 235.

² -

-Barthold : op . cit . p . 232

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 62 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 235.

⁴ - المصدر نفسه ، ص . 69 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 236 .

⁶ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 146 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 254 .

⁷ - بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 104 .

⁸ - المرجع نفسه ، ص . 102 - 103 .

⁹ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 169 .

ولأنّ التفوذ الساماني امتد إلى بلاد شاسعة مترامية الأطراف ، فإن هذا النوع من الإدارة وهذا النظام ، كان صعب التطبيق بشكل موحد في كل ولايات وأقاليم الدولة ، حيث إنه إقتصر تقريبا على مناطق بلاد ما وراء النهر وخراسان والتي لم تخرج من حكم دولتهم حتى زوالها وسبب ذلك أن بعض المناطق كانت خاضعة ولمدة طويلة لحكم أسر محلية عريقة ¹ ، ولذلك فقد تفرّدت أقاليم الصغانيين والجوزجانان وحوارزم وجرجان وسجستان وغزنة بأساليب إدارية خاصة بها ، تختلف عن بقية أقاليم الدولة ² . فمثلا بلخ كانت تحت حكم أسرة " آل داوود " والجوزجانان حكمها " آل فريخون " ³ ، كما خضعت منطقة سجستان " للصغاريين " ⁴ .

فالأمراء المحليون لهذه المناطق كانوا تقريبا شبه مستقلين عن السامانيين ، الذين لم يُعارضوا هذا الأمر ولم يدخلوا معهم في صراعات ، لأن هذه الأسر والزعامات المحلية كانت ملتزمة بأداء ما عليها من واجبات تجاه الدولة ومُحافظة على ولائها وطاعتها للأمير الساماني ⁵ .

كما تم تقسيم كل ولاية إلى عدد من المدن ، والتي تكون بمثابة مناطق إدارية صغيرة ، على رأس كل منها حاكم ⁶ يُعرف باسم " رئيس المدينة " ، وهو بمثابة الشخصية الإدارية العليا في المدينة مهمته تنفيذ أوامر الملك ، كما يتولى مسؤولية الإشراف على كل الموظفين بالمدينة والذين كانوا يأترون بأمره ، ولم يكن بإمكانهم اعتزال مناصبهم والاعتذار عن مواصلة العمل ، إلا بعد رفع طلب إلى الحاكم أو " رئيس المدينة " ⁷ ، الذي يخضع بدوره إلى أوامر " الوالي " الخاضع " للأمير " ، وقد يحدث وأن يخلف الابن أباه في هذا المنصب ⁸ ، وكان يُساعد الرئيس في إدارة المدينة والنواحي التابعة لها مجموعة من الموظفين منهم :

¹ - عدوان : المرجع السابق ، ص.110 ؛ بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 104 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص.166.

² - آشتياني : المرجع السابق ، ص.166 ؛ Barthold : op . cit . p . 232.

³ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 337 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص.110.

⁴ - وجد الأمير نصر ذات يوم شابا وسيما يعمل في الطين ، وكان نور العظمة يسطع من وجهه فسأله عن اسمه وأصله وأعطاه عهد الأمان ، فقال إسمي أحمد ومن نسل بني الليث فرق الأمير لحاله و لاطفه ووهبه مالا ، وزوجه بإمرأة من أقربائه ، و بعثه أميرا على سجستان ، و التي بقيت تحت حكم نسله . أنظر(القزويني: المصدر السابق ، ص.149 ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص . 337 .) .

⁵ - آشتياني : المرجع السابق ، ص.166.

⁶ - بوربيوي أحمدوف و زاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 104 .

⁷ عدوان : المرجع السابق ، ص.110؛ Barthold : op . cit . p . 232 .

⁸ - idem , p . 235.

الشحنة : وهو موظف تحت إمرته مجموعة من الجند ، يتولى مهام حماية المدينة ونواحيها من أي خطر خارجي يتهدها .

صاحب الشرطة : مهمته ضبط الأمن داخل المدينة ¹ .

أما العلماء والفقهاء فقد كان يتم تعيينهم في مختلف المناصب الدينية ، على غرار سلك القضاء ، أو كمفتين أو خطباء في المساجد ، وكان قولهم محترما ومطاعا لدى الأمراء والرعية على السواء ، حيث أنهم كانوا يحظون باحترام الجميع ² .

هذا وكان كبار رجال الدولة والعمال والموظفون في مختلف القطاعات ، يخضعون لرقابة شديدة فهم ليسوا معفيين من المسائلة ، ذلك أن بعض الأمراء السامانيين على غرار " إسماعيل بن أحمد " ، كان يجلس بنفسه للاستماع للمظالم والفصل بين المتخاصمين في القصر ³ ، وفي أيام البرد وتساقط الثلوج بكثرة ، فإنه كان يخرج إلى الميدان ممتطيا جواده ، ويمكث به حتى وقت صلاة الظهر ، في انتظار أي مُتظلم حتى يقضي له حاجته ويردّ له حقوقه وكان يقول : " ...رب متظلم لا سكن له ولا نفقات يرغب في المجيء إلى القصر في حاجة له ، لكنه لا يستطيع الوصول إلينا بسبب البرد و الثلج ، فيثني عن المجيء ويبقى حيث هو...أما إذا علم بوقوفنا هنا فسيجيء لا محالة ، فتقضى له حاجته ويعود بالسلامة . " ⁴ .

وقد انتهى إلى مسمعه في إحدى المرات أن جُباة الخراج في الري ، يستعملون موازين ثقيلة وزائفة ، فبعث برسول من فوره ، لوقف هذا الجابي عن عمله وغلق إدارته ، وأمر بجلب الموازين إلى بخارى حتى تُقَوَّم و تُرمى الزائفة منها ⁵ .

إنّ هذه التصرفات من قبل كثير من الأمراء السامانيين ، أجبرت العمال في مختلف الأقاليم على التزام حدود الشرع ، وعدم التعدي على الحُرُمات وتجنُّب الظلم ، ومحاولة إرساء العدل بين الرعية ، خوفا من أن ترفع ضدهم

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 236-237.

² - عدوان : المرجع السابق ، ص.110؛

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج.6، ص.255.

⁴ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص.61.

⁵ - فاميري أرمنيوس : المرجع السابق ، ص.108.

قضايا لدى الأمراء السامانيين ، ومرد هذا الخوف هو علمهم بأنهم معاقبون لا محالة في حالة حدوث هذا وبالأخص خلال فترات حكم بعض الأمراء العدول على غرار " إسماعيل " وابنه " أحمد " .

6- الجيش الساماني :

عُرف عن السامانيين الاعتماد الكبير على الأتراك في أمور دولتهم ، حيث حظي هذا العنصر بمكانة هامة وعلا شأن الأتراك في الدولة السامانية ، حيث تولوا عديد المناصب المدنية والعسكرية الرفيعة في الدولة ¹ .

وقد شكّل المماليك الأتراك قوام الجيش بالدولة السامانية ² ، على الرغم من كونها دولة فارسية الأصل ، وقد طغى هذا العنصر على باقي العناصر بجيش الدولة بالأخص بدءا من سنة 300 هـ / 912 م ، حتى اعتبر البعض الاعتماد على هذا العنصر من الخصائص التي ميزت تاريخ الدولة السامانية ³ .

وكان يتولى الإشراف على تربيتهم وتدريبهم أمراء الدولة أنفسهم ⁴ ، حتى أن الأمير " نصر الثاني بن أحمد " خاطب أمراء دولته موصيا إياهم قائلا : " اتخذوا المماليك وأحسنوا تربيتهم ، فهم أولاد يريدون حياة والدهم ... ويجب الرفق بهم والإحسان إليهم والتوسعة في نفقتهم ... " ⁵ ، وهذا ما ذهب إليه " نظام الملك " حينما اعتبر بأن العبد الواحد المطواع أفضل من ثلاثئة ولد لأن الأبناء ييغون موت الأب والعبد ينشد عزه ، فهو في هذه الحال أفضل من الإبن من ناحية الولاء والحب لسيده ⁶ .

ونظرا للاعتماد الكبير للسامانيين على العنصر التركي في الجيش وفي تسيير أمور الدولة ، فقد وضعوا لهم نظاما دقيقا يتدرج عليه الغلام وفقا لخدماته وكفائته ، أوضحه لنا نظام الملك حيث قال : " فهم حينما يشترون الغلام يضعونه في خدمة الركاب العالي راجلا بقاء زندنجي ⁷ و موزج ¹ سنة كاملة لا يسمح له فيها بركوب الخيل سرا

¹ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : بلاد الهند في العصر الإسلامي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1980 ، ص . 13 .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 .

³ - العبادي أحمد مختار : قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م ، ص . 22 - 23 ؛ ماجد عبد المنعم : الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية (567 - 648 هـ / 1171 - 1250 م) ، دار الفكر العربي القاهرة ، مصر ، ط . 2 ، 1418 هـ / 1997 م ، ص . 25 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 .

⁵ - العبادي : المرجع السابق ، ص . 23 .

⁶ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 155 .

⁷ - نسبة إلى مدينة زندنة الواقعة شمال بخارى ، تنسب إليها هذه الثياب فيقال الثياب زندنجية ، أنظر (الحموي : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 154 ؛ ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص . 506) .

وعلانية ، وإذا ما فعل يعاقب ، وحين تنقضي سنة يكلم رئيس عنبره الحاجب في أمره ، فيخبر الحاجب الملك فيأمر له حينئذ بمهر تركي بسرج غير مدبوغ و لحام جلدي عادي ، و بعد خدمة سنة بمهر وسوط فقط ، يعطى في الثالثة سيفاً معقوفاً يشده على وسطه ، ويعطى في الرابعة جعبة وكنانة سهام يرتديهما عندما يمتطي جواده أما في الخامسة ، فيعطى سرجاً أحسن ولحاماً مكوكباً وقباء ودبوساً ، وفي السادسة يولى السقاية ويؤكل بالماء .. وفي السابعة يؤكل باللباس وفي الثامنة يعطى خيمة بعمود واحد في ستة عشر وتدا ، ويضاف إلى فوجه ثلاثة غلمان ممن اشتروا حديثاً ، ويلبس قلنسوة لباد سوداء محلاة بخيوط فضية وقباء جنزياً² ، هكذا يضل يزداد في ألبسته وآلاته وعدد أفرادهم ومقامه سنوياً إلى أن يصبح قائد فوج ، وهكذا دواليك إلى أن يصير حاجباً ، وحين تبدو كفاءته وجدارته للجميع ، وتتم على يديه الأعمال العظيمة ، ويصبح محط أنظار صحبه ومحباً لمولاه ، يجب ألا يولى الإمارة أو الولاية ما لم يبلغ الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره . " ³ والغرض من هذا النظام هو التثبيت من إخلاص الغلام وولائه لسيدته ، والتأكد من حسن تدريبه واكتسابه للمهارات اللازمة⁴ ، ومهما بلغت مكانة المملوك فالواجب أن يمتاز بلطفه مع الناس ⁵ .

وفي أوقات الحروب والجهاد في سبيل الله ، كان يسمح للمتطوعين بالانضمام إلى صفوف الجيش النظامي ، هذا ما نستشفه من رواية " ابن الأثير " ، حينما حاول الترك غزو بلاد ما وراء النهر سنة 291 هـ / 904 م ، حيث قال : "... فوجه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشاً كثيراً ، وتبعه من المتطوعة خلق كثير " ⁶ .

وكان قائد الجيش الساماني والذي يعرف أيضاً بالسبهار⁷ ، يحظى بنفوذ كبير في الدولة حتى أن " ألبتكين " الذي تولى هذا المنصب في إمارة " منصور بن نوح " ، كان يُستشار في كثير من أمور الدولة بما فيها قضية ولاية العهد ، وقد مكنته قوته في أعقاب نشوب خلاف بينه وبين الأمير الساماني ، من تشكيل نواة الدولة الغزنوية التي كان لها دور كبير في التاريخ الإسلامي⁸ ، كما كان يتم تعيين الكثير من قادة الجيوش كرؤساء على حكومات

¹ - موزج : كلمة فارسية معناها الحذاء ذو الساق ، أنظر (نظام الملك : المصدر السابق ، هامش ص . 142 .) .

² - نسبة إلى مدينة كنجة والتي تعرف عند البلديون العرب بإسم جنزة ، عرفت أيضاً بإسم المتوكلية نسبة إلى الخليفة المتوكل الذي أحدثها سنة 240 هـ / 854 م ، أنظر (ليسترنج كي : المرجع السابق ، ص . 213 .)

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 142 - 143 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 .

⁵ - بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 102 .

⁶ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 423 .

⁷ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 109 .

⁸ - الفقي : الدويلات المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 233 .

بعض الولايات ، فقد عين "أحمد بن إسماعيل " غلامه " سيمجور " على سجستان بعد أن تمكن من إخضاعها والقضاء على النفوذ الصفاري بها ¹، كما تم تولية " ماكان بن كالي " على كرمان بعد أن قضى على تمرد " محمد بن إلياس " الذي شق عصا الطاعة على " نصر بن أحمد الساماني " سنة 322 هـ / 934 م ، إلا أنه عاد هو نفسه وخرج عليهم في جرجان سنة 328 هـ / 940 م ، أين تصدى له قائد خراسان وواليتها " أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج " ².

وحظي منصب حاكم خراسان بمكانة هامة ذلك أن صاحبه كان يعتبر القائد العام لجميع الجيش الساماني ، ولهذا فقد اهتم أمراء الدولة بتعيين كبار القادة على رأس هذا الإقليم ، الذي كان في الغالب وراثيا بين بعض الأسر على غرار " آل محتاج " ³، وأسرة " قراتكين " و " آل سيمجور " ، الذين انتقل حكم خراسان بينهم في أغلب أيام الدولة السامانية ، حتى أنه حصل في بعض الأحيان نزاع على هذا المنصب بين هذه الأسر ⁴.

وقد عمل الأمراء على إرضاء الجيش والعمل على تحسين أحواله المعيشية والعناية به ، من حيث المظهر والتدريب الجيد ⁵، وكان يتم تكليف موظف يعرف " بالعارض " ⁶ بحفظ أسماء الجنود وأرزاقهم وإيصالها إليهم ⁷، وأما نفقات الجيش التي كان الوزراء مُلزمون بها أمام قادة الجيش ، فإن أي تهاون من طرف هؤلاء الوزراء في هذا الأمر يعود بعواقب وخيمة عليهم ، قد تصل إلى حد دفع حياة الوزير ثمنا لهذا التهاون ⁸ ، على غرار ما حدث لوزير الأمير " نوح بن نصر الساماني " " محمد بن أحمد الحاكم " ، الذي قتل سنة 335 هـ / 946 م لهذا السبب ⁹.

أما مُرتبات الجيش الساماني فكانت تنقسم إلى قسمين :

- 1- حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج . 3 ، ص . 81 .
- 2- ابن الأثير : المصدر السابق ، مج. 7 ، ص . 96 . نفسه ص . 147
- 3- منهم محمد بن المظفر بن محتاج استعمله الأمير السعيد سنة 321 هـ على تدبير أمور خراسان و جيوشها أنظر (ابن الاثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 87 .) .
- 4- آشتياني : المرجع السابق ، ص . 164.
- 5- الفقي : الدويلات المستقلة في المشرق ... المرجع السابق ، ص . 234 .
- 6- وقد أورد عصام الفقي ، العارض بمعنى قائد الجيش ، أنظر (المرجع نفسه ، ص . 233 .) .
- 7- عدوان : المرجع السابق ، ص . 109 .
- 8- آشتياني : المرجع السابق ، ص . 164- 165 .
- 9- الكرديزي: المصدر السابق ، ص . 218 .

فهناك الموظفون الذين يحصلون على أرزاقهم من الإقطاعات التي تمنح لهم ، وهؤلاء تحت إمرتهم عدد كبير من الجند ، وهم ملزمون بمتابعتهم والتأكد من تواجدهم في مواقعهم العسكرية ورعايتها ¹ ، ومن نماذج هذا النوع " ألبتكين " الذي كان يملك عددا كبيرا من الإقطاعات ² .

أما النوع الثاني فهم الجند الذين لا تُمنح لهم الإقطاعات ، لذلك يتم تحديد الأرزاق لهم ، وجرت العادة أن يتقاضوا مرتباتهم مرة كل ثلاثة أشهر ³ .

وكان الأمراء السامانيون يستعرضون جندهم للإطمئنان على أحوال الجيش بأنفسهم ، حيث أورد لنا " ابن الأثير " رواية عن هذا الأمر ، مفادها أنّ " نصر بن أحمد " استعرض جنده ، فلما وصل إلى أحدهم ، سأله عن اسمه فسكت فأعاد السؤال فسكت الجندي ، فقال بعض الحضور بأن اسمه " نصر بن أحمد " مثل اسم الأمير وأما سكوته فكان إجلالا منه للأمير فقال الأمير السعيد : " إذن تُوجب حقه و نزيد في رزقه " ثم قرّبه و زاد في أجرته ⁴ .

إنّ هذا النظام الإداري المحكم كان سببا في ازدهار أوضاع السواد الأعظم من الشعب ، خاصة في ظل استتباب حالة من الأمن والاستقرار في الأراضي السامانية ، الأمر الذي انعكس إيجابا على الأوضاع الاقتصادية فتحسن وضع الزراعة والصناعات الحرفية وتضاعفت عائدات وموارد القوافل التجارية ⁵ ، ونظرا لمدى جودة النظم الإدارية السامانية وفعاليتها ، فقد اعتمدت عدد من الدول التي قامت بعدهم على جزء كبير منها لإدارة مناطق نفوذهم ، على غرار الغزنويين والسلاجقة وملوك خوارزم ، وظل عدد منها قائما حتى عهد المغول ⁶ .

¹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 - 109 .

² - عن إقطاعات و ممتلكات هذا القائد التركي في الدولة السامانية و أماكنها ، أنظر (نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 149 .) .

³ - المصدر نفسه ؛ الفقي : الدويلات المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 234 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 174 .

⁵ - Barthold : op . cit . p . 234 - 235 .

5

⁶ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 166 .

المبحث الثالث :الحياة الاجتماعية في الدولة السامانية .

تميزت الحياة الاجتماعية في الدولة السامانية ، بالتقاء عدد من الأجناس والعناصر والطوائف ، تختلف لغاتها وتباين عاداتها وتقاليدها وثقافتها ، فضلا عن أديانها امتزجت مع بعضها البعض في بوتقة واحدة تحت حكم هذه الأسرة ، مكونة لنا مجتمعا متمائزا في شتى المجالات ، يضاف إلى كل هذا الاختلاف الموجود بين أفرادها في الآراء والمذاهب التي تلتقي حيناً وتتنافر أحيانا أخرى ، ما أكسب هذه الدولة لونا خاصا ، فيا ترى ما هي أهم العناصر المشكلة لسكان هذه الدولة ؟

أولا- عناصر السكان :

1- الفرس : يُشكلون العنصر الرئيسي في الدولة السامانية ، ذلك أن مؤسسيها أصحاب نسب فارسي عريق فهم من ولد " سامان خواده " ¹ ، الذي بدوره يصل نسبه إلى " بهرام جوبين " ² ، كما أنّ دولتهم التي ظهرت فيها النزعة الإيرانية بشكل أكثر وضوح مما كان في غيرها من الدول ³ ، قد تركّز حكمها أساسا في خراسان وبلاد ما وراء النهر. ⁴

ويُعتبر العنصر الفارسي في خراسان ، العنصر البشري الغالب بين سكانه ، وقد استعان بهم العباسيون في أواخر العهد الأموي ، لإقامة دولتهم وانتزاع الملك من " بني أمية " ، وبذلك فقد ظلّ أهل خراسان يشكلون كتلة مهمة في المجتمع العباسي ككل ⁵ ، حتى أن الخليفة العباسي " المنصور " كان يعتمد عليهم ، وقد قال لهم : " يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ... " ⁶ .

¹ - Negmatov N. N : **The Samanide State** , History of civilizations of Central Asia, the age of achievement ,V.4, P . 1 , unisco publishing, p . 84 .

² -Barthold : op . cit , p. 209.

³ - حسن احمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص . 465 .

⁴ - الفقي: الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 41 .

⁵ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 167 .

⁶ - نفسه .

ومعلوم أن العنصر الفارسي كان قد استقوى في عهد الدولة العباسية ، حتى أن العباسيين كانوا يميلون إليهم ويعطفون عليهم¹.

والفرس حسب " عصام الدين الفقي " ، يُشكلون العنصر الرئيسي في المشرق ككل وليس في الدولة السامانية وحدها ، وقد اعتزوا بقوميتهم وحضارتهم وتمسّكوا بلغتهم ، كما برز منهم عديد العلماء الذين قدّموا الكثير للحضارة الإنسانية ، وظهرت عدد من المدن الفارسية كمراكز فكرية وحضارية على غرار بخارى سمرقند والري...² ووصلت التأثيرات الفارسية حتى للخلفاء العباسيين الذين قلّدوا وأخذوا الكثير من عادات الفرس³.

كما تمكّن الفرس من شغل عديد المناصب المهمة في الدولة العباسية ، فبرز منهم الوزراء والولاة وقادة الجيوش ... لكنهم أساءوا استغلال نفوذهم ، وحاول البعض منهم إظهار نحلهم القديمة ، لذلك فقد تصدى لهم العباسيون وألحقوا بهم العديد من النكبات على غرار ما فعله " الرشيد " " بالبرامكة " حين قضى عليهم⁴.

لكنهم ما لبثوا أن استرجعوا نفوذهم في دولة العباسية والذي بلغ صورة خطيرة ، في أعقاب انتصارهم " للمأمون " في خلافه⁵ مع أخيه " الأمين " ، هذا النفوذ الذي بلغ الحد الذي تمكن فيه " طاهر بن الحسين " من إقامة دولة شبه مستقلة بخراسان ، والتي أعقبها قيام دول فارسية أخرى بالمنطقة على غرار الدولة الصفارية ، وكذلك الدولة السامانية التي كانت أول دولة فارسية كبيرة تحكم منطقة إيران⁶.

إذن فننفذ العنصر الفارسي كان كبيرا ، ليس في الدولة السامانية فقط بل حتى في الخلافة العباسية التي خضعت لمنطقهم ، على غرار ما حدث لها في أعقاب السيطرة البويهية على بغداد 334 هـ / 964م⁷.

وكان غالبية الفرس في بلاد ما وراء النهر ، أثناء الحكم الساماني لها يميلون إلى الاشتغال بالتجارة والعلم ، كل ما يمارس في السلم عامة¹.

¹ - طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1993 ، ص . 63 .

² - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 273 .

³ - ابراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 249 .

⁴ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 19 - 21 .

⁵ - سبب الخلاف أن المأمون كان وليا للعهد من بعد أخيه الأمين ، لكن هذا الأخير أقدم على خلع المأمون من ولاية العهد الأمر الذي أدى إلى نشوب صراع بين الطرفين ، الأمين و حلفائه من العرب و المأمون و حلفائه الفرس ، و بانتصار المأمون وقتل الأمين ، ضعف نفوذ العرب و زاد نفوذ الفرس ، انظر (المرجع نفسه ، ص . 22 .) .

⁶ - الساداتي : المرجع السابق ، ص . 141 - 142 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 29 .

2- الترك : العنصر التركي من العناصر المهمة في المجتمع الساماني ، حيث كان اعتماد السامانيين عليهم كثيرا² في أمور دولتهم ، وقد تمكن العديد من الأتراك من الوصول إلى مراتب مرموقة في الدولة السامانية ، حتى أن جيوشهم أصبحت منذ سنة 300 هـ / 912 م مشكلة أساسا من المماليك الأتراك³ ، وهذا نظرا لانشغالهم بأمور الحرب و الجندية⁴ .

ولأن الاعتماد الساماني على الأتراك واستعمالهم في أمور الدولة المختلفة من الجيش وحتى الإدارة كان كبيرا، فقد عمدوا إلى إرساء قاعدة يتدرج وفقها الغلمان الأتراك ، وترك لنا تفاصيلها " نظام الملك " في كتابه ، كما أنّ بعض الدول بقيت تعمل بها حتى بعد زوال دولة السامانية .

والترك من الشعوب الرعوية التي عاشت في أواسط آسيا ، ولأنهم لم يُدونوا تاريخهم فإنه يصعب تحديد زمن ظهورهم الأول ، وقد كانوا قبل القرن السادس ميلادي عبارة عن قبائل بدوية رعوية تعيش على حدود الصين وفي مناطق الإستبس بآسيا الوسطى⁵ ، وامتاز الأتراك بحب الحرب والفروسية وتعلقهم بالنظام القبلي ، وهي من الصفات الأصلية لدى البدو ، ورغم مجاورتهم للفرس وتأثرهم بالحضارة التي وصلوا إليها ، إلا أنهم لم يتخلوا عن كثير من صفاتهم البدوية⁶ .

وتنقسم الشعوب التركية إلى عدة فروع ، يُعتبر فرع " الغُزُر " أشدها بأسا وقوة ، حسب ما ورد في آثار⁷ أورخون⁸ ، وقد اعترف الكثير من العلماء الذين تفرغوا لدراسة تاريخ الترك بمدى صعوبة هذا العمل ، ومرد ذلك إلى أسباب كثيرة ذكروا منها كثرة القبائل وفروعها ، واتساع مساحة الأرض التي شغلوها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وتعدد اللهجات التي يتكلمون بها تبعا لتعدد المناطق والأقاليم التي عاشوا في ثناياها إضافة

¹ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 125 .

² - عبر العبادي عن هذا بقوله : " ..حتى أنه يخيل للقارئ أن الدولة السامانية دولة مملوكية تركية .. " ، انظر (المرجع السابق ، ص . 23) .

³ - المرجع نفسه ، ص . 21 - 22 .

⁴ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 125 .

⁵ - عطا زبيدة : بلاد الترك في العصور الوسطى - بيزنطة سلاجقة الروم و العثمانيون - ، دار الفكر العربي ، (د . ت .) ، ص . 9 - 10 .

⁶ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 165 .

⁷ - آثار أورخون : تعتبر من أهم المصادر في الكشف عن فجر تاريخ الترك وبداية ظهورهم بآسيا الوسطى ، وهي أقدم الآثار الخاصة باللغة التركية اكتشفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ضفاف نهر أورخون بمنغوليا ، انظر (طه ندا : المرجع السابق ، ص . 139 ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، هامش ص . 135) .

⁸ - بارتولد : تاريخ الترك ... ، المرجع السابق ، ص . 53 .

لاختلاطهم بكثير من الشعوب التي عاشوا معها ، وخضعوا لحكمها أو حكموها على غرار الصين والفرس والهنود والعرب ...¹

وبوصول الفتوحات الإسلامية إلى خراسان ، أصبح المسلمين مجاورين للأتراك ، فكان لزاما عليهم تأمين الحدود الإسلامية من خطرهم ، كما وجدوا فيهم أرضا خصبة لنشر الإسلام بينهم² ، وقد وجد العرب الترك منقسمين إلى إمارات متنازعة فيما بينها ، حيث ظهر الترك الشرقيين والترك الغربيين ، هذا في الوقت الذي كان المسلمين قد اتخذوا من خراسان ثغرا لحرب الترك ونشر الإسلام بينهم ، التزموا فيه بسياسة الدفاع أزيد من خمسين سنة 31 – 86 هـ / 651 – 705 م .³

وقد ساهمت الدولة السامانية بشكل كبير في نشر الإسلام في الأوساط التركية ، وهذا في أعقاب فرض سيطرتها على مناطق أواسط آسيا خلال القرنين " الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين " ، وأخذ نفوذ الترك يزداد في هذه الدولة حتى أصبحوا بمرور الوقت هم المتحكمين في زمامها ، بعد أن كانوا مجرد خدم وأتباع كما كانوا سببا أساسيا في القضاء عليها وشكلوا دولا خاصة بهم على أنقاضها ، وقد أورد " فاميري " أنهم يعتبرون أنفسهم أبناء جنس يتفوق على غيره من الأجناس .⁴

ويمكننا أن نستنتج مدى كثرة الأتراك في دولة السامانيين ، من خلال الأزمة التي وقعت بين الأمير " السديد منصور " وقائده التركي " ألبتكين " ⁵ ، فقد كان تحت إمرته ثلاثون ألف فارس ويذكر " نظام الملك " أنه كان بإمكانه أن يجمع مئة ألف في اليوم الموالي ، ومع ذلك فقد أثر عدم الدخول في الحرب معه ، ونصح أتباعه بالتوجه إلى بخارى لتجديد البيعة للأمير السديد ، في حين خرج هو من خراسان قاصدا بلاد الهند ، للجهاد وإقامة ملك له هناك ، حيث خرج معه من غلمانه وحاشيته ألفين ومائتين من أفضل الرجال إضافة إلى ثمانمائة فارس .⁶

¹ - طه ندا : المرجع السابق ، ص . 137 .

² - عطا زبيدة : المرجع السابق ، ص . 27 .

³ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 138 .

⁴ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 111 .

⁵ - ألبتكين : كان أحمد بن اسماعيل قد اشتراه في أواخر حياته ، وخدم ابنه نصر من بعده عدة سنوات ، و بعد وفاته خدم نوح بن نصر و تقلد على عهده القيادة العليا لجيش خراسان ، ثم خدم من بعده ابنه منصور مدة ستة سنوات ، إلا أن تمكن المتغرضون من أن يوغلوا قلب منصور على قائده ...، انظر (نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 143 .) .

⁶ - نظام الملك : المصدر نفسه ، ص . 147 – 149 .

فإن كان تحت إمرة قائد تركي واحد كل هذا العدد من الجنود الأتراك ، فطبيعي جدا أن يكون عددهم كبير في الدولة السامانية ، خاصة وأن " ابن حوقل " أورد لنا بأن هذا الجنس كان متواجدا بكثرة كخدم في البيوت السامانية ، وعند الجلة والقواد من أهل خراسان ¹.

3- العرب : بظهور الإسلام واجتماع كلمة العرب على نصرته ، فقد أوغلوا في مختلف المناطق وفتحوها وصولا إلى أمصار ومدائن كسرى ، وأقام جزء منهم بتلك المناطق ومن القبائل العربية التي نصرت الإسلام ، قبائل " مضر " وأنصارها من " العدنانية والقحطانية " ، وقد اختلطت أنسابهم بتوالي الأجيال مع أهل تلك المناطق ².

فالعرب كان لهم كبير الفضل في نشر الإسلام في المشرق ، حيث أسسوا المساجد ومكثوا يعلمون أهل الأمصار المفتوحة الإسلام وتعاليمه ويفقهونهم في الدين ، وكان هذا الدور منوطا بالعلماء والفقهاء والوعاظ بشكل أساسي ³، وكانت خراسان من بين المناطق التي مستها حركة الاستيطان العربي بشكل كبير ⁴.

وقد ارتبط الاستيطان العربي بها بأسباب عسكرية وسياسية ، حيث تم إرسال القبائل العربية ⁵ عبر فترات متعددة للمشاركة في حملات التوسع ، أو لنصرة المسلمين في معاركهم ضد شعوب أواسط آسيا ، وكان استقرار هذه القبائل في المدن أو القرى المحيطة بها ، كجاليات عسكرية حيث أن حروب الثغور باتجاه بحر قزوين وفي بلاد ما وراء النهر ، كانت على أوجها طيلة العهد الأموي ، كما استوطنت بعض العرب المقاتلة في ولاية " عبد الله بن عامر " مدينة بلخ ، التي كانت قاعدة للقوات العربية لفتح أقاليم ما وراء النهر ⁶.

وقد مست حركة الاستيطان العربية مدينة بخارى كذلك ، التي أصبحت عاصمة للدولة السامانية فيما بعد وسبب ذلك أن " قتيبة بن مسلم " كان قد حمل أهلها على الإسلام ثلاث مرات ، وكلما يخرج المسلمون من المدينة يعود أهلها لسابق عهدهم مع الكفر ، لذلك فقد عمد في المرة الرابعة إلى إجبار أهل بخارى على إعطاء

¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 377 .

² - جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، مج . 2 ، ج . 4 ، ص . 322 - 323 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 273 .

⁴ - منيمنة حسن : المرجع السابق ، ص . 278 .

⁵ - إحصاء للقبائل العربية التي كانت متواجدة بخراسان عند الطبري في سنة 96 هـ / 714 م : تسعة آلاف من أهل البصرة ، سبعة آلاف من بكر بن وائل ، عشرة آلاف من تميم ، أربعة آلاف من عبد القيس ، عشرة آلاف من الأزدي ، سبعة آلاف من عرب أهل الكوفة ، انظر (الطبري محمد بن جرير : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 512) .

⁶ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 169 - 170 .

نصف بيوتهم للعرب حتى يُقيموا بينهم ، وبهذا تمكن من إلزام أهلها على العمل بالإسلام وتعاليمه ورسّخه في أوساطهم¹.

وظلت السيادة بتلك المناطق للعرب على عهد " بني أمية " ، هذا العهد الذي عانى فيه الفرس كثيرا² ، لكن الوضع تغيّر مع ظهور الدولة العباسية ، التي أعادت للفرس حقوقهم في المساواة ، ففي ظلها اعتلوا عديد المناصب المرموقة ، وبرز منهم عديد الأمراء الذين تمكنوا من تأسيس دول فارسية³ ، على غرار السامانيين ودولتهم .

ويُمكن اعتبار الأفغان من العناصر البشرية المشكلة كذلك للمجتمع الساماني حيث أن " سبكتكين " بعد أن بسط هيمنته على غزنة ، كان قد شكّل قبل وفاته سنة 387 هـ / 997 م ، جيشا قويا من بني جلدته الأتراك إضافة إلى الأفغان ، وبهم تمكن من التوغل بفتوحاته في بلاد الهند⁴ .

إلى جانب العناصر السابقة الذكر فقد ضمّ المجتمع الساماني ، أجناس بشرية أخرى على غرار الهنود ، الذين كان بعضهم عبيدا وخداما في المجتمع الساماني⁵ ، ويمكن اعتبار العنصر الهندي من العناصر المشكلة للمجتمع الساماني خصوصا وأن واضح حجر الأساس للدولة الغزنوية " سبكتكين " ، الذي كان قد تمكن من مد نفوذ دولته الناشئة في أعقاب غزوه لأطراف الهند أسس بها حكومة في بشاور ، كان لا يزال محافظا على ولائه للسامانيين رغم استقلاله الفعلي عنهم⁶ .

إذن يُمكن اعتبار هذه أهم العناصر البشرية المشكلة للمجتمع الساماني ، وإن كان السواد الأعظم يتشكل من الفرس ثم الأتراك فالعرب .

أما عن عدد السكان في الدولة السامانية فإنه يصعب اعتماد رقم محدد ، إلا أنه يمكن القول بأن عددهم كان معتبرا ، هذا استنادا إلى بعض الإشارات التي وردت في ثنايا عدد من المصادر ، حيث أنه لم يكن فيما وراء النهر

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 77 .

² - الدوري عبد العزيز : العصر العباسي الأول - دراسة في التاريخ السياسي الإداري و المالي - ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط . 3 ، 1997 ، ص . 10 - 11 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 273 .

⁴ - الفقي : بلاد الهند، المرجع السابق ، ص . 16 .

⁵ - Mirkhond : op . cit , p . 5 .

⁶ - الفقي : بلاد الهند، المرجع السابق ، ص . 15 - 16 .

مكان يخلو من القرى والمدن¹، كما أن إقليم خراسان قد كان كثير السكان على عهد السامانيين ، فمدينة هراة والتي هي من أعظم وأكثر مدن خراسان سكانا²، لما قصدها الأمير " إسماعيل بن أحمد " في فترة إمارته ، كانت تضم رفقة ما يحيط بها من قرى ، ما لا يقل عن مئة ألف رجل³، فضلا عن النساء والأطفال .

هذا وقد كان عدد السكان في المناطق التي حكمها السامانيون فيما بعد كبيرا ، حيث أورد "الرشخي " أن أمير خراسان "سعيد بن عثمان "⁴، في أعقاب إحرازه النصر في حروبه التي خاضها بسمرقند ، قد أخذ منها وحدها ثلاثين ألفا من الرقيق⁵، ومن خلال الإحصاء الذي أوردته " الطبري " عن عدد العرب الذين استقروا بخراسان سنة 96 هـ / 714 م ، والذي بلغ حسب تقديره سبعة وأربعين ألف شخص⁶، فإنه يمكننا القول بأن عدد السكان المحليين من الطبيعي جدا أن يكون أكبر من عدد الوافدين بكثير ، وحتى وإن كان هذا الرقم قبل قيام الدولة السامانية ، إلا انه يُمكننا من القول بأن عدد سكان خراسان على عهد السامانيين كان كبيرا .

وقد أورد " ابن حوقل " أنه قد سحب " نصر بن أحمد " في إحدى معاركه ثلاثمائة ألف رجل⁷، وبلغ عدد القرى بما وراء النهر وخراسان ، حسب ما كتب به " نوح بن أسد بن سامان " لما كان عاملا للطاهريين ، إلى الخليفة " المعتص بالله " ثلاثمائة ألف قرية⁸.

وعلى العموم فقد كان إقليم المشرق ، والذي جعله " أبا زيد البلخي " ثلاثة أقاليم منفصلة وهي تباعا خراسان وسجستان وبلاد ما وراء النهر ، في حين اعتبره " المقدسي " إقليما واحدا يُشكل متحدا دولة " آل سامان " ، أقل مساحة من جزيرة العرب ، إلا أنه أعمر منها وأكثر كورا وأموالا وأعمالا⁹ ، وقد وُصفت معظم المدن الخاضعة

¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 384 .

² - الشيخ إسحاق بن حسين المنجم (ق 5 هـ / 11 م) : آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، طبعة حجرية ، (د . ت .) ، د . م . ، (د . ن) ، ص . 19 ؛ الحموي : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 396 ؛ الاضطحري : المصدر السابق ، ص . 264 ..

³ - . Mirkhond : op . cit . p . 121 .

⁴ - سعيد بن عثمان : تولى إمارة خراسان سنة 56 هـ / 675 م ، انظر (الرشخي : المصدر السابق ، ص . 64 .) .

⁵ - نفس المصدر ، ص . 69 .

⁶ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 512 .

⁷ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 387 .

⁸ - علق ابن حوقل عن هذا بقوله : " .. أن هذه الحكاية فيها نظر في وقتنا هذا .. " ، أنظر (المصدر نفسه ، ص . 387 .) .

⁹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 .

للكرم الساماني بأنها عامرة وآهلة بالسكان ، على غرار ترمذ والصغانيان ¹ . إلا أنه لا يوجد بخراسان وما وراء
النهر مدينة أشد اشتباكا وازدحاما وأكثر أهلا من بخارى ² .

هذا وتنبغي الإشارة إلى أن عدد السكان في الدولة السامانية ، وعلى غرار غيرها من الدول قديما وحديثا ، كان
يتأثر بمجموعة من العوامل التي تكون سببا في عدم استقراره ، يُمكن تصنيفها إلى عوامل بشرية وعوامل طبيعية
فالعوامل البشرية هي التي يكون للإنسان اليد الطولى فيها وتمثل أساسا في الحروب ، ومعلوم أن السامانيين قد
خاضوا معارك طاحنة ضد دول الجوار من المسلمين على غرار الصفاريين البويهيين والعلويين ، والتي سنتطرق إليها
في الفصل الثالث .

فضلا عن صراعمهم مع غير المسلمين وهذا بحكم مهمتهم الثغرية ، إذ أن خراسان كان يحدها من جهة الشرق
بلاد الهند ³ ، التي لم يستقر فيها الإسلام بعد ، وبلاد ما وراء النهر كانت محاذية لمواطن الترك الوثنيين ، لذلك
فالسامانيون كانوا بمثابة السد لحماية الإسلام والمسلمين بالأخص من خطر الترك ⁴ ، فضلا على العمل من أجل
نشر الإسلام في هذه البيئة الخصبية ، ومن المعارك الطاحنة التي خاضها السامانيون ضد الترك معركة سنة 291
هـ/ 904 م ، حين هزمهم " إسماعيل " ودحر جيوشهم بعد أن حاولوا غزو بلاد ما وراء النهر ⁵ .

وفضلا على العوامل البشرية ، تُؤثر العوامل الطبيعية بشكل كبير في عدم استقرار عدد السكان ، منها ظاهرة
القحط ، فعلى الرغم من كون إقليم ما وراء النهر من أخصب أقاليم الأرض وأكثرها خيرا ، من ذلك أن باقي
المناطق تقحط مرارا قبل أن يقحط ما وراء النهر مرة واحدة ⁶ ، إلا أنه في سنة 272 هـ / 885 م عانى من هذه
الظاهرة ، حتى أن عددا كبيرا من جنود " رافع بن هرثمة " ، المتحالف مع " إسماعيل بن أحمد " في صراعه مع
أخيه " الأمير نصر " ، قد لقوا حتفهم جوعا بسبب نقص المؤن خلال هذه السنة ⁷ .

¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 394 - 395 .

² - المصدر نفسه ، ص . 398 - 399 .

³ - الاضطحري : المصدر السابق ، ص . 353 .

⁴ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 .

⁵ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 423 .

⁶ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 384 .

⁷ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 119 - 120 .

ومن الكوارث الطبيعية التي أثرت على السكان في العهد الساماني ، الزلازل على غرار الزلزلة الشهيرة التي ضربت منطقة نسا من نواحي خراسان سنة 331 هـ / 943م، والتي وصفها " ابن الأثير " بالعظيمة جدا ، وتسببت في دمار عديد القرى وهلاك الكثير من البشر¹ حتى أن " الكرديزي "أورد أن خمسة آلاف رجل دُفِنوا تحت التراب².

يضاف إلى كل هذا الأمراض والأوبئة ، على غرار الوباء الذي وقع بالري سنة 344 هـ / 955 م ، ومات فيه من الخلق مالا يحصى ، وكان ممن قضى فيه " أبو علي بن محتاج " قائد جيوش خراسان رفقة ولده³.

كما شهدت بعض المناطق في الدولة السامانية عددا من الحرائق ، التي أثرت بدورها على عدد السكان ، مثل الحريق الذي شب على عهد " نصر بن أحمد " ببخارى في سنة 313 هـ / 925 م، وكان من العظم بحيث رآه الناس في سمرقند⁴ ، وأعقبه حريق آخر في نفس المدينة سنة 325 هـ / 936 م ، أتى على جزء كبير من المدينة حتى أن الأخشاب ضلت تحترق مدة شهر من الزمن⁵.

إذن فعدد السكان في الدولة السامانية كان مُعتبراً ، حتى أنه كان أكبر من عدد سكان الجزيرة العربية ، إلا أنه لم يكن مستقراً وثابتاً وهذا للأسباب التي ذكرناها .

ثانيا - طبقات المجتمع في الدولة السامانية :

إذن فقد ضمت الدولة السامانية مزيجاً من العناصر البشرية المختلفة ، شكل هذا المزيج متحدا المجتمع الساماني ، الذي انقسم بدوره حسب المكانة الاجتماعية إلى طبقات متباينة فعلى غرار معظم المناطق في العالم الإسلامي خلال تلك الفترة ، كان المجتمع الساماني مجتمعاً هرمياً⁶ يُمكن أن نميز فيه الطبقات التالية .

1-الطبقة العليا الأرستقراطية : أو الطبقة السائدة في المجتمع الساماني ، كانت تضم الأمراء السامانيين وعائلاتهم ، وكبار رجال الدولة من وزراء ، ولاة ، كبار الكتاب ، كبار رجال الحرس التركي أو القادة العسكريين

¹ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 176 .

² - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 217 - 218 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 253 .

⁴ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 133 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص . 134 .

⁶ -

إضافة إلى كبار التجار ، الفقهاء ورجال الدين وكبار الإقطاعيين من ملاك الأراضي – الدهاقنة – ¹ ، حيث كانوا يمتلكون الثروات الكبيرة والضياع الواسعة والأموال الطائلة ² .

عاشت هذه الطبقة في دعة ورفاهية مقارنة بغيرها من الطبقات الأخرى في المجتمع ، حتى أن الميزانية العامة للدولة السامانية قد بلغت أحيانا خمسة وأربعون مليون درهم ، كان ينفق منها حوالي عشرون مليون درهم على كبار رجال الدولة إضافة إلى الجيش وتكاليفه ³ .

وقد أورد لنا "النرشخي" أنّ "إسماعيل بن أحمد" قد قضى فترة مرضه الذي مات فيه ، بقرية زرمان ⁴ التي كان قد أنشأ بها بستانا كبيرا ، حيث انه كان يقصدها في أوقات فراغه للصيد وقد كانت هذه القرية من ممتلكاته الخاصة ⁵ .

ومن المظاهر التي تدل على البذخ الذي عاشته هذه الطبقة ، الهدايا والهبات الجزيلة من الأمراء السامانيين ، فقد منح "إسماعيل بن أحمد" لرسول "الخليفة المكتفي" الذي حمل له لواء وعهد خراسان ، بعد تغلبه على الصفاريين ثلاثمائة ألف درهم وأعادته إلى بغداد مَحْمَلا بكثير من الهدايا ⁶ .

وأورد "المقدسي" أن الفقهاء في الدولة السامانية يبلغون درجة الملوك ⁷ ، نظرا للاحترام الكبير والتبجيل الذي يحظون به من أمراء هذه الدولة ، فإسماعيل كان يُجْزَل لهم العطاء حتى أن "محمد بن الفضل البخاري" مات عن أربع مائة ألف درهم ⁸ ، وحظي الأدباء والشعراء وغيرهم من رجال العلم وأهل القلم بمكانة خاصة في المجتمع الساماني ، حتى أن "الرودكي" لما أنهى ترجمة كتاب كليلة ودمنة منحه "نصر بن أحمد" ثمانون ألف قطعة نقدية

¹ - بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 96 .

² - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 275 .

³ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 113 .

⁴ - زرمان: يفتح أوله وسكون ثانيه قرية من قرى صغد سمرقند، بينها وبين سمرقند سبعة فراسخ ، انظر (الحموي :المصدر السابق ، مج.3 ، ص . 138 .) .

⁵ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 129 .

⁶ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 209 .

⁷ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 .

⁸ - فاميري : المرجع السابق ، هامش ص . 106 .

وترك بعد وفاته مائتي عبد هندي وتركبي وأربع مائة جمل¹ ، وقد قيل أن خراسان في العهد الساماني كانت جنة العلماء².

ولا أدل على الشراء الفاحش لبعض رجال الدولة ، من الأموال التي حصلها " ألبتكين " وأورد لنا تفاصيلها "نظام الملك " ، حيث كان يملك خمسمائة ضيعة في خراسان وما وراء النهر وكان له في كل مدينة قصر وبساتين ومحطات قوافل وحمامات ومستغلات كثيرة ، فضلا عن مائة ألف رأس غنم ومائة ألف حصان وبغل وجمل³ ، وقد أتاحت السيطرة على الجيش إضافة إلى الثروات الطائلة للقادة العسكريين الترك ، أن يكون لهم دور كبير وحاسم في شؤون إدارة الدولة السامانية⁴.

كما امتلك عدد من رجال الدولة عدة منازل وقصور في المدينة الواحدة⁵ ، أما كبار التجار فقد جمعوا ثروات كبيرة نظرا لاشتغالهم بالسلع الثمينة كالرقيق الممتاز والمجوهرات ، وفي الغالب كان استقرارهم في المدن الكبرى بالدولة⁶.

2- الطبقة الوسطى : تضم عددا من التجار والمهندسين والأطباء والموظفين والقضاة والشعراء ... هؤلاء أقل أموالا ونفوذاً من الطبقة الأولى ، حتى أن بعضهم لا يجدون الأموال إلا في ظل الطبقة السابقة⁷ وتصنيفهم في هرم المجتمع أقرب إلى العامة منه إلى الطبقة الأرستقراطية .

من هذه الطبقة أيضا بعض الشعراء ومن يتقنون الغناء والموسيقى ، تمكنوا من تحصيل أموال كبيرة ، بفضل مهاراتهم⁸ ، هناك أيضا القضاة الذين اختلف في رزقهم بين من يقول بجواز أخذهم أجرا وبين من يقول بعدم

1- Mirkhond : op . cit , p . 5 .

2- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، ج . 5 - عصر الدول والإمارات - ، دار المعارف القاهرة ، ط . 4 ، 1996 ، ص . 522.

3- نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 149 .

4- بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 97 .

5- الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 220 .

6- ابراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 254 .

7- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 275 .

8- جرجي زيدان : المرجع السابق ، مج . 2 ، ج . 5 ، ص . 552 .

جوازه¹، وكان القاضي في المشرق يأخذ رزقه من بيت المال ، إلا أن عددا منهم كان يتجنب أخذ الأجر درءا للشبهة ورغبة في التحرز². فكانوا يأكلون من عمل أيديهم .

فبالنسبة لصغار التجار والباعة ، كان البعض منهم يتمكن من تحقيق أرباح تكون سببا في ثرائه³ ، في الغالب كان التجار ينعمون بجميع مقومات الحياة الكريمة ، لازدهار تجارتهم كما تمتع البعض منهم بثقافة عالية نتيجة اختلاطهم بعدديد الأجناس⁴.

وقد كان الموظفون في الدولة السامانية على غرار القضاة وجباة الضرائب وصاحب البريد...تساوى مراتبهم وأرزاقهم ، فلا يختلف اجر الموظف في ناحية عن أخرى ، وهذا من حسن إدارتهم والتنظيم الجيد لأمر دولتهم الأمر الذي دفع الموظفين للإخلاص للسامانيين والتفاني في خدمتهم⁵.

3- الطبقة العامة : تضم في الغالب الفلاحين الحرفيين العمال والجنود ، تشكل السواد الأعظم في المجتمع تقع على عاتقهم الأعمال الشاقة ، وتُفرض عليهم الضرائب الكثيرة التي تثقل كاهلهم⁶ ، يُمكن وصفهم بالطبقة الكادحة في المجتمع الساماني ، بالأخص الفلاحين والشركاء الإقطاعيين ، الذين كانوا يُستغلون بطريقة بشعة من طرف الدهاقنة الذين يعيشون في رفاهية على حساب كدهم وتعبهم المُضني⁷ ، فالفلاح كان يحيا حياة تعيسة فوضعه أقرب إلى وضع أقنان الأرض ، والفلاحون في الغالب يسكنون القرى⁸.

أما الحرفيون والصناع فقد شكلوا فئة نشطة في المجتمع ، وهذا على اختلاف عناصرهم وطوائفهم ، كما شكلوا تنظيمات لكل حرفة بهدف حماية مصالحهم والدفاع عنها⁹ ، ومستوى معيشة العمال والحرفيين والصناع كانت

¹ - آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مج . 1 ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط. 5 ، ص . 405 .

² - آدم ميتز : المرجع نفسه .

³ - ابراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 255 .

⁴ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 184 .

⁵ - شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص . 484 .

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 275 .

⁷ - بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 96 .

⁸ - جرجي زيدان : المرجع السابق ، مج . 2 ، ج . 5 ، ص . 564 .

⁹ - ابراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 256 - 255 .

محدودة ، فقد أورد " الدمشقي " بأن الصانع ليس بالفقير ولا بالغني حتى أن شراء ضيعة يصعب ويستعصي عليه¹ ، منهم الحياكين ، الحدادين ، الخياطين ، الحلاقين ، النجارين ، الصيادين ، الخبازين ومن جرى مجراهم² .

تشكل السواد الأعظم للطبقة العامة من المسلمين وبعض من أهل الذمة ، وأطلق على هذه الطبقة عديد التسميات كالدهماء والغوغاء والسُّقَّاط والأوباش³ ، كما أطلق عليهم البعض مصطلح الجُهاال حيث أن عددا معتبرا منهم كان سريع التصديق لأصحاب الدجل ومُدَّعي النبوة⁴ .

وقد أدى وضعهم وتردي أحوالهم ، إلى دفعهم للقيام بثورات ضد السلطة ، تسببت في حدوث فوضى واضطرابات عارمة في بعض المناطق، ففي سنة 295هـ / 907م ، قام عدد من الفلاحين والحرفيين يقدر عددهم بعشرة آلاف ، بقيادة شخص يدعى " أبو بلال " بالثورة على السلطة الحاكمة ، كان مقر هذا الثائر وأتباعه منطقة غور وغرجة بسفوح جبال هراة⁵ . كما عرفت سنة 350هـ / 961م ، ثورة سكان بخارى نتيجة لتردي أحوالهم المعيشية ، وساهم في هذه الثورة عدد من عناصر حركتي القرامطة والإسماعيلية بتحريضاتهم المغرضة من أجل تحريك العامة ضد السلطة الحاكمة⁶ .

إذن فالأوضاع الاجتماعية التي عانت منها عناصر هذه الفئة في المجتمع الساماني ، كانت سببا رئيسيا في تحركهم وانتفاضهم بهدف التخلص من الأوضاع المزرية التي كانوا يعيشونها ، خاصة وأنهم كانوا يرون غيرهم يعيش في رفاهية ، تنتج في الغالب من جراء تعبهم وكدهم ، وقد كان البعض من أبناء هذه الطبقة من الشعب ، يجد نفسه مضطرا للانضمام إلى قطاع الطرق والعتارين وعصابات اللصوص ، نظرا لقلّة ذات اليد وصعوبة تحصيل العيش الكريم في ظل هذا المجتمع الطبقي⁷ .

4- الرقيق : كثر الاعتماد على الرقيق في الدولة السامانية ، حتى أنهم وضعوا لهم نظاما تربويا عسكريا إسلاميا يعتمد في تنشئتهم على التدرج و الترتيب ، وقد بقي هذا النظام التربوي الساماني الأساس الذي اعتمدته عدة دول مع الرقيق على غرار السلاجقة والأيوبيين ..، وكان اعتماد السامانيين على المماليك وبخاصة الترك منهم في

¹ - الدمشقي ، أبو الفضل جعفر بن علي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، مكتبة جامعة الرياض ، قسم المخطوطات ، ص . 43 .

² - جرجي زيدان : المرجع السابق ، مج . 2 ، ج . 5 ، ص . 565 .

³ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 189 .

⁴ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 221 .

⁵ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 260 ؛

⁶ -

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 275 .

-Negmatov : op . cit p . 87 .

-Idem .

الجيش والإدارة والحياة العامة كبيراً¹ ، وسبب الاعتماد الكبير من السامانيين على الترك هو قربهم من البقاع الشاسعة الأهلة بهم بحكم الجوار معهم² ، والجهود الكبيرة التي بذلوها في سبيل نشر الإسلام بين قبائلهم³ .

وأجود أنواع الرقيق الأتراك والصقالبة ، وقد قيل أن التركي يستخدم عند غياب الصقلي وكانت سمرقند أكبر سوق لهم ، واشتهرت بأن بها أفضل رقيق ما وراء النهر⁴ ، حتى أن تجارة الرقيق كانت أساس ثروة المدن السامانية ، على غرار خوارزم ونيسابور والري وبلخ وبخارى وسمرقند وهراة ، حيث كانوا يتاجرون بالصقالبة والترك والهنود ومعظم هؤلاء يعاد بيعهم للخصي أو التدريب العسكري⁵ .

والخصيان يباعون بأثمان مرتفعة لأنهم يستعملون في البيوت ويختلطون بنساء القصور وكان يموت منهم الكثير خلال هذه العملية نظراً لخطورتها⁶ ، أما باقي الغلمان فمنهم من يتم تدريبهم على الجندية ومنهم من يتم توجيههم للخدمة في البيوت والقصور ، حيث تسند إليهم مهام كالموكلين بالماء أو السلاح أو الشراب أو اللباس ...⁷ ، وقد ارتقى بعضهم إلى مراكز مرموقة في الدولة السامانية على غرار " ألبتكين " الذي آلت إليه القيادة العليا لجيوش خراسان وهو في الخامسة والثلاثين من العمر⁸ ، وقد كانت نهاية الدولة السامانية سنة 389 هـ / 999 م على يد مملوك تركي هو " محمود بن سبكتكين " ⁹ ، وكان " سبكتكين " قد اشتراه " ألبتكين " مولى السامانيين وخادمهم¹⁰ .

¹ - عبد اللطيف عبد الهادي السيد : العصر العباسي (132 - 656 هـ / 750 - 1258 م) ، المكتب الجامعي الحديث لإسكندرية ، مصر ، 2008 ، ص . 443- 444 .

² - بروكلمان : المرجع السابق ، ص . 266 .

³ - الساداتي : المرجع السابق ، ص . 142 .

⁴ - آدم ميتز : المرجع السابق ، مج . 1 ، ص . 300 .

⁵ - موريس لومبار : الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5 هجري ، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب ، ط . 3 ، 1411 هـ / 1990 م ، ص . 72 - 73 .

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 276 .

⁷ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 142- 143 .

⁸ - المصدر نفسه ، ص . 143 .

⁹ - أحمد عادل كمال : الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، القاهرة ، ط . 1 ، 1427 هـ / 2006 م ، ص . 34 .

¹⁰ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 143 .

فالمملوك قد يعمل بالجنديّة أو كخادم في البيوت ، وقد يكون رفيقا لسيدة ومساعد له في مختلف أعماله من تجارة أو صناعة أو زراعة¹ ، والرقيق ينتقلون من سيد لآخر ، وقد تُساء معاملتهم من قبل البعض أو يُسخّرون في أعمال تفوق قدراتهم ، وهم يعيشون حياتهم بلا أمل ولا يمكنهم الزواج ، لذلك فقد انتشر بينهم الشذوذ الجنسي أو العلاقات الغير المشروعة مع الجوّاري أو بعض النساء السيئات الخلق ، فهم في حياتهم يعانون من الحرمان في كثير من الأمور² .

ومن أنواع الرقيق كذلك الجوّاري اللاتي زاد الطلب عليهن لجمالهن ، وكن يستعملن للتسري أو الخدمة في البيوت وإذا أنجبت تصبح أم ولد ، وترتفع منزلتها فتصبح بين المرأة الحرة والجارية ولا يُعاد بيعها ، أما الجارية التي تتقن الغناء والألحان فتمنحها مرتفع ، وقد يستخدمها صاحبها في إحياء حفلات الزواج والختان³ .

وقد كان عدد الرقيق والجوّاري في الدولة السامانية كبيرا ، وتجدر الإشارة أن في الإسلام مبدأ كان في صالح الرقيق حيث بإمكان العبد أو الجارية أن يشتروا حريتهم من خلال العمل مستقلا ، ودفع مبلغ من المال لمولاه⁴ .

ثالثا- مكانة المرأة في المجتمع الساماني : لقد شهد العهد الساماني دورا بارزا لبعض النساء في تسيير مجرى أمور الدولة ، والتخفيف من حدة بعض الأزمات وذلك من خلال ظاهرة الزواج السياسي ، الذي ظهر بشكل واضح خلال تلك المرحلة بمنطقة آسيا الوسطى ، والذي يهدف إلى تحقيق مصالح بعينها أو لنشر حالة من السلام وإنهاء حال الحرب أو لبلوغ منزلة رفيعة بمصاهرة⁵ ذوي البيوتات والراتب المرموقة⁶ .

فقد زوّج " نصر بن أحمد " امرأة من البيت الساماني لشاب من بني الليث ، يدعى " أحمد " ووهبه مالا وعتقه واليا على سجستان ، التي بقيت في حكم نسله طيلة أيام السامانيين⁷ ، وقد بقي أحفاد " أحمد بن الليث الصفاري " موالين للسامانيين ويحملون إليهم الأموال والخلع واستقرت فيما بعد أحوال سجستان بفضل هذا الزواج⁸ .

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 278 .

² - المرجع نفسه ، ص . 276 .

³ - نفسه .

⁴ - آدم ميتز : المرجع السابق ، ص . 308 .

⁵ - من أمثلة هذا الزواج في البيت الساماني هو زواج أبي عبد الله الغازي، من أخت الأمير الرضي نوح بن منصور حيث أنه أصبح فيما بعد من كبار قادة الجيش الساماني ، وازداد شرفه وقدره بهذا الزواج ، انظر (الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 228) .

⁶ - أحمد عبد العال : مقال الزواج السياسي في آسيا الوسطى ، نشر يوم 2008/09/29 ، بموقع آسيا الوسطى رصد الواقع واستشراف المستقبل .

⁷ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 149 .

⁸ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 288 - 289 .

وقد ذكر " ابن أبي دلف " أنه لما وصل إلى خراسان في رحلته ، وجد عند أميرها " نصر بن أحمد " رسلا من عند ملك الصين " فالين بن الشخير ¹ " راغبين في مصاهرته طامعين في مخالطته يخطبون ابنته فأبى ذلك واستنكر لخطر الشريعة له " ، وفي أعقاب رفضه راضوه على تزويج بنت ملك الصين بأحد أبنائه فوافقهم على ذلك ² ، وقد بعث ملك الصين بابنته بعد أن جهزها وأرسلها مع مائتي خادم وثلاثمائة جارية من خواص خدمه وجواريه ، إلى خراسان حيث تزوجت من " نوح بن نصر " ، وولدت له " عبد الملك " ³ .

ولما اشتد الصراع الساماني البويهى توسط " محمد بن إبراهيم بن سيمجور " قائد الجيش الساماني بخراسان بين الطرفين ، وصاهر بينهما حيث تزوج " منصور بن نوح " بابنة عضد الدولة البويهى سنة 361 هـ / 972 م ، وتم توقيع صلح بين الطرفين شهد فيه أعيان فارس والعراق وبغداد ، وحمل البويهيون للأمير الساماني الكثير من الهدايا وتعهدوا بدفع مبلغ من المال سنويا " لمنصور بن نوح " ⁴ ، وبهذا استقرت الأوضاع وتفرغ الأمير الساماني لتدبير أمور دولته مما حسن أوضاع الرعية ، واستمر الهدوء والسلام بين الطرفين بضع سنين ⁵ .

وبرز تدخل النساء في أمور الحكم في الدولة السامانية بشكل كبير على عهد " نوح الثاني بن منصور " ، وهذا من خلال تدخل والدته في أمور الحكم بسبب حداثة سن ابنها ، حيث وافقت على عزل " أبي العباس تاش " عن ولاية خراسان ، وهذا بتحريض من الوزير " عبد الله بن عزيز " الذي تمكن من إقناعها بهذا الأمر ، حيث أنها كانت صاحبة الحل والعقد في دولة ولدها الصغير في السن ، الأمر الذي أدى إلى ظهور القلاقل في مختلف مناطق الدولة بعد رفض " أبي العباس تاش " لقرار العزل وتحالفه مع " فخر الدولة بن بويه " واستيلائه على نيسابور ⁶ .

إذن فقد أمكن لبعض النساء في الدولة السامانية من التدخل في زمام أمور الدولة ، بحكم نفوذهن ومكانتهن بشكل أثر حتى على الوضع العام للبلاد إما إيجابيا أو سلبيا ، غير أن هذا التدخل من النساء في أمور الحكم في

¹ - ذكر محقق الرسالة أنه لم يجد له ترجمة فيما توفر لديه من مصادر ، انظر (أبي دلف مسعر الخزرجي (ت في قرن 4 هـ / 10م) : الرسالة الأولى ، تحقيق مريز سعيد مريز عسيري ، جامعة أم القرى ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة ، 1416 هـ / 1995 م ، هامش المصدر ص. 39 .

² - نفسه ، ص . 39 .

³ - المصدر نفسه ، ص . 56 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 344 .

⁵ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 228 .

⁶ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 106 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 209 - 210 .

الدولة السامانية قد كان محدودا ، ولم يكن ظاهرة ميزت الدولة السامانية ، حتى أن ذكر نساء السامانيين كان قليلا في المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة .

هذا عن النساء في القصور أما النساء من عامة الشعب ، فكانت ربة البيت تهيم لزوجها كافة سبل الراحة وتتولى الاهتمام بأمور بيتها وتنظيمه وترتيبه ، فضلا عن تربية أبنائها ، كما تشتغل ببعض الأعمال في المنزل كالغزل والنسيج ، كما عنت المرأة بالزينة والتطيب والعطور ، وأقبلت على هذه الأمور خصوصا في ظل توفرها بالأسواق¹.

كما شاركت النساء أزواجهن في بعض أعمالهم اليومية كالزراعة والاشتغال معهم في بعض الصناعات الخفيفة كصناعة السكاكين والمقصات والتطريز وتجهيز الملابس².

الزواج : لقد رغب الدين الإسلامي في الزواج الذي هو سنة " الرسول صلى الله عليه وسلم " ، ووردت عدة أحاديث تحث عليه وتنصح به فقد قال الرسول الكريم : " تناكحوا تكاثروا فيني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ... " ³ ، وقال أيضا : " النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني... " ⁴ ، كما وردت نصيحة صريحة للشباب حين قال " عليه الصلاة والسلام " : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... " ⁵ ، وكان " ابن مسعود رضي الله عنه " .. يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكي لا ألقى الله عزيا " ، إذن كل هذه الأحاديث الصريحة تحث على الزواج وترغب فيه ، نظرا لما له من فوائد على الفرد والمجتمع ، وقد عدد الإمام أبو حامد الغزالي " خمس فوائد كبرى للزواج هي الولد وكثرة الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن " ⁶.

¹ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 238 .

² - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 282 .

³ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419 هـ / 1999 م ، ص 82 .

⁴ - أحمد بن علي محمد الكناشي العسقلاني : التلخيص الحبير ، ج . 3 ، مؤسسة قرطبة ، ط . 1 ، 1416 هـ / 1995 م ، ص . 250 .

⁵ - محمد بن أحمد بن سالم السفاريني : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، ج . 2 ، مؤسسة قرطبة ، ط . 2 ، 1414 هـ / 1993 م ، ص 412 .

⁶ - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج . 2 ، مطبعة كريات فوترا ، سماراغ ، (د . ت) ، ص . 25 .

وانتشرت في المجتمع الساماني كغيره من المجتمعات ظاهرة الزواج ، حتى أنه يلاحظ في خراسان مثلاً ظاهرة تعدد الزوجات فقد يجمع الرجل بين ثلاث زوجات فضلاً عن الجوّاري والإماء ، اللاتي كان يسهل الحصول عليهن¹ وقد قلّل نظام الرق من شأن الزوجات في الأسر، حيث أن الأسرة المتوسطة كانت تضم عدداً من الجوّاري التركيات على وجه الخصوص ، واللاتي كنّ محل تفضيل لدى الرجال مقارنة بالمرأة الحرة² .

وقد تطرّق " الجاحظ " إلى سبب هذا التفضيل حيث يرى أن مرده الرئيسي يعود لكون الرجل قبل أن يملك الأمة يكون قد تأملها وعرف كل شيء فيها ، فيقبل على ابتياعها بعد وقوعها في نفسه وأما الحرّة فيُستشار في جمالها النساء ، وإنما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة ، أما الخصائص التي تقع في نفوس الرجال فلا تعرفها فالرجال بالنساء أبصر³ .

ومن هذا القول للجاحظ يمكن أن نفهم بأن قضية اختيار الزوجة لم تكن منوطة بالرجل فقد لا يراها حتى يني بها ، عكس الأمة التي يتفحصها جيداً ، وقد ينتج عن زواج يتم بهذه الطريقة مشاكل فقد يجد الرجل في زوجته أموراً يمتقتها أو قد لا يعجبه شكلها ، فينفر من زوجته وينصرف عنها ، وهذا ما كان يحصل بالأخص في ظل توافر الجوّاري وسهولة الحصول عليهن .

أما حفلات الزواج فكان يتجلى فيها مظاهر الترف بشكل واضح⁴ ، وخاصة بالنسبة لحفلات زواج الأغنياء وأولادهم ، ولأن الموسيقى أصبحت تحتل مكانة هامة في المجتمع الساماني فإنها كانت عنصراً رئيسياً من عناصر الاحتفال في الأعراس والمهرجانات ، خصوصاً في ظل بروز عدد كبير من الموسيقيين على غرار " أبو حفص الصغدّي " ، و " أبو عباس بختّيار " وعازف الناي " زلزل الرازي " ولاعب الطنبور " علي بيحي " ، كما تعتبر " الست رزين " ، من أشهر المغنيات في العهد الساماني⁵ ، حتى أنها بقيت بعد سقوط الدولة السامانية تحيي الحفلات وأصبح الناس في غزّة يقصدونها للاستماع لها⁶ .

¹ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 238 - 239 .

² - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 282 .

³ - آدم ميتز : المرجع السابق ، مج . 2 ، ص . 180 .

⁴ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 284 .

⁵ - Negmatov : op . cit , p . 99 - 100 .

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص 275 .

رابعاً - بعض المظاهر الحياتية الاجتماعية في الدولة السامانية :

- وسائل التسلية والترفيه : لقد استثمر أهل المشرق أوقات فراغهم في جوانب اجتماعية مهمة ، كالخروج للصيد والمبارزة وحمل الأحجار الثقيلة ، وذلك بهدف التعود على مواجهة الصعاب ، وحرصاً منهم على النشاط وشدة البأس ودرءاً للكسل ، واستعملوا في عملية الصيد أحياناً الكلاب والفهود وبعض أنواع الطيور الجارحة كالصقور¹ وقد تأسى العرب بالفرس في استعمال الحيوانات في عملية الصيد ، حيث أخذوها عنهم² ، وكان يُؤكل أمر تدريب حيوانات الصيد إلى رجال مختصين في هذا الأمر³.

وكان الصيد من أكثر وسائل الترفيه انتشاراً في المجتمع الساماني ، حيث أنه رياضة ونزهة في آن واحد يُمرن المرء على الركض والكرّ والفروسية ، وفيه تدريب على الرمي بالنشاب والضرب بالسيف والمحافظة على الصحة⁴.

حتى أن العديد من أمراء الدولة السامانية كانوا شغوفين به ، ويمارسونه رغم كثرة انشغالاتهم للترويح عن النفس فقد كان " إسماعيل بن أحمد " يقضى أوقات فراغه بالصيد في قرية زرمان⁵ ، وقد وصفت المصادر ابنه " أحمد " بأنه كان مولعاً بالصيد حيث كان يتوجه ناحية فربر على شاطئ جيحون للقنص⁶ ، وأكل الصيد حلال بشرط أن لا تأكل منه الجوارح والحيوانات المستعملة في العملية⁷ ، وهو من الرياضات الخطيرة ، التي قد يلقي فيها بعض الأشخاص حتفهم⁸.

ومن وسائل الترفيه في المجتمع الساماني كذلك ، سباق الخيل والرماية ، وهي من الرياضات المحببة لدى مختلف فئات الشعب⁹ ، وقد كانت ميادين الحلبة والسباق منتشرة في مختلف ربوع بلاد الإسلام¹⁰ ، ذلك أن الرسول "

¹-الفقي : المرجع نفسه ، ص . 284 .

²- علي حسني الخربلوطي : الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط . 2 ، 1415 هـ / 1994 ، ص . 172 .

³- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 285 .

⁴- الخربلوطي : المرجع السابق ، ص . 172 .

⁵- النرشخي : المصدر السابق ، ص . 129 .

⁶- المصدر نفسه ، ص . 131 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 212 .

⁷- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 285 - 286 .

⁸- الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 226 .

⁹- العمادي : المرجع السابق ، ص . 216 .

¹⁰- جرجي زيدان : المرجع السابق ، مج . 2 ، ج 5 ، ص . 698 .

صلى الله عليه وسلم " قد أوصى بهذه الأنواع من الرياضة حيث قال : " علموا أبناءكم السباحة والرماية ... " ¹
وقد مارس عدد من الأمراء السامانيين ركوب الخيل على غرار " عبد الملك بن نوح " ² .

والسباق وركوب الخيل من أنواع اللهو المباح ، لكونه من وسائل غزو الكفار والجهاد في سبيل الله ، وهو من الرياضات الخطيرة ³ ، وقد مات " أبو المظفر بن محتاج " في بخارى بعد أن طرحه جواده ، ووقع رأسه على حجر فخرج مخه ومات بهذه الحادثة ⁴ .

ومن وسائل الترفيه التي مارسها الأمراء النرد والشطرنج ⁵ ، وهي من الألعاب الفارسية القديمة المأخوذة عن الهنود وتُعرف بأنها ألعاب الحكماء وأرباب الفهم وذوي الخواطر السريعة ، وكان الشطرنج ⁶ يلعب على ورقة مربعة حمراء ، أما النرد فيلعب على ورقة بها اثنا عشر وأربعة وعشرون منزلاً ⁷ .

كما مارس السامانيون لعبة الكرة والصولجان ، وهي من الألعاب الفارسية ، عرفها العرب عنهم في العصر العباسي ، وهي عبارة عن كرة تصنع من مادة مرنة خفيفة كالفلين ، تلقى على الأرض فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بعضا يسمونها الصولجان ، يرسلون بها في الهواء وهم على خيولهم ⁸ ، وكان الأمير " عبد الملك بن نوح " يمارسها بميدان مخصص لها في بخارى ، وقد لقي حتفه بعد أن قذفه حصان أثناء اللعب فتهشمت رأسه ومات وكان هذا الحصان من جملة هدايا قدمها له " ألبتكين " ⁹ .

1- أنظر موقع فتاوى اللجنة الدائمة www.alifta.net/fatawa .

2- القزويني : المصدر السابق ، ص . 150 .

3- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 286 .

4- الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 221 .

5- نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 126 .

6- ومن الشعر الذي قيل في وصف لعبة الشطرنج هذه الأبيات :

أرض مربعة حمراء من آدم ما بين شخصين موصوفين بالكرم .
تذكر الحرب فاحتالا لها شبيها من غير أن يعثا فيها بسفك دم .
هذا يغير على هذا وذاك على هذا يغير وعين الحرب لم تنم .
فانظر إلى خيل جاشت بما همم من عسكريين بلا طبل ولا علم .

انظر (الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 287 ..

7- العمادي : المرجع السابق ، ص . 217 .

8- جرجي زيدان : المرجع السابق ، مج 2 ، ج 5 ، ص . 698 .

9- الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 224 .

ويبدو أن ترويض الحيوانات الضارية كان معروفا وممارسا في الدولة السامانية ، حيث أن " أحمد بن إسماعيل " كان يربط كل ليلة أسدا على باب البيت الذي ينام فيه ، وهذا لحمايته ولمنع أي شخص من الدخول عليه أثناء نومه ¹ ، وكذلك لإرهاب الأعداء والمتربصين وإثبات الهيبة في قلوب الرعية ² ، وقد كان يصحب الأسود معه ، في حله وترحاله ، حتى أنه كان يأخذها معه عند توجهه للصيد ³ .

كما كان أمراء البيت الساماني يصطافون بسمرقند القريبة من مركز حكمهم ، في حين كانت وجهة الأمير " نصر " المفضلة للنزهة والاصطياف هي قرية باذغيس ، وهي إحدى قرى هراة ⁴ .

وانتشرت بالدولة السامانية الحمامات ⁵ كوسيلة للنظافة والترفيه والترويح عن النفس كذلك وكانت مقصدا للرجال والنساء على حد سواء وكان يقصدها الرجال لتنظيف أنفسهم وإصلاح شعر الرأس والذقن ⁶ ، وكانت النساء تجد متعة كبيرة يوم ذهابهن للحمام حيث يجتمعن للحديث وتبادل الأخبار والتعارف فالحمام كان له دور اجتماعي كبير - كالخطبة والزواج - ، وللحمام مجموعة من الأحكام الشرعية يجب مراعاتها ⁷ .

وقد كثر إنشاؤها في كل المدن الإسلامية حيث أن الإسلام دين طهارة ونظافة ، وكذلك طلبا للريح والفائدة حتى أن الإقبال على الحمامات العامة كان سلوكا اجتماعيا ، جرت به العادة في المدن الإسلامية ⁸ ، ففضلا عن الحمامات المتواجدة بالمدن السامانية الكبرى ، على غرار حمامات بخارى ⁹ وسمرقند ¹⁰ ، كانت هناك حمامات على الطرق في المخطات بين المدن يقصدها المسافرون ، مثل ذلك الذي كان بين الري وأصفهان ¹¹ .

¹ - الكرديزي : المصدر نفسه ، ص . 212 ؛ النرشخي : المصدر السابق ، ص . 131 .

² - جرجي زيدان : المرجع السابق ، مج 2 ، ج 5 ، ص . 700 .

³ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 131 - 132 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 212 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 15 - 16 .

⁵ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 406 .

⁶ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 214 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 287 .

⁸ - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1988 ، ص . 221 - 222 .

⁹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 281 .

¹⁰ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 406 .

¹¹ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 216 .

كما عرفت الدولة السامانية مجالس الطرب والغناء والشراب ، كوسائل للترفيه وقد كان نفر من بين ندماء الأمراء يجيد الغناء والضرب على الآلات الموسيقية¹، وقد كان " ألبتكين " يخدم الأمير " عبد الملك بن نوح " في مجالس الطرب والغناء التي تعقد في قصره ، والتي يتم فيها كذلك تحضير وإعداد موائد الشراب² .

كما أن " الرودكي " الذي يعتبر شاعرا كبيرا، قد كان أيضا موسيقيا موهوبا فهو يجيد كذلك استعمال العديد من الآلات الموسيقية على غرار العود ، كما كان مغنيا معروفا بصوته الشجي والناعم³، ولمع اسمه بشكل كبير في بلاط الأمير " نصر الثاني بن أحمد " ، ويمكن أن نستنتج بأن الولع بالخمير كان موجودا في الدولة السامانية حيث أن أشعار " الرودكي " كان جزء منها مستوحى من حب الخمر⁴ .

ولم تكن هذه المجالس حكرا على الأمراء ومقربيه في القصور فقط ، بل كانت جزءا من حياة السامانيين الاجتماعية ، فهي تُعقد على نطاق واسع في الأعراس والأعياد والمهرجانات فضلا عن الاحتفالات الرسمية والشعائر الدينية...، خصوصا في ظل بروز عدد كبير من المغنين والموسيقين في المجتمع الساماني⁵ .

كما عرفت الدولة السامانية مجالس القصص والوعاظ⁶ والمذكرين⁷ ، التي لقيت إقبالا من قبل العامة والبسطاء⁸، وتتمحور مواضيع هذه المجالس حول قصص الأنبياء والصالحين كقصة " موسى والخضر " ⁹، وكرامات بعض العلماء والأولياء وقصص من الإسرائيليات¹⁰ ، إضافة إلى روايات تتعلق ببعض الأمور الغيبية كهلاك بعض المدن في المستقبل وزوالها ، فضلا عن تلك المتعلقة " بآل البيت وكراماتهم " ¹¹ .

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 126 .

² - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 224 .

³ -

-Negmatov : op . cit , p . 99 .

⁴ -كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص . 264 .

⁵ -

-Negmatov : op . cit , p . 100 .

⁶ - ابن خلكان : المصدر السابق ، مج . 1، ص. 68 .

⁷ - السهمي أبي القاسم حمزة بن يوسف (ت 427 هـ) : تاريخ جرجان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ط . 1 ،

1369 هـ / 1950 م ، ص . 173 ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص . 2 .

⁸ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 285 .

⁹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 128 .

¹⁰ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 285 .

¹¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 128 .

وبعض هذه الروايات أساطير وخرافات ، اعتقد العامة بصحتها وأحاطوها بحالة من التبجيل والتقديس ، كتلك التي خصّوها بها قلعة بخارى من ذلك أنهم قالوا عنها بأنه لم يُغلب فيها وال قط ، ولم يمت فيها ملك ولم يخرج منها جيش للحرب إلا وانتصر¹ .

كما احتفل سكان الدولة السامانية بعدد من الأعياد والمناسبات ، منها الأعياد الإسلامية فضلا عن المناسبات الفارسية ، إضافة إلى المناسبات الخاصة بأهل الذمة.

فعلى غرار كل المسلمين احتفلوا بعيد الفطر وعيد الأضحى وبشهر رمضان المبارك² وأورد لنا " النرشخي " بأن سكان بخارى كانوا يخرجون لصلاة العيد بسلاحهم³ ، ولم يعد مصلى العيد يسعهم نظرا لكثرتهم ، مما دفع " بمنصور بن نوح " سنة 360 هـ / 970 م لشراء عدد من البساتين والحدائق لتوسعة المصلى ، كما كان يوجد بالمساجد السامانية المبلغون الذين يكبرون وراء الإمام حتى يسمعونهم الناس فيكبرون بدورهم⁴ ، ولأن التشيع انتشر في بعض المناطق من الدولة السامانية⁵ ، فطبيعي أن يتم إحياء بعض المناسبات الخاصة بالشيعة كاحتفال بيوم عاشوراء الذي هو يوم حزن عندهم .

كما أحيا السامانيون عددا من الأعياد الفارسية على غرار النوروز والمهرجان ، وجدير بالذكر أن الخلفاء العباسيون أنفسهم كانوا يشاركون الفرس في الاحتفال بهذه المناسبات⁶ ، وكان للفرس احتفالات أخرى كعيد السدق ، وكان الفرس يتبادلون في هذه المناسبات الهدايا والتهاني ويعم الفرحة البلاد والعباد⁷ ، كما كان للنساء عيد خاص بهن يخدمن فيه الرجال وفق مرادهن⁸ .

¹ - الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 315 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 404 .

² - الخربوطي : المرجع السابق ، ص . 169 - 170 .

³ - وذلك لأن قتيبة بن مسلم الذي بنى مصلى العيد في بخارى ، أمر المسلمين بالخروج بأسلحتهم لصلاة العيد من باب الحذر نظرا لعد ترسخ الاسلام بين سكانها آنذاك ، انظر (النرشخي : المصدر السابق ، ص . 82) .

⁴ - النرشخي : المصدر نفسه .

⁵ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 253 - 254 .

⁶ - إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 249 .

⁷ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 198 - 200 .

⁸ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ،...، المرجع السابق ، ص . 284 .

وقد تكلم سكان البلاد السامانية اللغة التركية والفارسية إضافة إلى العربية ، وأهل العلم منهم يجيدون اللغتين العربية والفارسية¹ ، ويمكننا الجزم بأن غالبية سكان هذه الدولة كانوا مسلمين² منقسمين ، إلى سنة وشيعة والسنة يُمثلون الأغلبية ، أما الشيعة فقد عملوا على نشر آرائهم ومعتقداتهم ، كما أن الشيعة في البلاد السامانية كانوا فرقا³ ، وإلى جانب المسلمين نجد فئة أهل الذمة من يهود ومسيحيين إضافة إلى بعض المجوس⁴ بهذه الدولة الذين حافظوا على معتقداتهم ونحلهم القديمة ، فالمجتمع الساماني كان يضم مزيجا من الأجناس الذين تختلف عقائدهم ولغاتهم وعاداتهم .

¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 403 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص 289 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 22 .

² - يمكن أن تصدر هذا الحكم من خلال ما رواه نظام الملك ، عن رد فعل السكان و الأعيان وقادة الجيش في أعقاب تشيع نصرين أحمد حيث دفعوه للتخلي عن الحكم لابنه ، انظر (نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 254 - 255 .) .

³ - المصدر نفسه ، ص . 253 - 254 ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص . 323 .

⁴ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 410 ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص . 323 .

المبحث الرابع : الحياة الاقتصادية في الدولة السامانية .

لقد تركز النفوذ السياسي للدولة السامانية بمنطقة المشرق الإسلامي ، الذي يُعد من أكثر أقاليم البلاد الإسلامية ثروة وخيراً¹ ، نظراً لتوفر مختلف الموارد الاقتصادية والمعدنية بهذه المنطقة التي كانت تُمد الخلافة بثروات وعائدات مالية كبيرة ، إلا أن الوضع قد تغير في أعقاب اعتراف الخلافة العباسية للسامانيين بسلطتهم المطلقة على المنطقة ومنحهم حرية التصرف فيها ، حيث أن العائدات المالية للمنطقة أصبحت تُصَب في الخزانة السامانية .

ولقد امتاز اقتصاد الدولة السامانية بالتطور في مختلف جوانبه سواء الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، وقد ساعد على نمو اقتصادها وازدهاره الاستقرار النسبي الذي شهدته البلاد السامانية على الصعيد الداخلي² ، إضافة إلى مجموعة التدابير المتخذة من قبل السلطات المحلية في سبيل النهوض بالاقتصاد الساماني³ .

ورغم امتداد النفوذ السياسي للسامانيين إلى مناطق عدة ، إلا أن تركيزي على المجال الاقتصادي سيكون في إقليمي خراسان وما وراء النهر ، وذلك لأن سلطان السامانيين عليهما كان مستمراً وبلا انقطاع عكس باقي المناطق⁴ .

أولاً - الزراعة : لقد كان اهتمام السامانيين بالزراعة كبيراً⁵ ، خصوصاً في ظل خصوبة أراضي خراسان وما وراء النهر⁶ وشساعتها ، فضلاً عن المجاري المائية الكثيرة كالأنهار والوديان التي كانت تتخللها ، بحيث توفر لها المياه اللازمة للسقي والزراعة ، فبلاد ما وراء النهر منطقة تقع أصلاً بين نهرين هما جيحون وسيحون⁷ ، كما أن نهر جيحون هو الحد الفاصل بين ما وراء النهر وخراسان⁸ ، ويتفرع من هذين النهرين فروع عدة تنتشر بالمنطقة⁹

¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 111 .

³ - Negmatov : op . cit , p . 88 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 22 .

⁵ - محمد علي البار : المسلمون في الاتحاد السوفياتي عبر التاريخ ، ج . 2 ، دار الشروق جدة ، ط . 1 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص . 418 .

⁶ - وتعتبر محافظة بلخ والمنطقة بين هرة ومرو الأراضي الأكثر خصوبة بالمنطقة ، انظر (Negmatov: op . cit , p . 88)

⁷ - محمد الحمدي النورستاني : مقال بعنوان ، معادل العلم : ما وراء النهر ، موقع مجلة الوعي الإسلامي - مجلة كويتية شهرية جامعة - ، اشراف وزارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، العدد 570 ، تاريخ ديسمبر يناير 2013 .

⁸ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 .

⁹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 263 .

مما جعل المياه التي تعتبر العنصر الأساسي لازدهار الزراعة متوفرة وبكثرة خاصة إذا علمنا أن بعض الأجزاء من نهر جيحون تتجمد مياهها شتاء من شدة البرد¹، وبارتفاع درجة الحرارة يذوب الجليد وينساب الماء بغزارة على الأراضي الزراعية وهذا ما يعود بالإيجاب على الزراعة .

وقد وصف " المقدسي " ما وراء النهر بأنه أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيرا ، وقسمه إلى ست كور وأربع نواحي ، أما الكور فهي فرغانة الشاش أسفيجاب أشروسنة الصغد وبخارى ، والنواحي إيلاف كش نسف والصغانيان²، وقال عنه " ابن حوقل " بأن غيره من الأقاليم يقحط مرارا قبل أن يقحط هو مرة واحدة وأنه من أخصب أقاليم الأرض³ .

ومرؤ هذا إلى عديد المعطيات فمثلا نهر جيحون يجتاز عدة مدن بما وراء النهر وخراسان ، على غرار ترمذ وخوارزم التي يصب في بحيرتها⁴، فضلا عن كثرة تساقط الأمطار والثلوج شتاء على عديد المناطق الخاضعة للسيطرة السامانية⁵، إضافة إلى كثرة الوديان والعيون بالمنطقة .

أما خراسان فقسّمها الجغرافيون العرب إلى أربعة أرباع في الغالب⁶، هي نيسابور مرو هراة وبلخ⁷ فهراة مثلا تعد من أجمل مدن خراسان ، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات وفيرة ، وفيها قال الزوزني :

هراة أردتُ مقامي بها لشتى فضائلها الوافرة

نسيم الشمال وأعنا بها وأعين غزلانها السّاحرة .⁸

¹-أبي منصور عبد الملك الثعالبي : لطائف المعارف ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1867 ، ص . 129 ؛ ابن فضلان : المصدر السابق ، ص . 83 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 397 .

²- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 261 - 262 .

³- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 384 .

⁴- ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص . 324 .

⁵-المقدسي : المصدر السابق ، ص . 283 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 384 .

⁶-Le starang : op . cit , p . 382 .

⁷-الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 253 - 254 .

⁸- الحموي : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 396 - 397 .

أما بلخ التي كانت بساتينها تسقى من نهر دهاس الذي يجري بها ¹، وكذلك من الثلوج والأمطار التي تتساقط في بعض نواحيها ²، فقد كانت تُحمل غلاتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ³، كما أنّ نهر جيحون يُعرف بنهر بلخ ⁴، وهذا لقربه منها وهذه الميزات لبلخ، تجعل منها بيئة زراعية بامتياز وهذا ما كان على العهد الساماني.

وقد ضمّ إقليم خراسان ككل مجموعة من التضاريس المختلفة، بين سهول واسعة تجتازها الأنهار الكثيرة، إضافة إلى مناطقها الرعوية التي تمتد من شمالها الشرقي حتى شرق آسيا ⁵، فكانت بذلك منطقة جذب للسكان، وأدّى استقرارهم بها إلى انتشار المدن والقرى والبساتين ⁶ في نواحي هذا الإقليم بكثرة.

هذه العوامل الطبيعية المساعدة على ازدهار الزراعة، تضافرت معها عوامل بشرية تتمثل أساساً في خبرة أهل المنطقة الطويلة في ممارسة الزراعة وإتقان تقنياتها ⁷، حتى أن البستنة قد بلغت درجة عالية من التطور على عهد السامانيين ⁸، الذين قاموا كذلك باستثمار رؤوس الأموال في استصلاح الأراضي ⁹، وإنشاء القنوات الجوفية لاستغلال مياه الينابيع وقنوات الري الجديدة، كما أنشأ السامانيون السدود وخزانات ¹⁰ وصهاريج المياه ¹¹.

وهذه دلائل توضح لنا مدى اهتمام السامانيين بالزراعة وسعيهم الحثيث لتطويرها، هذا الاهتمام الذي يتضح أكثر إذا علمنا بأن إنجاز هذه المشاريع، إضافة إلى تنظيم أمور الري كان يتم تحت الإشراف المباشر للأمير الساماني ¹²، ففي مرو كان يوجد ديوان للماء يحوي سجلات عن الأراضي الزراعية، ويحدد خراج الأرض طبقاً لكمية الماء التي تصل إليها ¹³.

¹ - أبي الفداء : المصدر السابق ، ص . 461 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 373 .

² - الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 281 .

³ - الحموي : المصدر السابق ، مج . 1 ، ص . 479 .

⁴ - المصدر نفسه ، مج . 1 ، ص . 480 .

⁵ - جمال الدين فلاح الكيلاني : خراسان التاريخية في ضوء المصادر العربية الإسلامية ، مراجعة ، د . محي هلال السرحان ، مكتبة المصطفى للنشر ، القاهرة ، 2012 ، ص . 7 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 268 ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص . 319 - 320 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 263 .

⁸ - Negmatov : op . cit , p . 88 .

⁹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 .

¹⁰ - Negmatov : op . cit , p . 88 .

¹¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 271 .

¹² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 . عن نظام الملك

¹³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 263 . عن المقدسي

المحاصيل الزراعية : لقد كان الإنتاج الزراعي بمختلف أنواعه كثيرا في الدولة السامانية ، خصوصا في ظل المعطيات السابقة الذكر، واعتمد السامانيون في سدّ حاجياتهم الغذائية الموجهة للاستهلاك اليومي ، بشكل كبير على القرى المنتشرة بكثرة في بلاد ما وراء النهر¹ وخراسان².

1- زراعة الحبوب : وفّرت القرى إنتاجا كبيرا من الحبوب ، على اختلاف أنواعها سواء في المناطق المروية أو غير المروية ، فقد كان الفلاحون في قرى فرغانة والشاش وأشروسنة وختل والصغانيان وسجستان وخراسان... يزرعون القمح والشعير³، إضافة إلى العدس والحمص والبازلاء⁴، وقد كثر إنتاج السمسم بمرور إلى جانب إنتاجها من القمح والشعير، ويعتبر خبزها من أطيب أطعمة خراسان⁵.

ولكثرة إنتاج الحبوب في الصغانيان ، فقد كان الخبز رخيص الثمن بها⁶، ومما يدل على وفرة إنتاج الحبوب بالدولة السامانية ، هو التصدير من بعض مناطقها على غرار سرخس نحو الحجاز أسبوعيا ، كما وزعت سرخس التي كانت تُنتج الكثير من الذرة إلى جانب القمح والشعير ، الحبوب إلى بعض مناطق خراسان⁷، وهذا التصدير نحو الحجاز يعني وجود فائض في الإنتاج ، كما يعني كذلك وجود أماكن خاصة لحفظ الحبوب بسرخس .

وقد أورد " المقدسي " بأن إنتاج أوفر وحدها ، وهي من مناطق سمرقند في السنوات الجيدة كان يكفي سمرقند وبخارى سنتين⁸، رغم كثافة السكان بهما ، ولوفرة القمح فقد كانت عديد الأسواق عامرة به على غرار سوق خوارزم⁹.

ومن الحبوب التي تُنتج في الدولة السامانية كذلك الأرز ، ونظرا لكثرتهم في بعض النواحي فقد كانوا يصنعون منه خبزا¹⁰، وكثر إنتاجه في فرغانة لوفرة المياه بها¹، وكذلك الحال ببعض قرى هراة².

¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص 281 - 282 .

² - الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 272 - 273 ؛ الكيلاني : المرجع السابق ، ص . 18 .

³ - Negmatov : op . cit , p . 88 .

⁴ - بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 98 .

⁵ - الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 262 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 128 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 282 .

⁷ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 128 .

⁸ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 279 .

⁹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 263 .

¹⁰ - الفقي : المرجع نفسه .

2- الفواكه : كان إنتاجها بالدولة السامانية متوفرا ومزدهرا ، يتضح هذا من خلال الصورة التي قدمها لنا بعض الجغرافيون عن المنطقة ، فالأشجار المثمرة والبساتين كانت كثيرة بها فالشاش لا يخلو بيت من بيوت قصبتها من البساتين ، وكذلك كان الحال بأشروسنة سمرقند وبخارى ، وبمعظم أراضي بلاد ما وراء النهر³ . ما جعل الثمار كثيرة وأسعارها رخيصة ، ولكثرتها في بلاد ما وراء النهر فقد كانت ترعاها دوابهم⁴ ، كما تميزت أراضي خراسان كذلك بكثرة بساتينها ووفرة ثمارها⁵ .

وتطورت البستنة على العهد الساماني، وكثر إنتاج العنب والرمان والكرز والتفاح والخوخ والتين والبطيخ بنوعيه الأحمر والأصفر... الخ⁶ ، وقد كان بطيخ مرو مشهورا في الآفاق بجودته وطعمه⁷ ، أما هراة فاشتهرت بزراعة أنواع الكروم المختلفة⁸ حتى أن " الزوزني " قد تغنى بها في أشعاره ، واشتهرت نسف هي الأخرى بكثرة أعنابها⁹ ولكثرة إنتاج هراة من الأعناب فقد كان يُحمل منها الزبيب إلى المناطق المجاورة¹⁰ ، وجدير بالذكر أن هراة كانت تنتج أصنافا مختلفة من العنب¹¹ .

ومن الفواكه كذلك التفاح الجيد الذي اشتهرت به باذغيس¹² ، كما انتشرت أشجار النخيل في سجستان¹³ وكرومان حتى أن إنتاجه كان يزيد عن حاجة سكان المنطقة فيُحمل منها إلى خراسان¹⁴ ، وكثر الفستق بجمال ما وراء النهر¹⁵ ، وكذلك شجر التوت الذي يغرس من أجل تربية دود القز¹ .

¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 271 .

² - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 367 - 368 .

⁵ - المقدسي : المصدر السابق، ص . 276 وما بعدها بعدة صفحات.

⁴ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 392 .

⁵ - ابن الفقيه : المصدر السابق، ص . 316 و ما بعدها.

⁶ - بوريوي ومنوروف : المرجع السابق ، ص 98- 99 ؛

⁷ - ابن الفقيه : المصدر السابق، ص . 320.

⁸ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 266.

⁹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 282.

¹⁰ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 266.

¹¹ - صلاح سليم : المرجع السابق، ص . 129-130.

¹² - الفقي : : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق، ص . 264.

¹³ -

Negmatov : op . cit , p . 89 .

¹⁴ - الفقي : : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 264 .

¹⁵ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 392.

3- محاصيل أخرى : إلى جانب المحاصيل السابقة ، نجد القطن الذي كان يزرع في بعض مدن إقليم خراسان كمرو ونيسابور وقوهستان ، وقد كان مشهورا بجودته² ، وعرفت فرغانة كذلك بمنتوجها من القطن ، كما أنتجت كميات من قصب السكر³.

ومن المحاصيل السامانية كذلك اللوز والجوز ، وقد كثرت أشجار الجوز ببعض مناطق سمرقند⁴ وبلخ⁵ ، وكذلك فرغانة ، ففي شكت التابعة لها يصل ثمنه في بعض الأحيان إلى ألف جوزة بدرهم⁶ ، وكان الفستق كذلك يزرع ببعض المناطق على غرار مزارع هراة⁷ ، كما أنتجت الدولة السامانية محاصيل من الدخن في بعض المناطق كبلخ⁸.

وظهرت محاصيل أخرى في الدولة السامانية على غرار الكتان⁹ والقنب¹⁰ ، وكثرت زراعة النباتات الطبية والعقاقير التي تستعمل في علاج بعض الأمراض ، بمناطق مختلفة من الدولة السامانية¹¹ ، إضافة إلى الورد والبنفسج وأنواع من الرياحين¹² ، ونظرا لكثرة الغابات والأشجار فقد كان الخشب متوفرا¹³ ويستخدم كمادة أساسية لبعض الصناعات .

4- الثروة الحيوانية: إن الدولة السامانية كانت غنية بالثروة الحيوانية على اختلاف أنواعها ، خصوصا في ظل تنوع التضاريس الجغرافية للمنطقة بين سهول وجبال ووديان¹⁴ ، إضافة إلى المراعي المنتشرة في ثناياها كتلك

¹ العمادي: المرجع السابق : ص . 134 .

² -الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 255 وما بعدها بعدة صفحات .

³ -

- Negmatov : op . cit , p . 89.

⁴ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 279 .

⁵ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 128 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص 271 .

⁷ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 128 .

⁸ - بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 98 ؛

⁹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 111 .

¹⁰ - بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 98 .

¹¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 413 ؛ صلاح سليم طابع أحمد: مدينة هراة دراسة سياسية وحضارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،

الاسكندرية ، ط . 1، 2007 م ، ص . 132 - 133 .

¹² - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 392 .

¹³ - الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 268 .

¹⁴ -

- Negmatov : op . cit , p . 89 .

المتواجدة بسمرقند وأشروسنة ، ونظرا لكثرة الحشائش وحجمها ببعض هذه المراعي الطبيعية ، فقد كانت الدواب تختفي عن الأعين إذا أوغلت فيها ¹ .

وكانت هذه المراعي مرتعا خصبا للرعاة لتربية الأغنام والخيول²، وقد كان سكان قرى أوفر بسمرقند أصحاب مواشي وأغنام، ومن المناطق التي اشتهرت بكثرة الأغنام كذلك منطقة خوارزم ³ ، كما اشتهرت هراة بوجود عدة أنواع من الغنم بها ⁴ ، أما في الشاش وفرغانة فالواحد من الرعية يمتلك بين مئة وخمسمائة وعشرون دابة وليس بذي سلطان ، إضافة للأغنام فقد توفرت الدولة السامانية على ثروة معتبرة من الأبقار في عدة مناطق على غرار مرو ⁵ ، إضافة إلى الضأن التي كانت كثيرة بهراة ⁶ وهذه الثروة الحيوانية تُعتبر مصدرا رئيسيا لإنتاج اللحوم والأصواف والجلود والفراء والوبر، والتي تُعد مواد أولية للعديد الصناعات وموردا ماليا إضافيا للخبزينة السامانية .

ومن الحيوانات التي توفرت في الدولة السامانية ، الخيول التي كانت مراعيها بمناطق الاستبس ⁷ ، وقد كانت كثيرة لدرجة أن الصغانيان تخرج عشرة آلاف مقاتل بدواهما ⁸ ، كما كانت تُربي الخيول العربية الأصيلة في روابي هراة ⁹ كما كان بالدولة السامانية أنواع من الجمال ¹⁰ ، على غرار الجمال ذات السنامين المسماة بالجمال " البخاتى " إضافة إلى الجمال بسنام واحد ¹¹ ، وهي سريعة العدو واستخدمت لنقل البريد عبر المسافات الطويلة في الدولة السامانية ¹² ، وكانت الإبل والخيول والحمير تُستخدم كذلك كمراكب للسفر ونقل المتاع ¹³ .

¹ - المقدسي: المصدر السابق، ص . 279 و ما بعدها بصفحات .

² - Negmatov : op . cit , p . 89.

³ - المقدسي: المصدر السابق ص . 279 ؛ ليسترينج كي: المرجع السابق ، ص. 491.

⁴ - صلاح سليم: المرجع السابق، ص. 135.

⁵ - عدوان: المرجع السابق، ص. 112.

⁶ - النرشخي: المصدر السابق، ص. 106.

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص. 265.

⁸ - المقدسي: المصدر السابق، ص. 282.

⁹ - صلاح سليم: المرجع السابق ، ص. 134.

¹⁰ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص. 265.

¹¹ - صلاح سليم: المرجع السابق ، ص. 134.

¹² - نظام الملك: المصدر السابق ، ص. 146.

¹³ - ابن الفقيه: المصدر السابق ، ص. 316.

وهناك أيضا الماعز الجبلي المنتشر في سفوح الجبال ¹ ، إلى جانب هذا فقد عرفت الدولة السامانية كذلك تربية دود القز التي تعتبر المصدر الرئيسي للحزير ² ، كما قام السامانيون بتربية النحل من أجل إنتاج العسل وتوفيره واشتهر من سكان الدولة السامانية الهرويون بتربية النحل وقد وُجدت عدة مناحل بهرة ³ ، كما عرفت الدولة السامانية تربية الدواجن ⁴ ووُجدت بها عدة أنواع من الطيور.

وقد شكلت الأسماك ثروة حيوانية وموردا غذائيا إضافيا للسكان، وذلك لكثرة المصادر المائية بالدولة السامانية على غرار نهري سيحون وجيحون وروافدهما ، فخوارزم كان أهلها يصطادون الأسماك على ضفاف نهر جيحون ⁵.

كما أن الحيوانات البرية كانت كثيرة بالدولة السامانية كالأسود ⁶ ، وغيرها من الحيوانات الضارية التي تعيش في الغابات والأحراش كالدببة إضافة إلى القردة والأرانب... ⁷.

إذن فالثروة الحيوانية بالدولة السامانية قد كانت متوفرة و متنوعة ، شكلت موردا ماليا إضافيا للاقتصاد الساماني ووفرت مواد أولية لعدة صناعات وساهمت في ازدهار التجارة.

5- أنواع ملكية الأرض : لقد كانت ملكية الأرض في الدولة السامانية ، خصوصا في خراسان وما وراء النهر على الشكل التالي .

الملك السلطاني : ويُطلق عليها أيضا ملك المملكة ، هي الأراضي والأملاك التي تخص الأمير الساماني نفسه يتم إدارتها من قبل ديوان خاص يعرف بديوان الدية ، ويتولى العمل فيها عامة الفلاحين بموجب نظام حصة الإيجار ⁸ ، من أمثلتها قرية زرمان التي كانت من أملاك الأمير " إسماعيل بن أحمد " بنواحي سمرقند ⁹ ، كما أنشأ كل من تولى الحكم بعده بساتين وقصور وضياع في جوي موليان كانت كلها أملاكاً سلطانية ¹⁰.

1 - صلاح سليم : المرجع السابق ، ص. 134.

2 - الاصطخري: المصدر السابق، ص. 263 ؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 316.

3 - صلاح سليم: المرجع السابق ، ص. 136.

4 - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص. 317 .

5 - المقدسي : المصدر السابق ، ص. 283 وما بعدها بعدة صفحات .

6 - النرشخي: المصدر السابق ، ص. 131.

7 - صلاح سليم: المرجع السابق، ص. 136.

8 - بورويوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص. 97 .

9 - النرشخي : المصدر السابق ، ص. 129 .

10 - المصدر نفسه ، ص. 49 - 50 .

أراضي الملكية الخاصة : هي أراضي تابعة لأفراد من كبار الشخصيات في المجتمع الساماني ، على غرار أفراد الأسرة الحاكمة والدهاقنة الإقطاعيين الذين أبقي السامانيون عليهم وعلى سلطتهم¹ ، إضافة إلى أراضي كبار التجار وكبار القادة العسكريين² ، على شاكلة الضياع والممتلكات الكثيرة التي كانت ملكا " لألبتكين " ³.

أراضي الأوقاف : تشمل كل ما حُصِّص للأغراض الدينية والنفع العام ، وما تبرع به أصحابه لخدمة المساجد والمدارس والمزارات ⁴...، مثل الوقف الذي أوقفه " إسماعيل بن أحمد " على جامع بخارى ، والمتمثل في أراضي اشتراها بعشرة آلاف درهم⁵ ، ومن أمثلتها كذلك أوقاف " قراتكين " بأسفيجاب والمتمثلة في الرباط الذي حمل اسمه ، وكذلك السوق الذي يُقدَّر دخله الشهري بسبعة آلاف درهم أجراها على الضعفاء والمحتاجين ⁶.

الأراضي العامة : وتشمل الملكيات الصغيرة التي تكون لعامة أهل الريف من مراعي وغابات ..التي يستغلها الفلاحون و الرعاة⁷ ، يطلق على أصحابها صغار الملاك ⁸.

هذا وقد كانت الأراضي السامانية مقسمة من حيث الضرائب المفروضة عليها إلى : **أراضي الخراج** تشمل أراضي الملكية الخاصة بصغار الفلاحين ، ويُحدد حجم الخراج عليها وفق خصوبة الأرض نوعية المحصول ومردوديته⁹ ، وهناك أراضي **معفية بشكل كلي أو جزئي من دفع الضرائب** ، وتتمثل في أراضي الوقف وأراضي كبار العلماء إضافة إلى عدد من الملاك¹⁰ الذين تمنح لهم بعض الامتيازات من قبل السلطة الحاكمة ، أما أراضي التي تمنحها السلطة الحاكمة لكبار رجال الدولة والقادة فقد كانت معفية كلياً من الضرائب ¹¹ وُتمنح لهم كبديل عن الأجور والرواتب وفي حالة إهمالها تُنزع منهم ¹².

1- Negmatov : op . cit , p . 87 .

2- بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 97 .

3- نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 149 .

4- بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 98 .

5- الترشيحي : المصدر السابق ، ص . 49 .

6- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 273 .

7- بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 98 .

8- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 264 .

9- بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 97 ؛

10- المرجع نفسه ، ص . 98 ؛

11- نفسه .

12- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 264 .

-Negmatov : op . cit , p . 87.

-Negmatov : idem .

وكان الإقطاعيون يُقسّمون أراضيهم إلى قطع صغيرة يمنحونها للفلاحين من أجل العمل فيها¹، ويُوفّرون لهم الأدوات اللازمة وسُبل الري لخدمة الأرض، ويؤدي هؤلاء الفلاحون ضريبة العشر للإقطاعيين أو ملاك الأراضي الكبار²، الذين كان لهم الحق في الاحتفاظ بإيرادات هذه الأراضي، كما كانوا يتولون أمر الفصل في النزاعات التي تنشأ بين الفلاحين العاملين على أراضيهم³.

وقد كانت الدولة السامانية تضطر أمام المشاكل الاقتصادية التي تواجهها في بعض الأحيان إلى زيادة الخراج والضرائب على الفلاحين، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث اضطرابات اجتماعية بالمنطقة، وقد استقرضت الدولة من الناس في عهد "نوح بن نصر" خراج سنة كاملة⁴.

وقد تضرّر الناس في بعض الأحيان من تصرفات بعض رجال الخراج، وقد ترامى إلى أسماع "إسماعيل بن أحمد" بأن جباة الضرائب في الري، يحتالون على الأهالي بمكايل زائفة فبعث من فوره برسول إليها جلب له الموازين ليقومها، وأوقف الجابي عن عمله⁵.

ثانياً: النشاط الحرفي (الصناعات):

ازدهرت الصناعة في الدولة السامانية نتيجة لمجموعة من العوامل والمؤثرات التي ساهمت في تطورها، منها وفرة الثروات الطبيعية والخامات على اختلافها وتنوعها بين خامات زراعية وحيوانية أو معدنية، إضافة إلى وفرة رؤوس الأموال التي استثمرت في سبيل النهوض بالصناعات، كل هذا يضاف إليه مهارة الصّناع وخبرتهم في حرفهم فضلاً عن وجود سوق محلية كبيرة كانت تستهلك هذا المنتج، والفائض منه تم توجيهه للأسواق الخارجية بهدف تصريفه بها.

وقد قال "ابن حوقل" واصفاً ثروات بلاد ما وراء النهر: "... وليس شيء لا بد للناس منه إلا وعندهم منه ما يقوم بأودهم ويفضل عنهم لغيرهم..."⁶.

1- Negmatov : op . cit , p . 87.

2- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق، ص . 264 .

3- بوربيوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق، ص . 98 .

4- عدوان : المرجع السابق، ص . 102 .

5- أرمينوس فاميري : المرجع السابق، ص . 108 .

6- ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 384.

1- الصناعات التي قامت على المعادن : لقد كانت أراضي الدولة السامانية غنية بالثروات المعدنية على اختلافها¹ ، مما ساعد على قيام صناعات معدنية كثيرة بها خصوصا في ظل الجهود المبذولة من قبل الدولة السامانية في سبيل التنقيب عن المعادن والاستغلال الجيد للمناجم² ، فالتعدين ببلاد ما وراء النهر وخراسان كان متطورا على العهد الساماني .

فالدولة السامانية كانت غنية بالذهب والفضة ، إذ أن بلاد ما وراء النهر كانت تعد أغنى بلاد الإسلام بهذه المواد³ ، والتي تُستخدم في صناعة الخلي للزينة كما صُنعت منها أواني كان يستعملها بعض الأثرياء ، وقد استعملت الفضة في عهد " إسماعيل بن احمد " لضرب العملة في الدولة السامانية⁴ ، وكانت عمليات التنقيب عن هذه المعادن كثيرة حتى أن بعض الجبال أصبحت كالغربال من كثرة الحفر⁵ .

ومن المعادن التي توفرت بالدولة السامانية وكانت سببا رئيسيا لازدهار عدد من الصناعات نجد الحديد الزئبق النحاس النفط الزيت الفحم⁶ الرصاص والكبريت...⁷ هذا وتجلت مهارات الصانع والحرفين في خراسان وبلاد ما وراء النهر في عدد من الصناعات ، على غرار صناعة الأسلحة ومختلف الآلات الحديدية التي ذاع صيتها في العراق وأقبل الناس عليها لجودتها⁸ ، كما استعمل الحديد لبناء أبواب الحصون والقلاع⁹ إضافة إلى الدروع ومختلف الأدوات التي تُستعمل في الزراعة¹⁰ .

أما معدن الرصاص فقد استُخدم في عدد من الصناعات ، منها صناعة قنوات المياه¹¹ واستُغل النحاس الذي كثيرا بالأراضي السامانية في صناعة الأواني المنزلية على اختلافها ، والتي استُعمل في صناعتها كذلك الطين

¹ - ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 402؛ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 279.

² - كان يعمل على استخراج المعادن منها الرجال من الأتقان و العبيد ...، و قد عُثر في بعض المناجم التي استغلها السامانيون على قيود للعبيد ، انظر (Negmatov : op .cit, p . 89 . -) .

³ - الاصطخري: المصدر السابق ، ص . 281 .

⁴ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 404 ، المقدسي : المصدر السابق ، ص . 281 .

⁵ - الحموي: المصدر السابق ، مج.1. ص. 498-499.

⁶ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 402.

⁷ - Negmatov : op .cit, p . 89 .

⁸ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 416 ؛ ابن الفقيه: المصدر السابق ، ص. 316.

⁹ - ابن الفقيه: المصدر نفسه ، ص. 326.

¹⁰ - Negmatov : op .cit, p . 89 .

¹¹ - المقدسي: المصدر السابق ، ص. 279.

والزجاج¹ ، وقد صنع الحرفيون أوالي منزلية ذات جودة عالية من مادة السيراميك ، زُينت بزخارف تحتوي آيات قرآنية وأبيات شعرية² .

ولقد كانت الصناعات اليدوية تحتل موقعا بارزا في الاقتصاد الساماني وثمارس على نطاق واسع ، في القرى والمدن على حد سواء وعرفت نوعا من التطور بالأخص في المدن الكبرى ، فلقد كانت تُغطي حاجيات السوق المحلية وترسل الفائض من الإنتاج إلى الأسواق الخارجية³ .

2- المنسوجات القطنية الصوفية والحريية : لقد اشتهرت عديد المناطق السامانية بمنتجاتها القطنية ، وهذا نظرا لتوفر القطن بنواحيها وذكر الجاحظ : " .. قد علم الناس أن القطن لخراسان ... " ⁴ ، واشتهرت بعض نواحي خراسان بصناعات قطنية معينة ، على غرار الأكسية البيضاء بطبرستان وأكسية قُمس التي تُحمل إلى سائر الأمصار⁵ .

كما اشتهرت مرو بقطنها الذي تُصنع منه أفخر الثياب وخاصة الملاحم ، وإليها يُنسب القطن اللين والثياب التي تُجهز إلى سائر الأقاليم الإسلامية ، حيث أنها كانت من ألبة الطبقة الأرستقراطية⁶ ، كما اشتهرت نيسابور كذلك بجودة ثيابها القطنية فقد قال عنها " الاصطخري " : " .. بأن أنفس الثياب القطنية ما يقع من نيسابور ومرو .. " ⁷ ، وكانت تُرفع إلى عديد المناطق لجودتها⁸ .

كما اشتهرت عدة مدن بما وراء النهر بجودة منتجاتها القطنية وجمالها ، وتتمثل في الأقمشة والملابس المتنوعة التي تُنتج منها بخارى وسمرقند ونواحيهما كميات معتبرة ، وذاع صيتها على نطاق واسع⁹ ، وحملت أقمشة سمرقند

¹ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 402 وما بعدها بعدة صفحات ؛ العمادي : المرجع السابق، ص . 133 .

² - Negmatov : op . cit , p . 89 .

³ - بوريوي ومنوروف : المرجع السابق ، ص . 99 .

⁴ - عمرو بن بحر الجاحظ البصري : كتاب التبصرة بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط . 2 ، 1354 هـ /

1935 م ، هامش ص. 19

⁵ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 111 .

⁶ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 263 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 135 .

⁷ - الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 282 .

⁸ - المصدر نفسه ، ص . 255 - 256 .

⁹ - Negmatov : op . cit , p . 90 .

⁹ - الترشيحي : المصدر السابق ، ص . 39 ؛

الفضية اللون اسم " سمغون " وبه عُرفت ¹ ، كما اشتهر الخوارزميون بصناعة ثياب قطنية راقية ² ، فالصناعة القطنية كانت مزدهرة ومتطورة بالدولة السامانية ³ .

وفي ظل وفرة الأصواف والوبر الناتج عن الثروة الحيوانية الكبيرة بالدولة السامانية ، فقد تجلّت مهارة الحرفيين واضحة من خلال منتجاتهم المتنوعة ، فبلخ عُرفت بمنتجاتها **الصوفية** الراقية والمشهورة ⁴ ، وهو نفس الحال بالنسبة لمنتجات نيسابور الصوفية ⁵ ، كما أن الملابس الصوفية المُنْتِجة بخوارزم كانت ذائعة الصيت ⁶ .

كما عرفت الدولة السامانية **الصناعات الحريرية** الناتج عن تربية دودة القز في عدد من مناطقها على غرار خوارزم ⁷ ونيسابور التي كانت تصدر المبيعات الحريرية في خراسان ، وبالأخص في المناسبات والاحتفالات ⁸ وأنتجت هذه المدن أنواعا من الملابس الحريرية مثل "العتي" و" السقلاطوني " التي كانت تضاهي دياج بغداد وأصفهان ⁹ .

ونمى دود القز بكثرة ببلاد ما وراء النهر ، التي يكثُر بها شجر التوت ، مما ساهم في ازدهار الصناعات الحريرية بها التي كانوا قد اقتبسوها عن الصينيين ¹⁰ .

هذا وقد كانت بخارى تحتوي على دار للصناعة النسيجية ، تُنتج بها أنواع من القماش الفاخر وكانت منتجات هذه الدار تُصنع بواسطة عمال مهرة ومختصين ، وأشهر ثياب بخارى "اليزديات" وهو نوع من القماش الفاخر "والزندنجي" الذي يحمل إلى سائر الولايات ، إذ أنّ الطلب عليه كان كبيرا من قبل أصحاب المناصب المرموقة وهو أشهر ثياب بخارى ¹¹ وعُرف عن الثياب البخارية أنها كانت غليظة السلك مُبرّمة الغزل ¹² .

¹ - منوروف وبوريوي : المرجع السابق ، ص. 100 .

² - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 397 .

³ -

-Negmatov : op . cit , p . 90 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 111 .

⁵ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 135 .

⁶ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 397 .

⁷ - الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 263 .

⁸ - العمادي : المرجع السابق ، ص. 135 .

⁹ - المرجع نفسه .

¹⁰ - الفقي : الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص. 266 . عن بدر الدين الصيني

¹¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 39 .

¹² - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 404 .

ومن الثياب المشهورة كذلك القماش " الورداري " ، نسبة إلى قرية وردار القريبة من سمرقند وهو من الألبسة الشتوية التي يقبل الناس على اختلاف مراتبهم الاجتماعية على ارتدائها ، وكان هذا القماش يُلبس قطعاً كاملة دون قص ، ويتباهى الناس في العراق بارتدائه ¹.

3- السجاد: لقد كانت خراسان والأقاليم الأخرى من المشرق من أكثر المراكز لصناعة السجاد، ولا تزال إلى وقتنا الحاضر ويمتاز إنتاجها بجودته الرفيعة ²، ومرّ هذه الجودة إلى وفرة المواد الخام واليد العاملة الماهرة ، التي اكتسبت خبرتها من الأجيال الماضية إضافة إلى صلاحها بمناطق لها خبرة في هذا المجال على غرار الهند والصين ³ حيث تأثرت صناعة النسيج بها إلى حد ما بالفن الصيني ⁴ ، كما ساهمت رعاية وتشجيع الأمراء لهذه الصناعة في تطويرها ⁵.

وكانت العاصمة السامانية تُصدر البسط والفرش إلى مختلف المناطق ⁶، واشتهرت دار الطراز المتواجدة بها بإنتاجها الوفير من البسط والسرادات والوسائد والسجاجيد للصلاة والبرود الفندقية ، وجودة منتجاتها كانت تحمل حتى لدار الخلافة ⁷.

وتعتبر مدينة تون من أهم مركز صناعة السجاد إذ كان يتواجد بها أربع مئة مصنع مخصص للسجاد ⁸ ، ومن المدن التي اشتهرت بمنتجاتها طالقان التي اشتهرت باللبود الطالقشية الشهيرة، وخرج الشار باللبود والبُسط الحسان وقوهستان بالبُسط والمصليات ⁹ إضافة إلى أصفهان كرمان همذان تستر وهرات، والتي كانت هي الأخرى من المراكز الرئيسية لصناعة السجاد ¹⁰.

¹ - بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : المرجع السابق ، ص . 100 .

² - العمادي: المرجع السابق ، ص. 136.

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص. 265 .

⁴ - عدوان: المرجع السابق ، ص. 112.

⁵ - زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العهد الإسلامي ، القاهرة ، 1940. ص. 140.

⁶ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 404.

⁷ - النرشخي: المصدر السابق ، ص. 39.

⁸ - ناصر خسرو علوي: سفر نامه ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1993، ص. 176.

⁹ - العمادي: المرجع السابق ، ص. 136.

¹⁰ - زكي محمد حسين: المرجع السابق ، ص. 145.

4- الصناعات الجلدية: من الطبيعي أن تستغل الحامات الحيوانية كالجلود والوبر والفراء المتوفرة بالدولة السامانية في الصناعة¹، وكانت الجوزجان ثمول سائر مئدن خراسان بالجلود الجيدة للصناعة²، أما خوارزم فكانت مصدرا لجلب الفراء وأوبار السمور والفنك والثعالب³، التي تستعمل في عدد من الصناعات الجلدية .

ومن أهم مراكز الصناعات الجلدية بالدولة السامانية نجد مدينة الشاش⁴، التي اشتهرت بإنتاجها للسروج العالية المعمولة من جلد الخيل إضافة إلى الجعاب والخيام⁵، كما اشتهرت مدينة بلخ بدباغة الجلود وصناعتها، وبمرو كان يتم إنتاج الركب المروزية والأحذية والأسرحة، وبنيسابور السيور الجلدية والأسرحة كذلك⁶.

5-الصناعة الخشبية: في ظل الثروة الغابية بالأراضي السامانية كانت الأخشاب متوفرة بكثرة، وكثر استعمالها في مجال الصناعة، كما استعملت كؤفود للتدفئة⁷، وكان الخشب يُحمل لوفرتة من خراسان إلى سائر النواحي⁸ كما كان متوفرا في مناطق عدة من بلاد ما وراء النهر⁹.

واستعمل الخشب لصناعة الأبواب للمدن¹⁰، واستعمل كمادة أساسية في بناء المنازل والبيوت و المساجد¹¹ إضافة إلى الأدوات والأواني المنزلية¹².

وظهرت بالدولة السامانية صناعة القوارب في ظل المجاري المائية الكثيرة التي كانت تخترق أراضيها، فكانت ترمز وخوارزم من بين المناطق التي تصنع بها القوارب¹³، كما ذاع صيت الرماح والنشاب المصنوعة ببلخ والأقواس بخوارزم إضافة إلى صناعة الصناديق والتحف الخشبية المزينة ببنيسابور¹.

1 - عدوان: المرجع السابق، ص. 111.

2 - الاصطخري: المصدر السابق، ص. 271.

3 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 398؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 329.

4 - Negmatov : op . cit . p . 89 .

5 - بوريوي ومنوروف : المرجع السابق 100 .

6 - المرجع نفسه، ص. 137.

7 - العمادي: المرجع السابق، ص. 137.

8 - الاصطخري: المصدر السابق، ص. 268.

9 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 105 و ما بعدها بعدة صفحات .

10 - ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 326.

11 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 402.

12 - العمادي: المرجع السابق ص. 137؛ الفقي: الدول المستقلة في المشرق ..، المرجع السابق، ص. 268.

13 - بوريوي ومنوروف : المرجع السابق، ص. 99-100.

6- صناعات أخرى :

- **صناعة الورق** : اشتهرت سمرقند بإنتاجه حيث كان ورقها معروفا على نطاق واسع في البلاد الإسلامية² وأطلق عليه كاغد سمرقند ، وكان الورق المصنوع في معاملها من أنعم وأحسن أنواع الورق ، وكانت صناعة الورق قد انتقلت من الصين إلى سمرقند ومنها إلى باقي بلاد الإسلام³ ، وأنتج بها عدة أنواع من الورق منها النوحى نسبة إلى الأمير " نوح الأول ابن سامان " ⁴ ، و" المنصوري " و" الحسني " ⁵ ، و" الطلحي " و" الجعفري " و" الطاهري " و" الجيهاني " ، ووُجد بسمرقند خان كبير للكواغديين⁶ .

- **الصناعة الزجاجية**: هي الأخرى عرفت نوعا من الازدهار على العهد الساماني ، وكانت المنتجات الزجاجية متنوعة على غرار القوارير والزهريات والأكواب للاستعمال المنزلي⁷ ، ومن مراكزه سمرقند حيث كان زجاجها ذو قيمة كبيرة⁸ ، واشتهرت طوس كذلك بصناعة الزجاج والأقداح والكيزان ، ومن مراكزه كذلك سرخس التي اشتهرت بصناعة الأواني الخزفية والزجاجية⁹ .

إضافة إلى **الصناعات السابقة** وفي ظل توفر أنواع من العقاقير بالأراضي السامانية¹⁰ ، فقد تم استغلالها في صناعة بعض الأدوية كما أنتج السامانيون أنواعا من الزيوت للشعر وزيت الخروع والعنبر والصابون¹¹ ، إضافة إلى العطور المختلفة ، وصباغة المنتجات بألوان مختلفة ، حيث أن أصحاب هذه الحرف قد أبدعوا فيها¹² .

1 - العمادي: المرجع السابق ص. 137 .

2- السمعاني ابن منصور التميمي (ت. 562 هـ) : الأنساب ، تقدم عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، ج . 5 ، ط . 1408، 1 هـ / 1988م ، ص . 18 - 19 ؛ Negmatov op . cit . p . 89 .

3- الثعالبي : المصدر السابق ، ص . 126 ، الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص.266.

4- العمادي: المرجع السابق ، ص.137.

5- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 19 .

6- الثامري : المرجع السابق ، ص . 63 . عن النسفي لبثعالي ...

7- العمادي : المرجع السابق ، ص.138.

8- Negmatov : op . cit . p . 90 .

9- العمادي: المرجع السابق، ص.138.

10 -ابن حوقل: المصدر السابق ، ص.413.

11- بوريوي ومنوروف : المرجع السابق ، ص. 99-100.

12- العمادي: المرجع السابق ، ص. 138 .

إذن فقد برزت عدة صناعات في الدولة السامانية ، ساهمت في توفير حاجيات سكانها وتحريك عجلة التجارة بها ويمكن اعتبار صناعتها بأنها كانت متطورة بالنسبة لزمانها ، ساهمت بشكل فعال في الإقتصاد الساماني من خلال الإنتاج المتنوع ، ومناصب الشغل التي توفرها.

ثالثا: التجارة في الدولة السامانية :

ازدهرت التجارة في الدولة السامانية بسبب وفرة الإنتاج وتنوعه بين زراعي وصناعي وإنتاج حيواني ، الأمر الذي خلق حركية تجارية بالدولة السامانية ، خصوصا في ظل موقعها الاستراتيجي وعبور طرق التجارة العالمية لأراضيها .

1 - الأسواق والتجارة الداخلية :

تعتبر الأسواق هي المركز الرئيسي للتجارة ، ولقد كانت الأراضي السامانية تعج بها ، فلا تخلو قرية أو مدينة من سوق أو عدة أسواق¹ ، فضلا عن المحلات والخوانيت المنتشرة في أرجاء هذه التجمعات السكنية بهدف توفير الحاجيات الأساسية لقاطنيها² .

فالسوق من الركائز الأساسية للمدن التي تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق³ ، وضمت المدن السامانية الكبيرة أكثر من سوق ، فنيسابور لها سوقان أحدهما تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة⁴ ، ولمرو عدة أسواق هي من أنظف أسواق الأمصار⁵ ، كما كان لسمرقند⁶ أشروسنة بخارى وفرغانة⁷ وغيرها من المدن السامانية عدة أسواق وهذا دليل على أن الدولة السامانية كانت نشطة تجاريا ومدنها ذات طابع تجاري .

ولا أدل على حيوية التجارة بالدولة السامانية من وجود عدة أسواق ببعض القرى ، مثل قرية زندنة التي هي من قرى بخارى⁸ ، أما عن مواضع هذه الأسواق فمنها من تركز خارج أسوار المدن مثل أسواق نيسابور¹ ، وهذا نظرا

¹ - المقديسي: المصدر السابق ، ص. 281؛ النرشخي: المصدر السابق ، ص. 28 وما بعدها.

² - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 407.

³ - محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق ، ص. 228.

⁴ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 362.

⁵ - الاصطخري: المصدر السابق ، ص. 259.

⁶ - ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 407.

⁷ - المقديسي: المصدر السابق ، ص. 272.

⁸ - النرشخي: المصدر السابق ، ص. 31.

لكبرها وحتى تتسع للقادمين إليها بسلعهم . أما الأسواق التي تركزت داخل المدن فقد تنوعت مواضعها ومساحاتها حسب أنشطتها وخدماتها التي تؤديها²، وقد كانت عدة أسواق بمدن ما وراء النهر تقع داخل أسوار المدينة³.

أما عن أوقات انعقاد هذه الأسواق فقد كانت معلومة ومحددة ، فمنها من يكون موسميا مثل السوق الذي يُعقد ببخارى سنويا ويقصده الناس حتى من خراسان⁴، أو أسبوعيا على غرار عدد من أسواق القرى بما وراء النهر منها من كان يعقد كل خميس و منها من كان يعقد كل جمعة وهكذا⁵، وهناك أسواق تعمل على تلبية الحاجات اليومية لأهل المدن والقرى⁶.

هذا وقد انفرد أصحاب كل حرفة من الحرف بزاوية من السوق ، فيها حوانيتهم المشحونة بالصناعات والبضاعة مثل سوق القلانسيين الأساكفة الخزازون والحبالون والبخازون⁷، فكل بضاعة كان لها سوقها الخاص بها يقصده الراغب في هذه السلع .

والأسواق تضم عددا من الدكاكين والمحلات المغطاة ، وفي كل سوق مُحْتَسِب يُراقب جودة السلع وصلاحياتها ويتأكد من صحة الموازين والمكاييل ويحول دون التلاعب بالأسعار وتستمر حركة البيع من الصباح الباكر حتى المساء⁸.

وتكتل التجار الذين يشتغلون في بيع صنف واحد من السلع في نقابات ، تجمعها كلها نقابة كبيرة تسمى نقابة التجار يرأسها " الشاهبندر" ، وهو تاجر ذو مال كبير وله علاقات مع ذوي الحكم والسلطان ، يعمل من أجل الدفاع عن مصالح التجار ورفع الظلم عنهم ، ويُساعده في مهامه عدد من التجار ، ويقصدهم الناس كذلك

1- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص. 362 ؛ الاضطخري: المصدر السابق ، ص. 255.

2- محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق ، ص. 227.

3- ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 407.

4- ابن حوقل: المصدر السابق ، ص. 403.

5- النرشخي: المصدر السابق ، ص. 28- 29 .

6- محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق ، ص. 227.

7- ابن حوقل: المصدر السابق ص 362- 363 .

8- الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص. 268.

للسؤال عن التجار الأجانب والتعامل معهم وأمانتهم ، كما عملت النقابات كذلك على إنشاء المخازن للبضائع وإقامة الحرس عليها ¹ .

وقد عرفت التجارة الداخلية للدولة السامانية نوا كبيرا مرده وفرة الإنتاج الزراعي والصناعي وتنوعه ، إضافة إلى الثروة الحيوانية مما ساهم على تنشيط التجارة الداخلية للدولة ، وكان محورها الرئيسي يتجسد في العلاقة بين الريف والمدينة الذين كانا يُكمّلان بعضهما اقتصاديا واجتماعيا من خلال تبادل السلع بالأسواق .

وكانت المدن تزود الأرياف بالقماش والأسلحة والأواني ، وعدد من الأمور الكمالية في مقابل حصولها من الريف على المواشي واللحوم والأصواف والجلود المخففة ² ، والخضر والفواكه التي يجلبها البدو إلى أسواق ما وراء النهر وخراسان ، فالارتباط بين أسواق المدن وبين القرى والأرياف كان وثيقا .

كما أن المدن السامانية كانت تكمّل بعضها البعض ، حيث ظهر نوع من التخصص لبعض المدن والقرى في إنتاج سلع معينة فكانت تزود غيرها بهذه السلع ³ ، هذا وتجدر الإشارة إلى أن أسواق المدن السامانية قد كانت تعجّ بتجارة الرقيق الذي يعد الأساس الذي قامت عليه ثروة هذه المدن ⁴ .

وساهم استتباب الأمن وانتشار طرق التجارة وصلاحياتها ، والاهتمام بها من قبل الحكام في زيادة نشاط حركة التجارة الداخلية وتشجيعها ⁵ .

2- التجارة الخارجية :

إنّ إنتاج خراسان وما وراء النهر الزراعي والصناعي على العهد الساماني ، كان يغطي حاجيات السوق المحلية ويُحقّق الاكتفاء الذاتي ⁶ ، أما الفائض من الإنتاج فتمّ توجيهه إلى الأسواق الخارجية على شكل صادرات تجارية احتلت مكانة هامة في الاقتصاد الساماني ⁷ .

1 - حسين مؤنس: عالم الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة، ص. 274- 275.

2 - العمادي: المرجع السابق ، ص. 141.

3 - Negmatov : op . cit . p . 91.

4 - موريس لومبارد: المرجع السابق ، ص. 72- 73.

5 - عدوان: المرجع السابق ، ص. 112.

6 - الاصطخري : المصدر السابق ، ص. 281 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص. 384 .

7 - بوريوي ومنوروف : المرجع السابق ، ص. 99 .

كما أن الأراضي السامانية احتلت موقعا استراتيجيا مهما ، فقد كانت بحكم موقعها الجغرافي محطة عبور دائمة للقوافل الكبرى ، الأمر الذي أتاح للتجار السامانيين إرسال البعثات التجارية إلى الصين والهند ومختلف مناطق آسيا¹ ، هذا وتذكر المصادر أن إمكانية السفر إلى أراضي الصين والتبث برفقة القوافل المتوجهة من خراسان إليها قد كان متاحا لكل الأفراد².

وقد اجتازت شبكة من طرق التجارة العالمية الأراضي السامانية بخراسان وما وراء النهر أهمها :

- الطريق بين بلاد الروس والمشرق عن طريق بحر قزوين ومنه تنتقل التجارة إلى بخارى وسمرقند وبلاد ما وراء النهر من الصين .

- الطريق من مصب نهر السند نحو فارس مارا بولاية سجستان وإلى الشمال من هذا الطريق تثقل البضائع من البنجاب إلى كابل وغزنة ومن هناك تسير القوافل نحو خراسان غربا وبخارى شمالا .

- الطريق البري من غرب أوروبا عبر الأندلس وبلاد المغرب ومصر بلاد الشام والعراق إلى فارس والهند والصين³ وكان هذا الطريق الأخير أكثر الطرق التجارية ازدهارا وعُرف في التاريخ باسم طريق الحرير، وكان يجتاز عدة مدن سامانية على غرار نيسابور ومرو وبخارى وسمرقند وأشروسنة والشاش⁴ ، وهذا ما يفسر سبب ثراء هذه المدن .

وطريق الحرير لم يكن معبرا للسلع والبضائع فقط بل للثقافات والديانات والعلوم كذلك وهو طريق وعر شائك تمر بعض أجزائه ، بأكثر الأماكن طردا للسكان كالصحاري والجبال ورغم ذلك ونظرا لأهميته فقد بقي مفتوحا لآلاف السنين أمام القوافل⁵.

فبالإضافة إلى صلات السامانيين التجارية مع المناطق الإسلامية ، فقد كانت لهم علاقات تجارية مع الصين والهند وعدد من الإمارات الروسية ، ومناطق شرق أوروبا وشمالها ، وقد اكتشفت نقود عربية من القرن الرابع الهجري في مناطق مختلفة من شمال روسيا وسواحل بحر البلطيق تعود للسامانيين⁶ ، مما يدل على وصول التجار السامانيين

¹ -Negmatov : op . cit , p . 92 .

² - ابن أبي دلف : المصدر السابق ، ص . 39 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 269 - 270 .

⁴ -Negmatov : op . cit , p . 91 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 270 .

⁶ - آدم ميتز : المرجع السابق ، مج . 2 ، ص . 373 ؛

-Negmatov : op . cit , p . 92.

وبضائعهم إلى هذه المناطق البعيدة ، وكانت بلاد الروس على العهد الساماني بمثابة الطريق الذي يصل بين شمال أوربا والمشرق¹.

وساهم في ازدهار التجارة الخارجية كذلك ، الاهتمام الكبير الذي أولته الدولة السامانية بالطرق التجارية والعمل على نشر الأمن فيها والحفاظ علىها من خطر الغارات والهجمات المحتملة من اللصوص وقطاع الطرق ، فقد كانت بمثابة الحارس لهذه الطرق².

كما كان للمصاهرة التي حدثت بين السامانيين والصينيين ، بزواج " نوح بن نصر بن أحمد " بنت ملك الصين سنة 331هـ / 943 م ، دور كبير في ازدهار التجارة بين البلدين³ حيث أصبحت طرق التجارة مضمونة ومفتوحة أمام التجار المسلمين عامة والسامانيين خاصة.

هناك عامل آخر كان له كبير الأثر في ازدهار التجارة الخارجية ، ويتمثل في انتشار الفنادق والخانات على طول الطرق بالأراضي السامانية ، والتي تضم مخازن للسلع وأماكن إقامة للتجار وآبار المياه وغيرها من المرافق ، إضافة إلى الحوانيت وغرف الإقامة وكانت بعض الفنادق تخصص باستقبال أصحاب تجارة بعينها ، وكانت تتم العمليات التجارية من بيع وشراء بشكل واسع داخل هذه الفنادق والخانات⁴.

نتيجة للعوامل السابقة فقد عرفت المبادلات التجارية الخارجية للدولة السامانية ، حركية وحيوية مع مختلف الأقطار المجاورة لها ، إذ صدر تجارهم منتوجات متنوعة لهذه المناطق كانوا بحاجة إليها ، كما كانت أسواقهم قبلة للسلع والبضائع الوافدة من هذه الدول .

وقد أورد لنا المقدسي قائمة طويلة بأهم صادرات الدولة السامانية⁵ ، تعكس لنا ازدهار الحياة الزراعية والصناعية مما يبين لنا مدى حركية التجارة بها ، وهذا يسمح لنا بالقول بأن الحياة الاقتصادية بخراسان وما وراء النهر على عهدهم قد بلغت درجة من الازدهار لم تعرفها المنطقة من قبل .

¹ - آدم ميتز : المرجع نفسه ، مج . 2 ، ص . 373 .

² - موريس لومبار : المرجع السابق ، ص . 71 .

³ - ابن أبي دلف : المصدر السابق ، ص . 39 ؛ الحموي : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 441 ؛ آدم ميتز : المرجع السابق ، مج . 2 ، ص . 373 .

⁴ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 362 - 363 ؛ Negmatov : op . cit , p . 93.

⁵ - أنظر ملحق رقم : 6 ص . 271 .

الواردات السامانية : كان يُجلب إلى الأراضي السامانية كميات من الأغنام والإبل والحمير من بلاد الغز والغور والخرجية¹ ، ومن بلاد الترك السمرور والفنك والختو الجيد² ومن بلغار ومنطقة الخزر وبعض مناطق الروس جلب التجار الفراء والشمع والعسل والجلود إضافة إلى الماشية³.

وأهم وارداتهم من الصين والتبت المسك الجيد⁴ ، والحرير والألبسة الحريرية التي اشتهرت بها الصين⁵ ، إضافة إلى الورق ، وقد كانت أسواق بخارى وسمرقند تعج بمختلف البضائع والسلع القادمة إليها من الصين .

أما وارداتها من الهند فكان أهمها ، الدُرّ والعنبر والأحجار الكريمة والذهب والعاج والخيزران ، والعود والكافور والياقوت والبلور والتوابل على اختلافها⁶ ، أي ما خف وزنه وغلا ثمنه .

ويُعتبر الرقيق أهم واردات الدولة السامانية ، فلقد كانت تجارته رائجة في مختلف مدنها ، وكان يُستورد من بلاد الصقالبة عن طريق خوارزم ، ومن بلاد الهند عن طريق كابل ، أما رقيق بلاد الترك فقد كان السامانيون يدخلونه إلى أراضيهم عن طريق المراكز الحدودية⁷ ، وكانت سمرقند من أكبر مجمعات الرقيق بما وراء النهر، وخير الرقيق ما كان قد تربى في سمرقند⁸ ، وكانت تجارة الرقيق تبدأ من وراء النهر⁹.

وجدير بالذكر أن خوارزم الواقعة في شمال خراسان ، كان يفد إليها من مناطق السهول والغابات السييرية والمنطقة الوسطى من نهر الفولغا بعض المواد التجارية الفاخرة¹⁰ ، على غرار رقيق الصقالبة والترك والوبر على اختلاف أنواعه إضافة إلى الماشية ، فقد كانت أشبه بمحطة إعادة توزيع ، فبعد أن تنزل هذه السلع بأراضيها يعاد توزيعها إلى مختلف المناطق السامانية ، وكانت تجارتهم هذه هي سبب ثراء أهل خوارزم¹¹.

1- الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 281 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 385 .

2- ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص . 329 .

3- Negmatov : op . cit , p . 93.

4- الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 280 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 385 .

5- الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 386 .

6- الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 269 .

7- الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 281-282 ؛ مويرس لومبار : المرجع السابق ، ص . 72 - 73 .

8- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 278 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 407 .

9- العمادي : المرجع السابق ، ص . 139 .

10- المرجع نفسه ، ص . 139 .

11- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 398 .

والجزء الأكبر من هذه السلع المستوردة كان يتم إعادة ترويجه وبيعه طلباً للربح، مما ساهم في زيادة المداخيل السامانية هذا ما يعطينا دلالة كبيرة على ازدهار الحياة التجارية بالدولة السامانية .

3- جوانب من الإدارة المالية :

لقد كان للدولة السامانية كغيرها من دول المشرق الإسلامي بيت للمال ، وله دخل ومُنصرف أما الدخل فمصدره الجزية التي يؤديها أهل الذمة من المسيحيين واليهود والمجوس ، إضافة إلى الخراج المفروض على الأراضي الزراعية ، والضرائب على المتاجر والحوانيت ، وكذلك مداخيل التجارة الداخلية والخارجية ، إضافة إلى المصادرات¹.

وقد كانت الضرائب تؤخذ عند معابر نهر جيحون ، على السلع الواردة للأراضي السامانية بمقدار درهمين على الحمل ، ودرهم على أمتعة الراكب ويتم تفتيش سبائك الفضة التي ترد إلى بخارى واقتطاع الضريبة عليها ، أما الرقيق الترك فلا يعبرون هذه المعابر إلا بجواز من السلطان يكلف استخراجها ما بين سبعين إلى مئة درهم ، وهي نفس القيمة التي تُدفع عند جلب الجوّاري التركيات ، أما النساء فكان يجبي عليهن مابين عشرين إلى ثلاثين درهما².

ولم يكن هناك تهاون من قبل الدولة في جباية الضرائب ، من سكان المناطق الزراعية بالأرياف والحرفيين والتجار³، وقد قُدرت مداخيل الميزانية العامة للدولة السامانية بحوالي خمسة وأربعين مليون درهم⁴، وقد كان الخراج⁵ يؤخذ بعد جني الثمار والمحاصيل الزراعية⁶.

وأكثر أوجه الصرف في الدولة السامانية كانت تتمثل في دفع أرزاق الجند ورواتب العمال وموظفي الحكومة وقُدرت قيمة هذه المصاريف بحوالي عشرين مليون درهم ، أما عن منح وأجور العمال الذين يشغلون نفس الوظيفة فقد كانت ثابتة في جميع الولايات السامانية⁷، فلا تفاضل في الأجور بحسب المناطق .

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 271 .

² - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 340 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 114 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 271 .

⁴ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 388 ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص . 337 ؛ Negmatov : op . cit , p . 87 .

⁵ - انظر ملحق رقم 7 ص ، ، خاص بخراج خراسان وما وراء النهر على عهد أبي صالح منصور بن نوح .

⁶ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 62 .

⁷ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 388 - 389 .

كما يُصرف جزء هام من الميزانية السامانية على الكثير من مشاريع ومنجزات الدولة ، كشق القنوات وبناء الجسور وحفر الجداول تحت الأرض والاهتمام بأمر الري وتنمية الزراعة ، وبناء المعازل والحصون وتشبيد المدن وتزيينها وإقامة الرباطات الكبرى¹.

4- العملة السامانية :

لقد كانت النقود المستخدمة في الدولة السامانية هي الدراهم والدنانير²، والدينار مصنوع من الذهب³ بينما الدرهم من الفضة وكل منهما يحمل قيمته الذاتية⁴، ويُقدّر الوزن الأساسي للدينار الذهبي بأربعة فاصل خمسة وعشرون غرام من الذهب الخالص⁵، ولهم دراهم لا يتم التعامل بها إلا في بخارى وبعض مناطق ما وراء النهر، تسمى بالدراهم " الغطريفية " كانت تضم أخلاطا من المعادن ، وأمر " إسماعيل بن أحمد " بضرب دراهم من الفضة الصافية بدلا منها ، واستعمالها أصبحت تعرف بالدراهم الإسماعيلية ، كما كان بما وراء النهر دراهم أخرى تعرف بالمحمدية⁶.

وقد ضرب أمراء السامانيين في بخارى كثيرا من البشيزات العدلية - جمع بشيز - وهي عملة صغيرة ورقيقة من النحاس الأحمر ، كما تعامل السامانيون بالفلوس التي كانوا يتبايعون بها⁷، وكانت دور ضرب العملة بما وراء النهر متواجدة ببخارى وسمرقند وإيلاف التي هي من أعمال الشاش⁸.

فأساس التعاملات النقدية كان هو الدينار والدرهم ، وقد أدى انتعاش سوق المال والتجارة إلى ظهور أساليب جديدة في المعاملات المالية ، هدفها تيسير سبل التعامل بين التجار⁹ وتوسيع مدى معاملاتهم التجارية ، وتنظيم أمورهم المالية دون تدخل من السلطات، فتعاملوا بالبيع نقدا ومؤجلا على أقساط ، كما عرفوا السفانج والصكوك

¹-عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 .

²- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 404 .

³- عن الدينار الساماني ، أنظر ملحق رقم 3 .

⁴- عمران حسين : الدينار الذهبي والدرهم الفضي - الإسلام مستقبل النقود - ، ترجمة تمام عدي ، نشر مسجد الجامعة ، مدينة سان فرناندو ،

ترينيداد وتوباغو ، 2007 ، ص . 22 .

⁵- العمادي: المرجع السابق ، ص . 149 .

⁶- ابن فضلان : المصدر السابق ، ص . 79 ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 404 وما بعدها بصفحات .

⁷- النرشخي : المصدر السابق ، ص . 63 .

⁸- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 404 .

⁹- الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 271 .

وخطابات الضمان والحسابات المفتوحة¹، وبالتالي فالمسلمون في خراسان وما وراء النهر قد عرفوا كل سبل التعامل المالي التي ظهرت في العصر الحديث لكن في صورة بدائية وغير منظمة مثل ما هو الحال اليوم².

كان الصراف في الأسواق يقوم بتغيير عملة بلد بعملة بلد آخر³، ويمنح التجار أوراقا عليها طابعه إذا استودعوا لديه أموالهم، وبهذه الأوراق يشتري التاجر ما يريد وفي نهاية السوق يقوم بتصفية حساباته مع الصراف⁴.

والجهازة يصرفون الصكوك لأصحاب الأموال المودعة لديهم، نظير مبلغ معين من المال يشهد عليه رجل ويتعهد الضامن بدفع قيمة الصك، في حالة عجز المدين عن دفع المبلغ اللازم عليه، وكانت أسواق الصرافين منتشرة في مختلف المدن الإسلامية⁵، وقد اعتمد الرحالة المسلمون على خطابات الضمان التي كتبها لهم التجار من معارفهم معارفهم حتى يدفعوها لوكلائهم في مختلف البلدان ليزودوهم بما يحتاجونه من أموال في سفرهم⁶.

وهكذا فإنه يمكننا القول بأن اقتصاد الدولة السامانية قد كان مزدهرا وانعكس على وضع المجتمع ككل، فمن ناحية الزراعة كانت المحاصيل متنوعة وكثيرة وهذا هو حال الثروة الحيوانية كذلك، أما عن الصناعة السامانية فيمكن القول عنها أنها تميزت بتنوع الإنتاج وجودته فضلا عن وفرته، وانعكست العوامل السابقة وأثرت إيجابا على التجارة بشقيها الداخلي والخارجي نتيجة وفرة السلع وجودتها، إضافة إلى شيوع حالة من الأمن والأمان كان لها كبير الأثر على حركية التجارة وازدهارها، الأمر الذي أدى إلى ضمان استمرار تدفق السلع من وإلى الأراضي السامانية، فأراضي خراسان وما وراء النهر قد عرفت حالة من الرخاء الاقتصادي على العهد الساماني.

¹ - حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص . 273 .

² - العمادي: المرجع السابق ، ص . 150 .

³ - حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص . 273 .

⁴ - العمادي: المرجع السابق ، ص . 151 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق .. ، المرجع السابق ، ص . 272 .

⁶ - العمادي: المرجع السابق ، ص . 152 ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص . 274 .

الفصل الثالث: العلاقات السياسية للدولة السامانية مع دول الجوار .

المبحث الأول :العلاقات السياسية السامانية الصفارية .

المبحث الثاني – العلاقات السياسية السامانية الزيدية .

المبحث الثالث : العلاقات السياسية للسامانيين مع الدولة البويهية .

المبحث الرابع : – العلاقات السياسية للسامانيين مع الدولتين الغزنوية والقراخانية وزوالها .

أولا – العلاقات السياسية مع الدولة الغزنوية .

ثانيا – العلاقات السياسية مع الدولة القراخانية .

ثالثا – زوال الدولة السامانية

المبحث الأول: العلاقات السياسية السامانية الصفارية .

تمكن " يعقوب بن الليث الصفار " من السيطرة على نيسابور سنة 259 هـ / 872 م ، وبذلك قضى على نفوذ الطاهريين بها¹ ، وأخذ يتطّلع للتوسّع في بلاد ما وراء النهر ، على خلفية أنها كانت من ضمن ممتلكات الدولة الطاهرية².

وأخذ التوتر بين السامانيين والصفاريين في التصاعد ، في أعقاب دخول " يعقوب بن الليث " خراسان ، حيث أنّ " نصر بن أحمد الساماني " حشد قواته على شواطئ نهر جيحون ، تحسباً لوقف أي زحف من الصفاريين إلى بلاد ما وراء النهر³ ، وبعد أن تمكّن " نصر " من ضم بخارى إلى دولته سنة 260 هـ / 873 م⁴ ، كان " يعقوب " قد علم بذلك لكنه لم يفعل حيال هذا الأمر شيئاً لانشغاله بحرب الزيديين في جرجان وطبرستان إضافة إلى حربه مع الخلافة العباسية⁵ ، وازداد نفوذ السامانيين بالمنطقة ، في أعقاب حصولهم على تقليد الخلافة الرسمي لحكم بلاد ما وراء النهر سنة 261 هـ / 874 م⁶.

ساد الهدوء الحذر العلاقة بين الطرفين طيلة فترة حكم " يعقوب بن الليث " (247 – 265 هـ / 861 – 879 م) ، ولم يحدث صراع أو صدام عسكري مباشر بينهما ، ولما تولى " عمرو بن الليث " أمر الصفاريين (265 – 287 هـ / 879 – 900 م) ، لاحت مؤشرات الخلاف بينهما ، من خلال سعي " عمرو بن الليث " لضم بلاد ما وراء النهر لمملكته ، انطلاقاً من فكرة أنها كانت تابعة للطاهريين ، الذين كانت نهايتهم على أيدي الصفاريين ولذلك ، فإن هذه المنطقة لا بد أن تكون لهم ، وأنّ له الحق في ضمها لممتلكاتهم⁷.

إلا أنّ أول احتكاك رسمي بين الطرفين ، لم يحدث في عهد " نصر " بل في عهد أخيه " إسماعيل " الذي خلفه بعد موته ، وكان في أعقاب غزو " عمرو بن الليث الصفاري " خراسان واستيلائه على بعض أجزائها ، حيث أن أميرها " علي بن الحسين " لجأ لطلب العون من قبل بعض الأمراء بالمنطقة ، الذين لم يحصل منهم على مراده

¹ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 9 ، ص . 507 .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 61 .

³ - المرجع نفسه .

⁴ - النرخي : المصدر السابق ، ص . 116 .

⁵ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 61 .

⁶ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 9 ، ص . 514 .

⁷ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 61 – 62 .

لذلك فقد توجه صوب " إسماعيل بن أحمد " أمير بخارى على أمل الحصول منه على الإعانة التي يطلبها ، وقد أحسن " إسماعيل " إليه وخرج لاستقباله بالجيوش وأكرمه في عاصمته بخارى ، وبعد توجه " علي بن الحسين " إلى فرب ، بقي " إسماعيل " يرأسه ويبعث إليه بالهدايا ويُبجله ¹.

لما بلغ خبر موافقة " إسماعيل " على الوقوف إلى جنب " علي بن الحسين " ، في وجه أطماع " عمرو بن الليث " ثارت ثائرته ²، خصوصاً وأنّ "الأمير الصفاري " ، كان قد تمكن من الحصول على عهد بحكم بلاد ما وراء النهر ، من الخليفة " المعتضد بالله " بعد إلحاح طويل سنة 285 هـ / 898 م ، وبذلك يكون قد عزل " إسماعيل بن أحمد " عنها ³.

جاء حصول " عمرو بن الليث " على هذا العهد ، بعد تمكنه من القضاء على " رافع بن هرثمة " وحمل رأسه للخليفة بغداد ، في أعقاب قتله والتخلص منه بخوارزم في أواخر سنة 283 هـ / 896 م ⁴.

وقد فتح هذا التصرف من الخليفة الباب أمام كثرة التأويلات من المؤرخين في محاولة منهم لتفسيره ، خصوصاً وأنّ السامانيين قد حصلوا على عهد حُكم هذه المنطقة بأمر من الخلافة نفسها لرضاها عنهم ، وليس نتيجة استعمالهم للقوة العسكرية لفرض منطقتهم .

وذهب " عصام الدين عبد الرؤوف الفقي " في محاولة تفسير هذا الأمر، إلى القول بأن الخلافة العباسية كانت تنظر بعين الشك والريبة ، لتلك الدولة الغنية الناشئة - السامانية - ، التي أخذت تزداد قوة بالمشرق الإسلامي فسلكت معها سياسة ذات وجهين ، وذلك من خلال التآمر عليها سرا ، بإرسال تحريض إلى " عمرو بن الليث الصفار " ، للتخلّص من السامانيين ، وهدف الخلافة من هذا كان هو سعيها لضرب خصمين قوين ببعضهما بهدف إضعاف أحدهما أو كليهما ، وفي ذلك فائدة للخلافة ، حيث أن هذا الصراع سيحول دون سعيهما للزحف على عاصمة الخلافة ، أو الطمع في السيطرة عليها ⁵.

أما " أحمد محمد عدوان " فقد ذهب إلى القول ، بأن هذا الموقف من الخلافة جاء كرد فعل منها على استقبال " إسماعيل بن أحمد " لـعلي بن الحسين " بحفاوة أثارت حفيظتها ، خاصة وأنّها كانت تنظر إليه على أنّه متمرد

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 123 - 124 .

² - الجمل : المرجع السابق ، ص . 213 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 394 .

⁴ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 50 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 43 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة... ، المرجع السابق ، ص . 14 - 15 .

عليها¹، إذن فهذا الموقف من الخلافة يُعتبر تحذيرا لإسماعيل حتى لا يتمادى في تأييد أمثال هؤلاء، خاصة وأنّ مصلحة الخلافة نفسها كانت في قوة السامانيين وليس العكس، وما هذا التعيين إلا تحذيرا لهم².

في حين أن المستشرق المجري "أرمينوس فامبري" ، قد ذهب إلى تفسير هذا الأمر بالقول أن المشاكل التي كانت تتخبط فيها الخلافة العباسية، جعلت تماسكها لا يقوم إلا بالاعتماد على سلسلة من الدسائس والمؤامرات فتخوّفها من دويلات المشرق جعلها تحاول ضربها ببعضها البعض، وهذا ما فعلته بين السامانيين والصفاريين³.

أما "محمد عبد المنعم الجمل" ، فقد أورد أن من بين المؤرخين من يُفسر هذا الأمر، بسيطرة مشاعر الغبطة والسرور على الخليفة "المعتضد بالله" ، لما بلغه خبر التخلص من كبير المتمردين عليه الخارجين عن طاعته "رافع بن هرثة" ، و بناءا على هذا فقد وافق على مطلب الصفاريين ومنحهم ولاية ما وراء النهر، كما أورد أيضا أنه يميل إلى الرأي الذي مفاده بأن هدف الخليفة كان هو الزج "بعمرو الصفّار" في مغامرة مع السامانيين، هدفها التخلص منه حيث أنه كان يُقدّر مدى قوة السامانيين، ويعلم بأن الكفة ستزحج لهم⁴.

والظاهر أن الرأي الذي ذهب إليه "محمد عبد المنعم الجمل" هو الأرجح، حيث تدعمه رواية للوزير "نظام الملك الطوسي" ، مفادها أن الخليفة كان متخوفا من الصفاريين ويميل للسامانيين حيث أرسل "إسماعيل بن أحمد الساماني" رسالة جاء فيها: "... أن أُخرج واحمل بجيشك على عمرو بن الليث، وخلص الملك منه إنك أحق بإمارة خراسان والعراق اللذين كانا ملك آبائك سنوات عدة، بعد أن استولوا عليهما غنوة، ولإنك صاحب الحق أولا، وخصالك حميدة ثانيا، وأنا أدعوا لك ثالثا، فلست أشك لهذه الأسباب الثلاثة، في أن الله تعالى سينصرك عليه، لا تنظر إلى قلة عددك وجيشك، بل انظر إلى قوله تعالى: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"⁵. وقد أثرت الرسالة في "إسماعيل" الأمر الذي زاد من عزمه على حرب "عمرو بن الليث الصفار"⁶.

¹ - عدوان: المرجع السابق: ص. 98.

² - نفسه.

³ - فامبري: المرجع السابق: ص. 99.

⁴ - الجمل: المرجع السابق، ص. 214.

⁵ - القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 249.

⁶ - نظام الملك: المصدر السابق، ص. 58.

وردّ " عمرو بن الليث " على الإتفاق الحاصل بين " إسماعيل و علي بن الحسين " ، بإرسال الرسائل إلى كل من " أبي داوود " أمير بلخ و " أحمد بن فريغون " أمير الجوزجانية ، و " إسماعيل " أمير ما وراء النهر ، حيث دعاهم لطاعته مقابل وعود حسنة تعهّد بها لهم ، فوافق أمير بلخ وأمير الجوزجانية على ما دعاهم إليه الأمير الصفاري وتوجّها إليه ليُقدّم له فُروض الولاء والطاعة ، أما " إسماعيل " فلما وصله رسول " عمرو " وأخبره برُضوخ الأميرين السابقين لأوامر سيده ، ونصحه بالسير على درهما ، فقد رد عليه " إسماعيل " بقوله : " إن مولاك من الجهل بحيث يُساويني بهما ، وهما عبدان لي وسيكون جوابي لك بالسيف ، وليس بيني وبينه غير الحرب فعُدّ إليه وأخبره ليُعد وسائل القتال . " ¹ .

بعد هذا الجواب القوي من " إسماعيل " " لعمرو " ، والذي يحمل في طياته انعدام وجود أي نية للصالح أو التفاهم ، يظهر جليا أن الأحداث بين الطرفين ستتخذ منحى تصاعديا ، خصوصا في ظل القوة الكبيرة التي كانت تتمتع بها الدولة الصفارية ، وفي ظل توجهاتها وأطماعها الرامية إلى بسط هيمنتها السياسية والعسكرية بالمنطقة ، فيا تُرى كيف كان رد أمير الصفاريين على موقف " إسماعيل الساماني " ؟ .

يذكر " النرشحي " انه لما وصل رد إسماعيل إلى عمرو ، لم يتعجل وتشاور مع كبار الأمراء وذوي الرأي وطلب نصيحتهم في القضية ، وخلّص المُجتمعون إلى الموافقة على اقتراح " عمرو بن الليث " بإرسال رسالة أخرى " لإسماعيل " ، تحوي في طياتها المزيد من الوعود الطيبة والمجاملة في الحديث ، وهذا من أجل تحقيق مكاسب سياسية بأخفّ الأضرار وأقلّ التكاليف ² .

وعلى كل فقد تم إرسال الرسالة مع بعثة دبلوماسية ، مُكونة من خواص عمرو وجماعة من مشايخ نيسابور ، وقد أورد لنا " النرشحي " بعض ما ورد في الرسالة ، حيث جاء على لسان " عمرو " فيها : " ... ولو أن أمير المؤمنين أعطاني هذه الولاية ، فإني أشركتك في الملك ، فيجب أن تكون عوناً لي وتصفو لي حتى لا يجد واش سبيلا بيننا ، وتكون بيننا صداقة وإتحاد ، وقد كان ماقلناه قبل هذا على سبيل رفع الكلفة ، وقد عدلنا عنه فيجب أن تحتفظ بولاية ما وراء النهر التي تُتأخّم العدو وتُعنى بالرعية ، وقد منحناك هذه الولاية ولا نريد غير

¹ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 124 .

² - المصدر نفسه .

إسعادك وعمار بيتك ، ولا ثقة لنا بغيرك قط ، فيجب أن تثق أنت أيضا بنا وتُعاهدنا لتستحكم بيننا الصداقة . " ¹ .

ولجأ " عمرو بن الليث " إلى أسلوب اللين والمهادنة هذا مع " إسماعيل " ، لأنه كان يُدرك أنه خصم عنيد وقوي المراس ، كما أنه كان على علم بالعلاقة الوطيدة التي كانت تربط إسماعيل " برافع بن هرثمة " ² ، ولأنّ نهاية " رافع بن هرثمة " كانت على يديه ، فإنه كان يُدرك بأنّ " إسماعيل " يُضمر له الشرّ ، نظرا لتأثره بما حصل لرافع ، لذلك سيتحين الفرصة للثأر له ³ ، هذا فضلا عن حب الرعية " لإسماعيل " ، وعلمه بأنهم سيلتفون حول أميرهم ، هذه الأمور جعلته يسعى لكسب ودّ الأمير " إسماعيل " بشتى الطرق .

ولا أدلّ على مدى إدراك " عمرو بن الليث " لقيمة " إسماعيل " وقوته ، من الحوار الذي دار بينه وبين رسول الخليفة ، عندما سلمه عهد ولاية ما وراء النهر ، حيث أن " عمرو " قال لرسول الخليفة : " ما هذا ؟ " فردّ عليه الرسول بأن : " هذا الذي سألته " ، فقال عمرو : " وما أصنع به ؟ فإن إسماعيل بن أحمد لا يُسلم إلي ذلك إلا بمئة ألف سيف . " ، فرد عليه الرسول : " أنت سألته فشمر الآن لتتولى العمل في ناحيته . " ⁴ .

ويبدو أن " إسماعيل الساماني " كان مُصرا على رفض أي صلح مع " عمرو بن الليث " ، فمجرد أن علم بخبر الوفد الدبلوماسي المُرسَل من لدن غريمه ، حتى سارع في إرسال جماعة من أتباعه إلى ضفة نهر جيحون ، بهدف منع هذا الوفد من العبور إليه ، وبذلك رجع الوفد الصفاري خائبا ⁵ ، بعد أن رفض " إسماعيل لقائه " ، وهذا الموقف من الأمير الساماني تعبير صريح منه عن مدى العداء الذي يكنه للصفاريين ودولتهم ، كما أنّ رفضه لمقابلة الوفد ، يعتبر دليل قاطع منه لرفضه الدخول في " طاعة عمرو بن الليث " ⁶ ، وتصريح واضح بأنه لن يتنازل لهم عن بلاد ما وراء النهر إلا بالسيف .

¹ - النرشخي : المصدر نفسه ، ص . 124 .

² - تعود الصداقة بين رافع وإسماعيل إلى أيام الصراع الذي نشب داخل البيت الساماني سنة 272 هـ / 885 م ، بين إسماعيل وشقيقه نصر حتى اشتبك بالجيوش ، وكان رافع بن هرثمة في ذلك الوقت أميرا لخراسان ، ووقف إلى جانب إسماعيل ضد شقيقه ، كما أن رافع بن هرثمة كان سببا في الإصلاح بين الأخوين ، وإنهاء الإقتال بينهما خلال هذه السنة ، للمزيد انظر (النرشخي : المصدر نفسه ، ص . 117 - 118) .

³ - فامبري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 100 .

⁴ - ابن خلكان أبي بكر (ت 681 هـ / 1282 م) : وفیات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، 1397 هـ / 1977 م ، ج . 6 ، ص . 425 - 426 .

⁵ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 124 .

⁶ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 214 .

كان من الطبيعي أن يؤدي هذا التصعيد السياسي إلى صدام عسكري بينهما ، هذا الصدام الذي لم يطل كثيرا فبمجرد أن علم " عمرو بن الليث " بما فعله " إسماعيل " مع وفده حتى قرع طبول الحرب ، حيث جهّز جيشا وطلب منه المسير إلى نهر جيحون وانتظار أوامره ، ودعّمه بجيش آخر قوامه خمسة آلاف جندي ، وأمر قادة الجيش بإعداد خطة الهجوم وإرسال الجواسيس لإتيانهم بالأخبار¹.

لكن " إسماعيل " لم يُمهّلهم كثيرا حيث باغتهم ليلا بعد عبوره للنهر ، وألحق بهم هزيمة كبيرة كما أسر عددا معتبرا من جنودهم فضلا عن قائدين من قادة الجيش الصفاري ، بعد هذا أقدم " إسماعيل " على أمر غريب تمثل في إكرامه للجنود الصفاريين الذين تمكن من أسرهم ثم أطلق سراحهم جميعا ، باستثناء القائدين الذين أبقى عليهما في الأسر عنده ، وبرّر عمله هذا برغبته في تثبيت عزيمة الجنود حتى لا يدخلوا معه في الحرب مرة أخرى وقد ولدت هذه الهزيمة ، الكثير من الحسرة والأسى لدى عمرو ، فضلا عن الرغبة في الثأر والانتقام من عدوه².

راسل " عمرو " الأمير الساماني ، يطلب منه أن يُطلق سراح قائديه³ ، لكنّ إسماعيل ردّ عليه بكتاب جاء فيه : " إنك قد وُلّيت دنيا عريضة وإنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر ، فاقنع بما في يدك وأتركني مقيما في هذا الثغر. " ، غير أنّ " عمرو " بدوره رفض طلب " إسماعيل " ليتجدد الصراع بينهما ، وأخبر بعض أتباع " عمرو بن الليث " صاحبهم بخُطورة عبور نهر بلخ ، فأجابهم قائلا : " لو شئت أن أسكره ببذل الأموال و أعبره لفعلت " .⁴

وبفشل المراسلات السياسية في حل الأزمة بين الطرفين ، عمل " إسماعيل " بدوره على إعداد الجيش لحرب الصفاريين⁵ ، وانضم لجيش " إسماعيل " عدد من الدهاقين ، وبمُجرد نزول " عمرو " ببلخ حتى حاصرت جيوش السامانيين ، وتأثّر وضع عمرو وضافت به السُّبل ، ولم تطل الحرب بينهما كثيرا حتى انكسر الجيش الصفاري

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 124 .

² - المصدر نفسه ، ص . 125 .

³ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 101 .

⁴ - الطبري: المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 76 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 402 .

⁵ - الطوسي نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 58 .

وتفرق جُنْدُه¹ ، ولاحقتهم الجنود السامانية ، و تمكنت من قتل الكثيرين منهم كما أسر السامانيون عددا معتبرا منهم ، كان من ضمنهم الأمير " عمرو بن الليث "² .

وتم اقتياد " عمرو بن الليث " إلى " إسماعيل "³ ، في جمادى الثانية 288 هـ / ماي 901 م ، أين أكرم " إسماعيل " أسيره وأنزله بقصر وحاول التخفيف عنه ، كما أعاد له ما أخذه منه بعض الجنود السامانية من جواهر كانت معه ساعة أسره⁴ .

ولما بلغ للخليفة " المعتضد بالله " نبأ تمكن " إسماعيل " من أسر " عمرو بن الليث " ، قام بمدحه وذم غريمه⁵ كما بعث " إسماعيل " من يُخبر " عمرو بن الليث " بأنه سيتوسط له عند الخليفة⁶ ، على أمل إنقاذ حياته لكن الأمير الصفاري ، كان يعلم أن لا خلاص له من غضب الخليفة وبطشه⁷ .

ولأنّ " عمرو " كان كثير الكنوز والأموال ، وعلم بمدى حاجة " إسماعيل " لها ، من أجل تنظيم أموره خلال هذه المرحلة ، فقد أرسل إلى " إسماعيل " كتابا بكل كنوزه وثرواته ، حتى يستعملها فيما يريد ، لكن " إسماعيل " رفض استلام الكتاب وغضب من حامل الرسالة ، وطلب منه أن يُرجع إليه كتابه ، ويُخبره بأنه على علم بأن ثروته هذه قد كوّنّها من تعب الفقراء ، واغتصاب أموال اليتامى والغرباء دون وجه حق ، فهي أموال حرام ولن يتحمل هو وزرّها نيابة عنه⁸ ، وهذا الأمر يبين مدى ورع " إسماعيل " وتقواه وخوفه من الحرام ، ويبرز شخصيته وأخلاقه الحميدة⁹ ، وقد استنفذت هذه الحرب بين السامانيين والصفاريين ، والتي دامت سبع سنوات جهود السامانيين كثيرا¹⁰ .

¹ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 76 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 402 .

² - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 127 .

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 59 .

⁴ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 101 - 102 .

⁵ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 77 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 402 .

⁶ - ورد عند ابن الأثير أن رسول إسماعيل لعمرو بن الليث، كان بهدف تخييره بين البقاء عنده أو إنفاذه للخليفة المعتضد ، فإختار عمرو أن يُقيم عند المعتضد ، وروايته تخالف ما ورد عند ميرخوند و نظام الملك ، أنظر (المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 402) .

⁷ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 59 ؛ -Mirkhond : op . cit . p . 118 .

⁸ - و قد أبدى نظام الملك تعجبه من هذه الحادثة و علّق عليها بقوله : "...فأين من هذا صنيع ولاة هذا الزمان . " ، أنظر (المصدر السابق ، ص . 60) ؛ - Mirkhond : op . cit . p . 118 - 119 .

⁹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 64 .

¹⁰ - فاميري أرمينوس : المرجع السابق ، ص . 99 .

وبعث الخليفة " المعتضد بالله " كتابا إلى " إسماعيل " سنة 288 هـ / 901 م ، يطلب منه أن يسلمه " عمرو بن الليث الصفاري " ، فما كان من " إسماعيل " إلى الرضوخ لأوامر الخليفة ، الذي زج بعمرو في السجن ، ثم قتله سنة 289 هـ / 902 م¹ ، وأرسل الخليفة بدوره إلى " إسماعيل " بمنشور الولاية على المناطق التي كانت خاضعة للصفاريين ، و بذلك آلت خراسان إلى دولته².

ولم ينته الصراع الساماني الصفاري بأسر " عمرو بن الليث " وقتله ، فقد ظهر أمير آخر من نسل بني الصفار يدعى " طاهر بن محمد بن عمرو " ، الذي قام بإخراج عامل الخليفة من فارس واستولى عليها 288 هـ / 901 م ، في نفس السنة التي أرسل فيها " بعمرو بن الليث " للخليفة ، وهذا في محاولة منه لإعادة أجماد أسرته ، وبمجرد وصول أخبار هذا الأمير " لإسماعيل بن أحمد " حتى قام بإرسال رسالة تحذير له ، مفادها أنه قد حصل على عهد بولاية سجستان من الخليفة ، لذلك فهو في طريقه إليها ، وأمره بالخروج منها وإلا ستكون الحرب بينهما فما كان من هذا الأمير الصفاري إلى الانصياع لتهديدات " إسماعيل " ³ ، ويبدو أن خروجه من سجستان كان لإدراكه أن لا طاقة له بحرب " إسماعيل " وجيوشه ، فلجأ إلى تجنب الصراع معه .

ولم يكتب " لإسماعيل " فيما بقي له من العمر من التوجه لسجستان ، وذلك بسبب مجموعة من الحوادث التي حالت دون ذلك ، من بينها انشغاله بالقضاء على التمرد الذي قام به " محمد بن هارون " بالري ، حيث شق عصا الطاعة على السامانيين ، الذي تمكنوا من أسره بعد معارك بينهما في رجب 289 هـ / جوان 902 م⁴ و توفي " إسماعيل " قبل التوجه إلى سجستان .

وفي أعقاب وفاته سنة 295 هـ / 907 م ، خلفه في حكم الدولة السامانية ابنه " أحمد " ⁵ ، الذي حمل على عاتقه مهمة ضم سجستان لدولة السامانيين بصفة نهائية .

فبعد أن نظّم الأمور بدولته وضمن إستقرار أحوالها ، توجه صوب هراة ومنها قام بتسيير جيوشه في شهر محرم 298 هـ / سبتمبر 910 م ، بقيادة جماعة من نخبة قواده على غرار " أحمد بن سهل " و " محمد بن المظفر بن محتاج " و " سيمجور الدواتي " ، أما القائد الأعلى لهذا الجيش فكان هو " الحسين بن علي المروزي " .

¹ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 402 .

² - المصدر نفسه ؛ النرخي : المصدر السابق ، ص . 129 .

³ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 83 - 84 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص . 96 ؛ الكردزي : المصدر السابق ، ص . 209 .

⁵ - ابن كثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ج . 11 ، ص . 157 .

وحاصروا " المعدل بن علي بن الليث بن الصفار " بسجستان ، و كان " المعدل بن علي " قد بعث بأخيه " محمد " إلى بست والرخج ليحمي أموالها .

وعلم الأمير الساماني " أحمد بن إسماعيل " بتوجهه إليها ، فسارع إلى هناك وتمكن من أسر " محمد بن علي " الأمر الذي أثر على أخيه ، ودفعه لطلب الصلح مع الجيوش السامانية ، وبذلك آلت سجستان قاعدة ملك الصفاريين وعاصمتهم إلى جزء من الدولة السامانية ¹.

وقد سیر " السبكري " وهو غلام " عمرو بن الليث الصفار " ، بعد أن بلغته أخبار سقوط سجستان بيد السامانيين ، جيشا من فارس إليها على أمل استرجاعها ، لكن السامانيين تصدوا له وأخذوه أسيرا ، بعد أن أهلكه وجنده التعب في الطريق ، ثم بعث الأمير " أحمد " برسول إلى الخليفة يُبلغه أخبار هذا الفتح وبأسر " السبكري " و " محمد بن علي بن الليث الصفار " ، فأمر الخليفة " المقتدر بالله " من الأمير الساماني أن يبعثهما إليه في بغداد ، أين حبسهما ، وأعاد الخليفة رسل " أحمد " محملين بالهدايا ².

وؤغم كل هذا إلا أن متاعب السامانيين مع الصفاريين في سجستان لم تنته ، حيث تمكن شخص من حشم " إسماعيل " من إثارة هذه الولاية ضدهم مرة أخرى ، هذا الشخص عجوز خارجي المذهب يدعى " محمد بن هرمز " و يلقب " بمولى الصندلي " ، وسبب ذلك أنه كان قد طلب بعض المال من عامل السامانيين " الحسين بن علي " ، فرد عليه العامل : " أن الأصلح لمثلك من الشيوخ أن يلازم رباطا يعبد الله فيه ، حتى يوافيه أجله " . فتأثرت تأثرته من هذا الكلام ³.

وقصد سجستان أين تمكن من استمالة جماعة من الخوارج ودعا لبني الصفار ، وقاموا بمبايعة " عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث " ، وخطبوا له ثم أسروا والي السامانيين عليها " منصور بن إسحاق " وسجنوه الأمر الذي دفع " بأحمد بن إسماعيل " لتسيير جيوشه مرة أخرى إليها ، ومحاصرتها لعدة أشهر ⁴ ، إلى أن توفي " الصندلي " ، فاضطر " عمرو بن يعقوب الصفار " وقائد الخوارج الذي يُدعى " ابن الحفار " لطلب الأمان من

¹ - الطبري: المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 144 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 210 - 211 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 468 .

² - ابن خلدون: المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 396 .

³ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 211 .

⁴ - ذكر ابن الأثير أن الحصار دام تسعة أشهر ، بينما أورد ابن خلدون أنه دام ستة أشهر ، أنظر (ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص .

475 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 397 .) .

"الحسين بن علي" ، الذي قبض عليهما واقتادهما إلى بخارى سنة 300 هـ / 912 م ، وتم تعيين "سيمجور الدواتي" واليا على سجستان بأمر من "أحمد بن إسماعيل" ، و أُخرج الوالي السابق "منصور بن إسحاق" من محبسه ، ثم عادت الجيوش السامانية إلى بخارى¹ .

بعد سنوات من الصراع ضد الصفاريين ، الذين حاولوا فرض منطقتهم بالمنطقة حتى أنهم حاربوا جيوش الخلافة العباسية نفسها مستغلين قوتهم ، تمكن السامانيون أخيرا من القضاء على هذه الدولة ، فكان زوالها على أيديهم وذلك بعد تمكنهم من أسر آخر أمير صفاري ، وضم سجستان وباقي الأراضي الصفارية للدولة السامانية بصفة نهائية ، وبطريقة شرعية من خلال الدعم المعنوي من الخليفة ، عن طريق كتاب أقر لهم فيه سلطتهم على ما كان بيد الصفاريين من أراضي .

إلا أن سجستان حدث وأن رجعت مرة أخرى لحكم الأمراء الصفاريين ، في إمارة "نصر بن أحمد" الذي منح حكمها لشاب من هذه الأسرة بأمر منه ، وجده يعمل في الطين ولما سأله عن نسبه أخبره الشاب بأنه يدعى "أحمد" وأنه من نسل بني الليث ، فلاطفه "نصر" ووهبه مالا ، و زوجه بامرأة من البيت الساماني ، ثم عينه أميراً على سجستان ، التي بقيت في حكم نسله طيلة أيام السامانيين² ، وهذا دليل على مدى كرم وحسن خلق هذا الأمير .

بقي أحفاد "أحمد بن الليث الصفاري" بسجستان موالين للسامانيين ، ويحملون إليهم الخلع والأموال ، ومنهم "خلف بن أحمد" الذي عُرف عنه حبه لأهل العلم وتبجيلهم ، وحدث وأن حجّ هذا الأمير الصفاري سنة 353 هـ / 964 م ، وعين مكانه شخصا من مُقريبه يدعى "طاهر بن الحسين" لينوب عنه أثناء فترة غيابه ويدير أمور الولاية بدلا عنه ، وبعد عودة "خلف" من الحج تمرد عليه صاحبه وطلب الإمارة لنفسه ، مما دفع "بخلف بن أحمد" للاستنجاد بالأمير الساماني "منصور بن نوح" ، الذي أمده بالجيوش وأعاده لمنصبه³ .

لكن "طاهر" بمجرد أن علم بخروج الجيوش السامانية من المدينة ، حتى رجع إليها مرة أخرى فلجأ "خلف بن أحمد" ثانية للأمير الساماني ، ونشبت حرب بين الطرفين ، واشتدت ولم تنتهي حتى توفي "طاهر بن الحسين"

¹ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 211 - 212 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 474 - 475 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 4 ، ص 396 - 397 .

² - القزويني : المصدر السابق ، ص . 149 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 288 - 289 .

وخلفه ابن له يدعى " الحسين " ، الذي راسل الأمير الساماني " منصور " ، وطلب منه العفو فقبل منه وعفا عنه وبذلك رجعت الولاية لحكم " خلف بن أحمد " ¹.

لكن " خلف بن أحمد " لما كثرت الأموال بيده وقوى جنده وزاد عددهم ، اغتر وحاول الانفصال عن السامانيين حيث قطع ما كان يحملهُ هو وآبائه من قبل من أموال إلى بخارى ، مما دفع " بمنصور " إلى إرسال الجيش لحربه وعين لقيادته " الحسين بن طاهر بن الحسين " ، الذي تمرد سابا هو وأبوه على " خلف بن أحمد " ، وحاصر الجيش الساماني " خلف بن أحمد " مدة سبع سنوات ، حتى ساءت حاله وحال جيشه ، فكتب إلى " نوح الثاني " الذي خلف أباه ، في حكم الدولة السامانية ، يستأمنه ويَعده بأن يرجع إلى دفع الأموال لبخارى ، وكان إذ ذاك " خلف " متحصنا بقلعة أرك بسجستان ، وتمكن القائد الساماني " أبي الحسن بن سيمجور " من دخولها وخطب من جديد للسامانيين وللأمير " نوح بن منصور " ، وبذلك عادت سجستان لطاعتهم مرة أخرى واسقرت أحوالها ².

وهكذا فإن العلاقات بين السامانيين والصفاريين ، امتازت بكثرة الحروب وخاصة في منطقة سجستان ، التي كانت محور الصراع ، وفي أعقاب زوال الدولة الصفارية حاول عدد من أمراء الأسرة الصفارية إعادة أمجادها غير أنهم لم يفلحوا في مسعاهم ، بسبب القوة الكبيرة التي بلغها السامانيون ، هذا عن العلاقات السياسية بين السامانيين والصفاريين ، فكيف كانت علاقات السامانيين السياسية مع الدولة الزيدية ؟

¹ - ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 397 .

² - المصدر نفسه ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 289 - 290 .

المبحث الثاني - العلاقات السياسية السامانية الزيدية :

لقد كانت منطقة طبرستان منذ فتحها خاضعة للخلافة العباسية ، ويحكمها بأمر منهم " آل طاهر " وُلّاهم على المشرق ، إلى أن ظهر " الزيديون " بالمنطقة وتغلبوا عليها بدءاً من 250 هـ / 864 م¹ ، وظهرت الدولة الزيدية كدولة قوية بهذه المنطقة حيث انتهجت سياسة توسعية ترمي إلى مد نفوذها بالقوة .

ولم تقف الخلافة العباسية موقف المتفرج من هذه المستجدات التي تتهددها في الناحية الشرقية من أراضيها² خاصة وأنّ مؤسس الأسرة الزيدية المعروف بشخصيته القوية " الحسن بن زيد بن إسماعيل " ³ ، كان قد بسط نفوذه بالمنطقة رغم إرادة الخلفاء العباسيين وإرادة وُلّاهم " آل طاهر " بالمشرق بعد ثورة قادها ضدهم⁴ .

فبعد أن بايعه أهل طبرستان سنة 250 هـ / 864 م ، إذ رأوا خلاصهم من ظلم وجور بعض عمال الخلافة على يديه⁵ ، وضع نواة دولته حيث تمكن في مدة ثلاثة أعوام من ضم جميع طبرستان وقسما هاما من الديلم والري وطرده العباسيين وولّاهم عنها ، وأصبحت دولته الناشئة تستقطب العلويين من مختلف بلاد الإسلام مما زاد في قوتها⁶ .

وقد وقفت الخلافة العباسية موقف العداء من هذه القوة الزيدية منذ نشأتها ، فنجاح هذه الحركة المذهبية في إقامة كيان سياسي مستقل سيكون تشجيعاً لباقي الحركات السياسية والمذهبية المناوئة للخلافة ، وعدد من ولاة الأقاليم على حذو سبيلها مما يُعتبر ضرباً لهيئة الخلافة ، كما أن المشرق الإسلامي ومنطقة طبرستان يُعتبران من بين أهم مصادر الدخل للخلافة ، التي لم تكن على استعداد للتفريط فيهما ، كما أن المشرق قد شكل عمقا إستراتيجيا بشريا للخلافة وضياعه يعني التأثير على قوة الخلافة ككل⁷ .

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 126 وما بعدها بصفحات .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 82 .

³ - بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار : تاريخ طبرستان ، ترجمة أحمد محمد نادي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، ط . 1 ، 2002 ، ص . 232 .

⁴ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 21 .

⁵ - بن اسفنديار : المرجع السابق ، ص . 232 - 233 .

⁶ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 20 - 21 .

⁷ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 82 .

وعملت الدولة الزيدية على مد نفوذها على حساب الأقاليم المجاورة سعيًا منها في توسيع ممتلكاتها¹ ، هذا التوسع الذي سيكون بطبيعة الحال على حساب أراض العباسيين وولايتهم وأنصارهم بالمنطقة ، فكل توسع للزيديين يُقابله تقلص في النفوذ السياسي للخلافة العباسية .

فكل العوامل السابقة جعلت الخلافة العباسية تكن العداء الشديد لهذا الكيان الناشئ بالمنطقة ، خاصة في ظل الخلاف وعدم التوافق المذهبي بينهما ، حيث أن الزيديين من الشيعة ، وقد أثبتت تحركاتهم أنهم سيبدلون جهدا مُعتبرًا لنشر مذهبهم بالمنطقة² .

لذلك فقد بذل العباسيون عدة مساعي للقضاء على الدولة الزيدية ، أخذت هذه المساعي في الغالب طريقتين أو أسلوبين ، الأولى عسكرية بتوجيه الجيوش والحملات في محاولة لاستئصال هذا الكيان بالقوة والقضاء عليه لكن هذه الطريقة فشلت³ ، كما فشل الأسلوب الثاني الرامي إلى محاولات الحط من أقدار الزيديين والتشكيك في مصداقيتهم أمام العامة⁴ .

وفشلت هذه المساعي في ظل الإلتفاف الشعبي الكبير حول هذه الحركة بالمنطقة والذي نتج عنه زيادة في قوتها⁵ في الوقت الذي كان فيه " الطاهريون " حلفاء الخلافة يعانون من تراجع رهيب أدى إلى انهيار دولتهم ، كما أن الخلافة قد انشغلت بشكل كبير بثورة الزنج في العراق والأهواز⁶ ، مما وفر ظروف ملائمة للزيديين لتوسيع نفوذهم حيث أنهم وصلوا سنة 257 هـ / 871 م في توسعاتهم حتى جرجان⁷ .

ولقد كان ظهور الدولة السامانية على الساحة السياسية بمنطقة المشرق الإسلامي في هذا الوقت الذي عرفت فيه الخلافة هذا التراجع والضعف ، الأمر الذي جعلها محل طمع الكثير من القوى المتربصة بها ، ومن بينها الزيديين الذين أظهروا التمرد والعصيان وانهجوا سياسة معاكسة للسياسة العباسية ، خاصة في ظل زوال دولة الطاهريين سنة 259 هـ / 873 م ، التي لطالما كانت سندا للخلافة بالمنطقة .

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 218 .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 83 .

³ - بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 247 - 248 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 82 .

⁵ - بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 264 .

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق، المرجع السابق ، ص . 62 .

⁷ - الفقي : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 36 - 37 .

ويظهر السامانيون فقد أسندت الخلافة العباسية لهم راية الكفاح بالنيابة عنها في المنطقة خصوصا وأنها كانت قد خربت ولائهم لها ، فضلا عن التوافق المذهبي بينهما فكلاهما كان سني المذهب ، بينما كان الزيديون شيعة ولهم أهداف لنشر مذهبهم بالمنطقة ، وفي ظل التصعيد الزيدي كان من الطبيعي أن يمتد إليهم سلاح التأديب الساماني¹ .

ولم يحصل أي صراع أو نزاع بين السامانيين والزيديين على عهد " الحسن بن زيد " (250 - 270 هـ / 864 - 884 م) ، وخلفه أخوه " محمد بن زيد " (270 - 287 هـ / 884 - 900 م) ، في الوقت الذي كانت فيه المعارك محتدمة بين الصفاريين والقوات السامانية ، فأخذ يتطلع للتوسع وضم أراضي جديدة إلى حكمه فقصد خراسان لضمها .

وقد اختلف المؤرخون في تفسير دوافع الزيديين الحقيقية لشن الحرب على السامانيين في خراسان ، حيث أنهم كانوا هم المبادرين إليها ، وذهب بعضهم إلى أن الزيديين اعتقدوا بأن السامانيين لن يقاوموهم نظرا لأن قواتهم قد أصبحت منهكة من جراء حربهم مع الصفاريين ، وأن " محمد بن زيد " يكون قد فضّل انتهاج أسلوب الهجوم كأفضل وسيلة للدفاع ، فهاجم السامانيين حيث أنه كان يخشى من أن تمتد أطماع السامانيين إلى بلادهم في ظل القوة التي وصلوا إليها² ، وهناك عامل قد يكون من بين أهم أسباب هذه الحرب على السامانيين في خراسان ، ألا وهو رغبة الزيديين في نشر مذهبهم على نطاق واسع بالمنطقة³ .

أما " آشتياني إقبال عباس " فقد أرجع أسباب الهجوم الزيدي على السامانيين إلى علم الأمير الزيدي المسبق بإخلاص السامانيين للخلافة وامتثالهم لجميع أوامرها ، لذلك فقد كان يدرك تمام الإدراك بأنهم سيهاجمون جرجان وطبرستان ، إن عاجلا أم آجلا وبأمر من الخلافة نفسها في ظل العداء بينهما ، فقرر أن يستبق الأحداث ويؤججه ضربة للسامانيين ، تكون سببا في الحيلولة بينهم وبين هذا الهجوم المتوقع منهم⁴ ، فهذه الضربة العسكرية قد يكون لها تأثير على هذه القوة الناشئة .

أما " محمد عبد المنعم الجمل " فقد أورد سببا آخر لهذا الصراع ، يتمثل أساسا في نقص خبرة " محمد بن زيد " السياسية وقلّة كفاءاته الحربية ، فعلى عهده فقدت الدولة الكثير من المناطق التي بلغها أخوه بشق الأنفس وتوالت

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 211 - 212 .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص . 83 .

³ - المرجع نفسه .

⁴ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 23 - 24 .

عليه الهزائم حتى أن وجود الدولة الزيدية بطبرستان قد أصبح مهددا بالزوال¹ ، فقد كان يدخل في صراعات دون أن يحسب عواقبها على غرار ما فعله مع السامانيين ، وقد كان يعتقد بأن السامانيين غير قادرين على ملأ الفراغ بالمنطقة في أعقاب قهرهم للصفاريين حيث انخدع بهذا الاعتقاد الشخصي².

ومما يؤكد ويساند هذا الطرح هو أن " محمد بن زيد " كان قد قام بالزحف على خراسان ، رغم ما كانت بلاده تعانيه من تراجع ومشاكل داخلية ، في الوقت الذي كانت فيه الدولة السامانية تزداد قوة على عهد " إسماعيل بن أحمد " ، الذي تمكن من كسب تأييد عدد من رؤساء وزعماء الديلم³ فضلا عن الثقة المفرطة التي كان يحظى بها من قبل الخلافة⁴ ، وقد وصف " ابن أسفنديار " " محمد بن زيد " بأنه قد وصل إلى أعلى درجات الغرور وبات حادا ومتهورا لا يجيد حساب عواقب الأمور⁵.

إذن كانت هذه بعض آراء المؤرخين في محاولة تفسير سبب إقدام " محمد بن زيد " في الهجوم على السامانيين بخراسان ، وتجدد الإشارة إلى أن أطماع الزيديين ورغبتهم في السيطرة على خراسان ترجع إلى عهد سيطرة الصفاريين عليها حيث اشتبك الطرفان في معارك ضارية منذ عهد مؤسس الدولة الزيدية المعروف " بالداعي الكبير الحسن بن زيد " ⁶.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن سبب حرب الزيديين على السامانيين في خراسان قد يكون مرده الحقيقي إلى محاولتهم في تجسيد طموحاتهم التاريخية ، في التوسع بإقليم خراسان هذه الطموحات التي تعود إلى عهد سيطرة الصفاريين عليها ، فحاولوا استغلال المستجدات على الساحة السياسية بالمنطقة والمتحثة في زوال النفوذ الصفاري على خراسان من جراء حربهم مع السامانيين ، الذين اعتبر الزيديون بأنهم في متناول قواتهم وأنهم لا يستعصون عليهم ، خاصة في ظل الإنهاك الذي لحق بهم بعد حربهم مع الصفاريين .

ومهما كانت الدوافع الحقيقية للزيديين فقد سيروا قواتهم إلى خراسان ، بعد تمكن السامانيين من هزم " عمرو بن الليث " وأسرهم ، فسنة 287 هـ / 900 م شهدت أول إحتكاك سياسي رسمي بين " محمد بن زيد " و " إسماعيل

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 218 - 219 .

² - المرجع نفسه ، ص . 219 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 481 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 39 .

⁴ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 163 ؛ دائرة المعارف الإسلامية : المرجع السابق ، ص . 79 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 129 .

⁵ - ابن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 260 - 261 .

⁶ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 21 .

بن أحمد الساماني " ¹ ، وقد خرج الأمير الزيدي بجيوشه من طبرستان ، في وقت كان فيه " إسماعيل بن أحمد " قد تمكن من ضبط أمور خراسان لصالحه ، وساد اعتقاد لدى " محمد بن زيد " بأنّ الأمور مهيئة له لتحقيق حلمه بحكم خراسان ، في ظل التطورات الحاصلة بالمنطقة ² .

وفي ظل هذا التصعيد الزيدي فقد حشد الأمير الساماني بدوره الجيوش ، ولم يبادر للحرب بل فضّل التريث ومعالجة الأمور بروية ، فبعث للأمير الزيدي وهو بجرجان ، يطلب منه عدم التقدم نحو خراسان في مقابل أن يتنازل له على جرجان ولا يُنازعه فيها ³ ، وحذّره من مغبة قصد خراسان حيث قال له : "... إلزم عملك ولا تتجاوز ولا تقصد خراسان ... " غير أنّ " محمد بن زيد " رفض اقتراح " إسماعيل " ⁴ ، وأصرّ على الحرب فقد كان كما وصفه " ابن اسفنديار " مغترا ومتهورا ⁵ .

عيّن " إسماعيل بن أحمد " قائدا يدعى " محمد بن هارون " لقيادة الجيوش السامانية في هذه الحرب ⁶ ، في الوقت الذي قرر فيه " محمد بن زيد " قيادة جيوش الزيديين بنفسه ⁷ ، والتقى الطرفان على باب جرجان ودارت بينهما معارك طاحنة ، دارت فيها الدائرة أول الأمر على السامانيين ، غير أن تفرّق جيوش الزيديين في طلب السامانيين قد عاد عليهم بالوبال حيث استغله " محمد بن هارون " لصالحه ، وعكس المحوم فهزم الزيديين و قتل منهم خلقا كثيرا ⁸ .

وانتهت هذه المعركة بمقتل " محمد بن زيد العلوي " سنة 287 هـ / 900 م ⁹ ، بعد إصابته بجروح بليغة في هذه المعركة ¹ ، التي كان واثقا من إنتصاره فيها ، وقد أرسل برأسه إلى بخارى ودُفن هو دون رأس في جرجان ، كما تم

¹ - ابن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 260 .

² - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 81 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 403 .

³ - الطبري : المصدر نفسه ؛ أحمد شوقي إبراهيم العمرجي : الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي 132 - 365 هـ / 749 - 975 م ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط . 1 ، 1420 هـ / 2000 م ، ص . 146 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 403 .

⁵ - ابن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 260 .

⁶ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 209 .

⁷ - ابن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 260 ؛ - Mirkhond : op . cit , p . 123 .

⁸ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 81 ؛ العملاحي : المرجع السابق ، ص . 146 - 147 .

⁹ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت . 748 هـ) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج . 21 ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط . 1 ، 1411 هـ / 1991 م ، ص . 31 ؛ أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت 874 هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم محمد حسن شمس الدين ، ج . 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط . 1 ، 1413 هـ / 1992 م ، ص . 137 .

إرسال عدد معتبر من الأسرى الزيديين إلى العاصمة بخارى ، كان من بينهم ابن " محمد بن زيد " ² ، ومن جرجان توجه القائد الساماني إلى طبرستان فضمها هي الأخرى لحكم السامانيين ، وأصدر " إسماعيل بن أحمد " أمرا بتعيين " محمد بن هارون " واليا عليها ³.

وبهذا فقد توسع النفوذ الساماني أكثر من ذي قبل بضم هذه المناطق ، التي أصبحت تُحكم من قبل ولاية خاضعين للسامانيين ، أما عن مساعي الزيديين لضم خراسان فقد أوردتهم المهالك وكانت سبب في زوال دولتهم ومقتل أميرهم ، فضلا عن عدد كبير من الأسرى في سجون السامانيين .

أما عن " زيد بن محمد بن زيد " والذي أُخذ أسيرا إلى بخارى بعد انهزام جيش والده ومقتله ، فقد سُجن في بخارى ، وكان " زيد " عالما وشاعرا وقد وصلت بعض أبياته ⁴ التي قالها في سجنه إلى " إسماعيل بن أحمد " فاستدعاه إلى حضرته ، وخيّر بين الرجوع إلى طبرستان أو الاستقرار في بخارى معززا مكروما ، فاختار الثانية وتزوج من ابنة " حمويه بن علي القائد الساماني " ، وبقي في بخارى حتى وفاته ⁵.

وهذا التصرف من إسماعيل مع زيد دليل آخر على مدى شرف نفس هذا القائد الساماني وحلمه وعفوه عند المقدرة .

هذا وجدير بالذكر أن " محمد بن هارون " الذي عينه " إسماعيل " واليا للسامانيين على طبرستان قد تمرد عليهم بعد مرور عام ونصف من ولايته عليها ⁶ ، وزحف بجيوشه على الري حيث قتل والي السامانيين عليها ¹ ، فسيّر " إسماعيل " جيوشه وقصدها وهزم هذا المتمرّد الذي اضطرّ للخروج من الري ² والفرار لبلاد الديلم ³ .

¹ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ج . 25 ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2004 م . ص . 203 . ص . 203 .

² - ابن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 261 .

³ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 209 .

⁴ - من بين الأبيات التي وصلت لإسماعيل من شعر زيد قوله :

إن يكن نالك الزمان ببلوى ***** عظمت شدة عليك وجلّت
وأنت بعدها نوازِلُ أخرى ***** خضعت عندها النفوس وذلت
وتلتها قوارع ناكبات ***** سُمّت دُونها الحياة ومثلت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ***** فالترّزايا إذا توالّت تولّت .

أنظر ، (ابن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 261 .) .

⁵ - المصدر نفسه ، ص . 261 - 262 .

⁶ - ابن اسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 263 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 24 ؛ - Mirkhond : op . cit , p . 123 .

وبعد إستقرار أمور دولته قام " إسماعيل " بزيارة إلى ولاية طبرستان ، حيث نظم أمورها الإدارية وقام بعدة إصلاحات في مجال الضرائب حيث ألغى عدد منها ، وردّ الكثير من الحقوق لأصحابها حتى أن العدل والإنصاف قد بلغ درجة لم يعرفها أهل طبرستان ولم يسمعوها يمثلها في أي عهد من قبل ⁴.

وقبل أن يغادرها عين عليها ابن عمه " أبا العباس عبد الله بن محمد بن نوح " واليا ، والذي اشتهر بيقظته وترصده لتحركات الزيديين بالمنطقة ، وقد كان حكيما في سياسته عامل الأهالي معاملة حسنة وحفظ الأمن والعدل في ولايته ، مما أكسبه ثقة واحترام الأهالي ⁵ وقد ظلت طبرستان تحت الحكم المباشر للسامانيين الذين يُعِينون واليها من بخارى مدة ثلاث عشر سنة تقريبا من 287 إلى 301 هـ / 900 - 914 م ، واضطر الزيديون للخروج منها واللجوء إلى أرض الديلم وجيلان ⁶.

طارد "إسماعيل" المتمرّد " محمد بن هارون " الذي لجأ بدوره إلى أرض الديلم ، وبايع السيد " أبا محمد حسن بن علي الملقب بالناصر الكبير " ⁷ ، وهو من أبناء الإمام " زين العابدين " وله لقب آخر عُرف به وهو " الأطروش " لثقل سمعه ، وكان قد شارك في المعركة التي قتل فيها " محمد بن زيد سنة " 287 هـ / 900 م ضد السامانيين ، حيث تمكّن هو من الفرار بعد أن أصيب في رأسه بضربة سببت له ثقل السمع ⁸.

وكان " الناصر الكبير " هذا يصّر على استرجاع طبرستان من السامانيين وإعادة إحياء الدولة الزيدية ، فقصدها رفقة " محمد بن هارون " وعدد من قاداته سنة 290 هـ / 903 م ، وكان والي السامانيين عليها " عبد الله بن محمد بن نوح " ، قد أرسل إلى بخارى يطلب مددا ⁹ ، واشتبك الطرفان في معركة دامت أربعين ليلة ¹ ، قُتل فيها

¹ - ابن الأثير: المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 41 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، ص . 203 .

² - لما استرجع إسماعيل الري عين عليها عمه أبو صالح منصور بن إسحاق واليا ، ودام حكمه للري من (290 - 296 هـ / 902 - 908 م) ، وهو من ألف بإسمه الحكيم والطبيب أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي كتابه المعروف بالمنصوري أنظر (. 124 ، p . cit ، Mirkhond : op .

؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 24 .) .

³ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 97 .

⁴ - بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 263 - 264 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص . 264 - 265 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 86 - 87 .

⁶ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 24 .

⁷ - بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 266 .

⁸ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 482 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 86 .

⁹ - كان إسماعيل قد بعث بالمدد مع ابنه أحمد لوالي طبرستان ، غير أن أحمد قد تمّاهون في الطريق متعمدا بسبب خصومة له مع هذا الوالي ، الأمر الذي ألحق خسائر فادحة بالجيش الساماني في هذه المعركة ، وقد إستدعى إسماعيل ابنه أحمد فيما بعد وأغلظ له القول ووجهه على فعله هذا ، أنظر (بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 266 - 267 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 25 .) .

ما يقرب من سبعة آلاف جندي ساماني ولكن النصر في نهاية المطاف آل إليهم ، واضطر الزيديين للفرار مرة أخرى².

أما المتمرّد " محمد بن هارون " فقد تمكن السامانيون من إلقاء القبض عليه سنة 290 هـ / 903 م وسُجن في بخارى بعد أن طيف به في المدينة وتوفي فيها بعد مدة قصيرة³ ، إذن فالمحاولة الأولى لإحياء الدولة الزيدية واسترجاع طبرستان والتي حاول تجسيدها " الحسن بن علي الأطروش " ، قد كان مآلها الفشل غير أن هذه الفكرة قد بقيت تراوده فيا ترى ما هي أهم الخطوات التي لجأ إليها من أجل تحقيقها ؟ .

إحياء الدولة الزيدية :

بعد فشل المحاولة الأولى من " الحسن بن علي الأطروش " لإعادة إحياء الدولة الزيدية بمنطقة طبرستان ، استقرّ في بلاد الديلم واضعاً في حسبانته ضرورة بعث الدولة الزيدية من جديد وكان يُدرك قلة الأنصار من حوله لذلك عمد إلى دعوة أهل الديلم للدخول في الإسلام ، وعمل على نشر مذهبه بينهم لضمان كسب تأييدهم لصفه⁴ ، وقد مكث مدة ثلاثة عشر سنة يدعو أهل الديلم للإسلام وبنى الكثير من المساجد بالمنطقة وأسلم على يديه خلق كثير⁵.

وقد كان " الحسن بن علي " حذراً في دعوته ، حيث تحاشى قدر الإمكان الاصطدام مع الزعماء المحليين بمنطقة الديلم ، وقدم نفسه على أساس المرشد والمعلم الداعي إلى دين الله ، الذي ليست لديه أي أطماع في المناصب أيّا كان نوعها⁶.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه ورغم زوال الدولة الزيدية من طبرستان وجرجان خلال هذه الفترة ، إلا أن المذهب الزيدي قد بقي منتشرًا بين عدد من أهالي هذه المناطق⁷.

1- المصدر نفسه ، ص . 266 .

2- آشتياني : المرجع السابق ، ص . 25 .

3- ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 419 ؛ بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 267 .

4- عدوان : المرجع السابق ، ص . 86 .

5- ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 481 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، 34 ؛ العمرجي : المرجع السابق ، ص . 147 .

6- عدوان : المرجع السابق ، ص . 86 .

7- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ، المرجع السابق ، ص . 64 .

وقد لاقت دعوة "الأطروش" للإسلام رواجاً كبيراً في وسط أهالي الديلم ، الذين أقبلوا على المذهب الزيدي بفضل جهوده اهتمى وأسلم خلق كثير منهم والتفوا حول هذا الداعي ، الذي أصبحت لديه قاعدة شعبية كبيرة بالمنطقة تُدّعمه وتؤيده¹ ، كانت هي الأساس الذي سيعتمد عليه "الأطروش" في محاولة القضاء على النفوذ الساماني بطبرستان وبعث الدولة الزيدية من جديد .

وبفضل هذا المجهود يكون "الحسن بن علي" قد تمكن من حشد قوة كبيرة من الأهالي لصفه خلال فترة دعوته وعمل على تنظيمهم وتدريبهم ، في انتظار الفرصة المواتية للزحف على طبرستان ، التي ظل يترقب أوضاعها في ظل الحكم الساماني باهتمام وعن كثب² ، وقد دعى أنصاره للخروج معه إلى طبرستان ورغم موالاتهم له إلا أنهم لم يجيبوه لطلبه بسبب أن واليها من قبل السامانيين "عبد الله بن محمد بن نوح" (289- 297 هـ / 902 - 909 م) ، قد كان حسن السيرة عادلاً يُكرّم العلويين وآل البيت ويُجَلِّلهم ويرعى حقوقهم ، هذا فضلاً عن علاقته الوطيدة مع عدد من رؤساء وزعماء الديلم ، الذين كان يرسلهم ويبيعهم بالهدايا والأعطيات وبهذا فقد تألف قلوبهم³ .

غير أن الوضع في إقليم طبرستان قد تغير بدءاً من 297 هـ / 909 م ، حين أقدم "أحمد بن إسماعيل" الذي خلف أباه على هرم السلطة في الدولة السامانية ، على عزل والي طبرستان "عبد الله بن محمد بن نوح" وعيّن مكانه والياً تركياً يدعى "سلام" ، الذي أساء السيرة وتمادى في الظلم الأمر الذي أدى إلى انتشار الفوضى والفساد بالمنطقة ، مما أثار أهلها فاضطر "أحمد" إلى عزله بعد تسعة أشهر من الحكم والاستنجاد مجدداً بالوالي السابق ، على أمل تهدئة الأوضاع بالإقليم قبل تأزمها أكثر⁴ .

وبقي "عبد الله بن محمد" والياً على طبرستان حتى وفاته سنة 298 هـ / 910 م ، فعين الأمير الساماني خلفاً له والي الري السابق "محمد بن صعلوك" ، وأرسل معه وزيره "أبا الفضل محمد بن عبد الله البلعمي" ليساعده على ضبط زمام الأمور بالولاية⁵ ، وهذا يبين لنا أهمية هذه الولاية بالنسبة للسامانيين واستشعارهم للخطر المهدق

¹ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج 6 ، ص 481 - 482 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، 34 - 35 .

² - عدوان : المرجع السابق ، ص 87 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج 6 ، ص 481 - 482 .

⁴ - بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص 268 وما بعدها بعدة صفحات .

⁵ - المصدر نفسه ، ص 270 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص 26 .

بها ، وترىص الأعداء وخاصة منهم " الحسن بن علي الزيدي " ، الذي ينتظر في الفرصة المواتية لدخولها وطرده السامانيين منها .

وكانت تخوفات السامانيين في محلها ، فبعد مغادرة " البلعمي " للولاية بقليل ، سير " الأطروش " جيوشه وزحف عليها واشتبك مع " بن صعلوك " في معركة كبيرة سنة 301 هـ / 914 م ، وقتل الكثير من جنوده وتمكن من السيطرة على جميع طبرستان ، وطرده " محمد بن صعلوك " منها ¹ وبهذا فقد خرجت طبرستان من حكم السامانيين بعد ثلاثة عشر سنة من سيطرتهم عليها ، وبذلك يكون " الحسن بن علي الأطروش " قد تمكن من تحقيق هدف سعى إليه منذ زوال الحكم الزيدي عن المنطقة ، هذا ما يعكس صبر وإرادة وعزيمة هذا الداعي الزيدي .

ولما بلغ خبر سيطرة " الحسن بن علي " على أجزاء كبيرة من طبرستان وجرجان ، إلى الأمير الساماني " أحمد بن إسماعيل " ببخارى اغتم غما شديدا حتى أنه تمنى الموت دونه ² ، وقد أرسل من فوره جيشا إلى طبرستان غير أن الزيديين قهروه ، فقرر " أحمد بن إسماعيل " أن يقصد طبرستان بنفسه ، وكان معه ثلاثون ألف جندي وطلب مددا من بلاد الترك قوامه عشرة آلاف مقاتل ، فسار في أربعين ألف رجل قاصدا طبرستان ، لكنه قُتل من قبل بعض غلمانه قبل أن يبتعد كثيرا عن بخارى ³ .

إذن فرغم مساعي السامانيين إلا أنهم لم يتمكنوا من استعادة نفوذهم بالمنطقة ، التي بسط الزيديون عليها سيطرتهم بشكل كبير ، وشرعوا في إعادة تنظيم أمورهم الأمر الذي انعكس تأثيره إيجابيا على أهلها ⁴ ، وفي أعقاب هذا الانتصار الكبير على السامانيين بطبرستان أطلق " الحسن بن علي الأطروش " على نفسه لقب **الناصر الكبير** ⁵ .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن عهد الأمير " أحمد بن إسماعيل " قد شهد عديد الأحداث منها حربه مع " عمرو بن الليث الصفار " الذي تمرد في سجستان ، هذا التمرد الذي أنهك قوات السامانيين كثيرا ⁶ ، إضافة إلى عدم ثقته في

¹ - بن أسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 272 - 273 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 141 - 142 .

² - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 131 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 212 .

³ - بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 274 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 26 - 27 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص . 275 - 276 .

⁵ - عدوان المرجع السابق ، ص . 88 .

⁶ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ص . 6 ، ص . 475 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص . 4 ، ص . 397 .

عدد من أفراد بيته وتخوفه من تمردهم عليه ، على غرار عمه " إسحاق بن أحمد " ، الذي كان واليا على سمرقند حيث اضطر إلى أن يسجنه قبل الخوض في الحرب ضد المتمردين في سجستان نظرا لتخوفه من استغلال عمه لأي فرصة تتاح له للتمرد وطلب الإمارة لنفسه ¹ .

إذن فكل هذه العوامل حالت دون تمكن السامانيين من تسخير كل قوتهم من أجل إسترجاع طبرستان ، حيث شغلوا عنها بهذه الأزمات التي تمكنوا من القضاء عليها بشق الأنفس سنة 300 هـ / 912 م ، ولقد كان لهذه الأحداث كبير الأثر في تمكن الزيديين من بسط هيمنتهم على هذا الإقليم ، وكان بالإمكان أن تأخذ الأحداث بين الطرفين الزيدي والساماني منحى آخر في ظل تغير الظروف .

إذن فأكبر الفضل في إعادة بعث الدولة الزيدية ، في طبرستان وجرجان والديلم على حساب السامانيين في عهد " أحمد بن إسماعيل " ، يرجع إلى " الداعي الكبير الحسن بن علي الأطروش " الذي فضلا عن كونه باعث الدولة من جديد ، فهو كذلك مُحيي المذهب الزيدي بعد تراجعه نتيجة لاضطهاد الكثير من أتباعه فبظهوره انتظم أمر الزيدية ، ولقي مذهبه رواجاً من قبل أهل المنطقة ² ، فهو عالم وفقه وقد وُصف بأنه عالم آل محمد ومن أفقههم بالسنة وعلم آل البيت وأقوال وآراء السلف الصالح ، فضلا عن كونه سياسياً بارزاً ويرجع إليه الفضل في إحياء المذهب الزيدي ³ .

وفي أعقاب مقتل " أحمد بن إسماعيل " وانتقال الحكم من بعده لابنه " نصر " بمباركة من الخليفة العباسي " المقتدر بالله " نفسه (295 - 320 هـ / 908 - 932 م) ⁴ ، بقي الصراع بين الطرفين على أوجه ولم تظهر بوادر للتهدة ، فقد أصدر هذا الأمير الساماني أمراً بسير عدد من قواده مع جيش قوامه عشرة آلاف جندي إلى طبرستان لاستخلاصها نهائياً من الزيديين ، واشتبك الطرفان في موضع يقال له ساري - سارية - وقد كانت قيادة جيوش الزيديين " لأبي القاسم جعفر " وهو أحد أبناء الناصر الزيدي الذي اضطر للتحصن أمام ضربات

¹ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 210 .

² - الشهرستاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 156 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 65 ؛ العمرجي : المرجع السابق ، ص . 148 - 149 .

⁴ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 133 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 212 .

السامانيين¹، ولما عجز السامانيون عن إسترجاع طبرستان، أُجبروا على إبرام الصلح مع "الناصر الكبير" اعترفوا له بموجبه بحكم طبرستان وبذلك استقرت أوضاعها².

وبهذا يكون الأمير "نصر بن أحمد" قد أبان مبكرا عن نيته تجاه الزيديين بطبرستان، وبأنه سيعمل جاهدا لإسترجاع هذه المنطقة وضمها مجددا إلى حكم السامانيين، حيث أنه لم ينتظر طويلا للهجوم عليهم راغبا في السيطرة على طبرستان، حتى وإن كان لم يتمكن من دخولها وطرده الزيديين منها، مما يبين أن الأحداث بين الطرفين على عهد هذا الأمير الساماني ستكون مضطربة، خاصة وأن الأحداث في الدولة الزيدية قد شهدت عدة تطورات خلال هذه الفترة.

أما على صعيد تطورات الأحداث عند الزيديين بعد هذه الحادثة، فإن "الناصر الكبير" قد أبقى على ابنه معه في طبرستان، وعيّن ابن عمه وزوج خفيده "الحسن بن القاسم"، الذي كان الناصر يحبه ويؤثره على أبنائه واليا على جيلان³، بل وأكثر من هذا فبعد أن تفرغ الناصر في أواخر حياته للتدريس والعبادة، أسند لابن عمه "الحسن بن القاسم" جميع شؤون الملك في الدولة الزيدية، وجعله خليفة له مفضلا إياه على أبنائه، خاصة وأن رجال الجيش والعامّة على السواء كانوا يميلون إليه⁴.

وتوفي الناصر الكبير "الحسن بن علي الأطروش" سنة 304 هـ / 917 م، وحمل خليفته "الحسن بن القاسم" لقب "الداعي الصغير"، امتدت إمارته من (304 - 316 هـ / 917 - 928 م)، ولم يستسغ أبناء الناصر الكبير تعيين أبيهم للحسن بن القاسم خلفا له دونهم، ووجدوا في أنفسهم شيئا عليه⁵ ولم تمض مدة طويلة حتى ثار أحد أبناء الناصر الكبير ضده ويُدعى "أبو القاسم جعفر"، بل أكثر من هذا فقد توجه إلى والي الري من قبل السامانيين "محمد بن صعلوك"، وتحالف معه سنة 306 هـ / 919 م، حيث أمدّه بالجيش لانتزاع طبرستان من حكم هذا الأمير الزيدي الجديد⁶.

¹ - بن اسفنديار: المصدر السابق، ص. 275.

² - المصدر نفسه، ص. 276.

³ - آشتياني: المرجع السابق، ص. 27.

⁴ - بن اسفنديار: المصدر السابق، ص. 276.

⁵ - نفسه.

⁶ - المصدر نفسه، ص. 280؛ آشتياني: المرجع السابق، ص. 28.

وبهذا يكون التصدع داخل المعسكر الزيدي قد بدأ بخروج " أبو القاسم جعفر " عن الأمير الشرعي للدولة الزيدية كتعبير عن عدم رضاه بهذا الأمير حيث تحالف مع أعداء والده السابقين ، وعمل معهم من أجل تفويض أركان الدولة الزيدية التي كان لأبيه كبير الفضل في بعثها من جديد من الانقراض بعد جهود جبارة .

ثم انتقل هذا المتمرد الزيدي إلى مرحلة الجدل ، بمهاجمته رفقة حلفائه من السامانيين مدينة آمل سنة 307 هـ / 920 م ، وتمكنوا من دخولها وحكمها لمدة سبعة أشهر ، إلى أن تمكن الداعي الصغير " الحسن بن القاسم " من إعداد قوة استطاع بواسطتها دحرهم وإخراجهم منها وتصدر الإشارة إلى أن الداعي الصغير قد كان حسن السيرة عالما وعادلا وذا كفاءة سياسية عالية¹ .

وقد خرج بالزيديين من موقع الدفاع إلى الهجوم ، حيث كلّف الداعي القائد " ليلي بن النعمان " في سنة 308 هـ / 920 م بالزحف إلى خراسان² ، وقد تمكن هذا القائد من دخولها وبسط هيمنة الزيديين على نيسابور³ وطرد السامانيين منها مستغلا بعض الاضطراب الذي حصل في صفوفهم⁴ ، ثم حاول مهاجمة مدينة سامانية أخرى هي مدينة طوس سنة 309 هـ / 921 م غير أنه انهزم هناك⁵ ، ولقي قائد جيش الزيديين مصرعه في المعركة التي قاد فيها الجيش الساماني القائد العسكري " حمويه بن علي " ⁶ .

ثم شهدت الدولة الزيدية تصدعا آخر ، بحدوث عدة تمردات داخلية ضد " الداعي الصغير " كان لأبناء " الناصر الكبير " ، الناقمين على حكم " الداعي الصغير " دور بارز فيها ، فبعد تمرد " أبو القاسم جعفر " وتحالفه

¹ - ابن أسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 280 - 281 ؛ آشتياني : المرجع نفسه .

² - Mirkhond : op . cit , p . 135 .

³ - وقد قال أحد شعراء تلك المرحلة ويدعى عبد الله بن أحمد الوليدي شعرا في هذا الموضوع :
يا أيها السيد الداعي الذي سلمت ***** يمينه أفق الدنيا من الخلل .
أهيج بفتح نيسابور التي انغلقت ***** على الملوك الألى في الأعصر الأول .
" كانت حمى لم يبع فافترض عذرتها ***** مؤيد الدين ليلي بالقنا الذبل .
ولي دولتك النهاض باسمك ***** والداعي إليك دعاء المخلص الجذل .
وسوف يبلغ أقصى الشرق مفتتحا ***** بلمة لا محايد ولا نكل .
فهذه الأرض قد ألفت مقالدها ***** إليك يا بن الكرام السادة البزل .
وتلك أسرة سامان التي خزيت ***** تبكي خراسانها بالأدمع الحمل .

أنظر (بن أسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 282) .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 3 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 88 .

⁵ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 28 ؛
- Mirkhond : op . cit , p . 135 .

⁶ - idem , p 136 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 3 - 4 ؛ بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 282 .

مع السامانيين في الري ، ها هو شقيقه الآخر " أبو الحسن " يتمرد في جرجان ، أين التف حوله خلق كثير وجرت عدة معارك بينه وبين الأمير الزيدي ¹ ، ومثل هذه التمردات سيكون لها بالتأكيد تأثير كبير على القوة الزيدية ، خاصة وأن الزيديين في أوج صراعهم مع السامانيين .

وقد كان الأمير الساماني "نصر بن أحمد " خلال هذه الفترة ، غير مرتاح مطلقا لسيطرة الداعي على جرجان وخراسان ² ، خاصة وأن أوضاع هذه المناطق قد كانت متوترة ³ ، لذلك أرسل أحد قادة الجيش الساماني من الأتراك ويدعى " قراتكين " سنة 310 هـ / 922 م ، إلى جرجان غير أنه انصرف عنها بعد قدوم جيوش الزيديين إليها ⁴ .

وبعث " نصر بن أحمد " لاستخلاص جرجان التي كانت محل نزاع دائم بين السامانيين والزيديين قائده " سيمجور " ⁵ ، الذي حاول تجنب الحرب حيث عرض الصلح على " الداعي الصغير " غير أن هذا الأخير قد رفض فاشتبك الطرفان في معركة ضارية دارت فيها الدائرة على جيش الداعي ، والذي اضطر للفرار إلى آمل وكان من الذين فروا معه قائدان من حلفائه من رؤساء الديلم هما " ماكان بن كالي " و " علي بن بويه " الذي تلقب فيما بعد بعماد الدولة وأسس رفقة إخوته دولة بني بويه ⁶ .

ومن آمل أعاد الداعي تنظيم أمور جيشه وترتيب أحواله ، وجمع مددا من الأطراف وأرسله إلى جرجان لحرب السامانيين ، وتمكن هذا الجيش من دحرهم وإخراجهم منها في آخر ذي الحجة سنة 310 هـ / مارس 923 م ⁷ ، ولم يطل مقام الداعي بآمل حيث تمرد عليه عدد من قادته وأتباعه وقرروا إلقاء القبض عليه الأمر الذي اضطره للفرار منها ، وقد حكم طبرستان أحد المتمردين ويدعى " أبو الحسين " ، وظل حاكما لها حتى وفاته في رجب 311 هـ / أكتوبر 923 م ⁸ .

¹ - بن اسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 283 - 284 .

² - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 28 .

³ - بن اسفنديار : المصدر السابق ، ص . 285 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 7 .

⁵ - المصدر نفسه ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 28 .

⁶ - بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 288 ؛ المرجع نفسه ، ص . 28 - 29 .

⁷ - بن اسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 288 .

⁸ - المصدر نفسه ، ص . 290 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 29 .

ولم تستقر أوضاع طبرستان نظرا لكثرة التمردات والنزاعات على عهد الداعي الذي وجد نفسه مضطرا للإقامة بأحد الجبال في ظل سيطرة المتمردين على أمل ، ولم يتمكن من العودة إلى عاصمة الدولة الزيدية وقهر المتمردين إلا في سنة 314 هـ / 926 م¹.

فخروج الأمير الزيدي " الداعي الصغير " الاضطرابي من عاصمة حكمه مدة أربع سنوات دليل على عدم الاستقرار الكبير الذي كان يتخبط فيه الزيديون ، حتى أن أميرهم لم يعد يأمن على نفسه من مكر عدد من قادته ، فالأوضاع داخل البيت الزيدي لم تكن تساعد " الداعي الصغير " في صراعه مع السامانيين ، حيث أن هذه الأحداث انعكست عليه سلبا وساعدت خصومه بشكل كبير ، فطيلة هذه المدة كان قد وجد نفسه بين نارين أولهما قادته المتمردون عليه ، وثانيهما السامانيون بقيادة " نصر بن أحمد " الساعي للقضاء على الداعي الزيدي ودولته بشكل نهائي .

وما كاد الداعي يستقر بطبرستان حتى بلغه نبأ قدوم " نصر بن أحمد الساماني " سنة 314 هـ / 926 م ، إليها هادفا إلى إزالة حكم الزيديين واقتلعه من جذوره ، ذلك أن الأمير الساماني كان قد تلقى أوامر من الخلافة بالهجوم على المواقع الخاضعة لسيطرة الزيديين² ، لكن عمال الداعي على قوهستان قطعوا عليه الطرق وقاموا بتخريب الجسور، حتى تمكنوا من إطباق الحصار عليه إلى درجة ضاقت فيها عليه الأرض بما رحبت ، ولم يجد حلا للخروج من هذا المأزق حتى أنه شارف على الهلاك³.

الأمر الذي أجبره على مراسلة الداعي طالبا الخلاص من هذا المأزق ، مقابل الرضوخ لأي مطالب يطلبها منه فبعد أن كان ينوي القضاء على الزيديين وجد نفسه تحت رحمتهم وقد وافق " نصر بن أحمد " على شرط الداعي من أجل الهدنة والصلح ، والمتمثلة أساسا في دفع مبلغ كبير من المال⁴ ، والخروج من قوهستان صوب خراسان . هذا وقد كانت العلاقة السامانية الزيدية متأزمة بشكل كبير ، لدرجة أنه لا تكاد تمر سنة دون وقوع نزاع عسكري بينهما ، ففي ظل ولاء السامانيين الكبير للخلافة خلال هذه المرحلة والعداء السافر الذي أظهره الزيديون لها فضلا عن الخلاف المذهبي الكبير بينهما ، يضاف إلى كل هذا الصراع من أجل السيطرة على طبرستان وجرحان كلها كانت عوامل رئيسية ساعدت على تأجيج نار الخلاف بين الدولتين .

¹ - بن أسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 290 وما بعدها بصفحات ؛ آشتياني : المرجع نفسه ، ص . 29 - 30 .

² - الجمل : المرجع السابق ، ص . 220 .

³ - بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 295 ؛ آشتياني : المرجع نفسه ، ص . 30 .

⁴ - ورد عند بن أسفنديار أن الداعي اشترط على نصر بن أحمد دفع مبلغ 20 ألف دينار مقابل أن يفك عليه الحصار ، بينما يذكر آشتياني أن المبلغ كان 30 ألف دينار ، (بن أسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 295 ؛ آشتياني : المرجع نفسه ، ص . 30) .

وقد شهدت سنة 315 هـ / 926 م ، صراعا آخر حامي الوطيس بين جيوش الدولتين بهدف بسط الهيمنة على مدينة الري ، التي كانت تلك السنة تحت حكم والي السامانيين " محمد بن صعلوك " ، فأغار عليه الداعي الزيدي بجيوشه ، وتمكن من طرد والي السامانيين منها ¹ ، وأسقط اسم الأمير الساماني من الخطبة فيها ² . وبطبيعة الحال ولأن لكل فعل رد فعل ، وخاصة في ظل العداء بين الطرفين ، فقد كان رد فعل السامانيين على فقدان الري عنيفا .

فقد استغل حليف للسامانيين يدعى " أسفار بن شيرويه " ³ غياب الداعي عن جرجان وطبرستان وانشغاله في الري ، فزحف على جرجان وتحت إمرته جيش ساماني كبير ، وقد تمكن من السيطرة عليها في نفس السنة التي انتزع فيها الزيديين من السامانيين الري 315 هـ / 926 م ⁴ .

ولم يكتف السامانيون بجرجان فقاموا بتنظيم صفوف جيشهم من جديد ، وبأمر من القائد الساماني " قراتكين " انضم " مرداويج بن زيار " إلى جيوش " أسفار بن شيرويه " ، وزحف القائدان على طبرستان وتمكنوا من هزم الزيديين وفرض السيطرة السامانية عليها ⁵ ، وبذلك خرجت نهائيا من حكم الزيديين .

وبعد أن تمكن الداعي من فرض سيطرته على الري ، إضافة إلى انشغاله بضم عدة مناطق سامانية أخرى على غرار قزوین زنجان أبهر وقم ، وصلته أخبار التطورات الحاصلة بجرجان وطبرستان ⁶ ، فلم يستطع البقاء نظرا لأهمية طبرستان بالنسبة له ، فأسرع بالخروج إليها على أمل استرجاعها ، حتى أنه لم يعمل بنصيحة قادة جيشه الذين اقترحوا عليه الاستقرار بالري وترك أمر حرب السامانيين عليهم ⁷ .

واشتبك بجنده مع جيش السامانيين في بعض نواحي طبرستان ⁸ ، في معركة شهدت سقوط الداعي الزيدي صريعا وبعد مقتله عمل السامانيون على استرجاع الري ، والزحف على المناطق التي تخضع لبقايا النفوذ الزيدي ⁹ ، وتعتبر

¹ - بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 296 .

² -

-Mirkhond : op . cit , p . 137 .

³ - أسفار بن شيرويه : كان ضمن الجيش الزيدي وقد وصف بأنه صعب العشرة وقام ماكان بن كالي قائد الجيوش الزيدية بطرده ، فقام بالاتصال بالسامانيين ودخل في طاعتهم ، انظر (العمرجي : المرجع السابق ، ص . 149 .) .

⁴ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 30 .

⁵ - ابن الأثير المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 42 - 43 ؛ بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 296 .

⁶ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، مج . 7 ، ص . 43 .

⁷ - بن أسفنديار : المصدر السابق ، ص . 296 .

⁸ - ذكر ابن الأثير أن المعركة دارت بنواحي ساري ، بينما ورد عند ابن أسفنديار أن الاشتباك كان بآمل وبها قتل الداعي الزيدي ، أنظر (ابن الأثير

المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 43 ؛ بن أسفنديار : المصدر نفسه ، ص . 297 .) .

⁹ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، مج . 7 ، ص . 43 - 44 .

سنة 316 هـ / 927 م أي السنة التي قتل فيها " الداعي الصغير " تاريخ نهاية إمارة الزيديين بطبرستان ¹ ، والتي تعاقب على حكمها أربعة أمراء ² ، وقد قرئت الخطبة في طبرستان وجرجان وغيرها من الأراضي التي كانت خاضعة لحكم الزيديين باسم الأمير الساماني " نصر بن أحمد " ³ .

و بهذا عادت أرض طبرستان من جديد إلى نفوذ السامانيين ، وكان من الطبيعي أن تبارك الخلافة هذه الإنجازات السامانية ⁴ ، خاصة وأنّ النفوذ الزيدي في طبرستان قد كان يشكل خطرا يتهدد السامانيين والخلافة على السواء ⁵ ، وبهذا العمل تكون المحاولات الاستقلالية للزيديين بالمنطقة قد تم القضاء عليها على عهد " نصر بن أحمد " الذي كانت تعتمد عليه الخلافة في توجيه الضربات لعدد من خصومها السياسيين ⁶ ، خاصة في ظل القوة التي كان قد بلغها .

فالميزة الغالبة على العلاقات بين الزيديين والسامانيين كانت هي الصدامات العسكرية والحروب ، التي ما إن تنتهي إحداها حتى تبدأ الأخرى ، فكل طرف عمل جاهدا على استغلال بوادر ضعف الطرف الآخر ، واستثمار المشاكل التي يتخبط فيها الخصم السياسي وقد كانت الحرب بينهما سجلا ، بحيث تبادل الطرفان الانتصارات والإخزومات وتمكن كل منهما من التوغل في أراضي الطرف الآخر .

هذا ومن بين العوامل التي أثرت في سير الأحداث بينهما ، كثرة التمردات والمشاكل الداخلية التي تخبط فيها الطرفان ، وكان هذا العداء السياسي قد بدأ على عهد " إسماعيل بن أحمد " الذي تمكن من إلحاق عدة الهزائم بالزيديين ، كما تعرض الزيديون على عهده للتشتت في بلاد الديلم .

أما عهد ابنه " أحمد " فيمكن وصفه بمرحلة التوازن في العلاقات بينهما ، فقد شهد إعادة بعث للدولة الزيدية بفضل جهود " الحسن بن علي الأطروش " الذي استرجع طبرستان من أيد السامانيين وأعاد تنظيم أمور الدولة الزيدية ، في حين تميز عهد " نصر بن أحمد " بالإصرار الكبير لهذا الأخير من أجل القضاء على الدولة الزيدية وقد كان له ذلك في سنة 316 هـ / 927 م .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن منطقة طبرستان وجرجان التي شهدت هذا الصراع المرير بين السامانيين والزيديين ، قد خرجت نائيا من حكم السامانيين على عهد إمارة " منصور بن عبد الملك " ، الذي لم يقيم في فترة حكمه التي

¹ - آشتياني : المرجع السابق : ص . 31 .

² - أنظر ملحق رقم 8: خاص بالأمراء الزيديين بطبرستان وسنوات حكم كل منهم .

³ -

-Mirkhond : op . cit , p . 137 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 88 .

⁵ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 220 .

⁶ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق، المرجع السابق ، ص . 45 .

دامت حوالي ثلاثة عشر سنة ، يعمل من شأنه المحافظة على النفوذ الساماني بالمنطقة ، حيث استقل خلفاء " وشمكير بن زيار " بالمنطقة وأسسوا دولة لهم فيها هي الدولة الزيارية ¹.

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق، المرجع السابق ، ص 46 ؛ العمرجي : المرجع السابق ، ص . 150 .

المبحث الثالث : العلاقات السياسية السامانية البويهية¹:

بتأسيس الدولة البويهية بالمنطقة الشرقية للخلافة العباسية ، ظهرت معها أطماعها التوسعية بتلك الناحية من ذلك عمل "علي بن بويه" على ضم أصفهان إلى دولته الناشئة ، وقد كانت إذ ذاك خاضعة لحكم الدولة الزيارية²، فسيّر "علي بن بويه" أخاه الحسن إليها سنة 323 هـ / 935 م ، أين تمكن من ضمها بالقوة العسكرية إلى أملاك الدولة البويهية ، إلا أن "وشمكير بن زيار" عمل على استردادها منه ، وبقيت مناطق أصفهان همذان قُسم فاجان كرج الري كونكور وقزوين محل أخذ ورد بين الدولتين³، إلى أن تمكن "وشمكير" من دحر البويهيين بأصفهان وردّها لملكه سنة 327 هـ / 939 م ، مم دفع "بعلي بن بويه" للرجوع لبلاد فارس⁴.

وكان "ماكان بن كالي" قد استولى على جرجان سنة 324 هـ / 936 م ، وأظهر العصيان على "محمد بن المظفر" قائد الجيش الساماني بخراسان ، الذي كان في قلة من العسكر الأمر الذي دفعه لتجنب الصدام ضدّ "ماكان" فانسحب نحو سرخس ، وبذلك آلت جرجان "لماكان بن كالي"⁵.

وقد تحرك القائد الساماني "أبو علي أحمد بن محمد بن المظفر بن محتاج" سنة 328 هـ / 939 م ، يصحبه جيش كبير من نيسابور إلى جرجان لتأديب "ماكان بن كالي" الذي تمردّ على السامانيين وخلع طاعة الأمير "السعيد نصر بن أحمد" واستقل بأمر ولاية جرجان ، وتمكن "بن محتاج" من تشديد الخناق على "ماكان" وجنوده الأمر الذي دفعه للاستعانة بوشمكير الذي كان متواجدا بالري وانتهت هذه الأزمة باستعادة السامانيين لجرجان⁶.

¹ - الدولة البويهية :نسبة إلى زعيم فارسي يدعى (بويه) من إقليم الديلم في جنوب غرب بحر قزوين ،حيث التحق أبناؤه الثلاثة : علي حسن وأحمد بخدمة زعيم محلي يدعى مرداويج ابن زيار الديلمي ، وفي أعقاب مقتل هذا الزعيم سنة 324هـ/936م، قام أبناء بويه الثلاثة بحركتهم التوسعية انطلاقاً من إقليم الكرج الذي كان قد منح مرداويج حكمه لعلّي ، حتى تمكنوا من السيطرة على بغداد عام 334 هـ / 945م، و أصبحوا يولون ويعزلون الخلفاء كما يشاؤون، استمر حكمهم إلى غاية سنة 447هـ / 1055م انظر (بديوي يوسف علي : المرجع السابق ، ص.266-267.) .

² - الدولة الزيارية : نشأت على يد " مرداويج بن زيار" سنة 316هـ / 829م، وتمكن من السيطرة على طبرستان وجرجان، وذهب إلى همذان واستولى عليها من يد جنود الخليفة وبذلك تم له الاستيلاء على بلاد الجبل كلها وبلغت عساكره إلى نواحي حلوان وهي أول حدود العراق، ثم ملك بعد ذلك أصفهان والأهواز، وتعاقب على هذه الدولة ستة ملوك وانتهى أمرها سنة 434هـ - 1043 م ، انظر (www.reefnet.gov.sy)

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج. 7 ، ص. 116

⁴ - نفسه ، ص. 145 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص. 125 .

⁶ - مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب (ت. 461 هـ) : تجارب الأمم و تعاقب الهمم ، تحقيق سيد كسروي حسين ، ج. 5 ، ط. 1 ، 1424هـ / 2003م، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ص. 234؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج. 7، ص. 147 .

وكان أكبر مستفيد من هذه الأزمة هم " بنو بويه "، ففي خضم هذه الأحداث ، قام "الحسن بن بويه " باستغلال انشغال " وشمكير " بأمر " ماكان " وصراعه مع السامانيين ، وقام بتسيير جيوشه إلى أصفهان ، وتمكن من احتلالها ، وأسر عددا من القادة في ظل تواجد أغلب العساكر الزيارية في جرجان ، في محاولة لإنجاد ماكان وبذلك تمكن البويهيون من ضم هذه المنطقة بأقل الأضرار، ولم يكتف البويهيون بهذا بل قام " علي " وأخاه " الحسن " بمراسلة القائد الساماني " أبا علي بن محتاج " وتحريضه ضد " ماكان " وحليفه " وشمكير " ، ووعدوه بتقديم المساعدة له ضدهم ، وصارت بين أبناء بويه وابن محتاج مودة¹ ، وهنا نلاحظ كيف تمكن البويهيين بمكرهم السياسي من استغلال قوة السامانيين لصالحهم ، وضموا أصفهان لدولتهم دون كبير قتال .

وكان طبيعيا أن يسير " أبا علي بن محتاج " بعد إخضاعه جرجان ، بجيوشه نحو الري أين يتمركز " وشمكير بن زيار " ، الذي ناصر " ماكان بن كالي " ضد الدولة السامانية بهدف تأديبه لتجرأه على الدولة السامانية² .

وقد سار إليها القائد الساماني في محرم 329هـ / 940م ، وكان لرسائل إبن بويه " علي والحسن " دور كبير في دفع " أبا علي بن محتاج " للسير إلى الري من أجل إخضاعها ، والعمل من أجل القضاء على نفوذ " وشمكير بن زيار " فيها ، حيث أنهما وعداه بتقديم المساعدة له ضد عدوه ، وبالتالي فقد نشأ حلف بويه ساماني ضد وشمكير المتحالف بدوره مع " ماكان بن كالي " ، الذي سيطر جيوشه من طبرستان إلى الري لنجدة حليفه ، ذلك أن " وشمكير " كان قد بلغه خبر الاتفاق المبرم بين الطرفين الساماني البويهى فاتصل بحليفه³ .

أما عن سبب تحفيز أبناء بويه للقائد الساماني من أجل المسير إلى الري لانتزاعها من " وشمكير " ، وتحالفهما معه فقد كان الرغبة الشديدة منهما في إحكام سيطرتهم عليها ، حيث أنهما كانا على علم بمدى شساعة ولاية خراسان ، التي يترأسها " أبو علي بن محمد بن المظفر بن المحتاج " ، بأمر من الأمير الساماني " نصر بن أحمد " لذلك فقد ذهب اعتقادهما إلى أن القائد الساماني ، لن يقيم بها بعد أن ينتصر على أعدائه وبالتالي سيتمكنان من الاستقلال بها وإخضاعها لهم⁴ .

¹ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج. 7 ، ص . 148 .

² - الكروي إبراهيم سلمان : البويهيون و الخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2008 ، ص . 130 .

³ - مسكويه: المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 234 - 235؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج. 7 ، ص . 155 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ص . 153 .

لذلك فإن هذا الحلف الهش كان لا بد أن تنقصم عراه في أول خلاف بين الطرفين ، ذلك أن البويهيين قصدوا من ورائه ضم الري لأملاكهم اعتمادا على إستغلال قوة وجهود السامانيين ، مثلما حدث عندما استولوا على أصفهان بعد هزم السامانيين لجيوش " وشمكير " و " ماكان بن كالي " من قبل .

وقد دارت معارك عنيفة بين الحلف الساماني البويهي من جهة ، وبين حلف الزياريين و " ماكان بن كالي " من جهة أخرى ، انتهت هذه المعركة بانكسار الزياريين وحليفهم ، الذي لقي مصرعه بسهم أحترق رأسه في المعركة كما قُتل وأسر عدد كبير من أتباعهما ، أما الناجون فقد فروا إلى طبرستان ، وتم حمل رأس " ماكان " إلى بغداد والسهم فيه ¹ .

وأقام " أبو علي " بالري التي كانت هدفا للبويهيين ، ثم سير جيوشه وافتتح عدة مناطق تابعة للزياريين ، وضّمها لدولة السامانيين ، حتى اضطر " وشمكير " للدخول في طاعة السامانيين سنة 330 هـ / 942 م ² ، ووصلت خلال هذه السنة أنباء مزعجة إلى " أبي علي بن محتاج " وهو بنيسابور ، مفادها أن " إبراهيم بن سيمجور الدواتي " قد أعلن تمرده وانشق عليه ، إلا أن هذا العصيان قد تم إنجاءه بعقد صلح بين القائدين ³ .

واستغل " وشمكير بن زيار " تدهور الوضع الساماني ، الناتج عن هذا العصيان من " إبراهيم بن سيمجور " فتحرك بنفسه نحو الري ، ودخلها وفرض هيمنته عليها ⁴ . كما استغل " الحسن بن الفيرزان " ⁵ بدوره هذا العصيان واستولى على جرجان ، و بمجرد وصول الأخبار إلى " علي والحسن ابني بويه " ، بدخول " وشمكير " الري حتى سارعا بتسيير الجيوش إليها سنة 330 هـ / 942 م ، بهدف السيطرة عليها وكان لهما ذلك في أعقاب الانتصار الذي حققه " الحسن بن بويه " على قوات " وشمكير " الذي اضطر للفرار إلى طبرستان ⁶ .

وبذلك تحقق الأمل الذي من أجله أبرم البويهيون حلفا مع السامانيين ، ألا وهو ضم الري لممتلكاتهم ، ولأن الري كانت قبلهم خاضعة للسامانيين ، كان من الطبيعي أن يؤثر هذا الحدث في علاقاتهم مع السامانيين فما الذي جرى بينهما بعد ذلك ؟

¹ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 235 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 153-154 .

² - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج . 7 ، ص . 166 .

³ - الكروي : المرجع السابق ، ص . 132 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 167 ؛ الكروي : المرجع السابق ، ص . 132 .

⁵ - الحسن بن الفيرزان : هو ابن عم ماكان بن كالي ، كان متحالفا مع السامانيين ثم تمرد عليهم وانضم لوشمكير بن زيار ، انظر (ابن خلدون : المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 452) .

⁶ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 167 .

في أعقاب السيطرة البويهية على الري ، والضعف الذي حلّ بوشمكير وجيشه ، عمد " الحسن بن الفيرزان " إلى استغلال وضع حليفه السابق وتمرد عليه ، حيث سار لحربه وانحاز جانب من عسكر وشمكير لصف الحسن ، مما اضطره للّجوء لخراسان بهدف التحالف مع السامانيين ، كما عمد " الحسن بن الفيرزان " للاتصال " بالحسن بن بويه " ، ومصاهرته حيث تزوج " الحسن بن بويه " من ابنة " الحسن بن الفيرزان " ¹ .

وكان الغرض من هذا الزواج سياسياً بحتاً ، بهدف توثيق العلاقات بين الحليفين الجديدين ² ، ذلك أن " ابن الفيرزان " أدرك ضعف حاله ، وعدم قدرته على التصدي لوشمكير الذي استند إلى القوة السامانية ، فلجأ لبني بويه ، الذين كانوا على علم بأنهم سيتصادمون مع السامانيين الذين لن يسكتوا على فقدان الري .

وشهدت هذه المرحلة وفاة الأمير " السعيد نصر بن أحمد " سنة 331 هـ / 943 م ، فخلفه في الحكم ابنه نوح ³ الذي وُصف بالحميد في آرائه السديد في آلائه ⁴ ، وخرج وشمكير بعد تمرد حليفه السابق عليه ، قاصداً مرو التي كان يتواجد بها "نوح بن نصر" ، وقد أكرم نوح وشمكير وأحسن إليه ⁵ ، وقبل بذلك عودته لطاعة السامانيين وبظهور هذه التحالفات تغيرت العلاقات بين هذه القوى ، حيث أصبح أعداء الأُمس حلفاء اليوم ، وبات اللقاء بينها في ساحة الحرب وشيكاً .

وبدأ الصراع الفعلي بين القوتين السامانية والبويهية خلال عهد " نوح بن نصر " ⁶ ، ذلك أن الأمير الساماني عزم على استرجاع الري من يد البويهيين ، وأمر قائده " أبا علي بن محتاج " سنة 333 هـ / 944 م أن يسير إليها في عسكر خراسان ⁷ ، وبهذا انتهى عهد العلاقات السلمية والتحالفات بين الطرفين ، واتجهوا نحو الصدامات العسكرية .

¹ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج. 7 ، ص . 167 - 168 .

² - الكروي : المرجع السابق ، ص . 133 .

³ - Mirkhond : op . cit . p193 .

⁴ - القرماني : المصدر السابق ، ص . 423 .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج. 7 ، ص . 202 .

⁶ - حسين أمين : مقال الدولة السامانية ، مجلة المؤرخ العربي ، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، العدد 15 ، 1980 ، بغداد ،

العراق ، ص . 9 ؛ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ج. 3 ، ص . 84 .

⁷ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج. 7 ، ص . 202 .

ونزل عسكر خراسان بمنطقة بسطام¹ ، إلا أنّ جزءاً من الجيش خالف أمره ، بقيادة " منصور بن قراتكين " الذي كان من خاصة نوح ، وقصد المخالفون جرجان ، لحرب " الحسن بن الفيرزان " الذي تمكن من صدّهم فعادوا إلى نيسابور، أما " أبو علي " ومن بقي معه من الجيش فقد اشتبكوا مع " الحسن بن بويه "، على بعد ثلاث فراسخ من الري وكانت جماعة من الأكراد في جيش السامانيين قد انحازت " للحسن بن بويه "، فانهمز القائد الساماني واضطر للرجوع لنيسابور ، بعد أن غنم منه البويهيون بعض الغنائم².

وفي نيسابور التقى أبو علي بوشمكير ، وكان نوح قد أمرهما بالتوجه إلى جرجان بهدف استرجاعها من يد " الحسن بن الفيرزان " ، وإعادتها لأملاك السامانيين ، وتحاربت قوات السامانيين مع جيوش " الحسن بن الفيرزان " وانتصروا عليهم ، ودخلوها في صفر 333هـ / 944 م ، وبهذا تمكن السامانيون من استعادة سيطرتهم على جرجان .

ولأنّ عزم " نوح بن نصر " على استعادة الري من يد " الحسن بن بويه " كان كبيراً ، فقد أمد أبو علي بجيش كبير أثناء اجتماعه به في مرو ، وأمره بالسير إلى الري في جمادى الثانية 333هـ / فيفري 945 م ، لاسترجاعها من يد " الحسن بن بويه " ³.

ولما علم " الحسن بن بويه " بمسير " أبي علي " إليه ، سارع لطلب المدد والنجدة من أخيه علي ، ذلك أن جيش بن محتاج كان يفوق جيشه عدداً وعدة ، إلا أن علي أمر أخاه الحسن بالانسحاب من الري واللجوء إليه وتجنب خوض الحرب مع السامانيين ، وأبلغه بأنه يُدبر أمراً فيه صلاحهم⁴ ، فانسحب الحسن منها وبذلك تمكن " أبو علي بن محتاج " من السيطرة عليها وعلى سائر أعمال بلاد الجبل في رمضان 333هـ / ماي 945 م⁵.

وكان هدف " علي بن بويه " من وراء الطلب الذي وجهه لأخيه الحسن ، والقاضي بإخلاء الري للجيوش السامانية ، هو السعي للإيقاع بين " الأمير نوح " وبين قائده " ابن محتاج " ، حيث أن " علي بن بويه " كان

¹ - بسطام :تعتبر ثاني أكبر مدينة بإقليم قومس ، وقد اعتبرها ناصر خسرو الذي زارها بنفسه سنة 438هـ / 1046م . قصبة هذا الإقليم ، و قراها من أحصب القرى وبساتينها كثيرة الفواكه ، تكثر بها الأسواق و الخيرات ، و زارها الرحالة ابن بطوطة كذلك في القرن الثامن للهجرة الرابع عشر

للميلاد ، أنظر) Le strange G. : the lands of the eastern caliphate , universalle library (. 365-366 . p . 1873 , new work ,

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 202 ؛ الكروي : المرجع السابق ، ص . 133 .

³ - المصدر نفسه .

⁴ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 284 ؛ الكروي : المرجع السابق ، ص 130 .

⁵ - مسكويه : المصدر نفسه ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 202 .

يهدف للتفريق بينهما بأي طريقة¹، ولاحقاً فرصة ذهبية لعلّي لتحقيق مأربه، بعد أن قام "نوح بن نصر" بعزل ابن محتاج عن ولاية خراسان وأقرّ "إبراهيم بن سيمجور" خلفاً له على رأسها².

والسبب في عزل أبي علي عن ولاية خراسان، هو كيد الحاسدين له الذين نجحوا في إفساد ذات البين بينه وبين نوح، حيث اتهموا أبا علي ونوابه بسوء السيرة³، وقد أثر هذا العزل في أبي علي الذي كان ينتظر أن يتم تكريمه والإحسان إليه بعد أن فتح الري والمناطق المجاورة لها، وكانت هذه الأحداث في شهر رمضان 333 هـ / ماي 945 م⁴.

وحتى يستغل "علي بن بويه" هذه الفرصة لتوسيع الهوة أكثر بين نوح وقائده ابن محتاج، فقد راسل نوح سرا وطلب منه أن يمنحه حُكم الري، في مقابل التزامه بدفع ما كان يدفعه له ابن محتاج سنوياً، وبزيادة مئة ألف دينار مع التزامه كذلك بدفع أموال سنة مسبقاً، كما وعده بأن يقف معه ضدّ ابن محتاج، فاستشار نوح أصحابه، الحاقدين على "أبا علي"، فأشاروا عليه بقبول العرض، وبناءً على هذا بعث نوح "لعلّي بن بويه" من يقبض المال، وقد أكرم "علي بن بويه" رسول نوح⁵ وأحسنَ إليه، وفي نفس الوقت بعث من يخبر "أبا علي بن محتاج" بالاتفاق الذي أبرمه مع "نوح بن نصر" ويحذره من أن يغدر الأمير نوح به⁶.

وقد أدّت مجموعة من الأحداث تزامنت مع رسالة "علي بن بويه"، لدفع ابن محتاج لتصديقه، و تتمثل هذه الأحداث في قيام "نوح بن نصر" بسجن إخوة القائد ابن محتاج، وبعض أهله ومقربيه كما قتل البعض منهم ونتج عن هذا الفعل من نوح تدهور أكبر في العلاقات بين الطرفين⁷.

وبهذا التدبير تمكن "علي بن بويه" من الإيقاع بين الطرفين، الأمر الذي سيشغلهم عنه لبعض الوقت ويُنهك قواهما، وفي هذا فائدة له وخدمة لطُمُوحاته التوسعية.

¹ - مسكويه: المصدر نفسه، ص. 284؛ الكروي: المرجع السابق، ص. 134.

² - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 7، ص. 212.

³ - المصدر نفسه؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص. 218.

⁴ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 7، ص. 202 - 203.

⁵ - ذكر مسكويه أن اسمه علي بن موسى ويعرف بالزّزار، وكان من كبار قادة نوح وحاشيته؛ انظر (المصدر السابق، ج. 5، ص. 284).

⁶ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 7، ص. 216؛ الكروي: المرجع السابق، ص. 134 - 135.

⁷ - مسكويه: المصدر السابق، ج. 5، ص. 284.

وفي الوقت الذي كانت الأحداث تتصاعد بوجه لا يُشعر بالخير في الدولة السامانية ، كان البويهيون يعملون على زيادة قوتهم ونفوذهم ، وتمكنوا من تحقيق ذلك في أعقاب نجاح "أبي الحسن أحمد بن بويه" من دخول بغداد سنة 334 هـ / 945 م ، وبذلك بسط البويهيون هيمنتهم عليها في خلافة "المستكفي بالله" ، ولتُقبَّ أحمد "بمعز الدولة" ، وحمل أخوه "أبو الحسن علي بن بويه لقب عماد الدولة" ، أما "أبو علي الحسن بن بويه" فحمل لقب ركن الدولة ، وضُرِبَ ألقابهم على الدراهم والدنانير¹ .

وقد ترسخ العداء بين "أبا علي بن محتاج" و"نوح بن نصر" بسبب الأحداث السابقة ، الأمر الذي دفع بأبي علي لإيفاد رسول إلى عم الأمير نوح ، "إبراهيم بن أحمد" ، وكان حينئذ بالموصل كأحد قادة "ناصر الدولة بن حمدان" ، والتقى في همدان أين عرض "أبا علي بن محتاج" عليه الرئاسة والبيعة فوافق إبراهيم ، بعد أن عاهدته أبا علي على السمع والطاعة والنصيحة وتمت البيعة ، واتفق الطرفان على أن تكون خراسان لأبي علي ، وخرجوا عن الري لحرب نوح بن نصر² .

واستغل "عماد الدولة البويهى" خروج أبا علي وجيوشه من الري ، وبعث لأخيه ركن الدولة يأمره بالمسير إليها³ وهكذا ضمَّ البويهيون الري لدولتهم دون كبير عناء ، من خلال زرع الخلاف بين الأمير الساماني وقائده واستغلاله لصالحهم ، ثم عمل ركن الدولة على ضم سائر أعمال الجبل لدولتهم ، وأزال النفوذ الساماني منها ، واتسعت بذلك حدود دولتهم⁴ ، في الوقت الذي اضطرت فيه أمور خراسان على السامانيين⁵ ، ولم يكتفِ البويهيون بهذا فقد ردَّ "عماد الدولة" رسول نوح بغير مال و قال له : "... أخاف أن أنفذ المال فيأخذه أبا علي" .⁶

وبفضل هذا التدبير تمكن "علي بن بويه" من دفع السامانيين إلى التقاتل فيما بينهم ، ولما أيقن أنَّ الصدام واقع لا محالة ، بين أبي علي و"إبراهيم بن أحمد" من جهة وجيوش نوح من جهة أخرى ، بعث مع رسول نوح برسالة

¹ - ابن كثير : المصدر السابق ، مج 6 ، ج 11 ، ص 255 - 256 .

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 216 .

³ - مسكويه : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 284 - 285 .

⁴ - ضمت إلى جانب أعمال الري و الجبل فارس و الأهواز و العراق ، فضلا عن مناطق أخرى تحمل إليهم الأموال سنويا ، أنظر (ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 7 ، هامش ص 219) .

⁵ - نفسه .

⁶ - المصدر نفسه ، ص 216 .

مفادها أنه سيُسَيَّر أخاه " ركن الدولة " من ورائهم بغرض إعانة نوح في حربه ضد أعدائه ¹ ، وفي نفس الوقت راسل " ابن محتاج " يشير إليه بسرعة المهجوم على نوح وجيوشه ، ويعدده بالمساعدة وإرسال الجنود لنصرته ² .

ووقعت الحرب بين الطرفين وهُزم نوح وجيوشه ، وأُسر عدد كبير من جنود نوح وعدد من قاداته ، على رأسهم "إبراهيم بن سيمجور" و " منصور بن قراتكين " ، واضطر نوح للفرار إلى سمرقند ³ ، و دخل عمه بخارى سنة 335 هـ / 946 م ، وقُرئت الخطبة في منابرها باسمه ، وبايعه جميع أهلها ⁴ .

كما استولى المنتصرون على ذخائر وأموال خزائن بخارى ، وأرسل ابن محتاج إلى عماد الدولة يخبره بنصرهم ويطلب منه إرسال الخلع والعقد " لإبراهيم بن أحمد " على خراسان غير أن هناك من سعى بين " إبراهيم بن أحمد " و " أبي علي بن محتاج " ، وأفسد الوُد بينهما ⁵ ، فانفرط حبل الاتفاق بين الطرفين ، وانتهى الأمر بإبراهيم أسيرا لدى نوح فسمّل عينيه كما سمل أعين جماعة من مؤيديه من داخل البيت الساماني ⁶ .

واستمر العداء والحروب بين " أبي علي بن محتاج " و "نوح بن نصر " ، إلى غاية سنة 337 هـ / 948 م ، وهي السنة التي شهدت إبرام الصلح بين نوح وقائده ، و اتفقا على إنفاذ ابن أبي المظفر " عبد الله "، رهينة في بلاط نوح ببخارى ، وقد قرّبه نوح وجعله من ثدائه ⁷ .

وبهذا شُغل السامانيون عدة سنوات عن البويهيين ، الذين كان تديبرهم سببا في نشوب الحرب بين الأمير الحميد نوح وقائده ابن محتاج ، وكانوا خلال هذه الفترة قد تمكنوا من توسيع ملكهم ، وضَمّوا إليه بعض الأراضي التي كانت خاضعة للسامانيين ، فبعد أن ضمّ ركن الدولة الري وسائر بلاد الجبل سنة 335 هـ / 946 م ⁸ ، قصد في ربيع الأول سنة 336 هـ / أكتوبر 947 م ، رفقة حليفه " الحسن بن الفيرزان " بلاد وشمكير الذي حاربهم لكنه إنهمز أمامهم ، واستولى بذلك ركن الدولة على طبرستان وجرجان ، الأمر الذي دفع بوشمكير للاستنجاد " بنوح

¹ - مسكويه: المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 285 .

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 216 .

³ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 285 .

⁴ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 137 .

⁵ - أوهموا إبراهيم بأن أبا علي إذا فرغ من نوح سيقضي عليه ، فقام بإطلاق سراح ابن سيمجور و ابن قراتكين دون علم ابن محتاج ، ففسدت العلاقة بينهما ، أنظر (مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 285 .) .

⁶ - المصدر نفسه ، ص . 285 - 286 .

⁷ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 215 .

⁸ - المصدر نفسه ، ص . 219 .

بن نصر " من أجل استعادة بلاده ، فأمدّه نوح بجيوش تحت قيادة " منصور بن قراتكين " ، وقصدا جرجان لطرده " الحسن بن الفيرزان " منها سنة 337 هـ / 948 م ، ولما وصلا إليها صالح منصور " الحسن بن الفيرزان " على أن يعودو وشمكير لجرجان ويُقيم بها ¹.

وبعد أن ثبت " الحسن بن بويه " ملكه في طبرستان ، قصد جرجان للسيطرة عليها وفرّ وشمكير منها دون قتال وذلك أن أكثر أصحابه قد انضموا " للحسن بن بويه " ².

وفي أعقاب وفاة " عماد الدولة علي بن بويه " بشيراز سنة 338 هـ / 949 م ، نتيجة مرض أصابه ³ ، علم ركن الدولة أنّ أمور بلادهم ستضطرب ، وتُصبح محل أطماع القوى المتربصة بها ، فاستخلف على الري نائبا له يدعى " علي بن كامه " ⁴ ، وقام " نوح بن نصر " بتسيير الجيوش من نيسابور سنة 339 هـ / 950 م ، بقيادة " منصور بن قراتكين " لاسترجاع الري من حكم البويهيين ، وبمجرد وصوله إليها خرج عنها عامل البويهيين نحو أصبهان ودخلها القائد الساماني ، الذي استرجع كذلك بلاد الجبل بعد أن طرد عمال البويهيين عن تلك الأقاليم ⁵.

ثم قصدت الجيوش السامانية همدان للقاء " ركن الدولة " ، إلا أنّ السامانيين عدلوا عنها نحو أصبهان ، فاضطر أتباع البويهيين للفرار منها فتوجه " ركن الدولة " بجيوشه إليها ، وقاتل السامانيين عدة أيام ، حتى نقصت المؤن لدى الطرفين فاضطر " منصور بن قراتكين " للعودة من أصبهان للري في محرم 340 هـ / جويلية 951 م ⁶ ، وفي الري توفي منصور فحملته الجيوش السامانية إلى خراسان ، وغادرت بذلك الري ، ثم أعاد " نوح بن نصر " أبو علي بن محتاج " لقيادة الجيوش السامانية في خراسان ، واستقر بن محتاج بنيسابور عاصمة خراسان في ذي الحجة 340 هـ / ماي 952 م ⁷.

وكان وشمكير قد تمكن من استرجاع جرجان ، واستخلاصها من سيطرة " الحسن بن الفيرزان " ، حليف البويهيين سنة 341 هـ / 953 م ⁸ ، وطلب وشمكير من حليفه نوح المدد ، فكتب الأمير الساماني إلى " أبي علي " كي يُسيّر

¹ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ص . 225 - 227 .

² - الكروي : المرجع السابق ، ص . 137 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 230 .

⁴ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 302 .

⁵ - نفسه ، ص . 294 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 234 .

⁶ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 303-304 ؛ ابن الأثير : المصدر نفسه ، ص . 234 - 236 .

⁷ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ص . 238 - 239 .

⁸ - نفسه ، ص . 243 .

جيوش خراسان إلى الري سنة 342 هـ / 954 م لحرب ركن الدولة ، والتقى بجيوش وشمكير في ربيع الأول ، وقصد الطرفان الري وتحاربا مع ركن الدولة ، الذي أدرك عدم قدرته على التصدي للسامانيين فلجأ للصلح¹.

وكان من شروط الصلح قبول ركن الدولة دفع مبلغ مئتي ألف دينار سنويا للسامانيين ، ورجع أبو علي بجيوشه إلى خراسان² ، وقد اغتاز وشمكير من هذا الصلح كثيرا ، وكتب إلى "الأمير نوح" يعلمه أنه كان بإمكانهم القضاء على ركن الدولة لو لم يوافق أبو علي على التصالح معه ، ثم استغل ركن الدولة ضعف حال وشمكير بعد توجهه أبو علي نحو خراسان فهاجمه ، وتمكن من إخراجه من طبرستان وجرجان ، وقد حمل وشمكير أبا علي مسؤولية هذه الأحداث ، فغضب نوح من قائده وعزله من قيادة الجيش وعيّن مكانه "بكر بن مالك" ، وحاول أبا علي الاعتذار من نوح لكن نوح رفض الصفح عنه ، فلجأ "ابن محتاج" لركن الدولة ودخل في طاعته³.

تزامنت هذه الأحداث مع وصول كتاب من الخليفة ، مع حاجبه "ابن أبي عمرو الشرايبي" لخراسان ، حيث أوفده بغرض الصلح بين السامانيين والبويهيين ، وعند وصوله توفي الأمير "نوح بن نصر" فخلفه ابنه "عبد الملك بن نوح"⁴ ، الذي بمجرد توليه عرش السامانيين سنة 343 هـ / 955 م ، قام بإنفاذ الجيوش تحت قيادة "بكر بن مالك" لخراسان بهدف إخراج "ابن محتاج" الذي تمرد على السامانيين وتحالف مع البويهيين منها ، وكان البويهيون قد استصدروا أمرا من الخليفة ، بحكم خراسان لأبي علي وقلدوه إياها ، فقام بإسقاط اسم السامانيين من الخطبة فيها وخطب مباشرة للخليفة العباسي "المطيع لله" ، وقد تمكن "بكر بن مالك" من هزم ابن محتاج رغم المدد الذي حصل عليه من البويهيين ، واضطر للفرار رفقة الجنود البويهيين للري ، أين استقبلهم ركن الدولة وأحسن إليهم⁵.

تحدد الصراع الساماني البويهي على الري وأصفهان ، حيث خرج الجيش الساماني من خراسان قاصدا هذه المناطق بقيادة "محمد بن ماكان" ، واضطر البويهيون للفرار من أصفهان على أقبح صورة ، إلا أن الدائرة دارت على "

¹ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 312 .

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 246 .

³ - مسكويه : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 212 - 213 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 246 - 247 ؛

⁵ - المصدر نفسه ، ص ، 249 .

محمد بن ماکان" وجیوشه ، آین تم أسره¹ فی أعقاب انهزامه أمامهم نتیجة حصولهم عل المدد ، وهكذا دخلوا أصفهان مرة ثانية² .

وفي أعقاب هذه الأحداث لجأ الطرفان إلى الهدنة والسلم بعد أن راسل " ركن الدولة " القائد الساماني " بكر بن مالك " سنة 344 هـ / 956 م ، واتفقا على بقاء الري وبلاد الجبل تحت الحكم البويهی ، على أن يلتزم ركن الدولة بدفع مبلغ مئتي ألف دينار إلى جانب مجموعة من الهدايا سنويا للسامانيين ، بسبب موافقتهم على حكمه للري ، إضافة إلى تعهده بعدم مزاحمة حليفهم وشكیر فی أمر طبرستان ، ونتج عن هذا الصلح هدوء الأوضاع فی خراسان واستقامة أحوالها³ .

كما نتج عنه أيضا حقن الدماء من الطرفين ، ومن خلاله شروطه يتضح لنا أنه فی صالح السامانيين ، ومرئ ذلك إدراك البويهيين لقوة خصومهم ، وتخوفهم من استكمال الحرب معهم ، رغم أنهم هزمهم وأسروا قائدهم فی آخر مواجهة عسكرية معهم .

فی أعقاب وفاة الأمير الساماني " الرشید عبد الملك بن نوح " سنة 350 هـ / 961 م ، إثر سقوطه من على فرسه خلفه فی الحكم أخوه " منصور بن نوح " ⁴ ، وفي عهده استولى ركن الدولة على طبرستان وجرجان فی محرم 351 هـ / مارس 962 م ، وطرده وشكیر منها⁵ ، وهذا حرق صريح للإتفاق المبرم بین أخيه الرشید وركن الدولة ، ومن الجلي أن يكون لخرق هذا الاتفاق توابع وتأثير على الأوضاع بالمنطقة .

لذلك فقد دخل الطرفان من جديد فی حروب استنزفت قواهما بشكل كبير ، بین سنتي 356 - 361 هـ / 967 - 972 م⁶ ، إلى أن سعى القائد الساماني لجیوش خراسان " محمد بن إبراهيم بن سیمجور " ، للتوسّط من أجل عقد الصلح بین الطرفين ، وأفلح فی مسعاه سنة 361 هـ / 972 م ، بتوقيع الصلح بین الطرفين الساماني ممثلا فی الأمير " منصور بن نوح " ، والبويهی ممثلا فی شخص " ركن الدولة و ابنه عضد الدولة " ، وشهد فی كتاب الصلح بین الطرفين أعيان من أهل فارس والعراق وخراسان ، وكان من شروط الصلح أن يحمل البويهيون كل سنة

¹ - بعد أن تم أسر محمد بن ماکان أرسل إلى قلعة أركان وشجن فیها ، ولم يره أحد مرة أخرى ، أنظر (الكردیزی : المصدر السابق ، ص 222 - 223) .

² - مسكويه : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 315-316 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 252-253 .

³ - الكردیزی : المصدر السابق ، ص 223 .

⁴ - النرشخي : المصدر السابق ، ص 139 - 140 .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 274 - 275 .

⁶ - حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشریف : المرجع السابق ، ص 469 .

مبلغاً من المال قُدر بمئة و خمسين ألف دينار للسامانيين ، وحتى يتم تقوية هذا الصلح أكثر ، فقد تصاهر البيتان بزواج الأمير "منصور بن نوح" بإبنة عضد الدولة ، وحمل له البويهيون الكثير من الهدايا والتحف¹.

بهذا الصلح انتهت حالة الحرب بين الطرفين واستقرت الأوضاع بالمنطقة ، وأطاع البويهيون الأمير الساماني ، مما أتاح له التفرغ لأموار دولته ، وتمكن من تدبير شؤونها بشكل جيد ظهر أثره في حياة الناس ، خاصة بعد تمكنه من القضاء على الفساد الذي كان قد انتشر بمملكته².

في محرم من سنة 366 هـ / سبتمبر 976 م توفي " ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه " ، وخلفه ابنه "عضد الدولة"³ ، وفي شوال من نفس السنة / جوان 977 م توفي الأمير الساماني "منصور بن نوح" ببخارى ، فقام فخلفه ابنه " أبو القاسم نوح بن منصور"⁴ ، وبعد الهدوء الذي ميّز العلاقات بين الطرفين بضع سنين ، عادت الأوضاع للتأزم مرة أخرى ، بسبب استيلاء "عضد الدولة البويهي" على طبرستان و جرجان ، بعد أن أخرج منها صاحبها "قابوس بن وشمكير" ، والسبب الذي دفع عضد الدولة للقيام بهذا الأمر هو لجوء أخيه " فخر الدولة " بعد انهزامه من عضد الدولة ، إلى قابوس حاكم جرجان وطبرستان ، وطلب عضد الدولة من قابوس أن يسلمه أخاه " فخر الدولة " لكنه رفض ، فسير عضد الدولة الجيوش نحو جرجان بقيادة أخيه " مؤيد الدولة " الذي هزم جيوش قابوس وسيطر⁵ على المدينة في جمادى الثانية سنة 371 هـ / ديسمبر 981 م⁶.

بعد هذه الأحداث ، قصد قابوس نيسابور ولحقه " فخر الدولة " وطلب المدد من عامل السامانيين عليها " حسام الدولة أبي العباس تاش "⁷ ، الذي راسل بدوره الأمير "نوح بن منصور" يُعلمه بخبرهما واستنجادهما به فأمر نوح قائده على خراسان بتسيير الجيوش وإعادة تمها لملكهما ، وكانت الجيوش السامانية التي توجهت لحرب " مؤيد الدولة البويهي " كثيرة ، حتى أن " ابن الأثير " قال عنها بأنها : " ...سدت الفضاء .. " ، ودارت بينها وبين جيوش مؤيد الدولة معارك على باب جرجان دامت أياماً ، وكانت الحرب بين الطرفين سجّال ، حتى وصل

¹ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 334 ؛ الكروي : المرجع السابق ، ص . 469 . ؛ Mirkhond : op . cit , p . 155 .

² - الكريديزي : المصدر السابق ، ص . 228 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 364 .

⁴ - نفسه ، ص . 367 .

⁵ - للمزيد عن تفاصيل المعارك التي دارت بين مؤيد الدولة البويهي وقابوس بن وشمكير ، أنظر (الروذراوي أبي شجاع ظهير الدين ، الوزير (ت . 488

هـ) : ذيل تجارب الأمم ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2003 م ، ص 14 - 16) .

⁶ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 397 .

⁷ - المصدر نفسه ، ص . 397 - 398 ؛ الروذراوي : المصدر السابق ، ص . 14 .

أمر لقائد الجيش الساماني ، دفعه للانسحاب نحو نيسابور رفقة فخر الدولة وقابوس¹ ، بسبب مقتل الوزير " أبي الحسن العتيبي " ² ، فاستدعي حسام الدولة لبخارى بهدف ضبط أمورها في أعقاب الفوضى التي نتجت عن مقتل الوزير³ .

كما وصل رسول من " نوح بن منصور " سنة 371 هـ / 981 م يُكنى بأبي الغنائم لعضد الدولة ، من أجل تحصيل الأموال بموجب الاتفاق المبرم بين الطرفين الساماني والبويهية سنة 361 هـ / 972 م ، وكان في استقباله أبناء "عضد الدولة" ، حيث أكرموه وأحسنوا إليه إلا أن الأوضاع كادت أن تتأزم ، بسبب الحرب وإيواء السامانيين لفخر الدولة وقابوس ، وأوشك الاتفاق على البطلان ، حيث أن عضد الدولة قال للرسول : " ...فإن القوم غدروا ونكثوا العهد ، ورفضوا الوُد ، ولم يبق بعد إيواء فخر الدولة وقابوس هودة ... " ، إلا أن أبُو الغنائم راجع عضد الدولة وعرض عليه كُتبا وصلته من نوح ، حتى وافق وأذن له بالخروج ، بعد أن حصل اتفاق بينهما⁴ على مجموعة من الشروط من ضمنها بقاء فخر الدولة وقابوس في بخارى بشرط أن ينفذ أتباعهما من حولهما⁵ .

لقد كانت الدولة السامانية خلال هذه المرحلة تسير نحو الزوال ، وأكثر مناطقها تحت حُكم وُلاة متمردين وعاصين لسلطة الأمير ببخارى ، فضلا عن ذلك كانت خزانة الدولة خاوية من الأموال ، والوزراء قد فقدوا السيطرة على رجال الجيش ، إضافة إلى الخصومات بين قادة " نوح الثاني بن منصور " ، حيث أن كل واحد منهم كان يدّعي السلطة والقيادة على الآخرين⁶ ، من ذلك الاتفاق الذي تمّ بين بعض رجال الجيش سنة 372 هـ / 983 م ، بموجبه تولى " حسام الدولة أبي العباس تاش " ولاية نيسابور وقيادة الجيوش السامانية ، بينما آلت بلخ لفائق ، وحصل " أبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور " على ولاية هراة ، و قصد كل واحد منهم ولايته⁷ . ثم أظهر هؤلاء القادة التمرد على نوح لدرجت أنّ فائق عزم على المسير إلى بخارى والسيطرة عليها ، لكنه هُزم أمام جيوش نوح سنة 383 هـ / 993 م ، فلجأ إلى "أبي علي " وكاشفا الأمير نوح العصيان ، الأمر الذي دفعه

1 - الروذراوري : المصدر نفسه ، ص . 22 ؛ ابن الأثير : المصدر نفسه ، ص . 398 .

2 - قُتل الوزير العتيبي سنة 372 هـ / 982م بتدبير من أبي الحسن بن سيمجور ، ذلك أن بن سيمجور نقم على العتيبي عزله عن خراسان و تولية حسام الدولة أبي العباس تاش مكانه سنة 371 هـ / 981 م ، انظر(ابن الأثير: المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 397 - 398) .

3 - المصدر نفسه ، ص . 398 - 399 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 230 - 231 .

4 - للمزيد حول شروط الإتفاق ، أنظر (الروذراوري : المصدر السابق ، ص . 20 - 21) .

5 - المصدر نفسه ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 230 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 399 .

6 - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 156 .

7 - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 231 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 407 - 408 .

للإستنجاد بسبكتكين في الوقت الذي تحالف فيه أبا علي وفائق مع " فخر الدولة بن بويه "، الذي سَيّر إليهم الجيش لحرب نوح وسبكتكين ، وبذلك تجدد الصراع المباشر بين الطرفين من جديد ، انهزم فيه البويهيون وحلفائهم الممثلين في القادة المتمردين على السلطة السامانية ، وتم تعيين " محمود بن سبكتكين " واليا على خراسان وقائدا لجيوشها ، واستقر بعاصمتها نيسابور سنة 384 هـ / 994 م¹ .

وكان الضعف الذي عرفته الدولة السامانية يُنبئ بقرب سُقوطها ، وقد ساهمت الدولة البويهية بنسبة كبيرة في الضعف الذي حل بالسامانيين ، من خلال سعيها الحثيث للتوسع على حساب أراضي السامانيين ، والحروب الكثيرة والمتكررة التي خاضتها ضدهم من أجل ذلك²، إضافة إلى تحالفها مع القادة المتمردين عليها ، الأمر الذي دفع الأمير الساماني لطلب العون ضدهم من سبكتكين ، فمنذ أن استقر ابنه " محمود " بخراسان بعد تعيينه واليا عليها ، فقد السامانيون هذا الجزء الهام من دولتهم بصفة رسمية سنة 389 هـ / 999 م ، بعد أن أسقط محمود اسمهم من الخطبة ، وخطب فيه مباشرة باسم الخليفة العباسي ، وبذلك تم ضمُّ خراسان لممتلكات الدولة الغزنوية³ .

¹ - الكرديزي: المصدر نفسه ، ص . 233 - 234 ؛ ابن الأثير: المصدر نفسه ، ص . 466 - 467 .

² - حسن أحمد محمود وحسن ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص . 469 ؛ الصلابي : دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط . 1 ، 1427 هـ / 2006 م ، ص . 24 .

³ - ابن الأثير: المصدر السابق ، ج . 8 ، ص . 43 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 160-161 .

المبحث الرابع : - العلاقات السياسية للسامانيين مع الدولتين الغزنوية والقراخانية وزوالها .

لقد كان اعتماد السامانيين على العنصر التركي كبيرا في تسيير شؤون دولتهم ، سواء من الناحية الإدارية أو العسكرية حيث إن الأتراك تمكنوا من اعتلاء مناصب مرموقة في هرم الدولة السامانية ، فقد حازوا مراتب القيادة في الجيش الأمر الذي كان تأثيره على الدولة السامانية في أواخر أيامها سلبيا ¹ ، خاصة في ظل الضعف الذي اعتري كيانها فضلا عما عُرف عن الأتراك من كثرة الشغب وإثارة القلاقل والاضطرابات ، في الدول التي استعانت بهم ، على غرار الدولة السامانية حيث كانوا من بين أسباب ضعفها وزوالها ² ، وكان اعتماد السامانيين على هذا العنصر كبيرا بحكم فتوحاتهم الكثيرة في بلاد الترك الوثنيين ³ ، وإضافة إلى مناصبهم العسكرية فقد تولوا كذلك مناصب مدنية رفيعة ⁴ ، خاصة وأن العنصر التركي كان من بين أهم العناصر المشكلة للمجتمع الساماني والمؤثرة فيه ⁵ .

ومن بين الدول التي تمكن العنصر التركي من تأسيسها ، وكانت لها علاقات مع الدولة السامانية نجد كل من الدولة الغزنوية ⁶ والدولة القراخانية ⁷ ، فبا تری ما هي أهم ملامح العلاقات السياسية للدولة السامانية مع هاتين

¹ - زبيدة عطاء : المرجع السابق ، ص . 31 ؛ حسن أحمد محمود وإبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص . 270 ؛

² - الفقي : بلاد الهند ...، المرجع السابق ، ص . 13 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 46 .

³ - بروكلمان : المرجع السابق ، ص . 266 .

⁴ - الفقي : بلاد الهند ...، المرجع السابق ، ص . 13 .

⁵ - أنظر مبحث أهم العناصر المشكلة للسكان في الدولة السامانية .

⁶ - الغزنوية : بفتح الغين المعجمة والزاي الساكنة والنون المفتوحة هذه النسبة إلى غزنة أو غزنین وهي من بلاد الهند وغزنة قسبة زابلستان الواقعة في طرف خراسان ، وقد اشتهرت بكونها عاصمة للسلطان محمود الغزنوي وهي اليوم من إحدى مدن أفغانستان ، انظر (السمعاني : المصدر السابق ، ج 4 . ، ص . 291 ؛ Le Strange G : op .cit , p .348)

⁷ - القراخانيين : أو الإيلكخانيون هم الأتراك الذين حكموا ما وراء النهر وتركستان من (382 - 482 هـ / 992 - 1089 م) كانوا في الغالب من قبائل التوغز الوثنية ، ويعد ساتوق بغراخان عبد الكريم (ت . 344 هـ / 955 م) أول من أسلم من خانات الأتراك ، وأسلمت معه رعيته وقد كان الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة القراخانية ، ورغم البحوث حول هاته الدولة إلا أن الكثير من الغموض لا يزال يحيط بتاريخها على غرار صعوبة تحديد القبيلة التي ينتمي إليها القراخانيون ووقت ظهور هذه الدولة ...، أنظر (بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، قسم التراث العربي ، الكويت ، ط . 1 ، 1401 هـ / 1981 م ، ص . 388 ؛ بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 90 - 91 ؛ الغامدي مسفر بن سالم بن عريج : مقال علاقات القراخانيين بتركستان وما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة (382 - 482 هـ / 992 - 1089 م) ، مجلة جامعة أم القرى - مجلة فصلية للبحوث العلمية المحكمة - ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، عام 1411 هـ / 1991 م ، ص . 242 .) .

الدولتين ؟ خاصة وأن إسلام هذين العنصرين من الأتراك والذي أدى فيه السامانيون دوراً أساسياً ، قد اعتبر على أنه نصر كبير للإسلام وكان من المفترض أن يوجها أسلحتهما لحرب الوثنيين ونصرة السامانيين¹.

أولاً - العلاقات السياسية مع الدولة الغزنوية :

إن السبب الرئيسي لقيام الدولة الغزنوية هو ازدياد نفوذ العنصر التركي في الدولة السامانية ، وعلو منزلتهم بها نتيجة للاعتماد الكبير عليهم في تسيير أمور الدولة ، وقد أخذ الأتراك يتطلعون للاستقلال بعدد من الولايات والمناطق السامانية على غرار بلاد ما وراء النهر خراسان طبرستان والري².

ويعتبر القائد التركي القوي في الجيش الساماني " ألبتكين " من أبرز أسباب ظهور الدولة الغزنوية ، وقد بدأ حياته كجندي في الجيش الساماني ومكنته مؤهلاته من الارتقاء في سلم الوظائف بالدولة السامانية ، حتى وصل على عهد " عبد الملك بن نوح " (343 - 350 هـ / 954 - 961 م) إلى منصب حاجب الحجاب بالدولة ، وقوي نفوذه إلى درجة أن الوزير أصبح يأتمر بأمره ويلتزم بتنفيذ تعليماته³.

وقد شعر الأمير الساماني بالخطر الكبير الذي يمثله هذا القائد التركي ، فحاول إلقاء شره بإبعاده عن بخارى العاصمة فعينه سنة 349 هـ / 961 م والياً على خراسان⁴، وفي أعقاب وفاة " عبد الملك " سنة 350 هـ / 961 م حدثت مشاورات بين كبار رجال الدولة ، حول من هو الأصلح لتولي أمور السامانيين خلال هذه المرحلة⁵ ولأن " ألبتكين " كان أقوى رجل في الجيش الساماني فقد أرسلوا إليه يطلبون رأيه في القضية ، وكان إذ ذاك متواجداً في نيسابور وكان المرشح لخلافة " عبد الملك بن نوح " ، عمه صاحب الثلاثين سنة وأخوه " منصور " البالغ من العمر ستة عشر سنة⁶، وأورد " ألبتكين " رأيه في رسالة إلى بخارى يبين فيها أن الأصلح حسب له للحكم والإمرة

¹ - بارتولد : تاريخ الترك ... ، المرجع السابق ، ص . 94 - 95 .

² - فاروق حامد بدر : تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر ، مكتبة مطبعة الآداب ، القاهرة ، ص . 25 - 26 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 101 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 69 .

⁴ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 143 ؛ بروكلمان : المرجع السابق ، ص . 266 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 104 .

⁵ - الفقي : بلاد الهند ... ، المرجع السابق ، ص . 13 .

⁶ - ورد خطأ في هذه القضية عند نظام الملك وعدد من المراجع الأخرى ، التي أوردت أن المرشح لخلافة عبد الملك كان ابنه الصغير وأخوه البالغ ثلاثين سنة ومن المؤرخين الذين وقعوا في هذا الخطأ نجد نظام الملك وعدوان أحمد محمد كما أخطأ الفقي نفسه في هذه النقطة في كتابه بلاد الهند في العصر الغزنوي ، في حين أورد في كتابيه الآخرين أن أمر الإمارة بعد عبد الملك قد كان محصوراً بين أخ عبد الملك منصور وعمه وهو الصواب ، انظر (نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 145 ، عدوان : المرجع السابق ، ص . 123 ، الفقي : بلاد الهند .. ، المرجع السابق ، ص . 13 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 101 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 69 - 70 .) .

هو أكبرهما سنا نظرا لخبرته بأمور السياسة¹، وقبل وصول رد " ألبتكين " كان المتشاورون في بخارى قد حسموا رأيهم بتولية " منصور بن نوح " أخ الأمير المتوفي على رأس الدولة السامانية².

ويبدو أن الأمراء في بخارى قد تصرفوا وعينوا " منصور بن نوح " ، نظرا لتأخر وصول رسالة " ألبتكين " إلى بلاط بخارى ، وقد أوقع هذا الأمر " بألبتكين " فيما بعد في حرج مع الأمير الجديد³، خاصة وأن المتربصين به من أعدائه قد استغلوا الوصول المتأخر لرسالته وحرضوا " منصور بن نوح " على التخلص منه نهائيا ، بإستدعائه إلى بخارى وقتله⁴ وقد حاول " ألبتكين " رأب الصدع مع الأمير الجديد ، من خلال التقرب والتودد إليه بالرسائل وإرسال الهدايا غير أن محاولاته لم تجد نفعا⁵، ذلك أن مساعي المفسدين قد تمكنت من الأمير الجديد .

وبناء على نصائح المتربصين " بألبتكين " فقد استدعاه " منصور " إلى بخارى ، وكان القائد التركي يدرك ما يُحَاك ضده من مآمرات ودسائس في بخارى ، حيث أن عددا من أتباعه المخلصين المقيمين بها كانوا يزودونه بالمعلومات ، وقد سار إليها وفي منتصف الطريق أعلم " ألبتكين " قادته بما يرمي إليه منصور بن نوح " من وراء هذه الدعوة ، وأعلمهم بأنه متوجه لبلاد الهند للجهاد رفقة عدد من أتباعه ، ونصحهم بالتوجه إلى بخارى لتجديد البيعة للأمير الجديد⁶.

إذن فألبتكين لم يتوجه إلى بخارى لأنه كان يدرك بأن " منصور بن نوح " يضر له سوء ، ولذلك فقد أقدم الأمير الساماني على عزله من ولاية خراسان وأسند أمرها إلى " أبي الحسين سيمجور " ⁷، وقبل التوجه نحو بلاد الهند قصد " ألبتكين " بلخ أين اشتبك فيها مع عدد من القوات السامانية بأمر من " منصور " نفسه ، ثم اضطر لمغادرتها نحو غزنة أين تعقبته القوات السامانية واشتبكت معه هناك⁸.

¹ - نظام الملك : المصدر نفسه ، ص . 145 .

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 270 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 101 ؛ الفقي : الدول

الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 69 - 70

³ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 123 .

⁴ - قالوا له : " لن تكون أميرا وحاكما حقيقيا ما لم تقتل ألبتكين ، إنه يحكم خراسان منذ 53 سنة ويكسب الأموال والثروات وأن الجيش كله يأتمر بأمره ويطيعه ، إن تقبض عليه تفرغ منه بالا وتمأ الخزينة من أمواله ... " وطلبوا منه استدعائه إلى بخارى بحجة تجديد العهد والولاء واستغلال الفرصة لضرب عنقه والتخلص منه ، انظر (نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 146 - 147 .) .

⁵ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 151 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 101 .

⁶ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 147 - 148 .

⁷ - الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 70 .

⁸ - النرشحي : المصدر السابق ، ص . 140 .

وقد أورد " نظام الملك " أنّ سبب توجه " ألبتكين " إلى غزنة وبلاد الهند ، مرده أساسا إلى رغبته في عدم الدخول في حرب مع المسلمين ، خاصة وأنه كان قد بلغ من العمر ثمانين سنة لذلك فقد قصد بلاد الكفر للجهاد فيها ، وما نصيحته لقادة جيشه والمتمثلة في التوجه إلى بخارى بهدف مبايعة الأمير الجديد ، إلا محاولة منه لدرأ الفتنة وتجنب حرب بين المسلمين وكان " سبكتكين " من بين قادة " ألبتكين " ، الذين اشتبكوا مع السامانيين خلال هذه المرحلة وألحق بهم عدة هزائم¹.

ثم قصد " ألبتكين " وجيوشه غزنة وحاصرها واستولى عليها وأخرج منها واليها من قبل السامانيين ، ثم شرع في الجهاد في بلاد الهند ، وكان هذا هو نواة دولته المستقلة عن السامانيين والتي جعل من غزنة حاضرة لها²، وقام " منصور بن نوح " بعدة محاولات على أمل استرجاع غزنة وولاية زابلستان لدولته ، لكن محاولاته باءت بالفشل خاصة في ظل ازدياد قوة " ألبتكين " ونفوذه بالمنطقة³.

وتعتبر سنة 351 هـ 962 م وهي السنة التي بسط فيها " ألبتكين " هيمنته على مدينة غزنة وجعل منها مقرا لإقامته ، هو تاريخ بداية تأسيس الدولة الغزنوية ، ولو أن استقلالهم الفعلي كان سنة 387 هـ / 997 م ، عندما ارتقى " محمود " إلى هرم السلطة في الدولة الغزنوية⁴.

توفي " ألبتكين " سنة 352 هـ / 963 م أثناء غزواته في بلاد الهند ، فخلفه من بعده ابنه " أبو إسحاق إبراهيم"⁵ (352- 355 هـ / 963 - 965 م) ، الذي لم يتمكن من إحكام سيطرته على أمور الدولة نتيجة لثورة أهلها ضده ، الأمر الذي ألجأه لطلب العون من الأمير الساماني " منصور بن نوح " ، فتمكن بفعل عونهم من استرداد غزنة وحكمها باسم السامانيين⁶، ذلك أن الأمير الساماني اشترط على " أبو إسحاق " أن يعترف بتبعيةه للسامانيين في مقابل إعانته على إسترجاع عرش غزنة⁷، وبهذا استرد السامانيون نفوذهم على المنطقة من جديد .

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 148 .

² - القزويني : المصدر السابق ، ص . 151 ؛ آشتياني : المرجع السابق ، ص . 170 .

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 150 - 151 ؛ الفقي : بلاد الهند ... ، المرجع السابق ، ص . 14 .

⁴ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 170 .

⁵ - ورد عند بارتولد بإسم إسحاق بن ألبتكين ، بينما ذكر مترجم الكتاب في الهامش أن اسمه الحقيقي قد يكون إسحاق بن إبراهيم ، أنظر (بارتولد :

تركستان ... ، هامش المرجع السابق ، ص . 384 .) .

⁶ - الفقي : بلاد الهند ... ، المرجع السابق ، ص . 14 .

⁷ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 170 .

هذا النفوذ الذي ظهر من خلال ظهور إسم السامانيين إلى جانب أسماء الحكام الغزنويين على السكة المضروبة بغزنة¹.

وبقي "أبا إسحاق إبراهيم" أميراً على غزنة إلى غاية تاريخ وفاته سنة 355 هـ / 965 م ، وخلفه في حكم غزنة اثنين من مماليك أبيه تباعاً هم "بلكاتكين" ، ومن بعده "بيري"²، وقد كان أول عمل قام به "بلكاتكين" هو إرسال رسالة إلى بخارى عبر فيها عن ولائه لبخارى ، وقد كان "فائق" نائباً وأميراً لدى "نوح بن منصور" عند وصول هذه الرسالة ، فأشار على الأمير الساماني بحربه واسترجاع غزنة ، فبعث الأمير منصور بجيش كان مصيره الهزيمة أمام جيوش "بلكاتكين" ، الذي استمر حكمه عشر سنوات لم يحاول فيها السامانيون فيما بعد حرب الغزنويين ، وفي أعقاب وفاته سنة 364 هـ / 975 م خلفه غلام آخر لألبكتكين وهو "بيري" لمدة عامين اعتبر فيها نفسه نائباً للسامانيين بالمنطقة³، غير أنه لم يتمكن من التحكم الجيد في أمور الدولة ، فقام الجند ضده بثورة وعزلوه من منصبه⁴.

وفي خضم هذه الأحداث تشاور كبار غلمان "ألبكتكين" ورجال جيشه ، عمن هو أصلح لتولي شؤون دولتهم واتفقوا على تعيين أكفأ شخص بينهم في منصب الإمارة ، وبعد دراسة كل الاقتراحات تم الاتفاق على اختيار "سبكتكين" أميراً عليهم ، نظراً لتوفر عديد الخصال الحسنة فيه على غرار الفطنة والذكاء والشجاعة والمروءة والسخاء وحسن العشرة والاستقامة...⁵

اعتلى "سبكتكين" الحكم باتفاق الأعيان يوم الجمعة 27 شعبان سنة 366 هـ / 20 أبريل 977 م ويُعتبر "سبكتكين" أحد موالى "ألبكتكين" وزوج ابنته⁶ ، كما شغل منصب الحاجب لابنه "أبي إسحاق إبراهيم" وتولي تسيير أمور الدولة له ، وبعد اختياره أميراً حلف له كبار رجال الدولة بالسمع والطاعة وعاهدوه على الالتزام بأوامره وقد كان "سبكتكين" حسن السياسة ، الأمر الذي حبّبه إلى الرعية والجند على السواء⁷.

¹ - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 384 .

² - المرجع نفسه ؛ الفقي : بلاد الهند ... ، المرجع السابق ، ص . 14 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 71 .

³ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 29 .

⁴ - الفقي : بلاد الهند ... ، المرجع السابق ، ص . 14 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 71 .

⁵ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 154 .

⁶ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 33 .

⁷ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 373 .

وتمكن " سبكتكين " من الحصول على اعتراف الخلافة العباسية نفسها بحكم المناطق الخاضعة لسيطرته ، حيث تلقب بلقب " ناصر الدين " نظرا لفتوحاته وانتصاراته الكثيرة في بلاد الهند ¹ ، وبهذا فقد صبغ حكمه بالصبغة الشرعية ، خاصة وأن الخلافة قد بعث له بالعقد والخلع التقليدي ، وبهذا فقد أصبح " سبكتكين " يُعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية الحاصلة على الشرعية من الخلافة ، وجدير بالذكر أنه ورغم استقلاله الفعلي عن السامانيين إلا أنه قد ظل محافظا على ولائه لهم ² .

فرغم أن قوته كانت أقوى من قوة السامانيين أنفسهم ورغم حصوله على اعتراف الخلافة بحكمه ، إلا أنه بقي محافظا على ولائه لهم هذا الولاء الذي يتضح من خلال عديد الدلائل ، على غرار اعترافه بسيادتهم عليه حتى أنه كان يشن الحروب ويفتح المناطق باسمهم ³ ، وقد تمكن " سبكتكين " من مد نفوذه على عديد المناطق في بلاد الهند وأخضعها لطاعته ⁴ ، واتسعت البلاد الغزنوية على عهده اتساعا كبيرا ⁵ .

وكان من دلائل ولاء الغزنويين للدولة السامانية الآخذة في الضعف ، هو الالتزام بالوقوف إلى جانبهم ضد أي اعتداء يقع عليهم ونصرتهم ضد خصومهم والمتمردين عليهم ⁶ ، خاصة وأن الكثير من الحكام والولاة التابعين للسامانيين قد حاولوا إظهار التمرد والعصيان على " نوح بن منصور " ، الذي خلف أباه على سدة الحكم لذلك فقد هبّ " سبكتكين " لمساعدته حينما طلب منه العون ، ضد واليه على خراسان " أبي علي سيمجور " الذي رفض دفع الأموال المقررة عليه سنويا لبخارى ⁷ .

خاصة وأن خطر " أبي علي سيمجور " على السامانيين قد زاد ، نتيجة لتحالفه مع بعض القادة المنشقين على السامانيين على غرار " فائق " فضلا عن ما وصله من دعم بعث به إليهم " فخر الدولة بن بويه " ، والتقى الأمير " نوح " وسبكتكين " وابنه " محمود " ، في معركة ضد " أبي علي سيمجور " و " فائق " المدعمين بمدد من البويهيين بالقرب من هراة سنة 384 هـ 994 م ، أين تمكن الأمير الساماني وحليفه الغزنوي من كسر شوكة

¹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 154 .

² - الفقي : بلاد الهند ... ، المرجع السابق ، ص . 15 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 71 ؛ فاروق حامد بدر :

المرجع السابق ، ص . 26

³ - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص . 93 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 373 وما بعدها بصفحات .

⁵ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 170 .

⁶ - الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 72 .

⁷ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 33 - 34

أعدائهم والدخول إلى هراة وكمكافئة من الأمير الساماني لحلفائه ، فقد عين " محمود بن سبكتكين " على نيسابور ، وقلّده قيادة جيوش خراسان ولقبه بسيف الدولة ، ولقب أباه بلقب ناصر الدين والدولة ، ثم عاد الأمير الساماني إلى بخارى منتصرا ، وبقي " سبكتكين " في هراة بينما استقر " محمود " في نيسابور ¹.

وكرد فعل على هزيمتهما السابقة فقد استغل " أبي علي سيمجور " وفائق بقاء " محمود " وحده بنيسابور في قلة من الرجال ، وأغاروا على خراسان سنة 385 هـ / 995 م ، ورغم انسحابه منها إلا أنهم تمكنوا من إلحاق خسائر كبيرة بجيشه واستولوا على نيسابور بعد أن هزموا " محمود " وغنموا الكثير من الغنائم ².

وبعد هذه المعركة عزم " سبكتكين " على الثأر لهزيمة ابنه ، والقضاء نهائيا على أعداء الدولة السامانية ، فحشد جيوشا كبيرة وقصدهم أين التقى بهم في طوس ولحق به ابنه " محمود " ومعه جند كثير ، واستمرت المعركة طيلة يوم 20 جمادى الثانية 385 هـ / 22 جويلية 995 م ، أين ألحق بهم سبكتكين هزيمة كبيرة وقتل منهم عددا كبيرا فضلا عن الأسرى غير أن " أبو علي سيمجور وفائق " قد تمكنوا من الفرار ³، وكان هذا الجهد من " سبكتكين " وابنه سببا في وضع حد لخطر هذين القائدين المتمردين على الدولة السامانية ⁴.

بعد أن فرّ " أبو علي سيمجور وفائق " من المعركة ، اضطر "أبو علي " لطلب العفو من الأمير "نوح بن منصور " وأنهى حياته في سجن بإحدى قلاع بخارى ، أما "فائق " فقد التجأ إلى القراخانيين وكان له دور في تشجيعهم على مهاجمة بخارى فيما بعد ⁵.

ذلك أن "فائق " لجأ للقراخانيين الذين أحسنوا استقباله ، ووعدوه أميرهم " أيلك خان " بأن يتوسط له لدى السامانيين وبفضل وساطته عينه " نوح بن منصور " واليا على سمرقند ، غير أنه بقي يضرر الشر للسامانيين وشجع " أيلك خان " على مهاجمة بخارى ⁶، الأمر الذي دفع بنوح إلى طلب العون من سبكتكين ثانية ، فقدم

¹ - الكرديزي المصدر السابق ، ص . 233 - 234 ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص . 154 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ...، المرجع السابق ، ص . 72 - 73 .

² - القزويني : المصدر نفسه ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص . 399 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 35 .

³ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 235 ؛ القزويني : المصدر نفسه ، العمادي : المرجع نفسه .

⁴ - الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ...، المرجع السابق ، ص . 73 .

⁵ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 35 .

⁶ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 154 - 155 .

بجيوش كبيرة وأبرم صلحا مع القراخانيين تم الإتفاق بموجبه على أن تكون مفازة قطوان¹ الحد الفاصل بين أملاك كل من السامانيين والقراخانيين وهكذا بقيت كل مناطق حوض نهر سيحون في يد القراخانيين².

وقد أتاح هذا الأمر " لسبكتكين " كي يتدخل في الكثير من الأمور الداخلية للدولة السامانية من ذلك أنه قام بعزل الوزير الساماني " عبد الله بن محمد عزيز " وحاجب " نوح بن منصور " ، وعدد من كبار رجال الدولة السامانية ، وأرسلهم إلى قلعة كرديز أين سجنهم فيها ، وعين وزيرا من أنصاره في الدولة السامانية يدعى " أبو نصر أحمد بن محمد بن زيد " ³.

ورغم جهود " سبكتكين " إلا أن الأوضاع في بخارى لم تشهد استقرارا كبيرا ، نتيجة للضعف الذي عرفته الدولة السامانية⁴ ، وشهدت سنة 387 هـ / 997 م مرض كل من الأمير الساماني " نوح بن منصور " و " سبكتكين " ووفاتهما ، وقد اختل بموت نوح ملك آل سامان بشكل كبير وخلفه في حكم الدولة السامانية ابنه " أبو الحارث منصور بن نوح " ⁵ ، وقد علق " العمادي " على موت " نوح بن منصور " وولاية ابنه ، بالقول أنّ الدولة السامانية قد سقطت فعلا ذلك أن ورثته في الحكم وقائد قواته " بكتوزون " ⁶ ، لم يكن بإمكانهما الحفاظ على الدولة في ظل الضعف الذي وصلت إليه والأخطار الكبيرة المحدقة بها ⁷.

وقد حصلت مجموعة من الأحداث على الصعيد الغزنوي في أعقاب وفاة " سبكتكين " ، ذلك أنه قد عين خلفا له ابنه " إسماعيل " ، هذا في الوقت الذي كان فيه " محمود " متواجدا بنيسابور ، أين راسل أخاه وطلب منه أن يتنازل له عن العرش باعتباره الأكبر سنا ، غير أن أخاه رفض ، الأمر الذي دفع " بمحمود " للدخول في حرب ضد أخيه ، تمكن بواسطتها من انتزاع الإمارة من " إسماعيل " ⁸ ، وتلقب " محمود " بلقب السلطان ، وكان حسن التدبير في شؤون الملك والإدارة ، وحاز الكثير من الصفات الحسنة ⁹ ، وجدير بالذكر أن " إسماعيل " في

¹ - قطوان : قرية من قرى سمرقند على بعد خمسة فراسخ منها ، أنظر (الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج. 4 ، ص . 375 .) .

² - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 401 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 35 - 36 .

³ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 235 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع نفسه .

⁴ - الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 73 .

⁵ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 236 ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص . 155 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 487 - 488 .

⁶ - بكتوزون : لفظ ايغوري معناه الأمين العادل ، انظر (فاميري : هامش المرجع السابق ، ص . 123 .) .

⁷ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 36 .

⁸ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 488 - 489 ؛ - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 403 - 404 .

⁹ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 154 .

فترة حكمه القصيرة التي بلغت سبعة أشهر قد عمل بوصية أبيه " سبكتكين " ، وأعلن الولاء والطاعة للأمير الساماني " أبي الحارث منصور بن نوح " ، وإسماعيل هو ابن " سبكتكين " من زوجته الأولى بنت " ألبتكين " بينما " محمود " هو ابنه من زوجته الأخرى التي هي ابنة أحد أعيان منطقة زابلستان ، ولذلك كان يُعرف " محمود الزابلي " ، كذلك أي أن أمه كانت هندية ¹.

وفي الوقت الذي كان " محمود " مشغولا بترتيب أمور دولته في غزنة ، أقدم الأمير الساماني الجديد " منصور بن نوح " (387 - 389 هـ / 997 - 999 م) ، على تعيين " بكتوزون " واليا على خراسان سنة 388 هـ / 998 م وقد ساء هذا التصرف " محمود " كثيرا فراسل الأمير الساماني يذكره بمواقفه في الذود عن الدولة السامانية ضد أعدائها ويطلب منه أن يعيده واليا على خراسان لكن الأمير الساماني رفض ، وعينه بدلا عن خراسان واليا على ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال بست وهرارة ، غير أن هذا لم يرضي " محمود " الذي قرر استعادة خراسان بالقوة فسار إليها ².

لما وصل خبر مسير " محمود " إلى خراسان خشي " بكتوزون " من الاشتباك معه ، فخرج منها ودخلها " محمود " دون قتال ، وأغضب هذا التصرف من " محمود " الأمير الساماني الذي قرر المسير إليها بنفسه لحربه ورغم القوة الكبيرة التي كانت تأتمر بأمر " محمود " إلا أنه رفض حرب الأمير الساماني ، لأنه كان يدين له بالولاء فخرج بدوره عن خراسان في انتظار ما ستسفر عنه الأحداث ³ ، ثم تأمر " بكتوزون " ⁴ مع عدد من القادة السامانيين ، من بينهم فائق ضد الأمير " منصور " وسملوا عينيه وبعثوا به إلى السجن سنة 389 هـ / 999 م وعينوا مكانه أخاه " عبد الملك بن نوح " أميرا على السامانيين وكان لا يزال طفلا صغيرا ⁵.

وبعد هذا الفعل الشنيع راسل " محمود " كلا من " بكتوزون وفائق " يلومهما ، وقويت في نفسه الرغبة في حربهما والتخلص منهما وتوسيع ملكه بضم خراسان نهائيا لدولته ، وسار بجيوشه للحرب والثأر للأمير الساماني والتقت جيوشه بجيوش فائق وبكتوزون ومعهما الأمير الجديد " عبد الملك بن نوح " في جمادى الأولى 389 هـ / ماي

¹ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 37 وما بعدها بصفحات .

² - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 494 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 74

³ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 155 ؛ بن الأثير : المصدر نفسه ، مج . 7 ، ص . 494 - 495 .

⁴ - سبب المؤامرة هو تخوف بكتوزون وفائق من أن يميل الأمير الساماني إلى محمود الغزنوي ضدهما ، ويكيد لهما مثلما فعل من قبل مع أبي القاسم سيمجور ، انظر (بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 404 .) .

⁵ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 142 ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص . 155 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 3 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 237 .

999 م ، بالقرب من مرو وتمكن من هزمهم وضم خراسان إلى ملكه بصفة نهائية بعد معارك ضارية وخطب فيها للخليفة " القادر بالله " (381 - 422 هـ / 991 - 1031 م)¹ ، الذي أرسل له من بغداد بعهد خراسان واللواء والخلعة الفاخرة والتاج ولقبه " بيمين الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود ولي أمير المؤمنين " ² ، هذا بعد أن بعث له " محمود " برسالة شرح له فيها أسباب غزوه للسامانيين ³ .

وقد حاول الأمير الجديد "عبد الملك بن نوح " القيام بعمل عسكري ضد " محمود " في خراسان وانتزاعها منه فجمع في نفس السنة ببخارى عددا من الأمراء والقادة المعادين "لمحمود بن سبكتكين " ، يتقدمهم فائق وبكتوزون وأعدوا جيشا كبيرا بهدف القضاء على قوة " محمود " ودحره عن خراسان ، غير أن هذا الجمع قد تشتت شمله في أعقاب وفاة " بكتوزون " وازدياد خطر القراخانيين على بخارى وبلاد ما وراء النهر ⁴ .

وبهذا زال النفوذ الساماني نهائيا عن خراسان ، التي أصبحت خاضعة بشكل كلي للغزنويين ، ولم يعد للسامانيين أي سلطان يذكر فيها ، وبذلك كانت استعانة " نوح الثاني بن منصور " بالغزنويين ، أول الأمر بمثابة فتح الباب بمصراعيه أمام قوة جديدة والسماح لها بالتدخل في أمور الدولة ، التي أخذت تزداد في الضعف يوما بعد آخر ⁵ حتى زالت بشكل نهائي .

وانتهى حكم الأسرة السامانية بصفة رسمية يوم الإثنين 10 ذي القعدة 389 هـ / 23 أوت 999 م ، عندما تمكن القراخانيون من دخول بخارى العاصمة ، وأسر الأمير الساماني " عبد الملك بن نوح " ، وكل أفراد بيته والمقربين

¹ - ابن الأثير: المصدر نفسه ، مج . 8 ، ص . 3 - 4 ؛ القزويني : المصدر نفسه ، ص . 156 ؛ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج . 3 ، ص . 87 - 88 .

² - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 251 .

³ - كان مما جاء في رسالة محمود للخليفة : " ... قد علم مولانا أمير المؤمنين حال الماضين من السامانية ، فيما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم ... ولما مضى صالح سلفهم وبقي خلف خلفهم خلعوا الطاعة وشقوا مخالفة لمولانا أمير المؤمنين ... عصاه الجماعة وأخلوا منابر خراسان من ذكر اسمه وعم البلاد والعباد فسادهم وبلائهم ونهك الرعايا ظلمهم ... فدعوت منصور بن نوح إلى طاعة مولانا السلطان فلم يصغ إلى ذلك فكان من سوء رأيه ... أن اضطلمه الجند فكحلوه وبايعوا أخاه عبد الملك وملكوه ... فدعوت عبد الملك أيضا ... فلم يستج ، فنهضت إليه بمن معه من أولياء مولانا أمير المؤمنين ... وبرز عبد الملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد أعوانه وفائق رأس طغاته وابن سيمحور وغيرهم ... واجلحت المعركة عن هزيمتهم ... وبعد فلم أجد رسما في حل وعقد وإرام ونقض إلى أن يرد من عالي أمره ورسم ما أبني الأمر بينائه واحتذي إلى حذائه بإرادة الله سبحانه وتعالى . " ، انظر (عدوان : المرجع السابق ، ص . 126 .)

⁴ - ابن الأثير: المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 5 - 6 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة...، المرجع السابق ، ص . 74 - 75 .

⁵ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 107 .

منه ¹ ، وبذلك تقاسمت أراضيها كل من الدولة الغزنوية من جهة خراسان ، ودولة خانات الترك القراخانيين من جهة بلاد ما وراء النهر ² .

ولم يكن هذا آخر العهد للسامانيين مع الغزنويين ، حيث تمكن أحد أبناء البيت الساماني من الفرار من السجن الذي وضعهم فيه القراخانيون في بخارى سنة 390 هـ / 999 م ، ويدعى " أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح " وهو ثالث أبناء " أبي القاسم " ، وقصد خوارزم أين التف حوله عدد من القادة الموالين للسامانيين وتمكن من السيطرة عليها ولُقب بالمنتصر، ودخل بخارى حتى عظم شأنه وزاد خطر واستبشر أتباعه بإمكانية بعث الدولة السامانية من جديد ، ثم قصد نيسابور وتمكن من طرد حاكمها الغزنوي ، " منصور بن سبكتكين " شقيق " محمود الغزنوي " حيث اضطر منصور للفرار إلى هراة ³ .

وقد أزعجت هذه المستجدات " محمود الغزنوي " الذي قرر السير بنفسه لحرب " المنتصر الساماني " بنيسابور ذلك أنه خشي من أن يتمكن هذا الأمير الساماني من استرجاع أجماد أسرته ⁴ ، وقبل وصوله محمود إلى نيسابور خرج عنها المنتصر وقصد حليف السامانيين السابق " شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزياري " صاحب طبرستان وجرجان الذي أحسن استقباله ، ومنحه مساعدات عليها تساعده على استرجاع ملك آبائه وأجداده ، وبفضلها تمكن من السيطرة على الري غير أن شمله أخذ في التشتت وصار حاله إلى الضعف بسبب الفرقة والاختلاف في الرأي بين أصحابه ⁵ .

ورغم ذلك إلا أنه لم يستسلم في محاولة إعادة أجماد دولة السامانيين على الرغم من الهزائم التي توالى عليه خلال هذه المرحلة وقصد مرو ، أين سير إليه " محمود الغزنوي " جيشا في طلبه فغير الأمير الساماني وجهته وظل يضرب في الأرض وينتقل من منطقة إلى أخرى والأتباع ينفضون من حوله ، حتى دخل مضارب قبيلة عربية في صحراء

¹ - ابن الأثير: المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 5 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 237 - 238 ، آشتياني : المرجع السابق : ص . 262 ؛ طقوش محمد سهيل : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت لبنان ، ط . 3 ، 1430 هـ / 2009 م ، ص . 72 .

² - ابن الأثير: المصدر نفسه ، مج . 8 ، ص . 5 ؛ إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 150 ؛ العسيري : المرجع السابق ، ص . 223 ؛ زبيدة عطاء : المرجع السابق ، ص . 31 ؛ وعن خراسان وما وراء النهر ، انظر ملحق رقم 11 .

³ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 156 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 11 ؛ فاميري : المرجع السابق ، ص . 123 .

⁴ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 251 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 76 .

⁵ - ابن الأثير: المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 11 - 12 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 43 .

مرو هي قبيلة " بني بهيج "، التي كانت على ولاء للغزنويين وقد قُتل هناك من طرفهم ، في ربيع الأول 395 هـ / 1005 م¹. وبذلك استقرت أوضاع خراسان للغزنويين وزال عنها كل نفوذ للسامانيين نهائياً .

وفي إطار سعي الطرفين الغزنوي والقراخاني إلى اقتسام التركة السامانية ، حدثت مصاهرة بينهما حيث تزوج " محمود الغزنوي " من ابنة ملك القراخانيين ، وأبرم الطرفان معاهدة يكون بموجبها الحد الفاصل بين ممتلكات وأراضي الدولتين هو نهر جيحون ، فما وراء النهر للقراخانيين وما دون النهر للغزنويين².

فخلال السنوات الأخيرة من عمر الدول السامانية كان الغزنويون أكبر حليف وسند لها حيث وقفوا إلى جانبهم ضد تمردات قادتهم وأطماعهم ، وظلوا يدينون لها بالولاء والطاعة رغم أن دولتهم كانت أقوى من دولة السامانيين أنفسهم ، كما ناصروها أول الأمر ضد القراخانيين غير أن الوضع قد تغير في أعقاب إقدام " منصور بن نوح " على تعيين " بكتوزون " والياً على خراسان سنة 388 هـ / 998 م ، خلفاً " لمحمود الغزنوي " الذي ورغم امتعاضه من هذا الأمر إلا أنه رفض خوض المعركة ضد الأمير الساماني ، رعاية لحق الولاء والتبعية ، غير أن حادثة عزل " منصور بن نوح " من قبل بعض قادة الجيش وسجنه ، كانت بمثابة القضية التي كشفت بما لا يدع مجالاً للشك أن الدولة السامانية تعيش أواخر أيامها ، حيث أن الأمير أصبح مجرد ألعوبة بيد قادة الجيش ، وهنا تغيرت سياسة " محمود الغزنوي " من مدافع ومساند للسامانيين إلى راغب في توسيع ممتلكاته على حسابهم .

وجدير بالذكر أن " المنتصر الساماني " الذي حاول إحياء أجماد السامانيين وبذل في ذلك جهداً كبيراً ، وطمّرد من قبل قوات " محمود الغزنوي " ، وفي أعقاب قتله في صحراء مرو من قبل قبائل " بني بهيج " وبعد أن علم السلطان " محمود " بهذا بالخبر ، بعث بقائد من قواده إلى مضارب هذه القبيلة وأغار عليها ، ونكل بالمسؤولين عن مقتل " المنتصر الساماني " ³.

¹ - ابن الأثير: المصدر نفسه ، مج . 8 ، ص . 13 وما بعدها بصفحات؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 252 - 253 ؛ قاميري : المرجع السابق ، ص . 124 ؛ الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 76.

² - الكرديزي : المصدر نفسه ، ص . 251 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 411 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 44 .

³ - الكرديزي : المصدر نفسه ، ص . 253 .

ثانيا : العلاقات مع الدولة القراخانية (382 – 482 هـ / 992 – 1089 م) :

ينتسب القراخانيون إلى العنصر التركي ، وينتمون في الغالب إلى قبائل التغزغز التي تمكنت من هزم القارلوق والقضاء على دولتهم واحتلال مدينة كاشغر¹ ، وقد كانت هذه العناصر وثنية² ، وكانت منازلهم في المناطق الوسطى من حوض نهر سيحون ، وتمتد شرقا حتى السهول الغربية لجبال ألتاي ، وجنوبا إلى المناطق الواقعة بين وادي نهر سيحون وإيلي ومناطق حوض نهر جو في الشمال³ .

وقد كانت هذه المناطق التي تُعرف بتركستان تمثل الحدود الشرقية بالنسبة للبلاد الإسلامية ومركزا لنشاط الدولة السامانية ، والتي اتجهت سياستها الخارجية إلى مدّ نفوذها بهذه المناطق حيث تجنب السامانيون قدر الإمكان الدخول في نزاعات مع الإمارات الإسلامية الأخرى ، فكانوا بمثابة المتحمين للمهمة التي بدأها الطاهريون في الحدود الشرقية للدولة الإسلامية أين تمكنوا من إيصال الإسلام إلى هذه المناطق الوثنية⁴ .

وكان النشاط الساماني بهذه المناطق يعتمد أساسا على طريقة الدفاع والهجوم في آن واحد ، يتجلى ذلك من خلال إقامة وتشبيد عدد كبير من الرباطات في مناطق الثغور مع الترك الوثنيين ، حيث انطلق السامانيون من هذه الرباطات في هجومات متكررة ضد الترك في عقر ديارهم ، الأمر الذي أجبرهم إلى الركون للدفاع وبهذا فقد زال خطرهم على الحدود الشرقية للدولة السامانية⁵ ، وكانت هذه العمليات أيضا من بين أهم الأسباب في دخول عدد كبير منهم في الإسلام⁶ .

وقد ساهمت العمليات العسكرية السامانية بتركستان في التخفيف من خطر الترك على بلاد الإسلام ، بل وجعلت من الترك فئة مؤثرة في العالم الإسلامي ، حيث هيأهم للقيام بدور فعال في داخل وخارج البلاد الإسلامية⁷ .

وكان وصول الإسلام إلى هذه المنطقة والتي تعتبر قلب آسيا ، قد ارتبط بالفتوحات الإسلامية على عهد القائد " قتيبة بن مسلم " ، الذي تمكن خلال فترة قصيرة قُدِّرَت بحوالي عشر سنوات (87 – 96 هـ / 705 – 714 م)

¹ - كاشغر: مدينة تقع في وسط بلاد الترك ، كانت هي عاصمة دولة القراخانيين وأطلق عليها أيضا إسم (أوردو كنت) أي المعسكر الملكي ، أنظر (الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج . ص . 430 ؛ بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 91 .) .

² - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 388 ؛ الغامدي : المرجع السابق ، ص . 242 .

³ - طقوش : المرجع السابق ، ص . 71 .

⁴ - حورية عبدة سلام : المرجع السابق ، ص . 56-57 .

⁵ - طقوش : المرجع السابق ، ص . 67 .

⁶ - باقي الأسباب والعوامل التي ساهمت في إسلام عدد كبير من الأتراك أنظر الفصل الرابع، المنجزات الحضارية للسامانيين في الجانب الديني.

⁷ - حورية عبدة سلام : المرجع السابق ، ص . 57 .

من افتتاح مناطق واسعة في بلاد ما وراء النهر ، ووصل حتى مدينة كاشغر على حدود الصين ، غير أن الإسلام لم يُكتب له الاستقرار بهذه المنطقة لعدة أسباب منها ، الطبيعة الجغرافية الصعبة للمنطقة وكون سكان المنطقة من القبائل المتنقلة ، فضلا عن النفوذ الصيني الكبير بها ¹ ، كما أن الترك خلال هذه الفترة قد أصروا على التمسك بوثنهم ² .

ويعود الفضل الأكبر لنشر الإسلام في وسط أهالي هذه المناطق إلى السامانيين ³ الذين بذلوا من أجل ذلك جهودا معتبرة في هذا المجال ، وقد كان أثرهم واضحا في إسلام الترك بالمنطقة ⁴ ، وأخذ الإسلام ينتشر بشكل كبير في أوساط سكان المنطقة بدءا من أواسط القرن الرابع هجري العاشر ميلادي ، في أعقاب إسلام أحد زعماء القراخانيين ⁵ يدعى " ستوق بغراخان " ، والذي كان حاكما على مدينة كاشغر ، وتلاه إسلام عدد كبير من رعيته قُدر بحوالي مليون نسمة ⁶ .

وقد سعى القراخانيون في كاشغر وغيرها من مدن تركستان الشرقية إلى التوسع غربا ، على حساب ممتلكات السامانيين ، ذلك أن خيرات هذه المنطقة المجاورة لهم ، كانت قد أغرتهم وأثارت أطماعهم ⁷ ، خاصة وأن الأوضاع السياسية بها قد كانت جد مضطربة الأمر الذي شجعهم على تنفيذ أطماعهم ⁸ ، وقد تولى زعيمهم بكاشغر وبلاسغون ⁹ " شهاب الدين هارون بن موسى " ¹⁰ المعروف بإسم " ايلك خان " ، أمر تنفيذ هذه الرغبة .

¹ - زياد محمد هوش : مقال القراخانيون في تركستان .. تاريخ منسي وحضارة باقية (349- 609 هـ / 960- 1212 م) ، جامعة محمود

الكاشغري للدراسات الشرقية ، شكيك قيرغيزستان ، ص . 1 .

² - طقوش : المرجع السابق ، ص . 16 .

³ - بارتولد : بلاد الترك ... ، المرجع السابق ، ص . 74 ؛ الغامدي : المرجع السابق ، ص . 243 .

⁴ - زياد محمد هوش : المرجع السابق ، ص . 1 ؛ Sergej Klastornyj : op . cit , p . 40 .

⁵ - رغم البحوث حول تاريخ القراخانيين إلا أن الغموض لا يزال يحيط بأصلهم وتاريخهم وتحديد فترات حكم أمرائهم بشكل دقيق ، نظرا لقلّة المصادر التي تنطرق إليهم وهذا بإعتراف الباحثين أنفسهم ، أنظر (زياد محمد هوش : المرجع السابق ، ص . 2 .) .

⁶ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 267 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 391 .

⁷ - الغامدي : المرجع السابق ، ص . 245 .

⁸ - زياد محمد هوش : المرجع السابق ، ص . 3 .

⁹ - بلاسغون : بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون تقع على مقربة من كاشغر ، انظر (الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 476 .) .

¹⁰ - ويقال له أيضا هارون بن موسى كان قد حمل لقب " شهاب الدولة وظهير الدعوة " وتم العثور على نقود مضمونة بإسمه تعود إلى سنة 382 هـ منقوش عليها هذا اللقب ، وكان يتخذ من بلاسغون عاصمة له وهو أول من دخل من القراخانيين بخارى عاصمة السامانيين ، كما ورد اسمه كذلك شهاب الدولة أبو موسى هارون بغزاخان الثاني بن سليمان ، أنظر (الغامدي : المرجع السابق ، هامش ص . 245 .) .

ففي إمارة " نوح الثاني بن منصور " غزا القراخانية¹ بلاد ما وراء النهر ودخلوها دون مقاومة تذكر²، مستغلين في ذلك مساعدات من قبل بعض المعارضين السياسيين للحكم الساماني في بخارى³، على غرار " أبو علي سيمجور " والي السامانيين على خراسان ، الذي أبرم معاهدة سرية مع أمير القراخانيين ، تنص على إستيلاء " بغراخان " على أراضي ما وراء النهر بينما تبقى خراسان خاضعة لحكمه ، وقد سار " بغراخان " بقواته إلى بلاد ما وراء النهر ، وتمكّن من هزم القوات السامانية وبسط سيطرته على المنطقة ، كما كان للدهاقنة الساخطين على الحكومة السامانية دور في هذا الأمر، ومن بين الشخصيات الساخطة على الحكم الساماني ، الذي أُرهِق كاهل الرعايا خلال هذه الفترة بالضرائب ، نجد شخص يدعى " أبو محمد عبد الله بن عثمان الوائقي " ، الذي ينحدر من البيت العباسي وكان له دور كبير هو الآخر في تحريض زعيم القراخانيين على التوجه نحو بلاد ما وراء النهر⁴ .

أما الفقهاء فقد التزموا موقف الحياد خلال الحملة القراخانية على بخارى ، وطلبوا من العامة⁵ فعل نفس الأمر وعدم المشاركة في العمل المسلح مع أي طرف ، نظرا لأن الصراع بين الدولتين هو صراع دنيا وسلطة⁶، كما أن سبب إلزام الفقهاء بهذا الأمر هو ما عُرِف عن " بغراخان " من ورع وتقوى⁷، الأمر الذي ظهر جليا في معاملته

¹ - عرفت الإمارة القراخانية بإسم الإيلك خانية كذلك ، وقد استعمل أفراد هذه الأسرة كلمة قرّة أو قرا والتي تعني أسود مضافة إلى أسمائهم ، والمستشرقون هم من أطلق عليها إسم القراخانية ، وبذلك فإسم القراخانية هو إسم محدث للإيلك خانية ، أما أيلك فهو إسم إيغوري معناه الحاكم الأمير والوصي ، وهو من الألقاب التي لقب بها العرب والفرس الحكام الترك إذ ذاك ، أنظر (طقوش : المرجع السابق ، هامش ص . 71 .) .

² - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 394 .

³ - الغامدي : المرجع السابق ، ص . 245 .

⁴ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 462 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 394 .

⁵ - أورد الصابي عن أحد أعيان التجار قوله : " ... كنت ببخارى حين ورد عساكر الخانية ، فصعد خطباء السامانية إلى منابر الجوامع واستنفروا الناس وقالوا عن السامانية قد عرفتم حسن سيرتكم فينا وجميل صحبتنا لكم ، وقد أطلنا هذا العدو وقد تعين عليكم نصرتنا والمجاهدة دوننا ، فاستخبروا الله تعالى في مساعدتنا ، وأكثر أهل بخارى حملة سلاح ، وأهل بلاد النهر كذلك فلما سمع العوام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال فمنعواهم منه وقالوا ... لو كان الخانية ينازعون في الدين لوجب قتالهم فأما والمنازعة في الدنيا فلا فسحة لمسلم في التغرير بنفسه والتعرض لإراقة دمه ، وسيرة القوم جميلة وأديانهم صحيحة واعتزال الفتنة أولى . " فكان ذلك من أهم أسباب تملك الخانية ودخول بخارى ، انظر (عدوان : المرجع السابق ، ص . 105 .) .

⁶ - المرجع نفسه .

⁷ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 463 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، ص . 220 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 394 .

الحسنة مع الرعية في أعقاب فرض هيمنته على بخارى¹، فضلا عما اشتهر به " أبو علي سيمجور " الذي تحالف مع القراخانيين من عدالة وحسن معاملة مع الناس².

وهذه الحادثة المتمثلة في سيطرة القراخانيين على عاصمة السامانيين ، تبين لنا بوضوح مدى الضعف والتفكك الذي وصلت إليه الدولة السامانية حتى أنها أصبحت غير قادرة على رد عدوان المعتدين على حاضرتها .

وفي أعقاب سيطرة القراخانيين على بخارى فر منها الأمير " نوح بن منصور " متخفيا ، وعبر إلى آمل واستقر بها أين لحق به بعض أصحابه ، وأصبح " بغراخان " هو الأمر الناهي ، حتى أنه أذن لفائق في قصد بلخ والسيطرة عليها³ ، وقد استولى القراخانيون على خزائن بخارى بعد دخولها وتم ترحيل باقي أفراد الأسرة السامانية منها⁴ هذا وتعتبر سنة سيطرة القراخانيين على العاصمة بخارى⁵ سنة 383 هـ / 993 م ، هي سنة قيام هذه الإمارة في بلاد ما وراء النهر⁶ ، وقد اعتبر " عصام الفقي " أن قيام الدولة القراخانية وازدياد قوتها ، إلى جانب ما تمتعت به الدولة الغزنوية من قوة ، أكبر خطرين واجهتهما الدولة السامانية في أواخر أيامها⁷.

وقد اضطر " بغراخان " فيما بعد لمغادرة بخارى ذلك أنه مرض بسبب مناخها ، وكان قد ترك واليا عنه على بخارى من البيت الساماني هو " عبد العزيز بن نوح بن نصر " ، وواليا آخر على سمرقند ، وأثناء مسيره نحو بلاد الترك ثار أهل بخارى ضد جيشه وفتكوا بجزء منه وغنموا أموالهم ، واشتد المرض " ببغراخان " وتوفي في الطريق عند سمرقند ، ولما سمع "نوح بن منصور" بهذه الأنباء قفل راجعا إلى بخارى أين احتفى به أهلها ، وفرحوا بعودته⁸ وخلف " بغراخان " في حكم القراخانيين ، " أرسلان خان علي "¹ (383 - 388 هـ / 993 - 998 م). ثم " ايلك خان شمس الدولة أبو نصر أحمد بن علي " (388 - 406 هـ / 998 - 1005 م)².

¹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 105 .

² - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 363 - 364 .

³ - النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، ص . 219 .

⁴ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 104 .

⁵ - هناك خلاف حول تحديد هذا التاريخ بين المصادر فمثلا نجده عند ابن الأثير والنويري محددًا بسنة 383 هـ ، بينما ورد عند الكرديزي أن هذا كان سنة 382 هـ ، انظر (ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 463 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، ص . 220 . ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 233 .) .

⁶ - طقوش : المرجع السابق ، ص . 71 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 46 .

⁸ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 463 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، ص . 220 ؛ الغامدي : المرجع السابق ، ص . 245 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 104 .

وبعد عودة " نوح بن منصور " إلى بخارى قام بمعاقة " عبد العزيز بن نوح بن نصر " بسمل عينيه ، وبذلك استرجع السامانيون سيطرتهم على بخارى ، ووجد " فائق " نفسه بلا حليف ورغم ذلك فقد قام بمحاولة من بلخ للاستيلاء على بخارى غير أنه انهزم واضطر للانسحاب إلى مرو³.

وقد لجأ فائق إلى التحالف مع " أبي علي سيمجور " ضد الدولة السامانية ، الأمر الذي دفع " نوح بن منصور " لطلب عون " سبكتكين " وتصاعدت الأحداث بين الحلفين⁴ ، وفي أعقاب معركة طوس يوم 20 جمادى الثانية 385 هـ / 22 جويلية 995 م ، والهزيمة التي لحقت بفائق وأبي علي وفرارهما⁵ ، طلب أبو علي الصفح من الأمير الساماني وقضى بقية أيامه في سجن بإحدى قلاع بخارى أما فائق فقد التجأ إلى القراخانيين⁶.

وقد أحسن القراخانيون إستقبال حليفهم السابق ، ووعدوه أميرهم " أيلك خان " بأن يتوسط له لدى " نوح بن منصور " ، وبفضل مساعي " أيلك خان " عين " نوح الساماني " فائق " واليا على سمرقند ، غير أنه بقي يضمّر الشر للسامانيين، وساهم بشكل كبير في دفع القراخانيين إلى مهاجمة بخارى ثانية⁷ ، حيث أن " أيلك خان " كان يسعى من خلال هذه الحملة إلى تدعيم مركز القراخانيين السياسي في بلاد ما وراء النهر⁸ ، فما كان من "نوح " إلا أن طلب المساعدة من " سبكتكين " ثانية ، فقدم بجيوش كبيرة وانضمت إليه جيوش عدد من الأمراء المواليين للسامانيين وأبرم صلحا مع القراخانيين سنة 386 هـ / 996 م ، تم الاتفاق بموجبه على أن تكون صحراء قطوان الحد الفاصل بين أملاك كل من السامانيين والقراخانيين وهكذا بقيت كل مناطق حوض نهر سيحون في يد القراخانيين⁹.

¹ - أرسلان خان علي : مات شهيدا في معاركه ضد الأتراك الشرقيين الوثنيين سنة 388 هـ / 998 م ، أنظر (زياد محمد هوش : المرجع السابق ، هامش ص . 12 . .

² - ذكر ابن الأثير والنويري أن من خلف بغراخان هو ايلك خان شمس الدولة ، الذي كان قد تولى سنة 388 هـ / 998 م غير أن خليفته كان هو أرسلان خان علي ، ثم ايلك خان شمس الدولة في أعقاب استشهاد أرسلان ، انظر (ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 463 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، زياد محمد هوش : المرجع نفسه ، هامش ص . 12 . .) .

³ - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 397 .

⁴ - تطرقنا إليها أثناء حديثنا عن العلاقات السياسية السامانية الغزنوية .

⁵ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 235 ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص . 154 .

⁶ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 35 .

⁷ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 154 - 155 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 400 - 401 .

⁸ - الغامدي : المرجع السابق ، ص . 246 .

⁹ - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 401 ؛ العمادي : المرجع السابق ، ص . 35 - 36 .

غير أن " أيلك خان " لم يلبث أن نقض هذا الاتفاق ففي أعقاب وفاة " نوح بن منصور " ، الذي خلفه ابنه " أبو الحارث منصور بن نوح " سنة 387 هـ / 997 م ، قام بحملة عسكرية تمكن من خلالها من السيطرة على سمرقند¹ ، وفي أعقاب قيام " بكتوزون " بعزل الأمير الساماني الجديد وسمل عينيه ، وتعويضه بأخيه " أبو الفوارس عبد الملك الثاني بن نوح " سنة 389 هـ / 999 م الذي كان لا يزال طفلاً صغيراً² ، وقيام " محمود الغزنوي " بالسيطرة على خراسان والخطبة فيها باسم الخليفة العباسي " القادر بالله " ³ ، عمل الأمير القراخاني على استغلال الفرصة والسيطرة على بلاد ما وراء النهر وضمها لدولته .

فقصد بخارى بدعوى حماية الأمير الساماني ونجدته ، دون أن يطلب منه ذلك أحد أما في الحقيقة فقد كان يُضمر الشر للبيت الساماني عكس ما يبيده⁴ ، وبالفعل فقد غدر بالأمير الساماني " عبد الملك بن نوح " وكل أفراد بيته ومقربيه ، حيث أنه لما دخل العاصمة السامانية قصده هؤلاء لاستقباله وتحيته ، فألقى القبض عليهم جميعاً وزج بهم في السجن واستولى على أموالهم ، حتى أن " عبد الملك بن نوح " بقي في سجنه حتى مات ، وبذلك انتهى حكم الأسرة السامانية بصفة رسمية يوم الإثنين 10 ذي القعدة 389 هـ / 23 أوت 999 م⁵ ، واتخذ الغزنويون من الثغور الهندية مجالا لفتوحاتهم، بينما تولى القراخانيون جهة ما وراء النهر⁶ .

وقد كان للمنتصر الساماني⁷ الذي أفلح في الحرب من سجنه سنة 390 هـ / 1000 م ، شأن مع القراخانيين فبعد أن التف حوله جيش من أنصاره عقد قيادته إلى أحد أتباعه يدعى " أرسلان يالو " ، الذي تمكن من استرجاع بخارى بعد أن طرد منها واليها من قبل القراخانيين " جعفر تكين " ، كما تمكن من قهر والي سمرقند القراخاني المدعو " تكين خان " ، وبهذا تمكن " المنتصر الساماني " من دخول بخارى من جديد حيث استبشر

¹ - الغامدي : المرجع السابق ، ص . 247 .

² - الترشيحي : المصدر السابق ، ص . 142 ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص . 155 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 3 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 237 .

³ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، مج . 8 ، ص . 3 - 4 ؛ القزويني : المصدر نفسه ، ص . 156 ؛ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج . 3 ، ص . 87 - 88 .

⁴ - ويذكر الكرديزي أن أبناء نوح كانوا لا يرتاحون له فقد كان خوفهم من شره شديد ، انظر (الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 237 .) .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 8 ، ص . 5 ؛ الكرديزي : المصدر نفسه ، ص . 237 - 238 ، أشتياني : المرجع السابق : ص . 262 ؛ طقوش : المرجع السابق : 72 .

⁶ - حسن أحمد محمود وإبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص . 470 .

⁷ - هو نفسه الذي قاد الحركة ضد الغزنويين فقد كان يحارب على جبهتين وكان هذا الأمر من أسباب فشله في إعادة أمجاد البيت الساماني .

أهلها بعودته ، غير أن السامانيين لم يكن بإمكانهم الصمود أمام القوات الرئيسية للقراخانيين ، لذلك لجأ "المنتصر الساماني" وقائد جيشه إلى الخروج من بخارى نحو إيران في أعقاب زحف الأيلك إليها¹.

ثم دخل في منازعات مع الغزنويين كان تأثيرها عليه سلبيا حيث فقد عددا معتبرا من قواته²، وظل يتنقل بين مدن خراسان والري إلى غاية سنة 393 هـ / 1003 م ، أين وجد المنتصر عوناً من قبائل الغز التركية التي ينتمي إليها السلاجقة ، فقد تزامن لجوئه إليهم طلباً للمساعدة مع إسلام زعيمهم الذي يدعى "بيغو" والذي يُرجَّح أن يكون "إبنا لسلجوق" ، وصاهر زعيم الغز المنتصر الساماني ، وعزم على مساعدته في حرب القراخانيين³.

خاصة وأن قبائل الغز كانت في حالة عداء وكره مع القراخانيين ، لذلك فقد دخلوا معه الحرب طوعاً وشجعوه على خوضها⁴، كما أن الحصول على الغنائم كان من بين دوافعهم لخوض الحرب⁵، وقد تمكن "المنتصر" بفضل هذا الدعم من إلحاق هزيمة أخرى بجيش القراخانيين الذي قاده "أيلك خان" بنفسه في شوال 393 هـ / أوت 1003 م ، وأسر ثمانية عشر قائداً من قاداته ، ورفض الغز تسليم الأسرى "للمنتصر" ، ورجَّح "بارتولد" أن يكون هذا الفعل نتيجة لطمعهم في الفدية ، وأثار هذا الأمر مخاوف "المنتصر" من نواياهم فقرر مغادرتهم رفقة عدد من أتباعه في نفس السنة⁶.

وقصد مرة أخرى ما وراء النهر وحدث له اشتباكات مع القراخانيين بالقرب من بخارى ثم سمرقند ، التي انضم عدد من أهلها لصفوفه بهدف نصرته مما قوى شوكته ، ولما سمع "أيلك خان" بهذه المستجدات قصده لحربه بنواحي سمرقند ، ودارت بينهما معارك شديدة في شعبان سنة 394 هـ / جوان 1004 م ، انهزم فيها القراخانيون وغنم جيش "المنتصر" منهم الكثير من الغنائم⁷.

¹ -النوري : المصدر السابق ، ج 25 ، ص 224 ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص 407 - 408 ؛ الغامدي : المرجع السابق ، ص 248 .

² - بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص 408 .

³ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص 252 ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع نفسه ، ص 408 .

⁴ - الغامدي : المرجع السابق ، ص 248 - 249 .

⁵ - بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص 408 .

⁶ - النوري : المصدر السابق ، ج 25 ، ص 225 ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص 408 .

⁷ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج 8 ، ص 11 ؛ الكرديزي : المصدر السابق ، ص 352 - 353 .

شعر " أيلك خان " بمدى خطورة الوضع الحالي في ظل تنامي القوة السامانية بقيادة " المنتصر " ، فعاد لبلاد الترك أين حشد جيشا ورجع لحره ، والتقى الطرفان بالقرب من أشروسنة أين انهزم جيش " المنتصر " وكثر فيه القتل واضطر " المنتصر " للفرار فقصده خراسان التي شهدت نهايته مقتولا سنة 395 هـ / 1005 م¹.

وبهذا يكون " المنتصر الساماني " (390 . 395 هـ / 1000 - 1005 م) ، قد أرق مضجع القراخانيين والغزنويين على السواء في محاولاته لإعادة أبحاد الدولة السامانية ، حيث تمكن من تحقيق عدد من الانتصارات في معاركه ضدهم ، وبعد القضاء على ثورته انقرض ملك السامانيين نهائيا وخلا المجال للغزنويين والقراخانيين لتقاسم أملاكها ، الذي تم عن طريق المصاهرة والاتفاق المبرم بينهما ، هذا بعد أن كان لها أكبر الفضل في إسلام هاتين القوميتين .

زوال الدولة السامانية :

أما عن زوال الدولة السامانية فيمكن إرجاعه أساسا إلى أسباب داخلية ، تتعلق بالبيت الساماني نفسه وبأوضاع الدولة في حد ذاتها ، وإلى أسباب أخرى خارجية تتعلق بالقوى المجاورة لها ، الطامحة إلى الحلول محلها والتي مارست عليها ضغوطات كبيرة، كانت تزداد يوما بعد آخر على جميع المجالات وفي كافة الأصعدة ، الأمر الذي نتج عنه تقلص النفوذ الساماني شيئا فشيئا حتى زال نهائيا .

فبالنسبة للعوامل والأسباب الداخلية ، نجد أهمها الصراع بين أفراد البيت الساماني نفسه وما انجر عنه من انقسام الجيش أثناء مساندته لطرف من أطراف النزاع ، وما يتبع هذا الأمر من معارك وحروب أهلية وعدم استقرار بالبلاد ، كانت نتائجها وخيمة على الدولة والشعب في حد ذاته الذي في الغالب يدفع ثمن هذه النزاعات .

وقد شهدت الدولة السامانية مثل هذه الوقائع مبكرا ، بنشوب نزاع حامي الوطيس بين الأمير " نصر بن أحمد " وأخيه " إسماعيل " كان للمحرضين فيه دور كبير ، دام هذا الصراع عدة سنوات ولم ينتهي إلى بحلول سنة 275 هـ

¹ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، مج . 8 ، ص . 12 - 13 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج . 25 ، ص . 225 - 226 ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص . 409 .

/ 888 م ، عندما تمكن " إسماعيل " من أسر شقيقه بعد سلسلة من المعارك بينهما ، غير أنه عفا عنه وأعادته إلى عاصمته سمرقند معززا مكرما وبقي هو في بخارى كنائب له عليها ¹.

يضاف إلى هذا كثرة التمردات من أفراد البيت الساماني ، على غرار تمرد " إسحاق بن أحمد " عم والد الأمير " نصر بن أحمد " ، والذي طلب البيعة لنفسه في أعقاب تولية هذا الأخير سنة 301 هـ / 914 م ، وساعده في تمرده ابنه " منصور " ، الذي استولى على عدة مناطق من الدولة ، وعانت الدولة السامانية الكثير من هذا التمرد ²، كما كان من بين المتمردين على نصر ثلاثة من إخوته هم " إبراهيم يحي ومنصور " ، ولم يتم إخماد هذه الحركة إلا في سنة 320 هـ / 932 م بعد أن استنزفت الكثير من قدرات الدولة وطاقاتها ³.

كما شهدت الدولة السامانية على عهد " نوح بن نصر " (331 - 343 هـ / 943 - 954 م) ، تمردا من عمه " إبراهيم بن أحمد " بتحريض من قائد الجيش " أبو علي بن محتاج " ، الذي شجعه على طلب الملك لنفسه حتى أنه تمكن من دخول بخارى سنة 335 هـ / 946 م ، وأخذ البيعة من أهلها ، وبقي " نوح بن نصر " في مواجهة التمردات مدة طويلة حتى أن الملك لم يصف له إلا سنة 341 هـ / 952 م أين قبل عامين من وفاته ⁴.

كما كان من بين أهم أسباب ضعف دولة السامانيين هو تولية أطفال صغار السن شؤون الحكم ، وما ينجر عنه من مساوئ ، كتدخل النساء في أمور الحكم وتفرد قادة الجيش والوزراء في اتخاذ القرارات وتصفية الحسابات مع معارضتهم ، وطمع أصحاب الأقاليم في الاستقلال وتكوين إمارات مستقلة ، الأمر الذي يدخل البلاد في مشاكل هي في غنى عنها .

وقد تولى " نصر بن أحمد " خلفا لأبيه وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره ، وشهد عهده تمرد عم أبيه وعددا من إخوته ، ولولا جهود وزيره " الجيهاني " وقائد جيشه " حمويه بن علي " لخرج حكم الدولة من يده ، ذلك أن صغر سنه أطمع الكثيرين في حكمه ⁵، كما شهد عهد " عبد الملك بن نوح " الذي تولى وهو في العاشرة من عمره

¹ - للمزيد حول أحداث الصراع بين الأخوين وأهم مجرياتها ، أنظر (النرشخي : المصدر السابق ، ص . 116 وما بعدها بصفحات ؛ ابن الأثير :

المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 254 وما بعدها بصفحات ؛ Mirkhond : op . cit , p .) .

² - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 213 ؛ ابن خلدون : مج . 4 ، ص . 405 .

³ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 133 ؛ الكرديزي : المصدر نفسه ، ص . 215 - 216 .

⁴ - النرشخي : المصدر نفسه ، ص . 137 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 207 - 208 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص . 133 ؛ الجمل : المرجع نفسه ، ص . 204 .

الكثير من الاضطرابات والفتن ، وأصبح حكمه مهددا نتيجة تمرد بعض الولايات على غرار هرة وأصفهان¹.

كما حدث اضطراب في الحكم بتولي " نوح الثاني بن منصور " ، الذي تولى وهو طفل صغير نتيجة تمرد " فائق وأبو علي " ضده ، الأمر الذي ألجأه لطلب المساعدة من " سبكتكين " حاكم غزنة ، وما انجر عن هذا الأمر فيما بعد من خروج خراسان من حكم السامانيين ، وقد شهد عهد هذا الأمير تدخلا واسعا من أمه في عدد من أمور الحكم².

يضاف إلى هذا النزعات الانفصالية لعدد من حكام الأقاليم ، وسعيهم الحثيث من أجل الاستقلال وتكوين إمارات مستقلة ، ولجوئهم حتى إلى التحالف مع بعض القوى الخارجية وإبرام اتفاقيات معها وتشجيعها على احتلال بعض المناطق السامانية ، من أمثلة هذا الأمر الاتفاق المبرم بين " أبي علي سيمجور " والي السامانيين على خراسان و " بغراخان " أمير القراخانيين ، حيث اتفق الطرفان على استيلاء " بغراخان " على أراضي ما وراء النهر بينما تبقى خراسان خاضعة لحكمه³.

يمكن إضافة سبب آخر هو كثرة الاستعانة بالعنصر التركي في تسيير أمور الدولة ، خاصة في ظل ما عُرف عن هذا العنصر من كثرة الشغب وإثارة الفوضى والاضطرابات⁴ ، وقد كانت نهاية الدولة السامانية على أيدي الترك القراخانيين ، والغزنويين الذين كان مؤسس دولتهم غلاما سامانيا .

وقد ترتب عن هذه الأسباب والمشاكل الداخلية إفراغ خزانة الدولة من الأموال ، وتعطيل حركية الاقتصاد في مختلف جوانبه ، سواء الزراعة أو الصناعة أو التجارة نتيجة انعدام الأمن والاستقرار⁵ ، مما ساهم في تردي أوضاع الدولة بشكل أكبر وأدى لانحيارها .

أما بالنسبة للأسباب الخارجية فتتعلق بالدرجة الأولى بصراعاتها السياسية والعسكرية مع أعدائها وخصومها من دول الجوار⁶ ، على غرار صراعاتها مع الصفاريين والزبيديين والبويهيين الذين تمكن السامانيون من قهرهم وكبح

¹ - المصدر نفسه ، ص . 139 .

² - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ج . 3 ، ص . 86 - 87 .

³ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 7 ، ص . 462 ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 394 .

⁴ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 46 .

⁵ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 106 .

⁶ - لقد تطرقت إليها خلال هذا الفصل .

جماحهم ، حتى أن زوال كل من الدولتين الصفارية والزيدية قد تم على أيديها وانتقلت ممتلكاتهم للسامانيين ، في حين تبادلت مع البويهيين النصر والهزيمة ، غير أن هذه الصراعات قد كانت سببا رئيسيا في إستنزاف قوة السامانيين ودفعها نحو الضعف ، وبظهور الأتراك القراخانيين والغزنويين ، كانت الدولة السامانية تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى أنها لم تقوى على صد ضرباتهم فخرّت صريعة أمام قوتها .

ويمكن إضافة عامل آخر يتمثل بالأساس في تدهور العلاقات بين السامانيين والخلافة العباسية ، في أعقاب سيطرة البويهيين على بغداد سنة 334 هـ / 945 م ، حيث فقدت الدولة السامانية الدعم المعنوي الذي كانت تتلقاه من الخلافة ، والذي تظهر أهميته في كسب سند الشعب ودعمه ، ففي غيابه أفقّ الفقهاء للعامة بعدم المشاركة في الصراع بين السامانيين والقراخانيين الذين دخلوا بخارى وسيطروا عليها ، وهذا رغم لجوء السامانيين للمنابر لاستشارة العامة وكسب دعمهم فقد اعتبر الفقهاء أن الصراع بين الطرفين صراع من أجل السلطة ، ذلك أن السامانيين خلال تلك الفترة كانوا قد فقدوا هذا السند الشرعي والذي يبقى مهما حتى في ظل ضعف الخلافة في حد ذاتها .

إذن فهكذا ونتيجة لتأثير العوامل السابقة مجتمعة زال حكم " آل سامان " ، الذين خضعت لهم كل آسيا الوسطى وبقيت دولتهم تحظى باحترام وتقدير الكثيرين نتيجة لمنجزاتها ودورها الحضاري الكبير ، في ظل حكم اعتُبر بأنه أقرب ما يكون إلى حكم السلف الصالح الذي عرفه العالم في عصر الإسلام الذهبي¹ ، فيا ترى ما هي أهم المنجزات الحضارية للدولة السامانية التي وُصفت بالعظيمة² ، وجعلت عددا من المؤرخين يعتبر زوالها من أكثر حوادث التاريخ شؤما في المنطقة³ ؟

¹ - فاميري : المرجع السابق ، ص . 124 ؛ هدى درويش : دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط . 1 ، 2004 ، ص . 53 .

² - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 406 .

³ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 162 .

الفصل الرابع : المنجزات الحضارية للدولة السامانية .

المبحث الأول : العوامل المساهمة في النهضة الحضارية زمن السامانيين .

المبحث الثاني : المنجزات الحضارية للسامانيين في المجال الديني .

أولا - نشر الإسلام بين الترك الوثنيين .

ثانيا- مراكز التعليم السامانية .

المبحث الثالث : تطور العلوم على العهد الساماني .

أولا - العلوم الدينية والأدبية .

ثانيا- العلوم العقلية .

المبحث الرابع : في مجال الفن والموسيقى .

أولا - في مجال الفن .

ثانيا - الموسيقى .

الفصل الرابع : المنجزات الحضارية للدولة السامانية .

لقد عرفت مدن خراسان وما وراء النهر على العهد الساماني نهضة حضارية¹ واسعة برزت مظاهرها بشكل واضح وجلي في كافة المجالات الفكرية والثقافية ، وكانت هذه النهضة الحضارية أساسا ، نتاج لسياسة حكم قوامها العدل والإصلاح والاهتمام بالعلم وتشجيع أهله على اختلاف تخصصاتهم وميولاتهم ، فأصبحت في ظل حكم هذه الأسرة عدة مدن في خراسان وما وراء النهر، منارات علمية ومقصدا لعدد من العلماء وطلبة العلم على حد سواء ، وتنوعت المنجزات الحضارية للدولة السامانية ما بين نشر الإسلام في أوساط عدد من الشعوب الوثنية المجاورة ، إلى ما شهده الجانب الفكري والثقافي من تطور على عهد حكم هذه الأسرة ، فضلا عن ما عرفه الفن من رقي وازدهار .

وقد شكلت هذه المنجزات الحضارية إضافة كبيرة إلى ما حققه السامانيون من أجماد وانتصارات سياسية وعسكرية عبر تاريخ حكمهم ، خاصة في ظل الإضافات الكبيرة التي قدمها العلماء الذين برزوا في كنفها للفكر الإسلامي عامة ، هذا الأمر الذي جعل من فترة حكم هذه الدولة صفحة مشرقة من صفحات تاريخنا الإسلامي .

المبحث الأول : العوامل المساهمة على النهضة الحضارية زمن السامانيين .

لقد أدى تضافر مجموعة من العوامل إلى ازدهار وتطور الحياة العلمية والثقافية في الدولة السامانية منها أن دين الدولة هو الإسلام ، والإسلام دين علم وفكر يحث على النظر في الكون والتأمل فيه ، واستغلال العقل البشري للتفكير والتدبر في قدرة الله عز وجل، ومحاوله معرفة أسرار الكون وفهمها وتحليلها ، كما أن المكانة الرفيعة والتميزة لأهل العلم في الإسلام جعلت الكثيرين يقبلون على مجالس الذكر والعلم مما ساهم في إزهار الحياة الفكرية بالدولة السامانية² . فالعلماء ورثة الأنبياء كما ورد في الأثر .

كما أن مساعي الأمراء السامانيين الرامية للارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري في دولتهم ، والذي يُعتبر انعكاسا للقوة السياسية والعسكرية للدولة ، واستجابة حضارية لمطالب شعوبهم في أقاليم الدولة للتعبير عن ذاتيتها هو من

¹ - الحضارة هي تطور الوسائل المختلفة التي تحقق خدمة الإنسان ورفاهيته ، وتختلف الحضارة باختلاف تطور الوسائل وبإختلاف مفهوم خدمة الإنسان ، فالماديون يعتبرون أن الآلات هي وسيلة التطور وحدها ، أما المسلمون فيعتبرون الوسائل التربوية والمادية هي المجال للتطور ولا تفيد الثانية دون الأولى ، انظر (محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، ج . 9 ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط . 4 ، 1421 هـ / 200 م ، ص . 139 .) .

² - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ الفكر الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 . ص . 178 .

بين أسباب هذا التطور كذلك¹ ، وقد تجسد هذا السعي من خلال العدد الكبير من المدارس والمعاهد العلمية التي كانت منتشرة بالدولة السامانية² ، ومن خلال الإنفاق عليها وعلى مرتاديه ، وسأطرق للحديث عنها في المبحث التالي .

كما أن الاهتمام الكبير الذي أبداه الأمراء السامانيون بالأدباء والعلماء ، وتشجيعهم والإنفاق عليهم ، ومنحهم الأموال والهدايا والهبات وتقريبهم لهم وغيرها من مظاهر الرعاية ، قد جعلت العلماء يشعرون بأهميتهم ومكانتهم الكبيرة في المجتمع الساماني³ ، حتى أن " المقدسي " عبر عن هذا بقوله : " أن الفقهاء في الدولة السامانية يبلغون درجة الملوك " ⁴ ، وقد سبق وأن أشرت بأن خراسان في العهد الساماني كانت توصف بكونها جنة العلماء⁵ وإضافة إلى جهود الأمراء الرامية للارتقاء بالمستوى الفكري والثقافي بالدولة ، فقد ساهم كذلك عدد من الوزراء الذين ارتقوا إلى مصاف العلماء في هذه النهضة ، على غرار الوزيرين " الجيهاني " و " البلعمي " الذين شجعوا بدورهم العلماء على الإبداع والتميز⁶ .

وتظهر المكانة الكبيرة للعلماء في الدولة السامانية من خلال عديد المعطيات ، فلقد كان الأمراء السامانيين يجالسون العلماء ويبجلونهم ويلعبون معهم الصولجان ويقلدونهم الأعمال⁷ ، ويستشيرونهم في تسيير شؤون الدولة وكانوا يدعونهم إلى مائدة الأمير الخاصة التي تكون في دار الحریم ، والتي لم يكن يُسمح لأي رجل بدخولها حتى أن الخدمة فيها كانت مقصورة على الجوّاري⁸ ، وقد أورد " المقدسي " بأن السامانيين إذا أرادوا أن يرفعوا رجلاً أجلسوه معهم على الخوان ، كما أنهم كانوا يُعفون أهل العلم من تقبيل الأرض عند الدخول عليهم⁹ .

وقد بلغ من تقدير الأمراء السامانيين للعلماء أن الأمير " إسماعيل بن أحمد " ، كان ينهض من مجلسه إذا دخل عليه بعض أهل العلم والفقهاء إجلالاً لهم¹⁰ ، كما أن تبجيل العلماء من طرف هذا الأمير قد بلغ به الدرجة التي

¹ - أبو العلاء: المرجع السابق ، ص . 235 .

² - انظر ملحق رقم 12 ، يحتوي على ذكر عدد من مدارس خراسان وما وراء النهر على عهد السامانيين .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 36 .

⁴ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 .

⁵ - شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص . 522 .

⁶ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 116 .

⁷ - ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، مراجعة وزارة المعارف العمومية ، مطبوعات دار المأمون ، ط . 2 ، ج . 7 ، ص . 11 - 12 .

⁸ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 115 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 37 .

⁹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 339 .

¹⁰ - ابن الأثير : الكامل .. ، المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 255 .

كان يتمنى فيها لقاء بعضهم ، ومن بينهم الفقيه والحافظ الزاهد " أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي المعروف عبدان " (ت. 293 هـ / 905 م)، حيث سُرَّ " إسماعيل " كثيرا وفرح به لما زاره ودخل عليه سنة (287 هـ / 899 م) وأمر له بمبلغ من المال غير أن هذا الفقيه رفض أخذه لعدم حاجته إليه ¹.

ومن الاهتمام بالعلماء في الدولة السامانية أن خصّوا بعضهم بمبالغ سنوية محددة ، فلقد كان الأمير " إسماعيل " يهب الفقيه " أبا عبد الله محمد بن نصر المروزي " (ت. 294 هـ / 906 م .) مبلغ أربعة آلاف درهم سنويا ² فضلا عن ما حظي به العلماء الوافدون على الأراضي السامانية من رعاية وتبجيل ، فلما وصل عالم القراءات " أحمد بن العباس البغدادي " (ت. 355 هـ / 965 م) إلى الأراضي السامانية وقرأ على " نوح بن نصر " ختمة وصله بالأموال ³.

هذا وبلغ من احترام وتبجيل الأمراء السامانيين لأهل العلم ، أن كانوا يصاحبون العلماء ويكرمونه حتى أن بعض العلماء قد أصبح من خاصة الأمراء ومقريهم ⁴ ، ونظرا لكل هذه القيمة التي بلغها العلماء في الدولة السامانية فقد كانوا لا يخشون من أبناء الأمراء أثناء تعليمهم لهم ، فلقد سمع " إسماعيل بن أحمد " مؤدب ابنه ، وهو يقول له : " لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك " فلم يغضب منه وقال له : " ... نحن لم نذنب ذنبا فتسبنا ، فهل ترى أن تعفينا من سبك وتخصّ المذنب بدمك وشتمك " وأمر له بمبلغ من المال ⁵.

هذا فضلا عن قضاء حوائجهم على اختلافها، واستشارتهم في العديد من أمور الحكم والدولة من بينها اختيار العمال ⁶، إضافة إلى ائتمانهم على عدد من ممتلكاتهم الخاصة ⁷ ، وقد كان تكريم العلماء والأدباء عادة من عادات أمراء البيت الساماني ⁸، هذا وتجدر الإشارة إلى أن تبجيل أهل العلم في الدولة السامانية كان من قبل الأمراء والعامّة على حد سواء ⁹.

¹ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 129 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 36 .

³ - الذهبي : المصدر السابق ، تاريخ الإسلام ، ج . 26 ، ص . 119 .

⁴ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 463 .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 436 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 339 .

⁷ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 614 .

⁸ - الثعالبي : يتيمة الدهر ...، المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 140 .

⁹ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 105 .

حيث كان العامة يحتفلون بقدوم العلماء فيخرجون لاستقبالهم ، وقد يُزينون لهم المدن فضلا عن ما يهبوه لهم من هدايا وأعطيات ، فقد تميز سكان ما وراء النهر بكثرة أوقافهم على أهل العلم ، فضلا عن ما يوفره لهم من سكن ووسائل للراحة ، ولشدة تمسك العامة بالعلماء فقد اضطر عدد منهم للخروج من بعض مدن خراسان وما وراء النهر ، مُتخفيا بهدف التوجه لزيارة مناطق أخرى ، وقد نقل " الثامري " عن " الباكوئي " قوله : "...ولم يُر مدينة أهلها أشد احتراماً لأهل العلم من بخارى " ¹.

وبلغ من تشجيع السامانيين للعلم وأهله ، أن كان أمراء الدولة يشرفون بأنفسهم على عقد مجالس العلم ، ومن مجالسهم تلك التي كانت تعقد عشية كل جمعة في رمضان ، وتتم فيها المناظرات بحضور الأمير الساماني الذي يفتتح الجلسة بالتطرق إلى موضوع بعينه ، يكون محورا للنقاش بين العلماء ².

وجعلت هذه العناية والتبجيل الذي حظي به الفقهاء والعلماء على الأراضي السامانية ³ ، من مدنها وبالأخص بخارى محجا لهم ، إذ قصدوها من عدة مناطق واستقروا بها ⁴ خاصة وأن أمراء الدولة السامانية قد كانوا في منافسة مع غيرهم من أمراء وسلاطين الدول المعاصرة لهم ، في محاولة تزيين حواضرهم بالعلماء ورجال الفكر ، فأصبحت عدد من المدن السامانية مراكز فكرية ذائعة الصيت ⁵.

وقد كان السامانيون يتفاخرون بالأدباء والعلماء المتواجدين على أراضيهم ⁶ ، واسترجعت بخارى على العهد الساماني مجدها العلمي ، فبعد أن اشتهرت على أيام " الزرداشتيين " بأنها **مناخة العلوم كلها** ، أصبحت تُعرف بإسم **بخارى الشريفة التقية** ، وهناك من يرى بأن سبب قيام " إسماعيل بن أحمد " بنقل العاصمة من سمرقند إلى بخارى ، هو صيت بخارى وكثرة علماءها ⁷.

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 40 - 41 .

² - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 339 .

³ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 204 .

⁴ - فاميري : المرجع السابق ، ص . 106 - 107 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 293 .

⁶ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 457 .

⁷ - فاميري : المرجع السابق ، ص . 105 - 106 .

هذا وقد أصبحت عاصمة السامانيين مقصدا لعدد كبير من العلماء ، الذين قدموا إليها من مناطق بعيدة لمزاولة بحوثهم في مكتبتها ، وقد فضل الكثير من قاصديها قضاء باقي أيامهم بها ، حتى أن قبور عدد كبير من العلماء متواجدة بها ، أغلبهم كانوا قد عاشوا بها في العهد الساماني ¹.

كما ساهمت العوامل الاقتصادية بدورها في هذا الازدهار والتطور ، ذلك أن المدن السامانية كانت غنية بمواردها الزراعية والصناعية والتجارية ، وبالتالي فقد توفرت الأموال والإمكانيات التي سمحت بتهيئة بيئة علمية ملائمة شجعت العلماء وطلبة العلم على الاستقرار بمدنها ، وتحسّدت هذه الإمكانيات في المنشآت العلمية وفي الأموال التي مُنحت لأهل العلم ².

يُضاف إلى العوامل السابقة وفرة الورق المستعمل في الكتابة ، بالأخص في مدينة سمرقند التي اشتهرت بكثرة شجر الكاغد ومصانع الورق بها ، كما انتشرت عدة مصانع للورق بالأراضي السامانية ، ساهمت في ازدهار الحركة العلمية والثقافية من خلال وفرة الورق واستخدامه في الكتابة والتأليف ³.

ومن بين أهم العوامل كذلك الرحلات العلمية ، التي كانت من وسائل الاستزادة في تحصيل العلم والتبحر فيه ولأن الحواضر العلمية كانت منتشرة عبر مختلف أقطار العالم الإسلامي ، فإن هذه الرحلات تمت من وإلى المدن السامانية ، فقد توجه عدد من العلماء وطلبة العلم من المدن والأراضي السامانية قاصدين الكثير من الحواضر الإسلامية مدفوعين بالرغبة في التحصيل العلمي والأخذ عن كبار الفقهاء والعلماء والأدباء .

وتعتبر الحواضر العراقية وبالأخص مدينة بغداد ، الوجهة الأولى لطلبة العلم والعلماء من البلاد السامانية إذ قصدها عدد كبير منهم ⁴ ، حيث أنها كانت منارة علمية عالمية تغص بالعلماء في مختلف التخصصات كالآداب والرياضيات والفيزياء وعلم الفلك ، فضلا عن مكتباتها التي تضم النواذر من الكتب ⁵، واختلفت مدة مكوثهم بها فمنهم من قد تطول مدة إقامته إلى الدرجة التي يصبح فيها كأنه من أهلها ، ومنهم من تقصر مدة إقامته ، ومنهم من استوطن بها وبقي يعلم ويتعلم فيها ⁶ ، وقد اشتغل الكثير من طلبة وعلماء خراسان وما وراء النهر بالتدريس

¹-فاميري : المرجع نفسه ، ص . 106 – 107 .

²- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 234 – 235 .

³- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 294 .

⁴- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 129 ؛ الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 49.

⁵-Theodore Alois Buckley : **The Great Cities of the Middle Ages or the landmarks of european civilization** , G . Routledge and CO, Farringdon- street , London , 1853 , p . 423.

⁶- الثامري : المرجع السابق ، ص . 70 .

في بغداد أو في رواية الحديث بها ، حتى أن " عبد الله بن أحمد المروزي " (ت 290 هـ / 902 م) حمل لقب مُحَدِّث بغداد¹ ، ولكثرة الوافدين على بغداد من سكان مرو فقد كان بها محلة ودرب المرازمة² .

وإلى جانب بغداد فقد قصد طلبة العلم والعلماء المرتحلين من الأراضى السامانية طلباً للعلم عدداً معتبراً من المدن الإسلامية ، نزلوا بها وأخذوا عن علمائها أو اشتغلوا بالتدريس فيها ، كالبصرة والكوفة والجزيرة والموصل وسامراء وواسط ، كما قصد عدد منهم الأحواز ومصر والشام واليمن ، وبلغ عدد منهم أن اعتلى منصب القضاء ، أو أصبح مفتياً لأهل المنطقة التي نزل بها بفضل مؤهلاته العلمية³ .

وتعتبر رحلة الحج السنوية مناسبة موسمية استغلها الكثير من أهل العلم في خراسان وما وراء النهر بهدف طلب العلم والحديث من علماء وفقهاء مكة والمدينة ، وبعد انتهاء موسم الحج منهم من كان يرجع لبلاده ومنهم من فضل البقاء في أرض الحرمين ، وقد تقلد " أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري " (ت 351 هـ / 962 م) منصب قضاء الحرمين الشريفين وكان قبلها قد تقلد منصب القضاء بالموصل وبالرملة ثم بنيسابور ، وقد وُصف بأنه شيخ أصحاب " أبي حنيفة " في زمانه بلا مدافعة والمعول عليه في الفتوى بلا منازعة ، وغاب عن نيسابور بعد خروجه منها أكثر من أربعين سنة⁴ .

وكان من نتائج هذه الرحلات العلمية التقاء العلماء من مختلف الأقطار فيما بينهم والمناقشة في المواضيع العلمية وشهد عدد من علماء الأمصار لبعض علماء خراسان وما وراء النهر بالعلم ، فلما حضر " محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي " (ت 291 هـ / 903 م) مجلس الإمام الفقيه " داود الظاهري " - صاحب المذهب - قال داود لأصحابه : " حضركم من يُفيد ولا يستفيد " .⁵ وهذا اعتراف بعلمه الغزير .

وكانت تحدث في هذه الرحلات المناظرات بين العلماء ويتم تبادل المعارف فيما بينهم مما يؤدي إلى استفادة كل عالم من غيره ، الأمر الذي ساهم في حركية الحياة الفكرية .

¹ - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 71 .

² - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 265 - 266 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 75 .

⁴ - تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت 1010 هـ / 1601 م) : الطبقات السننية في تراجم الحنفية ، شركة التراث للنشر ، 1900 ، ج .

1 ، ص . 140 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 71 .

كما يمكن اعتبار الاعتماد على اللغة العربية واستخدامها في خراسان وما وراء النهر ، من بين أسباب تطور العلوم وبدأ الاعتماد عليها بوصول الإسلام إلى هذه المناطق وهذا نظرا للارتباط الوثيق بينهما ، وقد بُذلت عدة جهود في سبيل ترسيخ العربية في أوساط السكان المحليين ولعل إقدام " قتيبة بن مسلم " على إلزام سكان بخارى باقتسام منازلهم مع الفاتحين¹ يصبّ في خدمة هذا الغرض ويهدف كذلك لتعليمهم الإسلام هذا وقد وُجد من الفرس من كان يتكلم بالعربية حتى قبل ظهور الإسلام على غرار " بهرام جور " الذي تأدّب بأدب العرب أثناء فترة طفولته بالحيرة وكان يتكلم بعدة لغات² ، غير أن هذا الأمر كان محدودا قبل الإسلام .

وقد أقبل سكان خراسان وما وراء النهر على تعلم اللغة العربية كغيرهم من المسلمين ، فكل مسلم يجب عليه أن يقرأ ويتلو القرآن المكتوب بالعربية ، ولأجل فهمها فقد سعوا إلى تعلمها³ ، وقام " أحمد بن إسماعيل " الذي كان مولعا بالعربية ، في فترة إمارته بتعريب الدواوين بعد أن كانت الأحكام والمنشورات تكتب باللغة الدرية⁴ وبذلك أصبحت اللغة العربية على عهده هي اللغة الرسمية للدولة⁵ ، ولأن العربية هي لغة القرآن والحديث فقد ساهم هذا العامل في انتشارها.

وكان من السكان من يمزج بينها وبين الفارسية ، وقد حفزهم على تعلم العربية شيوع حديث منسوب إلى " رسول الله صلى الله عليه وسلم " جاء فيه : " ..إن أبغض الكلام إلى الله الفارسية ... " ⁶ وانتشرت العربية بين الناس ، واستخدمها العلماء الذين كان عدد منهم يتقنها إلى جانب الفارسية ، خاصة وأن عدد كبير من الكتب كانت بالعربية التي نشطت حركة التأليف بها ، أو الترجمة إليها من مختلف اللغات .

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 84 .

² - أبو منصور عبد الملك الثعالبي : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، مكتبة الأسد في طهران ، 1900 ، ص . 555-556 ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص . 260 .

³ - زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق ببيضون وكمال دسوقي ، دار الجيل بيروت ، ط . 8 ، 1413 هـ / 1993 م ، ص . 378 .

⁴ - القزويني : المصدر السابق ، ص . 147 .

⁵ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 99 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 418 ؛ وعن الحديث فقد قال الثامري بأنه لم يرد في كتب الصحاح الستة ، انظر (المرجع السابق ، هامش ص . 78) .

ولأنّ العربية أصبحت لغة العلم فقد أصبح لزاما على كل أعجمي ، يريد أن تشتهر أعماله الأدبية أو العلمية ويذيع صيتها في بلاد الإسلام أن يكتب باللغة العربية ، التي كانت الكتابة بها إلى غاية القرن الثاني هجري الثامن ميلادي ، هي السائدة في بلدان المشرق ¹.

وعرف مطلع القرن الثالث هجري استخدام الفارسية إلى جانب العربية ، هذه الفارسية التي كان ازدهارها الكبير في العهد الساماني ²، وقد أسمى أحد مؤرخي الأدب الفارسي هذه الفترة بفترة تجاذب بين اللغتين وكان من نتائج إحياء الفارسية واعتمادها إلى جانب العربية في الدولة السامانية بروز فئة من المثقفين ممن يُعرفون " بدوي اللسانين " ضمّت عددا من العلماء والفقهاء والشعراء وبعض الحكام ³.

من أمثلة هذه الفئة الشاعر " أبو الفتح البستي " (ت 401 هـ / 1010 م) والذي وُصف بأوحد عصره في جودة الشعر، وقد نظم ديوانين من الشعر أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية ⁴ ، كما قام " ابن سينا " في أواخر حياته بترجمة أعماله التي كان قد كتبها بالعربية وقدمها مؤجزة لمن لا يعرف العربية ، حيث لخص آرائه ونظرياته في أواخر حياته بالفارسية ⁵.

وكان البعض من أهل هذه الفئة يتقنون اللغتين إلى الحد الذي كانت فيه فصاحتهم بالعربية تضاهي فصاحتهم بالفارسية ، كما أقبل قوم من العرب بدورهم على تعلم الفارسية ⁶، هذه الفئة من ذوي اللسانين كان لها دور حضاري كبير في حركة الترجمة فيما بعد .

ذلك أن الفرس كانوا أصحاب حضارة عريقة وخلّفوا بعدهم تراث كبير في مختلف مجالات العلم والفكر ⁷، وعليه فإن السامانيين رفضوا أن يضيع هذا المجهود سدى ، خاصة وأنه مكتوب باللغة الفهلوية التي لم تعد معروفة بين

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 79 .

² - موريس لومبار : المرجع السابق ، ص . 76 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 79 .

⁴ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1، ص . 349؛ الثامري : المرجع نفسه .

⁵ - موريس لومبار : المرجع السابق ، ص . 76 .

⁶ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 59 - 60 .

⁷ - الفقي: الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 294 .

الناس ، فنشطت حركة الترجمة على عهدهم¹ ، وكان الفرس في طليعة حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية وبرز منهم عدد كبير من المترجمين ، ساهمت جهودهم في إثراء العلوم والثقافة العربية بمعارف وخبرات أمتهم القديمة² .

وكانت الترجمة في الدولة السامانية تتم بشكل رئيسي من العربية إلى اللغة الفارسية ، ومن الفهلوية أو الفارسية القديمة إلى اللغة الدرية وهي الفارسية الحديثة ، إضافة إلى ترجمة عدد من أعمال اليونانيين والهنود وغيرهم من الأمم إلى الفارسية .

من أمثلة الترجمة من العربية إلى الفارسية ، والذي يعكس اهتمام السامانيين باللغة الفارسية وتشجيعهم لها والسعي لإعادة بعثها ، هذا الاهتمام الذي يظهر من خلال اعتماد أغلب أمراء هذه الأسرة لها كلغة رسمية للدولة³ ، قيام الأمير " منصور بن نوح " بإصدار أمر إلى وزيره " أبا علي البلعمي " من أجل ترجمة كتاب **تاريخ الرسل والملوك** " للطبري " ، فترجمه مع الاختصار فيه من خلال حذف الأسانيد والاكتفاء بذكر رواية واحدة من الروايات المتعددة التي يذكرها " الطبري " حول الحادثة الواحدة⁴ .

وفي عهد " المنصور " أيضا تم ترجمة كتاب آخر للطبري وهو كتاب **جامع البيان** الذي يضم أربعين مجلدا ، إضافة إلى كتاب **تفسير القرآن الكريم**⁵ ، كما تم ترجمة كتاب **كليلة ودمنة** بأمر من الأمير " نصر بن أحمد " من طرف الشاعر " الرودكي " ⁶ ، ومن الكتب المترجمة كذلك كتاب **الأبنية عن حقائق الأدوية**⁷ ، كما تُرجم على عهدهم كتاب في العقائد إلى الفارسية كان قد أُلّف بالعربية ، بهدف وقاية الشعب من الرافضية⁸ ، هذا ويذكر " الساداتي " أن سبب تشجيع الأمراء السامانيين لحركة الترجمة من العربية إلى الفارسية ، إنما مرّده الرئيسي سعيهم لتبصير السكان من أصحاب اللسان الفارسي بشؤون دينهم⁹ ، خاصة في ظل جهود أصحاب المذاهب والفرق في المنطقة وسعيهم لنشر أفكارهم بين العامة .

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 91 .

² - الجمل : المرجع السابق ، ص . 459 .

³ - بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 103 .

⁴ - موريس لومبار : المرجع السابق ، ص . 76 ؛ كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص . 264 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 91 - 92 .

⁶ - موريس لومبار : المرجع السابق ، ص . 75 .

⁷ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 92 .

⁸ - بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 103 .

⁹ - الساداتي : المرجع السابق ، ص . 143 .

وقد نشطت في ظل رعاية السامانيين ، حركة الترجمة من الفارسية القديمة إلى الفارسية الحديثة ، حتى أن بلاط السامانيين كان يضم مكلفا بالترجمة في هذا الأمر ، ومن أمثلة هذه الترجمة ، ترجمة كتاب **سندباد** بأمر من " نوح بن نصر " ، كما قام " ابن سينا " بترجمة كتاب يحوي أسئلة وجهها كسرى " أنو شروان " وأجوبة " بزرجمهر الحكيم " عنها فترجمه من الفهلوية إلى الدرية باسم **ظفر نامه** ¹.

إذن فهذا الاهتمام من قبل السامانيين بالترجمة إلى اللغة الفارسية ، هو محاولة جادة بإعادة بعثها وإحيائها ، بعد أن تراجع دورها وتقلص في ظل العربية ، ويتجسد هذا الاهتمام بها بشكل أكبر من خلال اعتمادها لغة رسمية للدولة ، هذا إذا استثنينا فترة حكم " أحمد بن إسماعيل " .

ولأنه كان يتواجد بالبلاط الساماني عدد من المترجمين الذين يتقنون الصينية والهندية واليونانية وغيرها من اللغات فقد تم ترجمة بعض الكتب والمؤلفات التي تعتبر من تراث هذه الشعوب بهدف الاستفادة منه ² ، كل هذه الجهود جعلت من المدن السامانية منارات علمية ومقصدا لأهل العلم ولطلبته على حد سواء ³.

ومن الوسائل التي أثرت بالإيجاب على الحركة العلمية والثقافية ، **ظاهرة المراسلات العلمية** والتي تعد وسيلة اتصال مهمة بين العلماء الذين حال دون لقاءهم بُعد المسافة ، ومن أمثلتها في الدولة السامانية المراسلات التي دارت بين " ابن سينا " و " أبي الريحان البيروني " اللذين يُعتبران من أكبر العلماء في العهد الساماني ⁴ ، وقد تجادلا في بعض المسائل العلمية جدالا عنيفا ⁵.

كما أن الأمير الساماني " نوح بن نصر " قد قام بمراسلة عالم النحو " أبا سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي " ⁶ (ت 368 هـ / 978 م) ، وسأله عن عدد من المسائل المتعلقة بالقرآن واللغة والأدب ، ومن أمثلتها كذلك قيام أحد وزراء السامانيين بمراسلة الطبيب " أبا الحسن الصائبي " ومُسائلته عن بعض مسائل الطب ⁷ ومثل هذه الأمور تعطينا لمحة عن سلطان العلماء في الدولة السامانية ، يمكن لنا أن نضيف أمرا آخر انعكس تأثيره

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص. 91 - 92 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 92 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 294 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 457 .

³ - الفقي : الدول الإسلامية المستقلة ... ، المرجع السابق ، ص . 19 .

⁴ - ظهير الدين البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص . 81 - 82 مخطوط منشور في الموقع الألماني Digitalisierte Sammlungen

⁵ - بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 111 .

⁶ - هو أحد كبار النحاة العرب ويعد أعلم الناس بنحو البصريين ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، هامش ، ص . 76) .

⁷ - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 76 .

إيجاباً ، وكان من أهم أسباب النهضة الحضارية زمن السامانيين ألا وهو الاستقرار الداخلي الذي شهدته معظم مناطق ومدن خراسان وما وراء النهر على عهدهم ، فرغم صراعاتهم الكثيرة مع دول الجوار إلا أن الأوضاع الداخلية تميزت بالاستقرار في غالب الأحيان ، والاستقرار الداخلي من أهم العوامل ذات التأثير الإيجابي على تطور الحركة العلمية والحضارية ، خاصة وأن السامانيين كان لهم جهاز أمني قوي ساهم بنسبة كبيرة في حفظ الأمن والاستقرار الداخلي .

هذا وقد كانت بلاد ما وراء النهر منطقة ثغرية بحكم جوارها مع الترك الوثنيين ، التي كانت أراضيهم دار حرب بالنسبة للسامانيين ، الذين كانوا في جهاد دائم معهم¹ ، وفي ظل ما اشتهر عن سكان ما وراء النهر من شدة الشوكة ومنعة البأس والعدة والسلاح² ، وفي ظل الخطر الكبير الذي شكله هذا العنصر على الأراضي الإسلامية فقد سعى السامانيون لإخضاعهم وحملهم على الإسلام ، وقد بذلوا في سبيل هذا جهوداً كبيرة ، ويبدو أن السامانيين قد كانوا مدركين لمهمتهم الثغرية والدور المنوط بهم ، هذا ما يتضح من خلال الرسالة التي بعثها " إسماعيل بن أحمد " " عمرو بن الليث الصفار " قبل نشوب الحرب بينهما والتي جاء فيها : " ... إنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر ، فاقنع بما في يدك وأتركني مقيماً في هذا الثغر. " ³ ، ويعتبر دور السامانيين في نشر الإسلام في أوساط الترك من أهم منجزاتهم الحضارية ، خاصة في ظل الدور الكبير للأتراك في تاريخ الأمة الإسلامية فيما بعد .

إذن فكل العوامل السابقة كانت من بين أسباب النهضة الحضارية والازدهار الذي شهدته الحياة الفكرية والثقافية بالدولة السامانية ، الأمر الذي شجع العلماء والمفكرين على اختلاف تخصصاتهم وميادين دراساتهم على الإبداع والإنتاج الثقافي في ظل حكم هذه الأسرة والتي إضافة إلى مساعيها لتنشيط الحياة العلمية والثقافية فقد ساهمت في إحياء وإعادة بعث اللغة الفارسية ، مما ساهم في بروز منتج علمي كبير باللغتين العربية والفارسية ، كما كان استغلال السامانيين لموقعهم الثغري ، في مواجهة قبائل الترك الوثنية وجهادهم الذي أثمر نشر الإسلام ، بين عدد من قبائل الترك من أهم منجزاتهم الحضارية .

¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 260 - 261 .

² - الاصطخري : المصدر السابق ، ص . 287 .

³ - الطبري: المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 76 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج . 6 ، ص . 402 .

المبحث الثاني : المنجزات الحضارية للسامانيين في المجال الديني .

لم تقتصر منجزات السامانيين الحضارية في المجال الديني على جانب واحد ، بل تعددت لتشمل جوانب مختلفة ، لعل من أبرزها وأهمها المساهمة في حمل الإسلام إلى مناطق وشعوب كان غريبا عنها وضمها للدولة الإسلامية ، إضافة إلى ما اشتهرت به الدولة السامانية من كثرة مراكزها ومؤسساتها العلمية وتنوعها وحركية الحياة العلمية بها .

أولا - نشر الإسلام بين الترك الوثنيين :

بعد أن فرغ العرب المسلمون من فتح منطقة فارس سنة 31 هـ / 651 م ، وتمكنهم في نفس السنة من تثبيت أركان الحكم الإسلامي بمنطقة خراسان ، أصبحوا مجاورين لحدود الترك الوثنيين ، وبدأت أولى بوادر الاحتكاك بين الطرفين¹ ، وبحكم هذا الجوار كان لزاما على المسلمين تأمين حدودهم من الخطر التركي المهدد بهم ، ولأن الأتراك كانوا لا يزالون على وثنييتهم فقد اعتُبروا بمثابة الأرض الخصبة للمسلمين الذين سعوا لنشر الدعوة الإسلامية في أوساطهم².

ولم تحظ محاولات المسلمين خلال هذه الفترة لنشر الإسلام في وسط الأتراك بنتائج إيجابية في ظل إصرارهم على التمسك بوثنيتهم ، حتى أنهم ردُّوا على المسلمين بشنّ عدة هجمات عليهم³ ، مما اضطر المسلمين إلى اللجوء لإتباع سياسة الدفاع بإتخاذ منطقة خراسان كقاعدة دفاعية في وجه هجمات الأتراك أزيد من خمسين سنة ، بدءا من 31 - 86 هـ / 651 - 701 م⁴ .

وفي أواخر العهد الأموي بدأ الأتراك يُقبلون نوعا ما على الإسلام وهذا في أعقاب تمكن " الأمويين " من تثبيت أركان الإسلام في بلاد ما وراء النهر، واتخاذها كقاعدة لشن الحملات العسكرية على الأتراك الوثنيين⁵.

وقد أثّرت انتصارات المسلمين النوعية على الأتراك في علاقاتهم مع الصينيين ، الذين رأوا في هذا الأمر تهديدا لهم¹ ، فاشتبك الطرفان في معارك سنة 133-134 هـ / 751 م انتهت بانتصار العباسيين الذين خلفوا الأمويين

¹ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 138 .

² - زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص . 27 .

³ - طقوش : المرجع السابق ، ص . 16 .

⁴ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 138 .

⁵ - طقوش : المرجع السابق ، ص . 22 - 23 .

بعد معركة دامت خمسة أيام ، وبذلك استمر العباسيون في محاولاتهم التوسعية على حساب الأتراك الشرقيين في عهد كل من " المنصور " و " الرشيد " و " المأمون " ².

ويبدو أن هذه المحاولات لم تنجح ، بدليل أن العباسيين اضطروا لبذل جهود كبيرة في سبيل صد عدوان الأتراك الشرقيين على بلاد ما وراء النهر ، ذلك أن الأتراك كانوا قد لجئوا إلى أسلوب الغارات الخاطفة على هذه المنطقة فضلا عن سياسة التعاون مع مختلف الحركات المناوئة للعباسيين .

ودفع هذا الأسلوب المنتهج من قبل الأتراك بالمسلمين إلى الركون لأسلوب الدفاع مرة أخرى في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، ولحماية أنفسهم من غارات الأتراك عمدوا لبناء الأسوار وحفر الخنادق في بلاد ما وراء النهر ³ ، وقد كانت هذه الغارات سببا في احتكاك الأتراك بالإسلام وتعرفهم عليه ، ونتج عن هذا الاحتكاك تأثرهم بتفوق العالم الإسلامي المادي والمعنوي ⁴.

وخلال هذه الفترة بقي الحد الفاصل بين المسلمين في بلاد ما وراء النهر وبين الأتراك هو نفسه الحد الفاصل بين العنصرين الفارسي والتركي حضاريا ، أي ذلك الحد الفاصل بين مناطق الزراعة وبين مناطق الرعي ⁵ ، والعداء بينهما كان كبيرا خاصة في ظل الاختلافات العرقية واللغوية وحتى الدينية ، ذلك أن الإسلام كان قد انتشر بين سكان المناطق الواقعة غرب نهر سيحون ، في الوقت الذي بقي الترك على وثنيهم في المناطق الواقعة إلى الشرق منه ⁶.

وبحكم هذا الجوار بين المسلمين في بلاد ما وراء النهر وبين الترك الوثنيين فقد انتشرت ببلاد ما وراء النهر الروابط بكثرة ، خاصة وأن كل ما وراء النهر من خوارزم إلى فرغانة كانت مناطق تغور مع الأتراك ، وقدر عدد الروابط بها بأكثر من عشرة آلاف رباط ⁷ ، كان يحتشد بها عدد كبير من المرابطين والمتطوعة والغزاة على العهد

¹ - يرى حسن أحمد محمود أن سبب هذا الصراع مرده بالدرجة الأولى ، إلى رغبة الصينيين في السيطرة وبسط نفوذهم على طرق التجارة التي تعبر من الشرق الأقصى إلى ما وراء النهر ومنها إلى الجزيرة العربية فأوربا ، انظر (المرجع السابق ، ص . 158) .

² - زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص . 32 ؛ **les Samanides et les Kaeakhanides : une étape initiale de la géopolitique impériale**, Cahier d'Asie centrale (en ligne) , 9 , 2001 , mis en ligne le 13 janvier 2013 , p . 37.

³ - بارتولد : تاريخ الترك ... ، المرجع السابق ، ص . 55 .

⁴ - محمد زياد هواش : المرجع السابق ، ص . 2 - 3 .

⁵ - بارتولد : تاريخ الترك ... ، المرجع السابق ، ص . 74 - 75 ؛ محمد زياد هواش : المرجع نفسه ، ص . 1 .

⁶ - Sergej Klastornyj : op . cit , p . 35 .

⁷ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 387 .

الطاهري ، بهدف الدفاع عن بلاد ما وراء النهر، والمساهمة في حمايتها من هجمات الأتراك الشرقيين الذين ظلوا يتهددونها، وبذل هؤلاء المجاهدون إلى جانب الجيوش الطاهرية جهدا كبيرا في سبيل إحباط هذه التهديدات وحماية مناطق الأطراف بها¹.

فإلى غاية سقوط الدولة الطاهرية ، كان الإسلام لم يعرف انتشارا كبيرا في أوساط الترك الشرقيين الذين بقوا متمسكين بديانتهم رغم جهود المسلمين ، الذين وجدوا أنفسهم مضطرين أمام ضربات الأتراك الوثنيين للتهقير والتزام أسلوب الدفاع .

وأهم العقائد التي كانت منتشرة بتركستان وفي أوساط قبائلها ، هي العقيدة " الشامانية " إضافة إلى " الزرداشية " " المانوية " و " المزدكية " وكذلك " المسيحية " التي كانت قد دخلت إلى بلاد الأتراك ، كما أن عددا من المناطق بتركستان كانت قد شهدت نشاطا لعدد من المبشرين النساطرة ، هذا وقد كانت المانوية أكثر العقائد انتشارا في أوساط الترك².

ويعود أكبر الفضل لنشر الإسلام في وسط الأتراك للسامانيين³ ، فدورهم في هذا المجال يُعتبر الأبرز فعلى عهدهم تم جني ثمار الجهود التي بذلها العرب لأجل نشر الإسلام في هذه المناطق طيلة قرنين من الزمن ، حيث تم ثبات الإسلام في قلوب الأتراك الغربيين ، وكسب عالم الأتراك الشرقيين للحضارة والأمة الإسلامية⁴.

وقد عمد السامانيون بعد أن بسطوا هيمنتهم على خراسان وما وراء النهر ، إلى استعمال عدة أساليب بهدف إخضاع القبائل التركية التي كانت لا تزال بعيدة عن الدين الإسلامي وفي حالة عداء دائم معه ، هذا العداء الذي تجسّد من خلال الغارات المتكررة على مدن ما وراء النهر الهامة مثل بخارى سمرقند فرغانة وبنجكث ...، كما تجسّد كذلك من خلال تعاون الأتراك الشرقيين مع إمبراطور الصين ضد المسلمين في كثير من الأحيان⁵.

ويمكن أن نميز أسلوبين مختلفين اعتمدهما السامانيون في سبيل نشر الإسلام في أوساط الأتراك الشرقيين ، أحدهما امتاز باستعمال القوة والعنف وانتهاج سياسة الفتوحات العسكرية في عمق الأراضي التركية ، والأسلوب الثاني

¹ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 167 .

² - زبيدة عطاء : المرجع السابق ، ص . 32 - 33 ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص . 391 .

³ - بارتولد : بلاد الترك ...، المرجع السابق ، ص . 74 .

⁴ - محمد علي البار : **التركستان مساهمات وكفاح** ، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ، ط . 1 ، 1411 هـ / 1990 م ، ص . 19 ؛ حسن

أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 167 .

⁵ - محمد علي البار : المسلمون في الإتحاد السوفياتي ...، المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 285 .

اعتمد على طريقة الدعوة السلمية والتي اتخذت عدة أشكال ، وعن هذه الطرق قال " محمد علي البار " :
فالسامانيون طبقوا من ناحية سياسة الجهاد بالسيف لإخضاع القوة المعادية ، ومن ناحية أخرى سياسة التبشير
السلمي ... " ¹.

فبالنسبة للأسلوب الأول القائم على الجهاد في أراضي الأتراك الشرقيين ، واعتماد أسلوب الهجوم لإخضاع
القبائل التركية ، فهو يُعتبر تغيير في السياسة الإسلامية ، فالسامانيون قد عدلوا عن أسلوب الدفاع الذي كان
مُتبعا من قبل المسلمين ، ضد كفار الترك في واد سيحون منذ أن شرع المسلمون في محاولة فتح هذه المناطق على
يد " قتيبة بن مسلم " ، حيث تخلى السامانيون عن حفر الخنادق وبناء الأسوار واستصلاحها بهدف الدفاع من
ورائها وعمدوا إلى أسلوب الهجوم على مناطق المراعي لتأديب الأتراك ².

فالسامانيون اعتبروا أن كلمة الإسلام لا يمكن أن ترتفع بين الأتراك الشرقيين ، إلا إذا ظهر المسلمون بمظهر القوي
القادر على البدء بسياسة الهجوم ، وكانت الهجمات السامانية على مناطقهم أقرب إلى الغارات الخاطفة ، التي
تهدف إلى زرع الخوف في صفوف الأتراك وإجبارهم على وقف حملاتهم على بلاد ما وراء النهر ³.

ومن الحملات السامانية المشهورة على مواطن الأتراك تلك الحملة التي قادها " نوح بن أسد " سنة 225 هـ /
840م ، على أسفيجاب التي كانت لا تزال تحت حكم أسرة تركية ، وتمتع بكثير من الامتيازات كالإعفاء من
الضرائب ، حيث أخضعها وأمر ببناء حائط يحيط بها بهدف حماية المنطقة من غارات الترك ⁴ ، وكذلك حملة سنة
280 هـ / 893 م التي غزا فيها " إسماعيل بن أحمد " بلاد الترك وافتتح مدينة طراز بعد جهد كبير ، وأسر والد
وزوجة حاكمها رفقة ما يقرب من عشرة آلاف أسير وغنم كميات معتبرة من الغنائم ⁵.

وانتهت الحملة بإسلام أمير طراز وأسلم معه الكثير من الدهاقين ، وتم تحويل كنيسة طراز إلى مسجد جامع تثليت
فيه الخطبة بإسم الخليفة العباسي " المعتضد " ⁶ ، وقد كانت كنيسة طراز كنيسة نسطورية ¹ ، وهذا دليل على أن

¹ - محمد علي البار : التركستان...، المرجع السابق ، ص . 19 .

² - بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 55 - 56 ؛ عبد المجيد أبو الفتوح بدوي : التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في
المشرق الإسلامي من القرن الخامس هجري حتى سقوط بغداد ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط . 2 ، 1408 هـ / 1988 م ،
ص . 100 - Sergej Klastornyj : op . cit , p . 39 .

³ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 172 ؛ بارتولد : تركستان ...، المرجع السابق ، ص . 335 .

⁴ - حسن أحمد محمود : المرجع نفسه .

⁵ - ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 376 ؛ Mirkhond : op . cit . p . 117 .

⁶ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 123 .

التبشير المسيحي بتركستان كان أسبق من الدعوة الإسلامية فيها ² ، وقد شيد فيها السامانيون بعد فتحها عددا من المساجد ³ .

وأصبحت الأراضي التركية منذ بدء انتهاج هذه السياسة الهجومية من قبل السامانيين ، عرضة لهجوماتهم وغزواتهم بصفة دورية ⁴ ، بهدف نشر الإسلام وكذلك بهدف الحصول على الغنائم ، وبواسطة هذه الهجمات تمكنوا من إخضاع بعض القبائل ونشر الإسلام في أوساطها ، وبفضلها كذلك تمكن السامانيون من مد نفوذهم وإحكام سيطرتهم على مناطق جديدة من أراضي الأتراك ⁵ ، وقد اتخذت هذه الحروب الصبغة الدينية ولا سيما على عهد " إسماعيل بن أحمد " ⁶ .

وكان لهذه السياسة الهجومية من قبل السامانيين رد فعل عنيف من طرف الأتراك ، الذين حاولوا في سنة 291 هـ / 904 م ، الهجوم على بلاد ما وراء النهر بجيش كثيف ، كان فيه سبعمائة قبة تركية من تلك التي لا تكون إلا لرؤسائهم ، لكن السامانيين بقيادة " إسماعيل بن أحمد " ، هزمهم وغنموا منهم الكثير من الغنائم ⁷ .

وهنا قرر " إسماعيل بن أحمد " بأن التكتيف من السياسة الهجومية على مواطن الأتراك وتوجيه الضربات والحملات العسكرية القاسية إليهم ، والسعي لتوسيع رقعة الدولة السامانية على حساب أراضيهم ، هي الحل لتأديبهم وإجبارهم على وقف غاراتهم وهجماتهم على الأراضي السامانية .

وبناء على هذا فقد سير " إسماعيل " جيوشه إلى بلاد الترك سنة 293 هـ / 905 م ، وافتتح عدة مواضع بها ⁸ وكان هذا تمهيدا لنشر الإسلام في أوساط عدد من القبائل التركية التي لم تكن قد عرفت الإسلام بعد ⁹ ، ورغم أسبقيتهم في فتح هذه المناطق إلا أنهم كانوا يطلبون اعترافا من الخليفة حتى يحكموها على أساس شرعي ¹⁰ .

¹ - Sergej Klastornyj : op . cit , p . 38.

² - بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 76 .

³ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 230 ؛

⁴ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 258 .

⁵ - محمد علي البار : المسلمون في الإتحاد السوفياتي ..، المرجع السابق ، ص . 307 .

⁶ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 202 .

⁷ - الطبري : المصدر السابق ، ج . 10 ، ص . 116 .

⁸ - ابن الأثير : الكامل ..، المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 431 .

⁹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 229 .

¹⁰ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 204 .

وكان " إسماعيل بن أحمد " قد شرع في هذه السياسة الهجومية ضد الأتراك الوثنيين ، وعلى نهجه سار ابنه " أحمد " ، الذي تمكن من تذليل المشاكل والصعاب التي واجهته في الحكم ، وحقق عدة انتصارات في معارك خاضها ضد الرحالة من الأتراك الوثنيين بالقرب من حدود دولته ¹.

ورغم كل هذه الجهود المبذولة من قبل الأمراء السامانيين بهدف نشر الإسلام في أوساط الأتراك الوثنيين ، فإن الإسلام ظل ينتشر ببطء بينهم وهذا حتى منتصف القرن الرابع هجري العاشر ميلادي ²، وإلى غاية هذا التاريخ فقد بقي الجغرافيون المسلمون يتحدثون عن الترك بوصفهم أجنب وأعداء للإسلام ³.

وكانت أكثر القبائل التركية عرضة لهذه السياسة الهجومية ، هي تلك القبائل التي تعيش عند مناطق الحدود مع البلاد السامانية ، ونتج عن هذه الاحتكاكات العسكرية المستمرة بين الطرفين ، عدم إقبال الأتراك بشكل كبير على الإسلام ⁴، وقد ظلت الفتوحات العسكرية قاصرة على الأماكن القريبة من بلاد ما وراء النهر فقط ⁵، ولم تتوغل كثيرا في أراضي الأتراك .

إذن فسياسة الهجوم المنتهجة من قبل السلطات السامانية كان لها أثرها الإيجابي فيما يخص التقليل من خطر هجمات القبائل التركية على بلادهم ، حيث أصبح الأتراك من جراء هذه السياسة هم من يلجئون لإعتماد أسلوب الدفاع ، أما فيما يخص نشر الإسلام بين هذه الشعوب ، فإنها لم تحقق نتائج كبيرة ومرد ذلك إلى أنّ حروب المسلمين ضدهم قد جعلتهم يعرفون عن الإسلام وجهه العسكري وقوته الحربية .

وكان الفضل الأكبر في إسلام الأتراك يرجع إلى سياسة الدعوة السلمية ، التي عبر عنها " محمد علي البار " بمصطلح التبشير السلمي ⁶ ، المنتهجة مع الأتراك والتي كان لها كبير الأثر في تعريفهم بالإسلام ومبادئه السمحة وقد اعتمد فيها على عدة وسائل أهمها :

المدارس السامانية ، التي كانت منتشرة بخراسان وما وراء النهر في القرن الرابع هجري العاشر ميلادي ، والتي أدت دورا بارزا لنشر الإسلام في أوساط الأتراك ، بففضلها كانت الدعوة الإسلامية خارج حدود الخلافة أكثر نجاحا في

¹ - الصلابي : المرجع السابق ، ص . 23 .

² - بدوي : المرجع السابق ، ص . 101 .

³ - بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 75 .

⁴ - بدوي : المرجع السابق ، ص . 101 .

⁵ - بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 76 .

⁶ - محمد علي البار : التركستان ...، المرجع السابق ، ص . 19 .

آسيا الوسطى ، منها في أي مكان آخر ¹ ، وقد نشطت مدارس بخارى وسمرقند وفرغانة .. بشكل كبير بين القبائل التركية ويُعتبر هذا القرن هو مرحلة الدعوة الشاملة إلى الإسلام في أوساط الأتراك الشرقيين ² ومن أهم وسائل نجاح الدعوة الإسلامية بها هم العلماء والفقهاء ، المتخرجين من مدارس ما وراء النهر ³ ، حيث كانوا بمثابة دعاة للإسلام وسط الأتراك الوثنيين .

وكان عدد من سكان ما وراء النهر المسلمين قد عبروا في شكل جماعات متتابعة إلى مناطق المراعي وصولاً حتى المناطق الصحراوية ، وأنشئوا تجمعات سكانية صغيرة في القسم الأسفل من نهر سيحون وهي جند خوار وبنغي كنت ، وكانت هذه المناطق مدن إسلامية في بلاد الأتراك الشرقيين ⁴ .

وبدءوا من هذه المناطق نشاطهم الاقتصادي ، خاصة وأن التجار المسلمين وقوافلهم كانوا خلال هذه المرحلة بارعين في اجتياز وعبر طرق التجارة القديمة ، حيث كانوا يرتادونها بكثرة ⁵ ، ومعلوم أن التجارة التي برع فيها العرب و المسلمون كانت من أعظم مسالك انتشار الإسلام في مختلف المناطق ⁶ ، وقد واكب هذا النشاط الاقتصادي نشاط ملحوظ في الدعوة إلى الإسلام في أوساط الأتراك ⁷ ، وكان للمتصوفة والعلماء والفقهاء المتخرجين من المدارس السامانية الدور الرئيسي فيه ، حيث تمكنوا من تعريف الأتراك بالإسلام وتبسيطه لهم مما قربه إلى قلوبهم ⁸ .

فالفقهاء والعلماء المتخرجون من المدارس السامانية ، كانوا يخاطبون الطبقة المثقفة من الأتراك ، أما الصوفية الذين أصبح رجالها من القوى المؤثرة بالمنطقة على العهد الساماني وحظوا بمكانة خاصة لدى الأمراء والساسة ⁹ ، فقد تمكنوا من اكتساب قلوب العامة في مناطق البدو عن طريق زهدهم وتقشفهم وحسن سيرتهم وصدق دعوتهم

¹ - بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 75 - 76 .

² - محمد علي البار : التركستان ...، المرجع السابق ، ص . 19 .

³ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 171 .

⁴ - بارتولد : تاريخ الترك ...، المرجع السابق ، ص . 76 - 77 .

⁵ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 155 .

⁶ - غنية ياسر كباشي : أثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق آسيا في العصور المتأخرة ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي جامعة بغداد ، إشراف الدكتور هادي حسن محمود 1423 هـ / 2003 م ، ص . 51 .

⁷ - الغامدي : المرجع السابق ، ص . 244 .

⁸ - بدوي : المرجع السابق ، ص . 100 - 101 ؛ الصلاحي : المرجع السابق ، ص . 24 ؛ محمد زياد هوش : المرجع السابق ، ص . 2 .

⁹ - هدى درويش : دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط .

1، 2004 ، ص . 54 .

وإيمانهم¹ ، وقد عمل الصوفية بأسلوبهم الخاص على التعريف بالإسلام ونشره ، من ذلك أنهم كانوا لا يعارضون استمرار طائفة من العادات المحلية ، بشرط أن لا تعارض أركان الإسلام ومبادئه الأساسية² .

وانتهى هذا الجهد المبذول من طرف الدعاة إلى إقبال الأتراك على إعتناق الإسلام الذي تناسبت بساطة عقائده مع طبيعة البدو البسيطة ، إضافة إلى ما تميز به الإسلام من سمو روحي وتفوق مادي حضاري ، أدرك الأتراك أثرهما في سلوك السكان الذين هاجروا إلى ما وراء النهر ، ثم عاد بعضهم مع الوافدين الجدد الذين أسسوا مدنا لهم داخل مراعي وصحراء الترك³ .

وبرزت نتائج جهود السامانيين الهادفة لنشر الإسلام في صفوف الترك ، بشكل كبير لما تمكن دعاةهم من استقطاب ملك القراخانيين " ستوق بغراخان " إلى الإسلام ، في منتصف القرن الرابع هجري العاشر ميلادي حيث أسلم طوعية رفقة سكان مائتي ألف خيمة من الأتراك الشرقيين ، أي ما يُقدر بحوالي مليون شخص ، وقد أدى القراخانيون بعد إسلامهم دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية في أوساط الأتراك الذين كانوا لم يُسلموا بعد⁴ .

وُترجح أن يكون سبب إسلام هذا الملك ورعيته راجع إلى دعوة قام بها شخص يدعى " أبا الحسن محمد بن سفيان الكلماقي⁵ النيسابوري " ، الذي أقام ببخارى بضع سنين على عهد " عبد الملك بن نوح " ، ثم التحق بخدمة الخان التركي وتوفي ببلاطه سنة 350 هـ / 961 م⁶ .

وكان الإسلام الذي انتشر في أوساط الأتراك في ظل آل سامان هو الإسلام السني ، والذي كان الأقرب إلى الطبيعة البدوية للأتراك⁷ ، وقد عُرف عن السامانيين بأنهم كانوا حماة لأهل السنة ومتعصبين لمذهبهم⁸ ، وأصبح

¹ - محمد علي البار : التركستان ...، المرجع السابق ، ص . 19 - 20 .

² - غنية ياسر كباشي : المرجع السابق ، ص . 96 - 97 .

³ - بدوي : المرجع السابق ، ص . 101 ؛ الصلاحي : المرجع السابق ، ص . 24 .

⁴ - محمد علي البار : التركستان ، المرجع السابق ، ص . 20؛ البار : المسلمون في الإتحاد السوفياتي ، المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 288 .

⁵ - هذه السبة إلى من يشتغل بعلم الكلام والأصول ، انظر (السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 89 .) .

⁶ - المصدر نفسه ؛ بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 391 - 392 .

⁷ - بدوي : المرجع السابق ، ص . 102؛ الصلاحي : المرجع السابق ، ص . 24 .

⁸ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 162 ؛ الجمل : المرجع السابق ، ص . 230 .

الأتراك بدورهم على مذهب أهل السنة ومتحمسين له مدافعين عنه ورافعين لرايته¹ ، فقد ورثوا عن السامانيين حيثهم لهذا المذهب وتمسكهم به .

ومن عوامل إقبال الأتراك على الإسلام في ظل السامانيين كذلك ، هو احتكاكهم عن قرب بالمسلمين في الجيوش السامانية ، ذلك أن الجيش الساماني قد ضم عددا معتبرا من الأتراك بل أن قوام قوته بمرور الوقت قد أصبح من هذا العنصر² ، وقد قرّب هذا الاحتكاك بين الأتراك وبين الإسلام وساعد على انتشاره بينهم³ .

كما أختلط الأتراك الوثنيين عن قرب بالمسلمين وتعرفوا على الإسلام ، من خلال دخول عدد معتبر من رجالهم ونسائهم كخدم أو كجوارى إلى قصور الأغنياء والميسورين في الدولة السامانية ، إذ كانوا يُجلبون من تركستان الشرقية التي لم تسلم بعد ، وكانت دار حرب بالنسبة للسامانيين⁴ ، ولذلك فقد كانت الأسواق السامانية تعج بالرقيق التركي⁵ واشتهرت سمرقند بكونها من أهم مراكز تجارة الرقيق بالدولة السامانية ، وكان يتم تصديره منها⁶ .

وكان مما ساعد على انتشار الإسلام في أوساط الترك الوثنيين كذلك ، عظمته وروعته وعدم مقدرة العقائد الوثنية على الصمود أمامه ، خاصة وأن الشعوب التركية شعوب بدوية على الفطرة ، والإسلام قريب إليهم باعتباره دين الفطرة السليمة ، فهو عقيدة سهلة واضحة وقرية إلى فهم القبائل البدوية ، عكس العقائد التي تضم كثير من الآراء الفلسفية التي يصعب على الإنسان البدوي البسيط إدراكها واستيعابها كالنصرانية⁷ .

إذن فبفضل جهود السامانيين فقد وصل الإسلام إلى شعوب وثنية ومناطق لم تكن تعرفه من قبل ، على غرار الأتراك الشرقيين وحتى البلغار الذين كانوا يعيشون على ضفاف نهر الفولغا⁸ ، وهذا الإنجاز في مجال الدعوة للإسلام يُعد من بين أهم منجزاتهم الحضارية التي خلّدت ذكرهم وحفظت فضلهم ، وبالأخص في ظل الدور الكبير الذي أداه هؤلاء الأتراك في التاريخ الإسلامي من بعدهم ، وقد تحقق هذا الإنجاز بفضل تضافر جهود

¹ - الصلابي : المرجع السابق ، ص . 24 .

² - زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص . 35 - 36 .

³ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 163 .

⁴ - محمد علي البار : التركستان .. ، المرجع السابق ، ص . 24 .

⁵ - الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 282 ؛ مويرس لومبار : المرجع السابق ، ص . 73 .

⁶ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 407 ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص . 278 .

⁷ - الغامدي : المرجع السابق ، ص . 244 .

⁸ - محمد علي البار : المسلمون في الإتحاد السوفياتي .. ، المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 288 .

جبارة لمجموعة من الدعاة المخلصين المتخرجين من المدارس السامانية ، ومسعى عدد من أمراء هذه الأسرة لتحقيق هذا الهدف إضافة إلى النشاط الكبير للمتصوفة ، فضلاً عن جهود عدد من التجار والمجاهدين .

ثانياً - مراكز التعليم السامانية :

لقد كانت الحركة العلمية في الدولة السامانية نشطة في ظل وجود عدد كبير من العلماء الذين مارسوا أنشطتهم التعليمية في مختلف المؤسسات العلمية ، المنتشرة وبكثرة على الأراضي السامانية ، التي اشتهر حكامها برعايتهم للعلم والعلماء وسعيهم لتيسير سبله وفتح أبوابه لكافة أبناء شعبهم .

وقد كان التعليم بها يتم على مرحلتين أساسيتين **المرحلة الأولى** وهي أشبه بالتعليم الابتدائي¹ ، والذي يكون على مستوى **الكتاتيب** الكثيرة على الأراضي السامانية ، أين يبدأ الصبيان حياتهم العلمية² ، حيث يتم تلقينهم القرآن الكريم وشيئاً من الحديث والقراءة والكتابة والحساب والنحو ، وشيئاً من الفقه ومقتطفات من سير الملوك والحكماء وبعضاً من الشعر والأدب³ .

ويقوم بتلقين هذه المعارف للصبيان المعلم أو المكتب⁴ ، الذي يتقاضى أجراً في مقابل عمله هذا ، وهناك من لم يكن يأخذ الأجر على التعليم والتدريس فكان يتكسّب بوظائف أخرى⁵ ويختار معلم هذه المرحلة دروسه بحيث تكون سهلة وبسيطة بالنسبة للصبيان ، قريبة من مستواهم وغير مملّة في نفس الوقت⁶ .

وإلى جانب الكتاتيب فقد كانت المرحلة الأولى من التعليم ، تتم كذلك في منازل الصبية أو في بعض الميادين أو بالقرب من المساجد ولم تكن تتم في المساجد ، ذلك أن المعلم كان يخشى من دخول الصبيان إليها من غير طهارة⁷ .

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 293 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 43 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 293 .

⁴ - عز الدين بن الأثير الجزري (ت 630 هـ) : **اللباب في تهذيب الأنساب** ، ج . 3 ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ص . 251 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 293 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 61 .

⁶ - برهان الإسلام الزرنوجي (ت 591 هـ) : **تعليم المتعلم طريق التعلم** ، الدار السودانية للكتب ، ط . 1 ، 1425 هـ / 2004 م ، ص .

49 .

⁷ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 43 .

وإن كان غالبية الصبية تتلقى تعليمها الأولي بالكتاتيب ، فإن أبناء الطبقة الميسورة وعلى العكس من ذلك فقد كانوا يتلقون تعليمهم في قصور آبائهم ، الذين حرصوا على إحضار مؤدبين خصيصا لتعليم أبنائهم ، حيث كانوا يتعلمون إلى جانب المواد السابقة أيضا بعض الأمور الأخرى كالرمي والفروسية وحتى السباحة¹.

وقد حرص أفراد البيت الساماني على إحضار مؤدبين خواص لتعليم وتنشئة أبنائهم في القصور ، وقد ذكر " إسماعيل بن أحمد " بأن والدهم قد أحضر لهم مؤدبا خاصا لتعليمهم ، فكان من جملة ما علمهم الفكر الرافضي لكن " إسماعيل " تخلص عن هذا الفكر ولم يتبعه²، كما أن " إسماعيل " قد احضر لولده وخليفته من بعده " أحمد " معلما ليعلمه³ ، وكان يُقدِّره ويُجزل له العطاء⁴ ، وبلغ من إجلال "نوح بن نصر " لمؤدِّبه أن جعله بعد أن اعتلى عرش الدولة السامانية وزيرا له ، اعترافا بفضله عليه⁵.

ولم يكن هذا حكرًا على الأمراء فقط ، فقد أحضر والد " ابن سينا " له عددا من المؤدبين أحدهم لتعليمه القرآن والآخر لتعليمه الأدب ، وواحد اختص بتعليمه الفلسفة ، وقد درّس هؤلاء المعلمين " ابن سينا " وفق منهج خاص⁶، حيث أنه كان لكل مؤدب منهجه في التربية والتعليم وهذا بعد أن كان " ابن سينا " قد أخذ نصيبا من التعليم في الكتاتيب أين حفظ القرآن⁷.

إذن فالكتاتيب كانت تشكل القاعدة الأساسية لعملية التعليم في الدولة السامانية ، وقد مر عليها عدد كبير من كبار العلماء الذين سطع نجمهم ، على غرار الإمام " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري " صاحب **الصحيح** ، الذي بدأ بدراسة الحديث في الكُتَّاب لما بلغ العاشرة من العمر ، ومرّ عليها كذلك الشاعر الكبير

¹-الثامري : المرجع نفسه ، ص . 44 .

²- الإمام شمس الدين بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) : سير أعلام النبلاء ، ج . 14 ، تحقيق أكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة ، ط . 1 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص . 154 - 155 .

³- حكى عنه أنه مر ذات يوم بمؤدب ولده فسمعه يسبه ويقول : " لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك " فدخل عليه وقال له : " يا هذا نحن لم نذنب ذنبا فتسبنا ، فهل ترى أن تعفينا من سبك ، وتخص المذنب بذك وشتمك " فخاف المؤدب ، فأمر إسماعيل له بصله ، انظر (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ج . 25 ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2004 م ، ص . 204).

⁴- النويري : المصدر نفسه ، ج . 25 ، ص . 204 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، مج . 6 ، ص . 436.

⁵- الثامري : المرجع السابق ، ص . 44 .

⁶- ابن أبي أصيبعة : عيون الإنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، د . ت . ص . 437 .

⁷- بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 109 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 44 .

"الرودكي" الذي حفظ بها القرآن وهو ابن ثمان سنين ، هذا وتجدر الإشارة إلى أن الكتابات كانت منتشرة على نطاق واسع بالمناطق السامانية على غرار بخارى سمرقند نيسابور وجرجان¹.

وقد كان معلمو الكتابات على قدر كبير من العلم خاصة وأن الناس والصبيان على حد سواء كانوا يقصدونهم للتعلم منهم²، واشتهر منهم عدد كبير على غرار "أبو منصور الثعالبي" (ت. 429 هـ / 1037 م)،³ و"أبو زيد البلخي" (ت. 322 هـ / 934 م) اللذين كانا يعلمان الصبية بالكتاتيب، إضافة إلى النحوي "أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء" (ت. 325 هـ / 937 م)، و"إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم البذخيني"، وقد لجأ عدد معتبر من كبار العلماء إلى الاشتغال كمؤدبين نظرا لما تدره عليهم هذه الوظيفة من أموال وأرزاق وفيرة⁴.

وهناك من اشتغل كمؤدب بالموازاة مع وظيفته الأصلية⁵، وقد كان عدد كبير من هؤلاء المؤدبين على درجة كبيرة من العلم والثقافة والتواضع، حتى أن بعضهم كان يصطحب تلاميذه لحضور درس للعلماء الزائرين للمنطقة والاستماع له⁶.

وكان السواد الأعظم من الصبية يكتفي بهذا القدر من التعليم، ويتوجه في أعقابه إلى العمل ومشاغل الحياة أما من رغب في الإستزادة من العلم، فقد كان مقصده المساجد الجامعة المنتشرة بالأخص في المدن⁷، ويعتبر المسجد مركز التعليم الأول في الإسلام وأحد أهم المؤسسات العلمية التي كان لها دور كبير في ازدهار الحركة الثقافية في العالم الإسلامي حيث جمع بين عبادة الصلاة ومهمة التعليم عبر فترات التاريخ الإسلامي⁸.

¹- الثامري : المرجع نفسه ، ص . 43 .

²- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 403 .

³- أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت. 429 هـ) : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، 1985 ، ص . 4 .

⁴- الثامري : المرجع السابق ، ص . 44 .

⁵- أبي منصور عبد الملك الثعالبي (ت. 429 هـ) : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ج . 4 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص . 509 .

⁶- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 131 .

⁷- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 296 .

⁸- خالد كبير علال : الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13 م ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي ، جامعة الجزائر ، 2003 ، ص . 180 .

وبالمساجد السامانية كانت تُعقد حلقات دراسية في مختلف العلوم ، على غرار علوم القرآن والتفسير والفقه والحديث وأصول الدين والأنساب وعلم الرجال وأخبار العرب وعلم الكلام واللغة والأدب والنحو وأخبار الأدباء والتصوف والحساب والجغرافيا والوعظ والقصص والتذكير وحتى في حب الوطن¹.

ومن كبار العلماء الذين عقدوا حلقات دروسهم في المساجد " أحمد بن علي السليماني " الذي كان يدرس الحديث بجامع بيكند² والفقيه " إسماعيل بن محمد الجويباري " ، الذي كان يدرس بالجمع الأعظم وخلفه ابنه من بعده³ ، و " أبي علي بن أبي الحسن الروذباري الطوسي " ⁴ وكذلك " محمد بن محمد الجرجاني " (ت 355 هـ / 965 م) ، والذي كان من أهل القرآن والحديث والأخبار وكان يملئ على طلبته في الجامع ومات في أصبهان وأخرج عنه " ابن حبان " في كتابه⁵.

وكان التدريس يأخذ شكل الحلقات ، حيث يلتف الطلبة بالشيخ الذي يملئ عليهم من كتاب أو يلقي عليهم درسه اعتمادا على ذاكرته⁶ ، وكان كل طالب يرتبط بالحلقة التي تناسبه وللشيخ الحق في قبول الطالب أو رفضه إذ أنه كان لا يقبل إلا من يلتمس فيهم القدرة العلمية والجدية والرغبة الصريحة في الانتظام بحلقته⁷.

وقد كان مجالس العلم نظامها الخاص ، حيث يجلس المُعيد بالقرب من الشيخ ومهمته هي تفسير الغامض من كلامه حتى يُسهل الفهم على الطلبة ، ويساعده كذلك شخص يطلق عليه إسم المُستملي والذي يجلس كذلك بالقرب من الشيخ ومهمته هي تدوين الكلام الذي لا يقرأه من الكتب⁸.

وفي مجلس الطبيب " محمد بن زكرياء الرازي " ، كان هناك نظام خاص حيث يجلس بالقرب منه تلامذته الأكثر علما ، ويليه من هم دونهم في العلم⁹.

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 51 - 52 .

² - المرجع نفسه ، ص . 46 .

³ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 127 .

⁴ - المصدر نفسه ، ج . 3 ، ص . 100 .

⁵ - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : تاريخ أصبهان ، تحقيق سيد كسروي حسين ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط. 1 ، 1410 هـ / 1990 م ، ج . 2 ، ص . 262 .

⁶ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 48 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ،... المرجع السابق ، ص . 296 .

⁸ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 287 .

⁹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 57 .

وفي حال غياب الشيخ أو العالم عن درسه لظرف ما ، فإنه كان يعين من ينوب عنه لإلقاء الدرس ، هذا وقد كان عدد من العلماء يتيحون فرصة إلقاء الدروس لطلابهم بهدف التعود ولتشجيعهم على إبراز قدراتهم العلمية .

وقد أورد " الثامري " عددا من المساجد السامانية التي عٌقدت فيها هذه المجالس العلمية على غرار مسجد الشام ببخارى ، والمسجد الجامع ، ومسجد ماخ ، ومسجد غنجار ، ومسجد المنارة ، ومسجد عز ، ومسجد أبي العباس القائد بسمرقند ، ومسجد عقيل ، ومسجد المربعة ، والجامع المنيعي ، ومسجد المطرز بنيسابور ، ومسجد أبي يعلى بنسف ، ومسجد مرو ، ومسجد هراة ، ومسجد بلخ ، والمسجد القديم بيهق ، ومساجد إستراباد والصغانيان ، حيث كان الناس يتزاحمون على حلق الفقهاء والعلماء بها ، بحيث لا يكاد يخلو مسجد من مساجد المدن السامانية من مجالس العلم والفقهِ¹ .

وقد عمد عدد من العلماء إلى تأسيس مساجدهم الخاصة بفضل أموالهم واشتغلوا بالتدريس فيها ، وقصدهم عدد من الطلبة الراغبين في الإغتراف من علمهم والاستماع لدروسهم التي كانوا يلقونها بها .

ومن هؤلاء العلماء الشيخ " أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني " (ت . 371 هـ / 982 م) الذي ألقى دروسه بمسجده ، ثم خلفه ابنه من بعده في التدريس به² ، منهم أيضا " أبو العباس الأصم " (ت . 346 هـ / 957 م) كما درّس عدد من العلماء في مسجد كان قد أسّسه أخوه أو جده³ أو أبوه⁴ .

ولم يكن التعليم وجهود العلماء المبذولة في هذا المجال حكرا على المساجد فقط ، بل امتد هذا النشاط حتى إلى منازل وبيوت عدد من العلماء والمشايخ ، التي تحولت بدورها إلى مجالس علم وفقه ، وقد شاع هذا الأمر في مختلف المدن السامانية .

ومن العلماء الذين عقدوا مجالس العلم بمنازهم " علي بن أحمد التركاتي البخاري " ، وبسمرقند " عمران بن موسى المغربي المالكي " و " عبد الرحمان بن محمد النيسابوري " ، و " علي بن أحمد النسفي " و " أحمد بن أبي الهندي النيسابوري " ⁵ و " علي بن محمد الحكاني الهروي " ¹ .

¹ - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 48 - 49 .

² - السهمي : المصدر السابق ، ص . 74 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 47 .

³ - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 47 - 48 .

⁴ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 276 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 49 - 50 .

وأمام الإقبال المتزايد على هذه المجالس ، فإن عددا من منازل العلماء لم تعد تسع الحضور مما دفع بأصحابها إلى عقد مجالسهم أمام أبواب المنازل² ، وفي الحوانيت والأسواق وفي الخانات كذلك³ ، وحتى في المستشفيات والمنتزهات⁴ .

ولأن المدن السامانية كانت تغص بمجالس العلم والعلماء ، فقد كان يرغب عدد من الطلبة في السفر إلى المدن الأخرى بهدف الإستزادة في العلم والتبحر فيه والأخذ عن مزيد من المشايخ والعلماء ، وكانت بخارى أهم مقصد لهؤلاء ، وقد طلب أحد الطلاب النصح من حكيم في قضية توجهه إلى بخارى للتعلم بها ، فنصحه بعدم التعجل في الإنتظام بحلقة أستاذ ما إلا بعد أن يمكث شهرين يتأمل ثم يختار أستاذا بعينه⁵ ، وهذا يعطينا دلالة واضحة عن كثرة هذه المجالس وتعددتها بمساجد عاصمة السامانيين .

وقد كان الحضور بهذه المجالس كبيرا لدرجة أن مجلس الشيخ " أبي بكر عبد الله بن محمد النيسابوري " (ت . 324هـ / 935 م)⁶ كان يحوي 30 ألف محبرة ، وكثرة مرتادي مجلسه دليل على علمه الواسع⁷ وعلى حركية الحياة العلمية .

وفي ظل هذه الحركية العلمية فقد انتشرت المناظرات والمجادلات الحامية الوطيس في مختلف المدن السامانية بين أتباع مختلف المذاهب والأديان ، حيث حاول كل طرف إثبات صحة آرائه ومعتقداته ودحض آراء غيره ، وكان يتم التطرق في هذه المناظرات والمناقشات إلى قضايا اختلف فيها كبار العلماء المسلمون ، الأمر الذي أثرى الحياة الفكرية بالدولة السامانية .

وكانت هذه المناظرات كثيرة إلى درجة أنها قد تُعقد بشكل يومي ، ولقيت رواجا كبيرا في الدولة السامانية خاصة وأنّ عددا منها كان يتم برعاية ومباركة أمراء الأسرة السامانية وكبار قادتهم ورجال دولتهم⁸ .

¹ - الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، مج . 2 ، ص . 148 .

² - السمعاني : المصدر السابق : ج . 1 ، ص . 155 .

³ - المصدر نفسه : ج . 3 ، ص . 523 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 55 .

⁵ - الزرنوجي : المصدر السابق ، ص . 21 - 22 .

⁶ - تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي (ت 851 هـ) : طبقات الشافعية ، تحقيق الحافظ عبد الحليم خان ، ج . 1 ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند ، ط . 1 ، 1398 هـ / 1978 م ، ص . 78 .

⁷ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 57 .

⁸ - للمزيد حول المناظرات العلمية بالدولة السامانية أنظر ، الثامري : المرجع السابق ، ص . 52 وما بعدها بعدة صفحات .

ولقد كانت بداية ظهور وازدهار المدارس بخراسان وما وراء النهر، على العهد الساماني وبرزت بخارى وسمرقند كمراكز للعلم والثقافة¹، فقد ورد بأن " إسماعيل بن أحمد " قد أوقف عددا من الأوقاف على عشر مدارس² كما أنه كان يحب إنشاء المدارس ، وفعل هذا مرارا أثناء فترة حكمه حتى أن عدد المدارس العامة في بخارى على عهده كان يفوق عددها في باقي المدن³، ومن بين الأوقاف التي كان يوقفها عليها الضياع الحوانيت والمنازل⁴ ذلك أن السامانيين كانوا يعملون على إتاحة فرص التعليم وتوفيرها لعامة أبناء الشعب⁵.

وإلى جانب بخارى فقد وُجدت المدارس كذلك بنيسابور، فقد كان فقيه مالكي (ت . 299 هـ / 911 م) يُدرس بإحدى مدارسها فقه الإمام مالك⁶، كما كان " الحاكم أبو عبد الله النيسابوري " يجتمع مع أقرانه من العلماء عند فقيه كان يفتي بمدرسة بناها والده، الذي توفي سنة 305 هـ / 917 م⁷، فالمدارس كانت موجودة بالدولة السامانية منذ أواخر القرن الثالث هجري العاشر ميلادي .

وذهب صاحب كتاب **روضات الجنات** إلى أن أول ظهور للمدارس كان ببخارى⁸، وأورد " الثامري " بأن الإشارات السابقة هي التي دفعته لإصدار هذا الحكم⁹.

أما عن سبب ظهورها فقد أورد " الفقي "، بأنه لما كان التعليم في المساجد وانعقاد حلقات الدرس وما يجري فيها من مناقشات طيلة اليوم ، قد تزعج المصلين والمعتكفين والمتفرغين لقراءة القرآن ، فقد تم إنشاء المدارس حتى تختص هي بالتعليم والمساجد للعبادة¹⁰.

والتعليم بالمدارس كان أشبه بالتعليم العالي حاليا ، حيث أن الطلبة يلتحقون بها بهدف إكمال تعلمهم ، بعد أن يكونوا قد مروا بالمرحلة الأولى من التعليم ، وكانت المدرسة إضافة إلى وظيفتها العلمية بمثابة المأوى والمسكن للطلبة

1- حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 163 .

2- الثامري : المرجع السابق ، ص . 57 .

3- فاميري : المرجع السابق ، ص . 109 .

4- الثامري : المرجع السابق، ص . 57.

5- حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص . 170 .

6- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، 178 .

7- المصدر نفسه ، ج . 3 ، 522 .

8- محمد باقر الموسوي الخوانساري : **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط . 1.

1411هـ/ 1991 م ، ج . 4 ، ص . 179 .

9- الثامري : المرجع السابق ، ص . 58 .

10- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 297 .

والعلماء القادمين من مناطق أخرى¹، فقد كانت تضم إلى جانب حجرات وأقسام التدريس غرفا وحجرات لإقامة الطلبة وإطعامهم وكان ينفق على المدارس من ريع الأوقاف الخاصة بها ، والتي بواسطتها تدفع رواتب الأساتذة والعمال كذلك ، وكل المصاريف المتعلقة بالمدرسة².

ولقد كانت مدرسة " أبي بكر بن الفضل الكماري " (ت. 381 هـ / 991 م) مقصدا للعلماء والطلبة ومأوى للكثير منهم³، على غرار العديد من المدارس بالدولة السامانية التي كانت تضم أفضل العلماء والأساتذة ، الذين كان الطلبة يُكنون لهم احتراما كبيرا⁴، ولأن تركيز المدارس في مواضيعها كان منصبا على الفقه فقد ظهرت مؤسسات علمية مستقلة عن المدارس ومختصة في الحديث وعلوم القرآن⁵.

فظهرت **دور السنة** والتي اقتصت بتدريس الحديث وعلومه ، حيث كانت مقصدا للراغبين في حضور مجالس الحديث والذكر⁶، أين يجلس المحدث على دكة ، كي يتمكن كل الحاضرين من رؤيته والاستماع إليه وقد يكلف من ينوب عنه في الإملاء على الطلبة⁷، وقد يحدث وأن يمكث بعض العلماء الزائرين يُملّي ويُحدّث في دار السنة مدة من الزمن⁸.

ومن أشهر دور السنة في الدولة السامانية الدار الجوزجانية بسمرقند⁹ ، ودار السنة بمدينة نيسابور¹⁰ وكان المحسنون يساهمون في بناء هذا النوع من المراكز العلمية أو المدارس المتخصصة ويوقفون عليها الأوقاف ، وقد كانت هي الأخرى مركزا لإقامة ومبيت الطلبة¹¹.

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 58 .

² - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 297 .

³ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 6 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 58 - 59 .

⁵ - المرجع نفسه ، ص . 59 .

⁶ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 145 .

⁷ - المصدر نفسه ، ج . 4 ، ص . 81 .

⁸ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 59 .

⁹ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 73 .

¹⁰ - المصدر نفسه ، ج . 3 ، ص . 145 .

¹¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 59 .

وهناك أيضا دار القرآن وهي شبيهة بدار السنة ، غير أن مواضيعها تتمحور حول القرآن وعلومه ، ودروس العلماء بها تنصب في هذا الموضوع ، وقد جعل " أبو الفتوح الحسن بن بن محمد بن أحمد الحلبي " وهو من أهل نيسابور ، بعد أن أعرض عن عمله في دار الإستيفاء ، جعل داره مجمعا لأهل القرآن والخير¹ .

ومن المؤسسات العلمية كذلك الرباطات ، التي ثقام في مناطق الثغور تحسبا لمواجهة العدو² وكانت إلى جانب مهمتها الجهادية أماكن للعبادة والتفرغ للطاعة³ ، ومرتعا خصبا للتعليم حيث يتم فيها تدارس الحديث وإملائه ومن أهم كتب الحديث التي كانت مواضيع للدراسة صحيح البخاري ، كما كانت تُعقد بالرباطات كذلك مجالس الفتيا والقضاء إلى جانب التدريس والإملاء⁴ .

ولقد كانت الرباطات منتشرة بكثرة في الأراضي السامانية وبالأخص في بلاد ما وراء النهر ، بحكم مجاورتها لمناطق الترك الوثنيين ، فجميع ما وراء النهر ثغور من حدود خوارزم إلى فرغانة⁵ ، لذلك فقلما تخلو مدينة أو قرية من قرى ما وراء النهر من رباط أو أكثر⁶ ، وقد بلغ عدد الرباطات بما وراء النهر أكثر من عشر آلاف رباط⁷ ، وكان في بيكنند وحدها أكثر من ألف رباط⁸ .

وأكثر أهل ما وراء النهر من حبس الأوقاف عليها نظرا لمهمتها الجهادية ودورها العلمي في نفس الوقت⁹ ، وقد أكثر الأمير " إسماعيل بن أحمد " من إنشائها ، وإيقاف الأوقاف عليها وكانت بعض الرباطات تسع أكثر من ألف رجل¹⁰ .

وكانت هذه الرباطات على العهد الساماني ، بمثابة مراكز إقامة لعدد من العلماء الذين كانوا يُربطون بها ويُدَرِّسون فيها¹ ، كما كانت بمثابة محطات ينزل بها المسافرين منهم ويلتقون بغيرهم من العلماء ، أين يتدارسون مواضيع وأمور علمية بها² .

¹ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 250 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 63 .

³ - الثعالبي : يتيمة الدهر .. ، المصدر السابق ، ص . 478 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 64 .

⁵ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 387 .

⁶ - الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 46 .

⁷ - المصدر نفسه .

⁸ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 36 .

⁹ - الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 46 .

¹⁰ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 31 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 63 .

ويمكن أن نعد الخانقاوات ، التي هي في الأصل أماكن يسكنها أهل الخير والصوفية والزهاد المنقطعون للعبادة كمراكز علمية ، فقد ألقى عدد من العلماء دروسهم فيها ³ ، كما أن عددا من مشايخ الطرق الصوفية كان قد اتخذها كمساكن ، وقصده الأتباع والمريدون من كل مكان للاستماع لدروسه وعظاته ، إضافة إلى كونها محطات استراحة للعلماء ، ينزلون بها أثناء رحلاتهم حيث يستغلون تواجدهم فيها ويُلَقِّنون بعض الدروس بها ⁴ .

وقد كانت الخانقاوات منتشرة على نطاق واسع بالأراضي السامانية ، حتى أن أتباع بعض المذاهب والفرق قد أسسوا خانقاوات خاصة بهم على غرار الكرامية ، الذين كان لهم عدد منها في مناطق مختلفة من الأراضي السامانية ، على غرار فرغانة ، والختل ، والجوزجانان ، مروالروذ ، وسمرقند ⁵ .

ويقارب مصطلح الخانقاه مصطلح آخر هو **الصفة** ومارس فيها عدد من العلماء أنشطتهم التعليمية ، كتدريس الفقه وإملاء الحديث مثل الصفة التي كانت ببست ⁶ .

إضافة إلى كل المراكز العلمية السابقة فقد ارتبط إزدهار النشاط الفكري بالدولة السامانية كذلك بالمكتبات المنتشرة في مختلف المدن ، بهدف توفير الكتب لطلبة العلم ، خصوصا في ظل وفرة شجر الكاغد ومعرفة أساليب صناعة الورق ⁷ ، وتطور هذه الصناعة بالدولة السامانية ، وقد ارتاد هذه المكتبات كل راغب في الاستفادة منها وحظيت المكتبات بعناية واهتمام الأمراء السامانيين ، نتيجة حرصهم على توفير الكتب وتيسير سبل العلم للدارسين ⁸ ، ولقد زار " ابن سينا " الأمير " نوح بن منصور " لعلاج ووجد عنده مكتبة تضم كتباً بمختلف اللغات ، وتشمل على عدة حجرات مليئة بصناديق الكتب ، في مختلف حقول العلم والمعرفة بما فيها كتب الطب وتضم المكتبة كذلك فهارس توضح أماكن الكتب وعناوينها ⁹ .

¹ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 27 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 64 .

³ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 313 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 64 .

⁵ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 323 .

⁶ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 349 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 66 .

⁷ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 298 .

⁸ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 59 .

⁹ - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 439 .

وكان ممن زار هذه المكتبة الجغرافي " المقدسي " واستفاد من بعض كتبها ، على غرار كتاب المسالك والممالك للإصطخري¹ ، و جدير بالذكر أن هذه المكتبة كانت تضم من الكتب ما لم يسمع بها كثير من الناس ، حتى أن "ابن سينا " وجد فيها كتباً لم يراها في غيرها من المكتبات لا من قبل ولا من بعد² ، كما ضمت المساجد والرباطات والبيمارستانات وغيرها من المراكز العلمية مكتبات خاصة بها³ ، كما أوقف عدد من العلماء وكبار رجال الدولة كتبهم على طلاب العلم ، مثلما فعل أمير نيسابور " أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي " ، الذي كانت له خزانة كتب عامرة وضعها تحت تصرف أدباء عصره ليستفيدوا منها⁴ .

إن كثرة المؤسسات العلمية وتنوعها وانتشارها في معظم مدن خراسان وما وراء النهر على العهد الساماني قد جعلها مقصدا للعلماء ، ومحجاً للفقهاء والأدباء وطلبة العلم من كل أقطار العالم الإسلامي ، الذين قصدوها وقدموا عليها من مختلف مناطقه ليتعلموا من علمائها وفقهائها .

وكان يفد على بعض العلماء طلبة العلم من مختلف المناطق ، على غرار البصرة والشام والأحواز ومصر وفرياب وحتى من بلاد المغرب والأندلس⁵ ، هذا ما جعل عددا من المدن السامانية من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي ، وقد وصف " الثعالبي " بخارى على العهد الساماني بقوله : " مثابة المجد ، وكعبة المُلْك ، ومُجَمَّع أفراد الزمان ، ومَطْلَع نجوم أدباء الأرض ، ومَوْسَم قُضلاء الدهر . " ⁶ .

¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 10 .

² - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 439 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 299 .

⁴ - الثعالبي : ثمار القلوب ..، المصدر السابق ، ص . 5 - 6 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 67 .

⁶ - الثعالبي: يتيمة الدهر ...، المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 115 .

المبحث الثالث - تطور العلوم على العهد الساماني :

لقد عرفت مدن خراسان وما وراء النهر خلال العهد الساماني نهضة علمية وفكرية في شتى المجالات ، وبرز فيها عديد العلماء الذين خلّد التاريخ أسمائهم ومُنجزاتهم للحضارة الإنسانية ، حيث برعوا في مختلف العلوم الدينية ، كما نشطت الحياة الأدبية وحركة التأليف باللغتين العربية والفارسية ، إضافة إلى بروز أعلام في سماء التاريخ والجغرافيا ، فضلا عن النهضة الكبيرة التي شهدتها مختلف العلوم العقلية على عهد هذه الأسرة ، وكثير من مؤلفات المفكرين والعلماء على العهد الساماني ، لا تزال مراجع أساسية لطلبة العلم في مختلف المجالات والتخصصات .

أولا - العلوم الدينية والأدبية :

أ- العلوم الدينية :

1- علوم القرآن : لقد اشتغل الكثير من العلماء وطلبة العلم على العهد الساماني بالقرآن وعلومه ، خاصة في دور القرآن التي كانت تضم بين أركانها الراغبين في تحصيل هذه العلوم ، واقتصرت دروس التعليم فيها حول هذا الموضوع¹.

فبالنسبة لعلوم القراءات فقد شهدت الأراضي السامانية عدد من المُقرئين المتميزين بعذوبة الصوت²، حيث عقد الكثير من العلماء مجالس لتعليم القرآن وأحكام القراءة والتجويد للراغبين في ذلك³ ، خصوصا في ظل الإقبال الكبير على تعلم القرآن ، وقد حظي هذا العلم بالتشجيع والرعاية من الأمراء السامانيين أنفسهم ، فلقد حدث وأن زار المقرئ البغدادي " أبو بكر أحمد بن العباس بن عبيد الله " (ت 355 هـ / 965 م) الذي كان مجُودا حاذقا ، مدينة بخارى أثناء إمارة " نوح بن نصر " الذي دعاه لبعض مجالسه أين ختم عليه القرآن ، وقد وصله الأمير بمبلغ من المال ، خاصة وأنه كان أوحده في وقته في القراءات ، واستقر بالأراضي السامانية أين توفي بالري⁴، وقد يكون استقراره هذا مرده الأساسي إلى ما حظي به من رعاية في هذه المنطقة .

¹ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 250 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 59 .

² - الثعالبي : يتيمة الدهر ... ، المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 474 .

³ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 534 .

⁴ - الذهبي : تاريخ الاسلام ... ، المصدر السابق ، ج . 26 ، ص . 119 - 120 .

ويتجلى مدى الاهتمام بهذا العلم ومدى ازدهاره من خلال كثرة المؤلفات فيه ، على غرار كتاب **القراءات** وكتاب **الناسخ والمنسوخ** " لأبي بكر عبد الله بن سليمان السجستاني " (ت 316 هـ / 928 م) ، وكتاب **أحكام القرآن** " لأبي الحسن علي بن موسى القمي " (ت 350 هـ / 961 م) ، إضافة إلى مؤلفات " أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري " (ت 381 هـ / 991 م) ، ومنها **الغاية في القراءات** و**الشامل في القراءات** و**غرائب القراءات** ، وغيرها من المؤلفات التي تصُب في هذا الغرض ، وهي كثيرة على العهد الساماني ¹.

كما حظي **علم التفسير** بدوره باهتمام عدد كبير من العلماء ، وقد كان على نوعين تفسير بالمأثور وهو ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ² ، وإلى جانبه هناك تفسير بالرأي ، وحظيت كتب كبار المفسرين " كعبد الله بن المبارك " و"ابن الكلبي " و" مقاتل بن سليمان " بعناية كبيرة من الدارسين ³ ، خاصة في ظل انتشار مجالس تدريس التفسير بعدة مناطق بالأراضي السامانية على غرار منطقة نيسابور ⁴.

وبرزت على العهد الساماني عدة أسماء لامعة في علم التفسير ، على غرار " أحمد بن محمد الشاركي الهروي " (ت 355 هـ / 966 م) مفسر مدينة هراة ومفتيها وعالمها ، و" أبي بكر محمد بن علي الشاشي " (ت 365 هـ / 975 م) والذي وُصف بأنه أحد أئمة الدنيا في التفسير ⁵ ، غير أن ما تميزت به هذه الفترة هو ظهور تفاسير للمعتزلة ومختلف الفرق الأخرى التي كانت منتشرة بالمنطقة إضافة إلى تفاسير الصوفية ، وتفسير اللغويون والبلاغيون والنحاة والوعاظ ⁶.

ومن أهم كتب التفسير خلال هذه المرحلة ، **التفسير الكبير** وألّف عدد من العلماء كتابا بهذا الاسم منهم " أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي " (ت 427 هـ / 1035 م) ، الذي وصفه " ابن خلكان " بأوحد زمانه في التفسير ، واعتبر كتابه الأفضل بين كتب التفسير ⁷ ، كما حمل تفسير " زكرياء بن داود بن بكر الخفاف النيسابوري " (ت 286 هـ / 899 م) بدوره هذا الاسم ⁸ ، إضافة إلى كتاب بنفس العنوان " لمحمد بن علي بن

¹ - للمزيد حول هذه المؤلفات ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 140 - 141 .) .

² - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 2 ، ص . 293 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 141 .

⁴ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 543 .

⁵ - المصدر نفسه ، ج . 3 ، ص . 375 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 141 .

⁶ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 297 - 298 ؛ الثامري : المرجع نفسه .

⁷ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 79 .

⁸ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 388 .

إسماعيل القفال الشاشي" (ت 365 هـ / 975 م) ¹، ومن المؤلفات في علم التفسير على العهد الساماني كذلك كتاب التفسير " لمحمد بن حريث بن عبد الرحمان بن حاشد البخاري " (ت 302 هـ / 914 م) ²، وكتاب جامع العلوم " لمحمد بن الفضل البلخي " (ت 413 هـ / 1022 م) ، وكتاب " نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي " (ت 393 هـ / 1002 م) ، المعنون بتفسير القرآن العظيم وكتاب زهرة معاني البيان في معاني القرآن " لأبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد الأديب الكراي " (ت 360 هـ / 970 م) وغيرها كثير ³.

كما كان لشيوخ مختلف الفرق التي ظهرت بالأراضي السامانية تفاسير عدة ، على غرار تفاسير الشيعة ، والمعتزلة والأشاعرة ، والماتريدية ، وتفاسير شيوخ الطرق الصوفية ، فضلاً عن تفاسير الوعاظ ، والمذكرون ، وتفاسير أهل اللغة والنحو ⁴ ، وقد امتازت هذه التفاسير بكون أصحابها حاولوا قدر الإمكان إخضاع القرآن لمذاهبهم وآرائهم على اختلافها وتشعبها وهذا بعد أن كانت المذاهب هي من تخضع للقرآن ⁵.

2- الفقه والحديث : حظي هذين العلمين باهتمام كبير من قبل علماء خراسان وما وراء النهر ، حتى أن فترة حكم السامانيين تُعد من أهم فترات التدوين والتأليف فيهما ⁶ ، هذا وقد كان المُحدثون يُعتبرون أكبر العلماء شأنًا من الفقهاء والنحاة وغيرهم ، فكانوا يُجلون ويُعظمون ويُعَدَّق عليهم بالأموال والهبات ⁷.

وقد حظي علم الفقه ⁸ على العهد الساماني باهتمام الأمراء السامانيين أنفسهم ، هذا الاهتمام الذي يبرز بشكل جلي من خلال تعيينهم لفقهاء في دار الإمارة يتولى مهمة الإجابة على أسئلة الأمير الساماني ، وكان صاحب هذه الوظيفة يُعرف بالأستاذ ومن شغل هذا المنصب على عهد الأمير " إسماعيل بن أحمد " ، الفقيه " عبد الله بن محمد بن يعقوب السبذموني البخاري " (ت 340 هـ / 951 م) ⁹، ويظهر الاهتمام بالفقه كذلك من خلال

¹ - الحموي : معجم البلدان .. ، المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 308 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 142 .

² - الذهبي : تاريخ الإسلام ... ، المصدر السابق ، ج . 12 ، ص . 98 .

³ - للمزيد حول كتب التفسير على العهد الساماني ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 141 - 142 .) .

⁴ - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 143 - 144 .

⁵ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 2 ، ص . 299 .

⁶ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 239 .

⁷ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 2 ، ص . 299 .

⁸ - الفقه : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية وأصوله ستة ؛ ويعتبر فقه الموارث أو قسمة التركات بين الورثة هو أصعب أبواب الفقه انظر (الثامري :

المرجع السابق ، هامش ص . 144 - 145 ؛ السمعاني : المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 385 ؛ عبد الرحمان ابن خلدون (ت . 808 هـ) :

المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1428 هـ / 2007 م ، ص . 453 .

⁹ - السمعاني : المصدر نفسه ، ج . 1 ، ص . 179 .

العدد الكبير من المدارس والمعاهد التي كانت مخصصة لتدريس الفقه السني ، ومن خلال العدد الكبير من الفقهاء الذين كانوا يُزاولون مهامهم بهذه المدارس¹ ، خاصة في ظل الإقبال الكثيف من الطلبة على هذا العلم ، هذا فضلا عن مجالس المناظرات التي كانت تعقد بين الفقهاء ، من المذاهب المختلفة بحضور الأمير الساماني نفسه² ودارت الكثير من المناظرات حول أحكام العبادات والمعاملات³ ، خاصة في ظل ظهور ما يعرف بالتعصب المذهبي خلال هذه المرحلة⁴ .

ومن أشهر الفقهاء على العهد الساماني " أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري " (ت 311 هـ / 923 م) ، الذي ألّف أكثر من مئة وأربعين كتابا ، إضافة إلى الفقيه " أبي نعيم عبد الملك بن محمد الإستراباذي " (ت 323 هـ / 934 م) ، الذي كان يقصده طلبة العلم من مختلف أقطار البلاد الإسلامية ، وفي ظل كثرة الفرق والمذاهب ومحاولة أتباعها إثبات صحة أقوالهم وآرائهم واجتهاداتهم لإبراز محاسن مذاهبهم وشرح مبادئها، فقد نشطت حركة التأليف في ميدان الفقه بشكل كبير⁵ ، وقد وصل الفقه على أيدي هؤلاء إلى أعلى درجات التفوق ، وتلقّب كبار فقهاء المنطقة بعدة ألقاب فخرية كلقب شيخ الإسلام ، وقد كان أول ظهور لهذا اللقب بإقليم خراسان ، ومن الألقاب الفخرية للفقهاء بالمنطقة كذلك لقب شمس الإسلام وإمام الأئمة وغيرها⁶ .

وقد نتج عن هذه الحركية الفقهية عدد كبير من المؤلفات منها **الجامع في أصول الدين** " لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأسفرايني " ، وكتاب **مسائل الفقه** " ليوسف بن محمد الأبيوردي " ، (ت 400 هـ / 1009 م) ، كما ألّف " أحمد بن بشر بن عامر المروزي " (ت 362 هـ / 972 م) كتاب **الجامع في المذهب** ... ، وهي كلها تتمحور حول الفقه الشافعي ، ومن مؤلفات الفقه الحنفي ، كتاب **الكافي في الفقه الحنفي** " لمحمد بن أحمد بن عبد الله البلخي " (ت 344 هـ / 955 م) ، وكتاب **النوازل وخزانة الفقه** ، اللذان يعتبران شرحا للفقه الحنفي من تأليف " نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي " (ت 373 هـ / 983 م)⁷ .

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 57 - 58 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 240 .

² - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 339 ؛ نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 266 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 145 .

⁴ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 2 ، ص . 306 .

⁵ - للمزيد حول الفقهاء على العهد الساماني ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 57 - 58 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 241 - 242 .) .

⁶ - أبو العلا : المرجع نفسه ، ص . 242 .

⁷ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 145 وما بعدها بصفحات .

هذا وقد كان المذهب الشافعي هو السائد بخراسان وما وراء النهر خلال هذا العهد ، رغم وجود عدة فرق بالمنطقة لها أتباعها ومفكرها الذين يدافعون عنها ويعملون جاهدين لنشر آرائهم ، وإلى جانب المذهب الشافعي فقد برزت عدة مذاهب سنية أخرى ، على غرار المذهب الحنفي وقد نبغ عدد من الفقهاء الحنفية بالأراضي السامانية ، حتى أن عددا من تلامذة هذا المذهب كانوا يقصدونها لتلقي علومهم على أيدي الفقهاء الحنفية المتواجدين بالمدن السامانية ، ومن أشهرهم الفقيه " أبو منصور الماتريدي " (ت 333 هـ / 944 م) صاحب كتاب التوحيد وأوهام المعتزلة ومآخذ الشرع في الفقه وغيرها¹.

- علم الحديث : كان علم الحديث قد شهد ازدهارا كبيرا قبل العهد الساماني ، وذلك ببروز محدثين كبار دونوا كتباً عظيمة الشأن في هذا المجال ووضعوا أساس هذا العلم ، على غرار " أبي عبد الله البخاري " (ت 256 هـ / 869 م) ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261 هـ / 874 م) صاحبي الصحيحين ، إضافة إلى الأئمة أصحاب السنن الأربعة " الترمذي " و " ابن ماجه " و " القزويني " و " النسائي " ، إضافة إلى مسند الإمام " أحمد بن حنبل " ، أما على العهد الساماني فقد برز عدد كبير من المشتغلين بهذا العلم حفظا ورواية وتدريسا وتأصيلا وتصنيفا².

وكان يتم تدريس الحديث للأطفال الصغار في الكتاتيب³ ، وفي دور السنة المختصة بتدريس الحديث وعلومه⁴ وبلغ من العناية بهذا العلم أن كان بعض الأمراء السامانيين يهتمون به وعدّهم البعض من المحدثين⁵ ، وهذا دليل على مدى الاهتمام بهذا العلم ومدى انتشاره ، كما اهتم عدد من المحدثين في خراسان بتدوين الحديث على غرار " مكّي بن أحمد بن سعدويه البردعي " (ت 354 هـ / 965 م)⁶.

وقد حمل الكثير من أهل خراسان وما وراء النهر ألقابا تبين اشتغالهم بعلم الحديث ، كالحاكم وهو المثلّم بعلم الحديث ، والحافظ ويكون محيطا بما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا فيه ، ثم المُحدّث وهو يشتغل برواية الحديث ويعرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ، والمُسند من يروي الحديث بسنده⁷ ، كما شهد العهد الساماني بروز فئة

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 243 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 148 ؛ أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 2 ، ص . 299 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 293 .

⁴ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 145 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 149 .

⁶ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 314 .

⁷ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 148 .

من الدجالين الذين عمدوا إلى تلفيق الأحاديث زورا وبهتانا¹، بهدف كسب مكانة في المجتمع خاصة وأن المحدثين كانوا محل تقدير كبير في الدولة السامانية .

ومن أهم مؤلفات المحدثين على العهد الساماني كتاب **غريب الحديث** " لأبي سليمان الخطابي البستي " (ت388هـ / 998 م)²، و**الجرح والتعديل** " لأبي عبد الرحمن بن يوسف المروزي " (ت283هـ / 896 م) و**المنتقى من السنن** " لأبي محمد عبد الله بن علي النيسابوري " (ت307هـ / 919 م) ، ومن أكثر المؤلفين في هذا المجال " أبو حاتم البستي " (354هـ / 965 م) صاحب كتاب **الثقات** ، وما انفرد به أهل المدينة ، وما انفرد به المكيون وما انفرد به أهل العراق وما انفرد به أهل خراسان وغرائب الكوفيين وغيرها ، كما اهتم عدد من العلماء الشيعة بتجميع الأحاديث الواردة عن أئمة المذهب الشيعي الإثني عشر ، منهم " أبي عبد الله الحاكم النيسابوري " (ت405هـ / 1014 م)³.

3- علم الكلام : هو العلم الذي يبحث في ذات الله عزّ وجلّ وصفاته ، وتفسير أفعال الإنسان خيرها وشرها حسب شريعة الإسلام ، فهو يتناول العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية⁴ ، وشهد هذا العلم رواجاً بالشرق الإسلامي لأن الدليل المنطقي يلائم عقلية أهل المشرق ، ولهذا فقد انتشرت آراء المتكلمين بينهم ، خاصة في ظل مقدرتهم على الإقناع بالجدال والحوار⁵ ، وكان أول ظهور لهذا العلم كدفاع عن الإسلام وعقائده الدينية ، ضد العقائد الفلسفية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي نتيجة ازدهار ترجمة كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية⁶.

وازدهر هذا العلم بالأراضي السامانية نتيجة لعدة عوامل ، تتمثل في ظهور الاجتهاد في الرأي لدى بعض المذاهب الإسلامية التي عمدت لاستخدام الاجتهاد والقياس ، وأصبح عدد من الفقهاء المسلمون يناقشون الأمور الدينية ويتناظرون باستخدام العقل والتصور إلى جانب استخدامهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية⁷ ، كما ساعد على ازدهار هذا العلم كذلك ما كانت تمّوج به الأراضي السامانية من فرق كالكرامية ، والزيدية ، والإسماعيلية

¹ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 147 ؛ الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 122.

² - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 214 .

³ - للمزيد حول مؤلفات علم الحديث على العهد الساماني ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 151 وما بعدها بصفحات .) .

⁴ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 243 .

⁵ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 244 . عن ابن النديم

⁶ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 303 - 304 .

⁷ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 245 .

والمعتزلة ، والخوارج ، والأشاعرة¹..والجهد الذي بذله أتباع هذه الفرق لنشر معتقداتهم وترسيخها في الأراضي السامانية .

وساهم المعتزلة بشكل كبير في انتشار هذا العلم ، حيث كان من بين أهداف هذه الفرقة الدعوة إلى الإسلام والرد على المخالفين ، فعمدوا إلى الإحاطة بأقوال وحُجج الفرق المخالفة لهم بهدف مجادلتهم لدحض آرائهم² ، ثم أخذوا يبحثون في عدد من المسائل الكلامية فنشأت مسألة خلق القرآن وراجت بين الفرق الدينية كغيرها من المسائل الكلامية ، وظهر الخلاف بين أصحاب الفرقة الواحدة ، حتى أن عددا من الفرق انقسمت إلى عدة طوائف مختلفة فيما بينها خلافا كثيرا أو قليلا ، وإذا كان الخلاف على العقائد وما يتصل بها فذلك علم الكلام بينما الخلاف على الفروع هو علم الفقه³.

كما أن الشيعة ومُتَكَلِّمِيهِمْ قد طرحوا عقائدهم جهرا بالأراضي السامانية ، بعد أن علا شأنهم في أعقاب اعتناق عدد من كبار رجال الدولة لهذا المذهب على عهد " نصر بن أحمد " ⁴ ، وألّفوا عددا من الكتب التي تحمل أفكار عقيدتهم التي يدعون لها ، ومن أهمها خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي ، كتاب يعرض أصول مذهبهم وشريعتهم يحمل إسم البيان ، من تأليف شخص يدعى " غياث " ، وكتابي أساس الدعوة والتأويل وكشف الأسرار " لأبي يعقوب السجزي " ⁵ ، كما لاقت دعوة فرقة الكرامية التي تقول بالتجسيم والتشبيه بعض الرواج بالمنطقة ، خاصة في أوساط الفلاحين وصغار العمال الكادحين⁶.

وقد تصدى لأصحاب هذه المذاهب عدد من فقهاء السنة مناظرة وتأليفا ، كالمناظرة التي جرت بين " البغدادي " صاحب كتاب الفرق بين الفرق وشيخ من شيوخ الكرامية يعرف " بإبراهيم ابن المهاجر " ، بمجلس قائد الجيوش السامانية " أبي الحسن محمد ابن إبراهيم بن سيمجور " سنة 370 هـ / 980 م ، وبين البغدادي فيها لخصمه

¹ - محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت. 387 هـ) : مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط . 2 ، 1409 هـ / 1989 م ، ص . 45 وما بعدها بصفحات ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 344 - 345 .

² - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2012 ، ج . 3 ، ص . 691 - 692 .

³ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 204 .

⁴ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 253 .

⁵ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 248 - 249 .

⁶ - المرجع نفسه ، ص . 246 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 344 .

أمام الحضور بأنه لا يعبد الله تعالى¹، ومن الذين تصدوا لمُخالفي السنة كذلك " الدرامي " (ت 280 هـ / 893 م) ، الذي تمكن من طرد " محمد بن كرام " من هراة ومن مؤلفاته الرد على الجهمية ، ومن المتكلمين السنة وفقهاء خراسان الذين تصدوا لأصحاب الفرق المخالفة ، نجد " السراج النيسابوري " (ت 313 هـ / 925 م) و " أبو سهل الصعلوكي " (ت 369 هـ / 979 م) و " الفاشاني " (ت 371 هـ / 981 م)².

ومن بين أهم المؤلفات في هذا المجال كذلك معالم الدين " لمحمد بن اليمان السمرقندي " (ت 268 هـ / 881 م) وكتاب الإيمان " ليحيى بن منصور الهروي " (ت 292 هـ / 904 م) ، وكتب " أبي بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري " (ت 342 هـ / 953 م) ، مثل الأسماء والصفات وكتاب الإيمان وكتاب القدر ، كذلك كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع " لسالم بن عبد الله الهروي " (ت 433 هـ / 1041 م) وغيرها³ ، من مؤلفات تعطينا دلالة واضحة عن مدى ازدهار هذا العلم على العهد الساماني .

4- التصوف : التصوف غير مرتبط بفرقة معينة كالمعتزلة أو الشيعة أو أهل السنة ، إنما هو نزعة من النزعات فقد يكون الصوفي منتميا إلى أي فرقة أو مذهب أو حتى إلى ديانة أخرى غير الإسلام⁴ ، والتصوف هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يرغب فيه الناس من أموال ولذات بالتفرغ للخلوة والتعبد⁵.

وقد شهد العهد الساماني ازدهارا للتصوف ، بسبب محاولة البعض الهروب من النزعة المادية التي سادت المجتمع خلال تلك الفترة ، وما نتج عنها من حروب وقلقل واضطرابات سياسية واجتماعية ، فضلا عن الصراع الكبير الذي نشب بين أتباع الفرق والمذاهب المتطاحنة فيما بينها ، وقد قال بعضهم : " من أراد أن يكون حرا من الكون فليخلص في عبادة ربه ، فمن تحقق له عبادة ربه صار حرا مما سواه " .⁶

¹ - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني (ت 429 هـ / 1037 م) : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، 1416 هـ / 1995 م ، ص . 224 - 225 .

² - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 249 .

³ - للمزيد عن الكتب في هذا المجال ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 139) .

⁴ - أحمد أمين : ظهر الإسلام ، المرجع السابق ، ج . 4 ، ص . 839 ؛ عبد الوهاب عزام : التصوف وفريد الدين العطار ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2013 ، ص . 13 - 14 .

⁵ - ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص . 490 .

⁶ - أبو عبد الرحمان السلمي (ت 412 هـ) : طبقات الصوفية ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . 1 ، 1419 هـ / 1998 م ، ص . 305 .

وفي ظل المشاكل الاجتماعية التي شهدتها المجتمع الساماني فإن المتصوفة لم يعتزلوا المجتمع نهائيا ، وإنما حاولوا بذل جهودهم لإصلاح ما يمكن إصلاحه من خلال القدوة الحسنة ، خاصة وأنهم اعتبروا أنفسهم حملة رسالة سامية هدفها إظهار الشريعة الإسلامية على حقيقتها قولاً وفعلاً ، ومنهم " أبو الحسن البوشنجي " (ت 348 هـ / 959 م) الذي كان مؤتدينا متعهدا للفقراء ، ومن أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد والمعاملات ، وأحسنهم طريقة في الفتوى بالدولة السامانية ¹.

وبالرغم من عدم انعزال المتصوفة بالدولة السامانية بشكل نهائي عن المجتمع ، إلا أنهم خصصوا وقتاً للخلوة والعبادة ، وورد عن بعضهم قوله : " العبادة حرفة حوانيتها الخلوة ورأسمالها الاجتهاد بالسنة وريحها الجنة " ، ومن أشهر متصوفة الدولة السامانية " أبو زيد البسطامي " (ت 261 هـ / 874 م) و " أبو حفص النيسابوري " (ت. 270 هـ / 883 م) و " أبو عثمان الحيري النيسابوري " (ت 298 هـ / 910 م) و " الزجاجي " (ت 348 هـ / 959 م) و " الفراء " (ت 370 هـ / 980 م) وغيرهم من علماء التصوف ²، هذا ولم يكن التصوف بالأراضي السامانية حكراً على الرجال دون النساء ، فقد شهدت الأراضي السامانية عدداً من المتصوفات الزاهدات في الدنيا وزينتها ³.

ب - العلوم الأدبية : وإلى جانب العلوم الدينية فقد شهدت الحركة الأدبية نهضة كبيرة على العهد الساماني خاصة في ظل التشجيع الكبير من أمراء هذه الدولة ووزرائها للغة الفارسية ، جنباً إلى جنب مع اللغة العربية التي كانت بمثابة لغة العلم ، ونتج عن الاعتماد على اللغتين معا أن ازدهر الأدب العربي إضافة إلى الأدب الفارسي فظهرت نهضة أدبية مميزة على عهد السامانيين ، التي يمكن وصفها بالثنائية أو الازدواجية الأدبية ⁴ ، خاصة وأن أبرز الأدوار في بعث وإحياء اللغة الفارسية الحديثة ، المكتوبة بالحروف العربية يرجع فضله إلى السامانيين الذين اعتمدوها كلغة رسمية في بلاطهم في أغلب الأوقات ⁵.

ذلك أن الفارسية القديمة البهلوية كان الفرس قد عزفوا عن استعمالها في أعقاب إسلامهم ، لكن الدول المستقلة التي قامت بمنطقة المشرق الإسلامي قد سعت في سبيل بعثها وإحيائها ، فظهرت الفارسية الحديثة - الدرية -

¹ - السلمي : المصدر نفسه ، ص . 342 .

² - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 251 .

³ - السلمي : المصدر السابق ، ص . 404 - 405 .

⁴ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 251 - 252 .

⁵ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 467 ؛ بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 103 .

التي تكتب بالحروف العربية كنتيجة للاحتكاك مع العرب¹، وضمت الفارسية الحديثة الكثير من الألفاظ والمصطلحات العربية²، كما استخدم الفرس كذلك أوزان الشعر العربي وقوافيه وألّف كبار علماء الفرس على غرار " الفارابي " و " ابن سينا " و " البيروني " باللغة العربية ، وقد اعتبر " البيروني " بأن التأليف بالعربية أفضل من التأليف بالفارسية ، لكثرة ألفاظ العربية³.

وأرجع " الثامري " سبب اعتماد السامانيين على الفارسية الحديثة ، وتشجيعهم لها وجعلها لغة رسمية للدولة إلى رغبتهم في التعبير عن ذاتيتهم وحنينهم لتراثهم وأجداد ماضيهم العريق ، وليس شعوبية منهم⁴، خاصة وأن بلاطهم في بخارى قد كان يعج بالكتاب والأدباء العرب جنبا إلى جنب مع نظرائهم من الفرس⁵، ومما ساهم في حيوية النهضة الأدبية بهذه الدولة كذلك ، هو وفود عدد معتبر من أهل الأدب من مختلف المناطق الإسلامية إلى بخارى واستقرارهم بها⁶، ونتيجة للرعاية التي حظي بها أدباء العرب والفرس على السواء فقد ازدهرت الآداب العربية جنبا إلى جنب مع الآداب الفارسية التي بُعثت من جديد لكن بصبغة إسلامية محضة⁷.

ولا أدل على النهضة الأدبية التي شهدتها البلاد السامانية من كثرة المؤلفات النثرية الأدبية والعلمية في مختلف فروع العلم ، والتي تحتل مكانة راقية في تاريخ الحضارة الإسلامية ، من أمثلتها كتاب أصول الشاشي " لأبي علي الشاشي " (ت 344 هـ / 955 م) وهو كتاب في الفقه ، وكتاب تنبيه الغافلين " لأبي الليث السمرقندي " (ت 373 هـ / 983 م) في الأحكام والأخلاق والعبادات ، وكتاب ديوان الأدب " لأبي زكريا يحيى بن أحمد الفارابي " (350 هـ / 961 م) ، إضافة إلى غيرها من المؤلفات⁸.

كما ألّف الأدباء السامانيون في مختلف ألوان النثر الفني العربي ، على غرار الأحاديث والأمثال والحكم والرسائل والخطب والمناظرات والحكايات الأدبية والمواعظ والرسائل والتوقيعات⁹، وقد أملى بديع " الزمان الهمداني " أربع

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 307 .

² - بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 101 .

³ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 308 ؛ أشرف صالح : المرجع السابق ، ص . 7 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 93 .

⁵ - بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 103 .

⁶ - عدوان : المرجع السابق ، ص . 115 .

⁷ - Negmatov : op . cit , p . 97 .

⁸ - للمزيد عن هذه الأعمال ، أنظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 117 ومابعد) بصفحات .

⁹ - المرجع نفسه ، ص . 118 .

مئة مقامة من مقاماته في نيسابور سنة 382 هـ / 993 م¹ ، ويعطينا كتاب **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** للثعالبي النيسابوري نظرة واضحة على مدى ازدهار الأدب على العهد الساماني ، حيث ضم تراجم لعدد كبير من أدباء هذه الفترة ويمكن اعتبار هذا العمل موسوعة أدبية .

كما ألّف أديب يدعى " أبو غسان التميمي " كتابا أسماه **أدب النفس** وقدمه هدية للأمير " نصر بن أحمد " الساماني وموضوعه عن الأخلاق² ، كما يعتبر كتاب **مفاتيح العلوم** " للخوارزمي " الذي قدمه للوزير " العتبي " ³ بداية لظهور الموسوعات العامة ، كما يعتبر كتاب **لطائف المعارف** " للثعالبي " بداية للكتابات الموسوعية الأدبية⁴ .

أما **النشر الفارسي** في عهد السامانيين فقد سلك ثلاثة اتجاهات رئيسية ، الأول يهدف إلى إحياء أجداد الفرس القديمة ويتمثل في الشاهنامات والتي سأحدث عنها لاحقا ، والثاني ترجمة الكتب العربية إلى الفارسية على غرار ترجمة تاريخ " الطبري " من طرف الوزير الساماني " البلعمي " ، وكذلك الترجمة من الفارسية القديمة إلى الفارسية الحديثة مثل كتاب **ظفر نامه** الذي ترجمه " ابن سينا " ، والثالث يتمثل في التأليف مباشرة بالفارسية وقد بدأ النشر الفارسي بنص للوزير " أبي الطيب المصعبي " (ت 330 هـ / 942 م) في الحكمة والزهد ، ثم أخذ النشر الفارسي في الازدهار حتى بلغ أوجه على العهد الغزنوي ، ويُعتبر النشر الغزنوي امتدادا للنشر الساماني⁵ .

الشعر : _ لقد كان من نتائج النهضة الأدبية الكبيرة على العهد الساماني الازدهار الكبير للشعر ولا تزال الكثير من أبيات وقصائد شعراء هذه الفترة محفوظة إلى اليوم⁶ ، خاصة وأن المدن السامانية وبالأخص بخارى قد كانت مقصدا للشعراء وذوي الألباب الذين وفدوا عليها من مختلف المدن الإسلامية واستقرو بها⁷ ، فانطلقت من قصور

¹ - الثعالبي : يتيمة الدهر ... ، المصدر السابق ، ج . 4 ، ص . 294 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 118 .

³ - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 13 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 118 .

⁵ - المرجع نفسه ، ص . 124 وما بعدها بصفحات .

⁶ - Negmatov : op . cit , p . 97 .

⁷ - فاميري : المرجع السابق ، ص . 107 .

السامانيين أعذب القصائد باللغتين العربية والفارسية¹، ذلك أن السامانيين احتضنوا شعراء الفارسية والعربية على السواء، خاصة في ظل سعيهم الحثيث لجعل مدن خراسان وما وراء النهر حواضر علمية كبيرة².

وقد عرف الشعر العربي ازدهارا كبيرا في مدن خراسان وما وراء النهر، حيث حظي بتشجيع الأمراء وكبار رجال الدولة ورعايتهم³، واستعمل الشعراء الذين قرضوا قصائدهم بالعربية مختلف الأوزان الشعرية كالخفيف والبسيط والكامل⁴ وغيرها، وقد حفظ "الطحاوي" ذكر عدد كبير من شعراء هذه الفترة في الجزء الرابع من مؤلفه **يتيمة الدهر من محاسن أهل العصر**، وأهم الاتجاهات الشعرية التي سلكها الشعراء العرب، تتمثل في التبتل إلى الله تعالى، والزهد والمدائح النبوية وشعر المناقب والفضائل، والتغني بجمال البلدان والمدن كما اتخذ بعض الشعراء من شعرهم وسيلة للشكوى والتعبير عن السخط وعدم الرضا، وسلك البعض منهم تيار المجون⁵.

ولم يترك شعراء خراسان وما وراء النهر غرضا من أغراض الشعر إلا وطرقوه، كالغزل والوصف والثناء والفخر⁶ والمديح والهجاء والزهد⁷، ولأن الدولة السامانية كانت دائمة الجهاد ضد الترك الوثنيين في مناطق الثغور فقد برز تيار يتعلق بشعر الحماسة لاستتصاخ الجند وحثهم وتشجيعهم على الجهاد، ومن الأغراض الشعرية كذلك الحكمة وضرب الأمثال للناس⁸، وغيرها من أغراض فالشعر العربي على العهد الساماني كان مزدهرا وراقيا وبرع فيه الكثيرون.

أما **الشعر الفارسي** والذي كان قد بدأت ملامحه في الظهور قبل الفترة السامانية بقليل، من خلال عدد من قصائد المدح، أو ما يعرف بشعر البلاط مثل تلك القصيدة الفارسية التي قيلت في مدح "يعقوب بن الليث الصفار" في أعقاب انتصاره على الطاهريين في خراسان⁹، غير أن الازدهار الكبير للشعر الفارسي قد كان على العهد الساماني ببرز نخبة من شعراء الفرس العظام على غرار "الروذكي" و"الدقيقي" و"الفردوسي"¹⁰، حتى

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 467 .

² - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 256 - 257 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 94 .

⁴ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 257 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 95 وما بعدها بصفحات .

⁶ - المرجع نفسه ، ص . 99 .

⁷ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 257 .

⁸ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 102 وما بعدها بصفحات .

⁹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 259 - 260 .

¹⁰ -

أن " محمد عوفي " صاحب كتاب **لباب الألباب** قد ذكر ثمانية وعشرين شاعرا مدح أغلبهم الأمراء السامانيين بقصائد فارسية¹، وهذا يدل على مدى ازدهار الشعر الفارسي خلال هذه المرحلة .

وقد تعددت أغراض القصائد الشعرية الفارسية ومجالاتها خلال هذه الفترة ، فمنها ما قيل في المدح أو الهجاء أو الغزل بنوعيه البشري والصوفي² والثناء والوصف ، إضافة إلى الشعر القصصي الذي يعتبر " أبو عبد الله الرودكي " رائدا له من خلاله كتاب **كليلة ودمنة** ، الذي نظمه شعرا بأمر من الأمير الساماني " نصر بن أحمد " ، وقد جاء على وزن المثنوي³ ، ودعا " الرودكي " من خلال شعره إلى فلسفة في الحياة بعيدة عن الهم والغم يملأها السعادة والحبور ، وكانت أشعاره مستوحاة من النساء والغناء والخمر ، على الرغم من تحريم الإسلام لهذه الأمور⁴ .

وعرف العهد الساماني كذلك الشعر التعليمي كفن مهم من فنون الشعر الفارسي ، وهو يشمل كل شعر يهدف إلى التعليم بمعناه العام ، مركزا على الأخلاق ويتضح هذا الغرض في أشعار الكثيرين على غرار " الرودكي " ومعاصره الشاعر " أبو شكور البلخي " (ت 340 هـ / 950 م) في كتابه **آفرين نامه** أو كتاب الشكر الذي ضم خلاصة فكره وتجاربه⁵ ، ومن أشعار " الرودكي " الفارسية أيضا قصة عن السندباد والوزراء السبعة ، هذا وقد كانت قصائد شعراء الفرس مفرغة في الأوزان الشعرية العربية⁶ .

غير أن ما امتاز به الشعر الفارسي على الشعر العربي يتمثل في **شعر الملاحم** ، هذه الظاهرة الأدبية التي تظهر بظهور الروح والحماسة الوطنية ، وتتمحور حول قصص وحروب الملوك وسيرهم ، ويظهر في الغالب في الفترات التي يشهد فيها الشعور الوطني والوعي القومي ويرتبط بظهور النزعات القومية ، ولأنّ السامانيون من المتحمسين لفارسيتهم ، فقد ظهرت على عهدهم الأعمال التي تُعرف **بالشاهنامه** أو سير الملوك في النصف الأول من القرن الرابع هجري العاشر ميلادي⁷ ، وهي محاولات لجمع تواريخ الفرس وأبجادهم وبطولاتهم وقد ظهرت بدءا نثرية

¹ - الجمل : المرجع السابق ، ص . 467 - 468 .

² - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 261 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 112 - 113 .

⁴ - بروكلمان : تاريخ الشعوب ... ، المرجع السابق ، ص . 264 .

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 113 .

⁶ - بروكلمان : تاريخ الشعوب ... ، المرجع السابق ، ص . 264 .

⁷ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 262 .

مثل تلك التي كتبها " أبو المؤيد البلخي " و " أبو علي البلخي " و " أبو منصور الطوسي " قائد جيش خراسان على عهد " عبد الملك بن نوح " ¹.

أما الملحمة الشعرية الفارسية الكبيرة التي تعرف بالشاهنامه فقد شرع في تأليفها الشاعر " أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقي " امتثالا لأمر " نوح بن منصور " ²، وقد كان " الدقيقي " قد بدأ نشاطه الأدبي في بلاط حاكم الصغانيان الموالي للسامانيين ³، وشرع في إنجازها غير أنه قُتل قبل أن يتمكن من إكمالها بعد أن نظم حوالي ألف بيت منها حوالي سنة (370 هـ / 980 م) ⁴، وقُدِّر لهذه الملحمة أن تكتمل على يد أحد أعظم شعراء الفرس وهو " أبي القاسم الفردوسي " (ت 411 هـ / 1020 م) ، وبها ارتقى شعر الملاحم الفارسية إلى صف واحد مع ملاحم اليونان والرومان بل ربما تفوق عليهم ، وتُعتبر بمثابة كنز قوميا للفرس ⁵، واستغرق " الفردوسي " خمس وثلاثين سنة لإكمالها ، وأخرجها في ستين ألف بيت غير أن الموجود منها الآن أقل من اثنان وخمسون ألف بيت ⁶، رتَّب فيها أحداث التاريخ الفارسي ترتيبا كرونولوجيا ، وعرَّف فيها الفرس بتاريخهم وماضيهم البطولي وأبطالهم وملوكهم ، وقد خلّدت الشاهنامه ذكر " الفردوسي " بين كبار الشعراء العالميين ، وكانت سببا رئيسيا لتطور الأدب الفارسي ، ونظرا لمكانتها في تاريخ الأدب العالمي ، تُرجمت إلى عدة لغات ⁷ بهدف الاستفادة منها .

التاريخ : اهتم العلماء السامانيون بالدراسات التاريخية ، حيث برز عددا معتبرا من المؤرخين الذين قدّموا لنا عدة مؤلفات قيمة ، خاصة وأنّ الاهتمام بالتاريخ قد كان جليا من خلال إقدام بعض المؤلّعين به إلى جمع الكتب التاريخية في مكتبة خاصة ببيته ⁸، ونظرا للاهتمام الكبير بهذا العلم فقد ألّف " أبو زيد البلخي " كتابا في فضائله ¹، ومن المواضيع التاريخية التي حظيت باهتمام المؤرخين في الدولة السامانية ، السيرة النبوية والأنساب وفضائل

¹ - المرجع نفسه ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 110 - 111 .

² - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 111 .

³ - Negmatov : op . cit , p . 98 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 111 .

⁵ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 263 .

⁶ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 111 .

⁷ - Negmatov : op . cit , p . 98 .

⁸ - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 435 .

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 156 .

المدن والرجال ، فضلا عن كتب التاريخ العام وكتب التراجم والطبقات ، كما برز تيار من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الفرس القدماء خاصة في ظل التشجيع الكبير من أمراء الدولة السامانية والرعاية التي أحاطوهم بها ¹.

ومن أبرز المؤلفات التاريخية خلال هذه المرحلة كتاب **البدء والتاريخ** " للمطهر بن طاهر المقدسي " (ت 355 هـ / 965 م) الذي وضعه لأحد الوزراء السامانيين ²، إضافة إلى كتاب **تاريخ بخارى** " لأبي جعفر النرشخي " والذي كان هدية منه إلى الأمير الساماني " نوح بن نصر "، وقد ألفه بالعربية وترجم إلى الفارسية سنة (574 هـ / 1178 م) ، ومنها نقل إلى العربية مرة أخرى ، ذلك أن أصله العربي كان قد ضاع ³، ومنها كذلك كتاب **تاريخ نيسابور** في ثمانية أجزاء لصاحبه " أبي عبد الله الحاكم النيسابوري " (ت 405 هـ / 1014 م) ⁴، إضافة إلى كتاب **تاريخ جرجان** " لحمزة السهمي " (ت 427 هـ / 1035 م) ، والذي ذكر فيه تراجم العديد من العلماء منها تراجم لا توجد في غيره من المصادر ⁵.

هذا وقد ألف عدد من كبار رجال الدولة السامانية مؤلفات تاريخية على غرار كاتب الأمير " إسماعيل بن أحمد " صاحب كتاب **أخبار بلاد الترك** " عيسى بن محمد بن عيسى " (ت 298 هـ / 910 م) ، والذي جمع فيه وقائع " نوح بن أسد " مع الترك ⁶، كما ترجم الوزير " البلعمي " وبأمر من الأمير " منصور بن نوح " نفسه كتاب **تاريخ الطبري** إلى الفارسية ، واعتبر " بروكلمان " أن هذا العمل هو حجر الأساس في علم التاريخ عند الفرس ⁷.

وفي ترجمة الوزير " البلعمي " لتاريخ " الطبري " يبرز الاهتمام بتاريخ الفرس القدماء بشكل جلي ، من خلال إضافاته في هذا الصدد لما كان قد كتبه " الطبري "، حيث أضاف عدد من القصص عن الفرس القدماء وبطولاتهم وأمجادهم ¹. ومن أهم المؤلفات التاريخية التي برزت على العهد الساماني بهدف إحياء أجداد الفرس كتب

¹-الثامري : المرجع نفسه ، ص . 156 وما بعدها بصفحات .

²- إغناطيوس يوليانونفيتش كراتشكوفسكي : **تاريخ الأدب الجغرافي** ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1963 ، ق . 1 ، ص . 224 .

³- النرشخي : المصدر السابق ، ص . 5 - 6 .

⁴- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 550 .

⁵- السهمي : المصدر السابق ، ص . 26 .

⁶- الثامري : المرجع السابق ، ص . 158 .

⁷- بروكلمان : تاريخ الشعوب ...، المرجع السابق ، ص . 264 ؛

¹- الثامري : المرجع السابق ، ص . 164 .

-Negmatov : op . cit , p . 94.

الشاهنامة التي وضعها عدد من المؤرخين والشعراء ، وقد وردت نثرا وشعرا جُمع فيها قصص وأساطير عن تاريخ الفرس القدماء ، ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع نثرا نجد شاهنامة " أبو منصور الطوسي " سنة 346 هـ / 957 م وشاهنامة " أبي المؤيد البلخي " التي كانت سنة 352 هـ / 963 م ، ، كما كتب عدد من الشعراء الشاهنامة شعرا ، على غرار " أبي منصور الدقيقي " و " أبي القاسم الفردوسي " ، وقد اعتمد على الشاهنامة عدد كبير من المؤرخين في أعمالهم ¹ ، وكان التأليف في التاريخ يتم باللغتين العربية والفارسية الحديثة ² ، ويتضح مدى الازدهار في هذا المجال من خلال الكم المعتبر من المؤلفات التاريخية خلال هذه الفترة ³ .

الجغرافيا : يتضح الاهتمام بهذا العلم على العهد الساماني من خلال رعاية كبار رجال الدولة لعدد من الجغرافيين ، على غرار " أبو زيد البلخي " الذي كان في خدمة " إسماعيل بن أحمد " ببلخ ، أين وضع مصورا جغرافيا وجعله ذيلًا لأطلس إسلامي قديم ، وقد حظي " أبا زيد " بدعم كبير من الوزير " أبي عبد الله أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني " ⁴ ، واهتم هذا الوزير كذلك بالرحالة " أبي دلف الخزرجي " الذي قام بتدوين رحلته إلى الصين ، كما ألّف " أبو زيد " كتابا ورد ذكره بأسماء مختلفة صور الأقاليم أو أشكال البلاد أو تقويم البلدان وصف فيه بلاد الإسلام والمناطق المجاورة لها كالهند والصين والترك ⁵ ، وكان كتابه هذا مرجعا لعدد من الجغرافيين من بعده على غرار " المقدسي " ⁶ ، وقد ذكر " المقدسي " بأنه قد وجد عدة مؤلفات جغرافية بمكتبة القصر في العاصمة بخارى أثناء زيارته لها ⁷ .

وقد كان الوزير " الجيهاني " من بين أكبر الراعين والمشجعين والمهتمين بالدراسات الجغرافية ¹ ، حتى أنه ألّف بنفسه كتابا في الجغرافيا أسماه المسالك والممالك ² ، بناء على معلومات جمعها من الرحالة والتجار والغرباء ³ واعتمد عدد من الجغرافيين على كتاب " الجيهاني " في أعمالهم ، على غرار " ابن خردذابة " و " ابن حوقل "

¹ - الثامري : المرجع نفسه ، ص . 164 - 165 .

² - Negmatov : op . cit , p . 94 .

³ - للمزيد حول الأعمال التاريخية التي كُتبت خلال العهد الساماني ، أنظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 155 وما بعدها بصفحات .) .

⁴ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 294 ؛

⁵ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 165 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 4 .

⁷ - نفسه ، ص . 10 .

⁸ - كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ق . 1 ، ص . 219 .

² - الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 202 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 164 .

³ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 2 - 3 .

" وابن الوردى " و " قدامة ابن جعفر " و " المسعودى " و " الإدريسي " ¹ ، وقد ضاع أصل الكتاب الجغرافى الذى ألفه الجيهانى ² .

ومن أهم المؤلفات الجغرافية على العهد السامانى كذلك ، كتاب **حدود العالم** لجغرافى فارسى مجهول ، إضافة إلى كتاب " أبى مؤيد البلخى " الموسوم **بعجائب البلدان** ويحمل كذلك اسم **عجائب البر والبحر** وقد ألفه للأمير " نوح بن منصور " ، وكتاب **طبائع البلدان** " لجعفر بن محمد بن البلخى " (ت 272 هـ / 885 م) ³ ، وقد عرف الجغرافيون على العهد السامانى طرق رسم خرائط للعالم والمناطق المجاورة للبلاد السامانية ، وكانوا يرسمونها خصيصا لأمراء وحكام الدولة دون سواهم ⁴ ، وهذا يبين لنا مدى التطور الذى شهدته الجغرافيا خلال العهد السامانى ، والذى دفع بعدد من المؤرخين إلى القول بأن الجغرافية العربية عرفت أوج ازدهارها العلمى فى بلاط السامانيين ⁵ .

ثانيا - العلوم العقلية :

1- الفلسفة : لقد كانت الفلسفة من بين أهم العلوم التى حظيت باهتمام أهل خراسان وما وراء النهر فى العهد السامانى ، والفلسفة تُعرف بأنها محبة الحكمة ، وعلم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح ⁶ ، وجدير بالذكر أن موضوع الفلسفة فى ذلك الوقت كان أوسع من موضوعها اليوم ، فقد كانت تشمل عددا من العلوم المستقلة بذاتها حاليا ، على غرار المنطق والطبيعيات والكيميائيات والرياضيات والإلهيات وعلم النفس والاجتماع ¹ .

ومرّد شيوع هذا العلم وكثرة الاهتمام به ، هو النشاط الكبير لأصحاب المذاهب المختلفة الذين بذلوا جهدهم فى سبيل إثبات صحة آرائهم ودحض آراء غيرهم خاصة فى ظل كثرة المذاهب والأفكار والتيارات ، التى كانت

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 165 .

² - كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ق . 1 ، ص . 221 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 165 - 166 ؛ - Negmatov : op . cit , p . 94 .

⁴ - كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ق . 1 ، ص . 86 .

⁵ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، المرجع السابق ، ص . 265 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 294 .

⁶ - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 153 .

¹ - أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ، ج . 2 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2013 ، ص . 355 .

منتشرة بخراسان وما وراء النهر خلال تلك الفترة ، حيث أصبح لكل تيار نظريات محددة وعلماء ومفكرين يدافعون عن هذه النظريات ¹.

ومن بين أشهر الفرق المنتشرة بالأراضي السامانية ، الأشعرية ، الماتريدية ، الكرامية ، الظاهرية والملامتية ²، حتى أن بعض الفرق والمذاهب كانت آرائها سائدة في عدد من المدن والقرى بشكل كبير غير أن المذهب الأكثر انتشارا بالدولة كان هو المذهب الحنفي ³ ، إضافة إلى النشاط الكبير للمعتزلة والمتكلمين وما عرفته الأراضي السامانية من نقاشات وسجلات فكرية بين أصحاب هذه المذاهب والفرق ، الأمر الذي ساهم في ازدهار الفلسفة والتي عُرِفَت كذلك بعلم العقل نظرا لاعتمادها الكبير على التفكير العقلي ⁴ ، كما أن حركة الترجمة لكتب فلاسفة اليونان " كأرسطو " و " أفلاطون " التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك كانت من عوامل ازدهار الفلسفة ، خاصة في ظل التأثير الكبير لعدد من المفكرين المسلمين بآرائهما ومحاولتهم صيغ هذه الأفكار بالصيغة الإسلامية ⁵.

ويتجسد الاهتمام بالفلسفة من خلال تعليمها للأطفال في سن مبكرة ، مثلما حدث مع " ابن سينا " الذي تعلّم الفلسفة على يد " أبو عبد الله النائي " المتفلسف وهو حدث صغير ⁶، كما أقبل " أبو بكر الرازي " كذلك على تعلم الفلسفة وأخذ منها الكثير ⁷، وإلى جانب مجالس العلم التي كانت تعقد خصيصا لتدريس الفلسفة والبحث في قضاياها الشائكة ¹، فقد شهدت الأراضي السامانية تبادل المراسلات بين الفلاسفة والمفكرين ² فضلا عن المناظرات التي كانت تُعقد بينهم ³، هذا وقد كانت كتب الفلسفة منتشرة في أسواق الوراقين بالدولة السامانية ⁴.

1- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 245 .

2- الملامتية : هي طريقة تهم بكنمان الأعمال وعدم إظهارها ، حيث يمارس معتنقوها أعمالهم سرا ، ويقوم مذهبهم على مجاهدة النفس وإنكار الذات ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، هامش ص . 170 .) .

3- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 323 ؛ الحموي : معجم البلدان : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 275 .

4- الثامري : المرجع السابق ، ص . 169 وما بعدها بصفحات .

5- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 272 .

6- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 437 .

7- جمال الدين القفطي : تاريخ الحكماء ، طبعة ليبزيغ ، 1908 ، ص . 271 .

1- الثامري : المرجع السابق ، ص . 172 .

2- البيهقي : المصدر السابق ، ص . 81 - 82 .

3- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 271 .

4- الثامري : المرجع السابق ، ص . 173 .

وفي ظلّ هذا الجو المشجع على ازدهار الفلسفة ،برز على العهد الساماني عدد معتبر من أعظم فلاسفة المسلمين على غرار " أبي زيد أحمد بن سهل البلخي " (ت 327 هـ / 938 م) و " عبد الله بن أحمد الكعبي " (ت 317 هـ / 929 م) ، وكلاهما ينتسب إلى مدينة بلخ الخراسانية وقد ساهما مساهمة كبيرة في النهضة الفكرية الفلسفية التي شهدتها أراضي الدولة السامانية ¹ و " الكعبي " صاحب فرقة تُنسب إليه وهي الكعبية ، وهم جماعة من المعتزلة وكان يدعو إلى مذهبه ويُعلمه لأتباعه ، وله الكثير من الأقوال المُنكرة ².

وقد جمع " أحمد بن سهل البلخي " بين الفلسفة والعلوم الشرعية والأدب ، قال عنه " أبو حيان التوحيدي " :
 "... لم يتقدم له شبيه في العصر الأول ولا يُظن أنّ له نظير في مُستأنف الدهر ... " وقد تعلّم الفلسفة بالعراق ثم عاد لنشرها بخراسان ، وألّف نحو ستين كتابا منها **حدود الفلسفة** و**كتاب السياسة الكبير** و**كتاب السياسة الصغير** و**أخلاق الأمم** و**شرائع الأديان** ... وكانت تربطه صداقة مع " عبد الله بن أحمد الكعبي " ، ويُعتبر نبوغ " ابن سينا " في الفلسفة تنويجا لجهودهما الفلسفية بهذا الإقليم ³.

ومن أكبر الفلاسفة على العهد الساماني " محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي " الذي ينتسب إلى فاراب وهي إحدى مدن الترك الواقعة بما وراء النهر ، وقد شرح الكثير من الكتب الفلسفية وكشف أسرارها ⁴ ، حتى أنّ " ابن سينا " لم يتمكن من فهم كتاب لأرسطو وهو كتاب **ما وراء الطبيعة** الذي حفظه بعد أن قرأه أربعين مرة ولم يُدرك غرض مؤلفه ، إلا بعد أن اشترى كتابا " للفارابي " فيه شرح لغوامض هذا الكتاب ، وتصدّق " ابن سينا " على الفقراء بعد أن تمكّن أخيرا من فهمه ¹، وهذا يعطينا دلالة واضحة على مكانة " الفارابي " الكبيرة في الفلسفة .

وقام " الفارابي " بجمع ما كان قد ترجم من كتب اليونان منذ أيام " المأمون العباسي " بأمر من السامانيين ، وقد شرح وعلّق على بعضها ، وأطلق على أحد أعماله اسم **التعليم الثاني** ومنها أصبح يعرف **بالمعلم الثاني** وبقي هذا العمل محفوظا في مكتبة بخارى ، حيث استفاد منه " ابن سينا " وكان الأساس الذي اعتمد عليه في كتابه

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 274 .

² - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 5 ، ص . 80 .

³ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 218 - 219 .

⁴ - القفطي : المصدر السابق ، ص . 277 - 278 .

¹ - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 438 .

الشفاء¹ ، ومن أهم مؤلفات " الفارابي " آراء أهل المدينة الفاضلة ، كتاب شرح البرهان "لأرسطو طاليس " كتاب الرد على جالينوس كتاب الرد على الرازي وغيرها كثير² .

ومن أشهر فلاسفة العهد الساماني " ابن سينا " ، الذي وصفه " أحمد أمين " بدرة الدولة السامانية³ وقد وضع عدد من الكتب والمؤلفات في الفلسفة كان لها أثر فيمن جاء بعده⁴ ، منها كتب الشفاء ، الإشارات وكتاب النجاة ، التي أصبحت مراجع لكل راغب في تعلم الفلسفة الإسلامية⁵ ، واعتُبرت مؤلفات " ابن سينا " بأنها من أفضل الأعمال الفكرية خلال تلك الفترة⁶ ، وأصبح يُعرف بلقب المعلم الثالث بعد كل من " الفارابي " ⁷ الذي يعرف بالمعلم الثاني و " أرسطو " الذي حمل لقب المعلم الأول⁸ .

لقد كان " ابن سينا " يُجسد العبقرية الفلسفية في عصره ، فمكانته في هذا العلم وشهرته لم يبلغها أحد من فلاسفة المشرق على عهده⁹ ، وقد بذل جهدا كبيرا في سبيل التوفيق بين فلسفة كل من " أرسطو " و " أفلاطون " والإسلام¹⁰ ، الأمر الذي جر عليه نقد علماء الكلام خاصة الإمام " الغزالي " ، الذي أنكر على " ابن سينا " و " الفارابي " عدة أمور منها تفسيرهما لكيفية الخلق ، وقد ألّف " الغزالي " كتاب تهافت الفلاسفة وكتاب المنقذ من الضلال وحذّر من خالاهما الناس من الاشتغال بالفلسفة¹ .

وعاصر " ابن سينا " فيلسوفا آخر هو " أبو القاسم الكرماني " وجرّت بينهما مناقشات ومحاورات² ، كما برع " الرازي " بدوره في الفلسفة¹ وألّف فيها مجموعة من الكتب منها المدخل إلى المنطق، كما شرح مذهب "

¹ - ذكر أبو العلا أن الفارابي جمع هذه المؤلفات بأمر من منصور الثاني بن نوح ، وهذا غير صحيح ذلك أن الفارابي كان قد توفي سنة 339 هـ /

950 م ، أما منصور فلم يحكم إلا في سنة 387 هـ / 997 م وهو طفل صغير ، انظر (أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 276 - 277) .

² - للمزيد حول مؤلفات الفارابي الفلسفية وغير الفلسفية ، انظر (القفطي : المصدر السابق ، ص . 279 - 280) .

³ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ص . 219 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 179 .

⁵ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 220 .

⁶ -

- Negmatov : op . cit , p . 96 .

⁷ - علق أحمد أمين على أن الكندي هو من يعرف بالمعلم الثاني ، غير أن الفارابي أولى منه بهذا ، انظر (أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 2 ، ص . 358) .

⁸ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 277 .

⁹ - أحمد أمين : المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 220 .

¹⁰ - المرجع نفسه ، ج . 2 ، ص . 364 .

¹ - عبد المجيد بدوي : المرجع السابق ، ص . 52 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 173 .

أرسطو طاليس " في العلم الإلهي ...² ، ومن المؤلفات الفلسفية على العهد الساماني كذلك كتاب الرد على اللفظية وكتاب الأهواء والاختلاف " لمحمد بن أحمد بن حفص البخاري " (ت 264 هـ / 877 م) ، وكتاب الكفاية في الكلام " لمحمد بن عمران القزويني " وغيرها³ .

فالفلسفة كانت من أكثر العلوم ازدهارا في الدولة السامانية ، هذا ما يظهر جليا من خلال العدد الكبير من الفلاسفة الذين برزوا على عهد هذه الدولة ، ومن خلال مؤلفاتهم الكثيرة والتي تعد مراجع أساسية لهذا العلم كما أن أسماء مثل " أبو سهل البلخي " " الفارابي " " الرازي " و " ابن سينا " ... لا تزال تحظى باحترام المفكرين في العالم أجمع ، وهذا مُقابل ما قدّموه للفكر البشري من إضافات ، فمكانتهم في هذا العلم لا يمكن لأي شخص أن يُنكرها أو يُقلل منها .

2- الطب والصيدلة : لقد شهد علم الطب تطورا كبيرا في الولايات الشرقية للخلافة العباسية قبيل العهد الساماني ، حيث أنّ هذه المناطق قد عرفت باكرا الطب اليوناني والهندي واطلعت عليه ، وبرز عدة أطباء خلّفوا مؤلفات قيمة في هذا الميدان على غرار **فردوس الحكمة** ، للطبيب " علي بن ربن الطبري " (ت236 هـ / 850م) والذي يعتبر معلم الرازي في الطب⁴ ، وكان معاصرا للطبيب " إسحاق بن حنين " ⁵ كما انتشرت بالمنطقة البيمارستانات وأهمها جند يسابور¹ ، الذي بقيت شهرته في الطب حتى القرن الثالث هجري التاسع ميلادي² .

أما على العهد الساماني فقد شهد هذا العلم قفزة نوعية ، وأصبحت عدة مناطق سامانية على غرار خراسان مراكز علمية ذائعة الصيت في هذا المجال وبرز بها عدد كبير من الأطباء³ ، وقد كان الطب يدرس في المدارس

¹ - ابن جليل : المصدر السابق ، ص . 77 .

² - القفطي : المصدر السابق ، ص . 271 وما بعدها بصفحات .

³ - للزمزيد حول المؤلفات الفلسفية على العهد الساماني ، انظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 171 وما بعدها بصفحات .) .

⁴ - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 414 .

⁵ - توفي سنة 298 هـ صاحب أقدم نص في المشرق الإسلامي حول تاريخ الأطباء ، انظر (اسحاق بن حنين : تاريخ الأطباء والفلاسفة ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط . 2 ، 1405 هـ / 1985 م ، مقدمة المحقق ص . 141 .) .

⁶ - البيمارستان : كلمة فارسية من جزئين بيمار بمعنى مريض أو مصاب وستان بمعنى مكان أو دار فهي إذن تعني دار المرضى ، ثم اختصرت فصارت مارستان ، أما جند يسابور فهي مدينة بخوزستان ظهر بها البيمارستان قبل ثلاثة قرون من ظهور الإسلام ، انظر (أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم ، القاهرة مصر ، 2012 ، ص . 7 و ص . 41 .) .

² - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 280 - 281 .

⁸ - أبو العلا : المرجع نفسه ، ص . 283 ؛ - Negmatov : op . cit , p . 95 .

والمساجد والبيمارستانات ، التي إضافة إلى مهمتها في معالجة المرضى كانت كذلك معاهد علمية لتعليم الطب¹ وشهدت المناطق السامانية انتشارا للبيمارستانات على غرار نيسابور² وبخارى³ وسمرقند والري أصفهان ، وكانت البيمارستانات تحتوي على خزائن للأدوية والطعام ، وحديقة لزراعة الخضر والحبوب ، ويُنفق عليه وعلى عماله من أوقاف خاصة به⁴ ، وقد كان " أبو بكر الرازي " هو من يتولى تدبير أمور بيمارستان الري⁵ ، وقصده الكثير من التلاميذ لتعلم الطب منه⁶ ، وحظي الأطباء بالتبجيل والرعاية من أمراء الدولة⁷ ، ومنهم من كان من ندماء الأمير ومقربيه⁸ .

ونظرا لكثرة إقبال الدارسين على هذا العلم واتساع حركة تعليمه ، فقد كانت الكتب الطبية متوفرة لطالبيها⁹ وكان أطباء العهد الساماني على دراية بالطب السريري ، والتشريح وإجراء التجارب على الحيوانات ، والاعتماد على التحاليل الطبية للتأكد من وجود الأمراض ، كما عرفوا منافع أنواع الطعام وتأثيراتها السلبية ، وأهمية الطعام في العلاج ، وأثر المناخ على صحة الإنسان والعلاج بواسطة المياه المعدنية ، كما أن " بن سينا " خلال هذا العهد كان مهتما بالعلاج النفسي إضافة إلى كل ما سبق ذكره¹⁰ .

وكان من أهم نتائج ازدهار الطب على العهد الساماني ووفرة المستشفيات ، فضلا عن شيوع المعالجة المجانية للفقراء والمعسرين ، أن خلت عدة مدن سامانية من بعض الأمراض التي كانت منتشرة خلال تلك الفترة ، على غرار مرض الجذام¹ ، وحتى في حالة وجود أمراض بعدد من المدن السامانية فقد كانت قليلة² ، كما تعبر المؤلفات الكثيرة لعدد من أطباء هذه الفترة عن مدى الازدهار الذي شهده الطب على عهد السامانيين .

1- أحمد عيسى : المرجع السابق ، ص . 6 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 178 .

2- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 300 .

3- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 416 .

4- الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 372 .

5- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 416 .

6- ابن خلكان : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 158 .

7- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 339 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه . ص . 423 .

8- نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 164 .

9- الثامري : المرجع السابق ، ص . 180 .

10- المرجع نفسه ، ص . 180 - 181 ؛

1- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 323 .

2- الثامري : المرجع السابق ، ص . 178 .

ومن أشهر مؤلفات هذه الفترة كُتِبَ الطبيب " أبي سهل المسيحي " المشهور بخراسان ، ومنها كتاب **المائة** وكتاب **آخر في النفس** ، أما الطبيب البخاري " أبا بكر الأخويني " فوضع كتابا تحدّث فيه عن تأثير **فصول السنة على أمزجة الناس** ، أما الطبيب " أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو النيسابوري " (ت 420 هـ / 1029 م) ، فخلّف عدة رسائل ومؤلفات في الطب منها **أنموذج الحكمة والمفتاح والرسالة المشرقية** وكتاب **النفس** ، ومن المؤلفات أيضا كتاب **الطب** " للحافظ أبي نعيم الأصبهاني " ، فضلا عن عدة رسائل "للحسن القطان المروزي" و**شروحات** " أبو سهل النيلي النيسابوري " ، والطبيب " أبو القاسم عبد الرحمان بن علي بن أحمد " لمسائل حنين الطيبة ، وكذلك **لفصول** " بقراط " ¹.

ويُعتبر تواجد الطبيبان الشهيران " أبي بكر الرازي " (ت 311 هـ / 923 م) ، و " ابن سينا " (ت 428 هـ / 1036 م) من أكبر الدلائل على ازدهار الطب على العهد الساماني ، حيث أتمّهما يعتبران من أعظم أطباء البشرية ، " فأبو بكر الرازي " الذي أقبل على تعلم الطب بعد أن جاوز الأربعين من عمره حتى صار إمام زمانه في الطب ولقّب بجالينوس العرب ، قد قدّم إضافات كبيرة في الطب وله عدة مؤلفات في هذا المجال منها كتاب **الحاوي والجامع والطب الروحاني والأعصاب** ، و**المنصوري** الذي أهداه لوالي السامانيين على الري " منصور بن إسحاق الساماني " ².

كما أنّ " الرازي " قد خلف مؤلفات مختصة بأمراض بعينها ككتابه عن **الجدري والحصبة** والذي قدّم فيه أول تعريف صحيح للفرق بين الجدري والحصبة ، إضافة إلى كتاب تطرق فيه إلى موضوع **الحصى في الكلى والمثانة** ¹، وتمكّن الرازي من معالجة الأمير "منصور بن نوح الساماني" من علة استعصت على عدد من الأطباء ².

ويُعتبر " الرازي " أول من استخدم مركبات الرصاص لصنع المراهم ، ونبّه إلى ضرورة فحص القلب والنبض والتنفس أثناء الكشف على المريض ، واستخدم خيوطا مصنوعة من أمعاء الحيوان في خياطة الأنسجة أثناء العمليات الجراحية ، واستخدم الجبس في تجبير الكسور ، إضافة إلى تجاربه الطبية على الحيوانات ¹.

¹ - المرجع نفسه ، ص . 179 - 180 .

² - ابن جلجل ، سليمان بن حسان الأندلسي (ألف 377 هـ) : **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط . 2 ، 1405 هـ / 1985 م ، ص . 77 ؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ، ص . 414 وما بعدها بصفحات ؛ أبو العلا: المرجع السابق ، ص . 284 - 285 .

¹ - ابن جلجل : المصدر نفسه ، ص . 77 - 78 ؛ أبو العلا : المرجع نفسه .

² - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ، ص . 418 .

أما " أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا " (370 - 428 هـ / 980 - 1037 م) والذي يعتبر من أكثر الأطباء المسلمين شهرة عبر التاريخ ، ولقب هذا الفيلسوف والطبيب بلقب الشيخ الرئيس ، فقد برع في الطب منذ صباه وأصبح مقصدا للراغبين في تعلمه ، ونتيجة لشهرته فقد طلبه " نوح بن منصور " لكي يعالجه من مرض أصابه ، وأصبح من المقربين في البلاط الساماني حتى عُرض عليه منصب الوزارة² ، ومن أشهر مؤلفاته **القانون في الطب** الذي أصبح إنجيل الطب في العصور الوسطى في أوروبا التي بقيت تعمل به لقرون³ ، ومن مؤلفاته القيمة كذلك كتاب **الشفاء** الذي حظي باهتمام كبير من طلبة الطب على عهده⁴.

ويعتبر " ابن سينا " أول من توصل إلى الطب النفسي وربط بين أمراض المعدة وبعض الأمراض العضوية ، وتوصل أيضا إلى حقيقة الدورة الدموية ، ويُعتبر مكتشف مرض الأنكلستوما ، كما قام بجراحات لعلاج عدد من الأمراض الخبيثة ، وأثبت بأن اكتشاف المرض في أوله يساعد بشكل كبير على معالجته⁵.

وإلى جانب هذين العلمين فقد اشتهر عدة أطباء على العهد الساماني نذكر منهم " أبي الخير الحسن بن بابا بن سوار " الملقب ببقرط الثاني ، و " أبي القاسم عبد الرحمان بن علي بن أبي صادق النيسابوري " وهو أحد تلامذة "ابن سينا " و " أبو حاتم البستي " و " أبو نصر " الطبيب السمرقندي و " أبو القاسم طاهر بن أحمد بن محمد النيسابوري " (ت 357 هـ / 967 م) ، و " أبو العباس احمد بن محمد المروزي " وغيرهم كثير⁶.

وإلى جانب الطبّ فقد عرف الطب البيطري الذي يُعنى بمعالجة الحيوانات ازدهارا هو الآخر بدوره¹ ، كما شهدت **الصيدلة** ازدهارا موازاة مع تطور الطب واختص عدد من الصيادلة ببيع الأدوية والعقاقير² ، وتركيبها³ وقد تمكّن " الرازي " من ابتكار العديد من الأدوية التي لم يسبقه إليها أحد ، وقد أفرد بابا في كتابه **الحاوي** للحدّث عنها⁴ ، ومن أشهر المؤلفات في الصيدلة على العهد الساماني كتاب **الأبنية في حقائق الأدوية** " لأبي

1- الفقي: الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 363 .

2- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه ، ص . 436 وما بعدها بصفحات؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 179 .

3- أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 289 ؛

4- الثامري : المرجع السابق ، ص . 179 .

5- الفقي: الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 368 .

6- للمزيد حول الأطباء على العهد الساماني ، انظر (الثامري : المرجع نفسه ، ص . 177 .) .

1- المرجع نفسه ، ص . 181 .

2- السمعاني : المصدر السابق ، ج . 3 ، ص . 358 .

3- الثامري : المرجع السابق ، ص . 181 .

4- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 416 .

منصور الهروي " الذي ألفه سنة 361 هـ / 971 م ¹، كما ضم كتاب الصيدنة " للبيروني " الكثير من الوصفات العلاجية المعدنية الحيوانية والنباتية وغيرها ²، كما أورد " الخوارزمي " العديد من أنواع الأدوية المفردة والمركبة التي تداولها الناس على العهد الساماني وخصص لها فصولا في كتابه **مفاتيح العلوم** ³، كما بدأ " ابن سينا " كتابه **القانون في الطب** بدراسة مستفيضة عن الأدوية ⁴.

3- الكيمياء : وعرفت أيضا باسم الحكمة والصنعة وأصل تسميتها عربي ⁵، هي من العلوم التي ازدهرت على العهد الساماني ، ولا أدل على هذا الازدهار من كثرة العاملين بوظائف ومهن لها اتصال وثيق بالكيمياء ، على غرار صناعة الصابون ⁶ والملح والنوشادر ⁷ والزئبق ⁸ والحديد والفولاذ والنحاس ⁹ والتعدين ¹⁰ والزاج والكبريت كما أن صناعة العطور من الصناعات الكيميائية حيث تعتمد أساسا على التقطير وهو وضع الورد مثلا في إناء وإيقاد النار تحته فيصعد مائه ويتم بذلك تجميعه ².

هذا وقد أحصى " الثامري " عددا كبيرا من المهن التي تعتمد على الكيمياء ، والتي كثر ممتنها على العهد الساماني ³، ونظرا للاهتمام الكبير بهذا العلم فقد أورد " الخوارزمي " الباب التاسع من كتابه **مفاتيح العلوم** للكيمياء ، حيث تحدّث فيه عن كثير من الأمور المتعلقة بهذا العلم ⁴، كما تمكن " الرازي " من استخراج

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 182 .

² - للمزيد أنظر ، الثامري : المرجع نفسه .

³ - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 194 وما بعدها بصفحات .

⁴ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 368 .

⁵ - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 277 .

⁶ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 324 .

⁷ - عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (ت 429 هـ) : **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، د . ت ، ص . 543 .

⁸ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 326 ؛ الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص . 277 .

⁹ - المقدسي : المصدر نفسه ، ص . 325 ؛ الحموي : المصدر نفسه ، ج 1 ، ص . 172 .

¹⁰ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 183 - 184 .

¹ - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 324 .

² - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 283 .

³ - للمزيد حول هذه المهن ، أنظر (الثامري : المرجع السابق ، ص . 183 وما بعدها بصفحات) .

⁴ - الخوارزمي : المصدر نفسه ، ص . 277 وما بعدها بصفحات .

الكحول من المواد النشوية والسكرية المتخمرة واستخدامها لتحضير بعض الأدوية ، كما يُعتبر أول من اكتشف حامض الكبريت وسمه زيت الزاج أو الزاج الأخضر¹.

ذلك أن " الرازي " كان من المهتمين بالكيمياء بحثاً وتأليفاً²، ومن مؤلفاته كتاب سر الأسرار الذي وصف فيه منهجه في البحث وطريقته في التجربة ، والأدوات والأجهزة التي يعتمد عليها ، ثم عرض الطرق الموصلة إلى النتائج المطلوبة المبنية على ملاحظاته الشخصية³، كما خاض في هذا العلم كذلك " أبا زيد البلخي " الذي تطرق إلى الذهب والخصائص التي تحول دون تغييره عكس باقي المعادن⁴، وهناك أيضاً كتاب الجماهر في معرفة الجواهر " للبيروني " الذي أورد فيه معلومات دقيقة عن خمسين نوع من أنواع المعادن⁵، وكتاب الشفاء " لابن سينا " وورد فيهما تكذيب لما قيل عن وجود إمكانية لتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة⁶.

ونظراً للعلاقة الوطيدة التي كانت بين " الرازي " وأمير الري الساماني " منصور بن إسحاق " (290 – 296 هـ / 902 – 908 م) ، فقد طلب هذا الأخير من " أبو بكر الرازي " إجراء عدد من التجارب الكيميائية أمامه وسهّل له الحصول على المواد اللازمة لتجاربه¹، وهذا يعكس اهتمام كبار رجال الدولة بهذا العلم .

4 - علم الفلك : حظي علم الفلك باهتمام كبير من المسلمين لما له من تأثير على حياتهم الدينية حيث أنه يتطرق لمسائل مهمة في هذا الشأن ، كتحديد القبلة لأداء الصلوات الخمس والتحديد الدقيق لأوقات الصلاة ودوره في رؤية الهلال لتحديد بداية ونهاية الشهور القمرية ، ومن خلاله كذلك يتم التعرف على أماكن النجوم في السماء لتحديد الإتجاه في البر والبحر ، الأمر الذي يساعد المسافرين ، الرحالة والتجار².

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 183 ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 392 .

² - ابن جلجل : المصدر السابق ، ص . 77 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 183 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 291 .

⁴ - عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (ت 429 هـ) : الإقتباس من القرآن الكريم ، تحقيق إيتسام مرهون الصفار ومجاهد مصطفى بيجت ، ج. 2 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، ط . 1 ، 1412 هـ / 1992 م ، ص . 229 – 230 .

⁵ - Negmatov : op . cit , p . 97 .

⁶ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 183 .

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 291 .

⁸ - ريجيس مورلون : مقال بداية علم الفلك العربي في بغداد في القرن التاسع ، منشور في كتاب التفاعل العلمي بين الثقافات ، ترجمة فريق الدراسة والبحث في التراث العلمي العربي ، منشورات اللجنة الوطنية اللبنانية للأونيسكو ، بيروت 2007 ، ص . 6 – 7 .

ولذلك فقد شهدت الأراضي السامانية عديد المتفوقين في هذا العلم خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي كان منهم حتى بعض الأمراء على غرار أمير خوارزم " أبو نصر منصور بن عراق " (ت 425 هـ / 1033 م) وقد كان " البيروني " من جملة تلامذته ويعود له الفضل في تصحيح الكثير من أخطاء الفلكيين على عصره ، من خلال رسائل كتبها خصيصا لهذا الغرض منها تصحيحه لكتاب " إبراهيم بن سنان " في اختلاف الكواكب ¹.

وذكر " القزويني " أن " ابن سينا " أورد بأنّ جسما غريبا ، يتمثل في قطعة حديد كبيرة سقطت من الفضاء على عهده ، فأقام عليه عدد من العلماء دراساتهم وعرفوا خصائصه ²، كما أن الفلكيين والمنجمين قد كانت لهم مكانة خاصة لدى الأمراء السامانيين وكانوا مقربين منهم فقد كان من بين ندماء الأمير عدد من المنجمين ³ الأمر الذي ساعد كذلك على ازدهار هذا العلم ، وتمكن " الخجندی الفلكي " (ت 390 هـ / 1000 م) من إقامة إحدى المراصد الفلكية بالري لدراسة أحوال الشمس ⁴.

وأورد " الخوارزمي " الكثير من أنواع الآلات التي استخدمها الفلكيون والمنجمون ، على غرار الإصطرلاب أو مقياس النجوم وذكر العديد من أنواعه كالهلال من الهلال ، والكري من الكرة ، والمسرطن والصدفي والزورقي والمبسط وغيرها ، ومن الآلات كذلك العضادة وهي شبه مسطرة لها شظيتان يؤخذ بها إرتفاع الشمس والكواكب ، ومن الآلات كذلك الكرة وبها تعرف هيئة الفلك وصورة الكواكب وتسمى أيضا البيضة وغيرها ¹.

هذا ويعتبر " البيروني " من أكبر المهتمين بعلم الفلك على العهد الساماني ، حتى أنّه كان أبرع معاصريه في هذا العلم ²، وخلف فيه الكثير من المؤلفات بلغت حوالي خمسة وثلاثين كتاب ³ ، من أهمها كتاب مقاليد الهيئة كتاب تسطيح الكرة كتاب العمل بالإصطرلاب وكتاب التفهيم في صناعة التنجيم وكتاب القانون المسعودي الذي ألفه " لمسعود بن محمود بن سبكتكين " ⁴... ، ويحتوي كتابه الأخير بشكل موجز بحمل علم

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 191 .

² - زكرياء بن محمد بن محمود القزويني (ت 682 هـ) : عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، ط. 1 ، 1421 هـ / 2000 م ، ص . 178 .

³ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 164 .

⁴ - ريجيس مولون : مقال مقدمة في علم الفلك ، منشور في موسوعة العلوم العربية ، ج. 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط . 2 ، 2005 ، ص . 37 ، الثامري : المرجع السابق ، ص . 193 .

¹ - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 253 وما بعدها بصفحات .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 191 .

³ - المرجع نفسه .

⁸ - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 459 ؛ - Negmatov : op . cit , p . 95 .

الفلك¹، وحتى إن كان هذا الكتاب قد أُلّف على العهد الغزنوي، إلا أنه يعطينا دلالة واضحة على أنّ الاهتمام بعلم الفلك على العهد السابق للغزنويين أي عهد السامانيين قد كان كبيرا، خاصة وأن " البيروني " عاش جزءا من حياته على عهدهم .

وقد كان " للبيروني " قصب السبق في كثير من الأمور المتعلقة بعلم الفلك، فقد أعلن أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وتدور حول محورها كما ضبط أبعاد خطوط الطول والعرض، فضلا عن آرائه في توزيع البحار وإحاطتها بالأرض، كما سبق علماء عصره بالقول أن وادي السند كان قعر بحر².

ومن أهم المؤلفات في هذا العلم على العهد الساماني، كتاب ذكر الأحوال في شعبان ورمضان وشوال لصاحبه " أبو نصر سهل بن المرزبان " ³، و " أبو جعفر عبد الرحمان الخازن " الذي أُلّف كتاب سر العالمين وهو مفقود حاليا، وتُعد أعماله أساسا اعتمد عليه من جاؤوا بعده، وقد اهتم كثيرا بدراسة حركة الشمس⁴، وله كتاب زيج¹ الصفائح وجدير بالذكر أنه بُعث كرسول من قبل السامانيين في حربهم مع البويهيين²، و " أبو الحسن علي بن أحمد النسوي " (ت 422 هـ / 1030 م) الذي أُلّف كتاب الزيج الفاخر، إضافة إلى " أبو الوفاء البوزجاني " الذي وضع أحد الأزياج المهمة³.

5- الرياضيات والهندسة : لقد شهدت الرياضيات بدورها ازدهارا ملحوظا على العهد الساماني، خاصة وأتته قبيل بداية حكمهم، كان قد ظهر بالمنطقة عالم كبير برز اسمه في هذا العلم كثيرا وهو " محمد بن موسى الخوارزمي " (ت 232 هـ / 846 م)⁴، الذي أُلّف كتابا في الجبر وألحقه بمؤلفين آخرين هما الحساب الهندي وكتاب الجمع والتفريق وقد ضاع أصل هذين الكتابين⁵، وكان هذا العالم الذي عاش فترة من حياته بخراسان

¹ - أشرف صالح محمد سيد : الآثار الباقية عن البيروني، دار النشر الإلكتروني القاهرة، ط. 1، 2007، ص. 16 .

² - المرجع نفسه، ص. 17 .

³ - الثعالبي : بتيمة الدهر ... ، المصدر السابق، ج. 4، ص. 452 - 453 .

⁴ - ريجيس مورلون : مقدمة في علم الفلك، المرجع السابق، ص. 83 - 84 .

⁵ - الزيج وجمعه أزياج هو جدول يحتوي كل ما يخص الكواكب من سرعة وبطء واستقامة، ونحو ذلك مما هو ضروري لمعرفة مواضع الكواكب في أفلاكها في أي وقت، انظر (الثامري : المرجع السابق، هامش ص. 191 .) .

² - ابن الأثير : الكامل ...، الصدر السابق، ج. 7، ص. 246 .

³ - الثامري : المرجع السابق، ص. 191 .

⁸ - أبو العلا : المرجع السابق، ص. 291 ؛

⁹ - أندريه آلاز : مقال تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى، موسوعة تاريخ العلوم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. 2، 2005، ج. 2، ص. 672 .

أول من وضع منازل الأعداد والصفير، وهو ما عُرف في الإسبانية ب (guarismo) وفي الإنجليزية ب (algorism)¹، وبذلك يكون قد ترك تراثا كبيرا في هذا العلم بالمنطقة .

وكانت الرياضيات محط اهتمام بين الناس ، وتظهر مكانتها في كثرة المشتغلين بالحساب ومن حمل لقب الحاسب "أبي سعد محمد بن عبد الله الحاسب" (ت 386 هـ / 996 م)²، و" محمد بن عبد الله بن محمد الحسّاب القهستاني" (ت 357 هـ / 967 م)³، و" أبي بكر أحمد الهمذاني الفلكي الحاسب" ، كما اشتغل بهذا العلم حتى بعض الفقهاء ، وقد استهوى هذا العلم الكثيرين على العهد الساماني⁴.

وكانت نيسابور مقصدا للراغبين في دراسة طرق الحساب ، بهدف تولي منصب الاستيفاء⁵، وقد يكون هذا بسبب براءة الأساتذة والمعلمين بها ، ومن أشهر علماء الرياضيات بخراسان على العهد الساماني " أبو الوفاء محمد بن محمد البوزجاني" (328 - 388 هـ / 939 - 998 م) ، الذي خلف عديد المؤلفات منها ما يحتاج إليه العمال والكتّاب من صناعة الحساب ، وقد جاء الكتاب في سبعة أبواب تطرق في كل واحد منها إلى موضوع حسابي معين كالنسبة والضرب والقسمة والمساحة وغيرها، كما قام بتفسير كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة¹.

ومن مؤلفاته في الرياضيات كذلك المنازل السبع ، أصلح فيه الأخطاء التي يقع فيها الحسّاب وجعله أشبه بجداول كي تعين الحاسب في عملياته وتيسر له مهمته ، ربحا للجهد والوقت كما ألّف كذلك كتاب المفاضلة في الحساب²، وتعلم " ابن سينا" الرياضيات والهندسة في صباه على يد شخص كان يبيع البقول³، وبرع فيها وألّف فيها رسالة بعنوان مختصر إقليدس⁴، كما كان " البيروني" بدوره عالما شهيرا في الرياضيات⁵، وقد

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 291 .

² - السمعاني : المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 152 .

³ - المصدر نفسه ، ج . 4 ، ص . 564 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 187 .

⁵ - ابن خلكان : المصدر السابق ، مج . 3 ، ص . 206 .

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 293 .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 188 .

³ - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 437 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص . 440 .

⁵ - أشرف صالح محمد سيد : المرجع السابق ، ص . 13 .

توصّل إلى تقدير الوزن النوعي بدقة كما توصل إلى الرقم العشري الرابع¹، فكبار العلماء على العهد الساماني قد كان لهم اهتمام كبير بهذا العلم وتوصّلوا فيه إلى الكثير من القضايا التي لم يسبقهم إليها غيرهم .

كما كانت الهندسة أو علم المساحة² رائجة على العهد الساماني ، ومن مشاهيرها عالم الرياضيات ، " أبو الوفاء البوزجاني " الذي يُعتبر أحد الأعلام المشاهير في علم الهندسة ، وله فيها انجازات غير مسبوقة فقد من حلّ عديد مسائلها المستعصية³ ، حيث تطرق في مؤلفاته القيمة إلى أصول الرسم الهندسي باستخدام الآلات ومهّد بذلك إلى ظهور الهندسة التحليلية⁴ .

كما أن " أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الأنصاري القشيري " عالم الهندسة الذي يرجع أصله إلى طليطلة من بلاد الأندلس ، قد رحل إلى ما وراء النهر وتوفي بسمرقند⁵ ، كما تعلم " ابن سينا " الهندسة على يد شخص يدعى " محمود المسّاح "، كان ضليعا في هذا العلم إلى جانب معرفته بالحساب الجبر والمقابلة⁶ .

ومن أهم المؤلفات المتعلقة بالهندسة على العهد الساماني ، كتاب " أبو الحسن علي بن أحمد النسوي " (422 هـ / 1030 م) **التجريد في الهندسة** ، كما خلّف " أبو زيد النوقاني " تصانيف كثيرة في المساحة والحساب وعرف المهندسون على العهد الساماني تقنية المُجسّمات التوضيحية ، التي تكون كنماذج مصغرة للمشاريع التي يعملون عليها¹ ، وقد اشتهر أهل مدينة زرنج ببراعتهم في الهندسة² ، وكان كتاب " إقليدس " في الهندسة (ت 270 ق . م) الذي ترجم إلى العربية أحد المصادر الرئيسة للمهتمين بهذا العلم³ .

وتمكن نفر من الصُّنّاع المهرة من استغلال التطور العلمي ، واستطاعوا إنجاز عدد من الصناعات الدقيقة ، وهذا من خلال تطبيق الأفكار والنظريات العلمية المُتوصل إليها وتجسيدها على أرض الواقع ، فتمكنوا من صناعة

¹ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 384 .

² - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 225 .

³ - ابن خلكان : المصدر السابق ، مج . 5 ، ص . 167 ؛ - Negmatov : op . cit , p . 95 .

⁴ - الفقي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص . 385 .

⁵ - الحموي : معجم البلدان .. ، المصدر السابق ، مج . 4 ، ص . 352 .

⁶ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 189 .

¹ - المرجع نفسه ، ص . 189 - 190 .

² - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 305 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 189 .

الموازين والقرسطونات¹، والعتاد الحربي كالمجنقات والعرادات والدبابات، كما برعوا في إقامة السدود ومقاسيم المياه والأرحية والطواحين، وعلى العهد الساماني برز " أبي نصر إسماعيل بن أحمد الفارابي " المئوفى بين (393 - 400 هـ / 1002 - 1009 م)، الذي فكر في الطيران ومات أثناء محاولته القيام بذلك².

إذن ففي ظل الحكم الساماني نشطت الحركة العلمية بشكل كبير في مختلف جوانب العلم والثقافة، خاصة في ظل الرعاية الكبيرة التي أولاها أمراء هذه الدولة للعلم وأهله، مما أدى لبروز عدد كبير من العلماء المفكرين والأدباء حتى أنّ المدن السامانية تحولت على عهدهم إلى مصادر إشعاع ثقافي، وأصبحت مقصدا لطلبة العلم من كل حذب وصوب، هذا عن مختلف العلوم فكيف كان حال الفن بالدولة السامانية؟.

¹ - القرسطونات : نوع من الموازين الدقيقة التي تستعمل لوزن الدراهم، انظر (الثامري : المرجع السابق، هامش ص . 186).

² - المرجع نفسه، ص . 186 - 187 .

المبحث الرابع : في مجال الفن والموسيقى .

لقد شهدت مختلف المناطق والأقاليم التي خضعت لحكم الدولة السامانية ، وما صحب هذا الحكم من عدل وأمن واستقرار على صعيد الأوضاع الداخلية ، شهدت ازدهارا في مختلف جوانب ومجالات الحياة الفكرية والثقافية بما فيها مجال الفن بمختلف فروع ، حيث ساهمت الأوضاع السابقة في بروز روح الإبداع والابتكار لدى الصناع والحرفيين والفنانين على اختلاف ميولاتهم في الدولة السامانية .

أولا - في مجال الفن :

لقد أثر المسلمون الفاتحون في أهل المناطق التي وصلوا إليها وتأثروا بهم كذلك ، فأخذوا بدورهم الكثير من الخبرات الفنية عنهم ، خاصة وأن عددا من الأمصار والشعوب قد كان لأهلها باع طويل في ميدان تطور الفنون وتميزها ، إلى درجة التي أصبحت فيها بمثابة القدوة لمن هم دونهم في هذا المجال ، ومن الشعوب التي كان لها باع في كبير الإغريق والإيرانيين وأهل الصين¹ ، غير أن الفن السائد قبل ظهور الإسلام بقليل ، كان هو الفن البيزنطي المسيحي والذي حل محل الفن الروماني منذ القرن الثالث ميلادي ، أي في أعقاب التحول عن الديانة الوثنية إلى الديانة المسيحية².

وتميزت الفترة الأولى من ظهور الإسلام أو فترة الخلافة الراشدة ، بغلبة الصبغة الدينية وانشغال المسلمين بنشر دينهم ، ولم تحظى الفنون باهتمام كبير ، لكن ما إن فتح المسلمون مناطق كانت خاضعة للفرس والروم وضموها لدولتهم ، حتى شرعوا في عملية طبع مختلف الأساليب الفنية القديمة بطابع إسلامي¹.

وقد مزج المسلمون الفاتحون بين فنون هذه البلدان والمناطق ، وأضافوا إليها ابتكاراتهم وتصميماتهم ، فبرز فن إسلامي خالص على يد مجموعة من الفنانين المسلمين المهرة الذين برعوا في مختلف أنواع الفن كالزخرفة والرسم والخطوط والنقش وفن العمارة² ، واعتنى المسلمون بهذه الفنون عناية كبيرة ، عكس فن النحت وتصوير المجسمات حيث نفروا من مثل هذا النوع من الفنون ، كما نفروا كذلك من تصوير الأشخاص والمخلوقات ذات الروح

¹- زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ...، المرجع السابق ، ص . 17 .

²- محمد حسين محاسنة : أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، ط . 1 ، 2001 ، ص . 270 .

¹- الخربلوطي : المرجع السابق ، ص . 283 .

²- إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 277 .

كالحيوانات والطيور ، واعتمدوا كأساس في زخارفهم على الرسومات النباتية والهندسية ¹ ، وذلك تفاديا للتشبه بالمسيحيين الذين يُقدّسون الأيقونات ، إضافة إلى وجود إرشادات تدل على كراهة تصوير المخلوقات ذات الروح في الدين الإسلامي ² .

ونظرا لدور الفنون في تاريخ الأمم حيث أنها دون سائر وجوه النشاط البشري ، تُعتبر إنتاج بشري خالص يُصوّر ويُعبّر عن روح المجتمع الذي بزغ منه ، كما يُعبّر عن ذوقه ومستواه الثقافي والاقتصادي في كثير من الأحيان ³ كما أنّ الفنان هو شخص موهوب ذو حساسية خاصة تُمكنه من التقاط الإشارات اللطيفة ، التي لا يلاحظها الأشخاص العاديون ، ويُعبّر عنها بطريقة خاصة بتحويلها إلى شيء جميل يثير ويحرك انفعالات الآخرين وأحاسيسهم ⁴ .

ونتيجة لاهتمامهم بالفنّ وأهله فقد عمل عدد من الأمراء المسلمون ، على استجلاب الفنانين على اختلاف صنائعهم من مختلف أقطار الدولة الإسلامية ، إلى مناطق حكمهم بتوجيه الدعوات إلى المشهورين منهم في بلاد الإسلام بهدف الاستفادة من مهاراتهم ، وكان هذا الأمر من عوامل ازدهار الفنون في البلاد الإسلامية ⁵ .

ومن المؤكد أن ظهور الإسلام كان إيذانا بتكوين فن جديد هو الفن الإسلامي العربي ، الذي يُعد مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية ¹ ، والفن الإسلامي نشأ في الغالب من فيض العاطفة الدينية عند المسلمين فهو تعبير عن الإحساس الديني ² ، كما أنه نابع من التصور الواسع والشامل للكون والحياة والإنسان ، يفسح المجال للوجدانيات البشرية ويفسح المجال للمشاعر الإنسانية غير أنه يُقننها ، فتكون أكثر واقعية وأصدق تعبير عن حقيقة الحياة وأجمل تصوير للحياة من سائر الفنون ³ .

¹ - محاسنة : المرجع السابق ، ص . 270 ؛ الخربلوطي : المرجع السابق ، ص . 283

² - محاسنة : المرجع نفسه .

³ - حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص . 297 .

⁴ - محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، ط . 2 ، 2000 م ، ص . 8 .

⁵ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع السابق ، ص . 15 .

¹ - الخربلوطي : المرجع السابق ، ص . 290 .

² - حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص . 299 .

³ - محمد قطب : المرجع السابق ، ص . 87 .

هذا وقد قسّم أهل الاختصاص الفن الإسلامي بناءً على الفروق الإقليمية والجنسية ونشاط الأسرات الإسلامية الحاكمة ، في مختلف الأقاليم الإسلامية إلى عدة مدارس فنية أو عدة طرز¹ ، والفروق بين هذه المدارس الفنية ليست كبيرة ، حتى أنّه يصعب إدراك الاختلاف بين مُنتجاتها الفنية على غير المختصين².

وعرفت الفنون على اختلافها رواجاً كبيراً في المشرق الإسلامي³ ، أين ساد الطراز العباسي الذي انتشر في مختلف الأقاليم الإسلامية بعد انتقال الحكم إليهم ، ويمتاز الطراز العباسي في الفنون التطبيقية أو الفرعية باستخدام الموضوعات الزخرفية الساسانية ، مع بعض التهذيب ويظهر هذا الأمر في التحف المعدنية وفي المنسوجات التي كانت تُصنع بالمشرق إضافة إلى بعض المنتجات الخزفية⁴ ، والزجاجية التي كانت اللمسات الفنية فيها تُعبر عن ازدهار كبير قد تمّ بلوغه وتحقيقه⁵.

وكانت خراسان من أهم مراكز الفنون الإسلامية ، ذلك أن الفنانين الخراسانيين لم يكتفوا بتطوير الأساليب الزخرفية القديمة فقط ، بل ابتكروا أساليب جديدة في شتى فروع الفنون ، ولا تزال الكثير من الأواني الخزفية وبعض السجاجيد التي ترجع للفترة السامانية محفوظة في عدد من المتاحف ، على غرار المتحف الإسلامي بالقاهرة وبعض المتاحف الإيرانية والأوروبية¹.

إذن فالازدهار في مجالات الثقافة في خراسان وبلاد ما وراء النهر على العهد الساماني ، لم يقتصر على الآداب والعلوم فقط ، بل تجاوزها إلى الفنون التي شهدت بدورها رُقياً في مختلف فروعها ، ومنها :

¹ - هذه المدارس الفنية أو الطرز هي : الطراز الأموي في الشرق وفي الأندلس ، والطراز العباسي ، والطراز الفاطمي والطراز السلجوقي ، والطراز الإيراني التتري ، والطراز المملوكي ، والطراز الإسباني المغربي ، والطراز الصفوي والطراز المغولي ، والطراز التركي ، أنظر (زكي محمد حسن : في الفنون الإسلامية ، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2012 ، ص . 13 - 14 ؛ زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع السابق ، ص . 15 .) .

² - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع نفسه ، ص . 15 - 16 .

³ - عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، دار نضرة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1968 ، ص . 138 .

⁴ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع السابق ، ص . 17 .

⁵ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 299 .

¹ - المرجع نفسه .

الخزف : أدى الازدهار في هذا الفن إلى تخصص بعض مدن وأقاليم المشرق في منتوجات وصناعات معينة ، مثل إنتاج البريق المعدني الذي كان يُستخدم في عدد من أقاليم المشرق بما فيها خراسان ، وتوصلت نيسابور وحرفيها إلى ابتكار نماذج خزفية جديدة تتمثل في أقذاح مئونة بكتابات سوداء على خلفية قشدية اللون¹.

وقد تطوّرت الأواني الخزفية في نيسابور ، واستُخدم في زخرفتها عناصر نباتية وحيوانية كانت مُستمدة من فن الزخرفة الصيني ومن فن الزخرفة الساساني القديم ، وهذا بعد أن تم تهذيب هذه الأنماط في بعض الأحيان من مظاهر العنف والقوة².

وقد اعتمدت نفس طريقة الزخرفة في بخارى وأفرسياب ، حيث تميز الخزف المنتج بهذه المناطق بأنه كان ذو أرضية سوداء أو سمراء ، عليها زخارف متنوعة فوق الطلاء بحيث يظهر الانسجام واضحاً بين الألوان ، وقد أضفت عليها الرسوم النباتية ، إضافة إلى رسوم لأنواع من الطيور كالبط والبعج ، وكذلك الزخارف المتمثلة في كلمات وعبارات بالخط الكوفي ، أضفت عليها مسحة من الجمال³ ، وأكبر الظن أن مركز صناعة الخزف بالأراضي السامانية قد كان هو مدينة الشاش ، التي كانت تُصدّر أجود أنواع الخزف⁴.

وأورد " أبو العلا " بناءً على ما هو معروض في المتحف الإسلامي بالقاهرة من أواني سامانية ، بأن صنّاع الأواني والقُدور الخزفية ، قد حرصوا على تدوين أسمائهم على ما أبدعته أناملهم من منتوجات ، حيث ورد على بعضها أسماء لصناع قال عنهم : " لا نعرف عن أصحابها شيئاً " ، فكُتب على بعض الأواني والأطباق عبارات منها " مما عمل سهيل " و " مما عمل بن صالح " و " مما عمل صالح " .. ، كما وردت على هذه المنتجات عبارات مثل " كل هنيا " أو " كل هنيا مربا " وغيرها¹ ، وكانت الزخارف التي تتم بالخط العربي آية من آيات الفن الرفيع².

وازدهرت صناعة الخزف ونشطت بإقليم ما وراء النهر على العهد الساماني ، حيث أنّ منتجات هذا الإقليم كانت من بين أفضل المنتجات الخزفية في البلاد الإسلامية ، ومرّ هذا إلى العناية الكبيرة التي أولاها السامانيون للفنانين

¹ - أبو العلا : المرجع نفسه ؛ زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع السابق ، ص . 168 وما بعدها بعدة صفحات .

² - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع نفسه ، ص . 105 .

³ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 299 - 300 ؛ زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 167 .

⁴ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع نفسه .

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 300 .

² - إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 277 .

على غرار رعايتهم للأدباء والعلماء وغيرهم من ذوي الألباب¹، وامتازت الحرف الخزفية بها ببساطتها واتزانها مع جمال ألوانها وإبداع زخارفها ذات المسحة الفنية الممتازة².

النسيج والسجاد : ازدهرت فنون النسيج في خراسان وما وراء النهر ، حيث لقيت هذه الصناعة تشجيعا خاصا في مختلف الأقاليم الدولة الإسلامية من قبل الخلفاء والأمراء ، حيث جرت العادة أنه أثناء مكافئة رجال الدولة أو تعيينهم في مناصب جديدة ، تُمنح لهم الخلع الثمينة من أنفس المنتجات الحريرية³.

واشتهرت مُدن خراسان كنيسابور ومرو بجودة صناعاتها النسيجية ، حيث تفتن فنانون وحرفيو هذه المناطق في تزيين منتجاتهم النسيجية بالرسوم النباتية ورسوم أنواع من الطيور ، كما أضافوا الأسلاك الذهبية وزينوا بها منتجاتهم النسيجية ، مما أضفى عليها بريقا وجمالا⁴.

ومن بين مدن ما وراء النهر التي اشتهرت هي الأخرى بهذه الصناعات نجد بخارى وسمرقند⁵، وقد اشتهرت بخارى بصناعاتها الحريرية التي كان يتم تزيينها برسوم وزخارف جميلة⁶، لحيوانات أو نباتات مختلفة فضلا عن الزخارف الخطية ، وقد عُثر على قطعة من النسيج الساماني مصنوعة من القطن والحرير ، وعليها كتابة نصها : " عزّ وإقبال القائد أبي منصور بختكين أطل الله بقائه . " ويُرجّح أن يكون هذا القائد قد عاش في بلاط الأمير الساماني " عبد الملك بن نوح " ، وقتل سنة 349 هـ / 960 م⁷.

وكان **السجاد** الساماني على جودة عالية ، خاصة ذلك الذي كان يصنع على أيدي الحرفيين المهرة المتواجدين بدار الطراز في بخارى ، والتي كان يُحمل إنتاجها حتى إلى الخليفة في بغداد¹، واشتهرت منطقة إيران بكونها أكبر

¹ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص. 166 .

² - المرجع نفسه ، ص . 167 .

³ - الفقّي : الدول المستقلة في المشرق ... ، المرجع السابق ، ص. 236 .

⁴ - أبو العلا : المرجع السابق، ص. 300- 301 .

⁵ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 215 .

⁶ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 301 .

⁷ - المرجع نفسه ؛ زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 215 - 216 ؛ وعن هذه القطعة من النسيج ، انظر ملحق رقم

9.

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 39 .

مركزاً لصناعة السجاد في المشرق كله ، وتأثرت غيرها من المراكز الأخرى بأساليبها الفنية كل التأثر بما في ذلك الهند حتى أنّ أكثر المنتجات الإيرانية انتشارا في العالم كان هو السجاد¹.

وكان يستغرق مدة صنعها وتزيينها بمختلف الزخارف ذات الألوان المنسجمة شهورا ، حتى تخرج آية في الجمال وغلبت العناصر النباتية والهندسية على زخارف السجاجيد منذ بداية العصر الإسلامي وإلى غاية القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي².

الفنون الزجاجية والخشبية : أدى كثرة استخدام الزجاج والاعتماد عليه في المنازل والمساجد ، إلى ازدهار فن النقش على الزجاج³ ، وقد تنوّعت بين أشكال هندسية أو رسوم لطيور أو حيوانات ، مثل الرسم الذي يظهر على طبق مكسور عثر عليه في أطلال مدينة الري ، وهو مزخرف برسم لطائر خرافي⁴.

ولم يقتصر تزيين المتوجات الزجاجية بالأشكال الهندسية والرسومات الحيوانية فقط ، بل تجاوزها إلى الرسومات النباتية أو زخرفتها بكتابات بعض الآيات القرآنية وبعض المأثورات بالخط الكوفي⁵ ، هذا وجدير بالذكر أنّ استعمال الزخارف الكتابية كان في الأقطار الإسلامية الشرقية أكثر إتقانا منه في الأقطار الإسلامية الغربية⁶.

وقد تطورت الصناعة الزجاجية بالمنطقة وأصبح يُصنع بها التحف المختلفة الأشكال ، وقد عثر المُنقبون بالري على تحف زجاجية صغيرة بأشكال عدد من الحيوانات ، كما يظهر من إحدى التحف الزجاجية التي أخذت هيئة سمكة زجاجية صغيرة⁷.

أما بالنسبة **للفنون الخشبية** فقد تفنّن الصُّناع بخراسان ، في زخرفة التحف والأدوات والأواني المنزلية الخشبية بزخارف كانت منقوشة ومحفورة على هذه المواد على اختلافها¹ ، هذا وقد اشتهرت بعض المناطق منذ فجر

¹ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 139.

² - المرجع نفسه ، ص . 140 .

³ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 300 .

⁴ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 261.

⁵ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 300 .

⁶ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 279.

⁷ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع نفسه ، ص . 262.

¹ - العمادي : المرجع السابق ، ص . 137 .

الإسلام بمهارة أبنائها في صناعة التحف والأثاث من الخشب من بينها مدن الري و قم¹ ، ونيسابور التي اشتهرت بصناعة الطرائف والتحف الخشبية².

وكانت التحف الخشبية في الغالب تُزين برسومات وصور لحيوانات وطيور ونباتات وأشخاص في الصيد...³ وتمّ العثور في إقليم ما وراء النهر على بعض التحف الخشبية ، تتمثل في عمودان وثلاث حشوات من الخشب المخفور ، يُعتقد بأنها ترجع إلى القرن الثالث هجري التاسع ميلادي ، وقوام زخارفها رسوم لأنواع مختلفة من الزهور مُحورة عن الطبيعة تحويرا كبيرا ومحفورة حفرا عميقا⁴.

فن العمارة : كان لفتوحات العرب وتوسعاتهم على حساب أراضي الفرس والروم ، وإطلاعهم على فنونهم المعمارية ، أثر في تقليد العرب لأهل هذه الأمصار في فن العمارة ، حيث أنهم كانوا أكثر تطورا في هذا المجال وقد تأثر هذا الفن هو الآخر بتعاليم الإسلام الأمر الذي ساهم في ازدهاره وأدى إلى بروز فن معماري إسلامي متميز بصورة جديدة⁵ ، وذكر " ابن خلدون " أنّ المباني والمصانع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول، فلما استخدم العرب أمة الفرس ، وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ، ودعتهم إليها أحوال الدعة والترف ، فحينئذ شيدوا المباني والمصانع⁶.

وكان من أسباب الإزدهار الكبير الذي عرفه فن العمارة الإسلامية هو الشراء الكبير للمسلمين نتيجة الفتوحات والسيطرة على طرق التجارة العالمية⁷ ، واهتمام الخلفاء أنفسهم بالعمارة ودعمهم لها⁸ ، وقد تنوعت العمارة الإسلامية فشملت منشآت دينية كالمساجد والزوايا ، ومنشآت عسكرية كالقلاع والحصون والأبراج ، ومنشآت اجتماعية كالبازارستانات والسُّبل ومنشآت سكنية كالقصور والبيوت¹.

¹ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 263 - 264 .

² - العمادي : المرجع السابق ، ص . 137 .

³ - إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 278 .

⁴ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية .. ، المرجع السابق ، ص . 264 .

⁵ - محاسنة : المرجع السابق ، ص . 234 .

⁶ - ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص . 362 - 363 .

⁷ - محاسنة : المرجع السابق ، ص . 234 .

⁸ - إبراهيم أيوب : المرجع السابق ، ص . 278 .

¹ - محاسنة : المرجع السابق ، ص . 234 ؛ زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ... ، المرجع السابق ، ص . 46 .

وتعتبر العمارة من بين أهم الوسائل وأصدقها لقياس مدى التطور الحضاري في منطقة من المناطق ، وعرف فن العمارة تطوراً ملحوظاً على عهد السامانيين في كل من خراسان وما وراء النهر ، التي ليس بها مكان يخلو من القرى والمدن المعمورة¹ ، فالمناطق الخاضعة للدولة السامانية كانت من أكثر المناطق عمراناً².

وكان للمهندسين المعماريين والحرفيين من أهل هذه المناطق ، دوراً كبيراً في ازدهار العمارة على العهد الساماني³ ولم يبق من منجزات السامانيين المعمارية غير النذر القليل ، على غرار الكثير من المنجزات المعمارية بالمنطقة ، التي وصفها الجغرافيون خلال تلك الفترة والتي تعرّض الكثير منها للزوال⁴.

وأغلب المدن السامانية كانت تحيط بها الأسوار ، وتضم في داخلها عدداً من المنشآت كالمساجد والأسواق ودور الحكام وقصورهم ودور العامة والمدارس ...، فبخارى عاصمة السامانيين كان يحيط بها سور ويوجد داخله باقي المنشآت كالمساجد والأسواق والقصور والمصانع كدار الطراز فضلاً عن مساكن العامة ، وقد كانت أكثر مدن ما وراء النهر ازدهاراً⁵ ، وكانت الدور ببخارى جميلة مشيدة بالأحجار المزينة بالنقوش والصور، كما كانت تتخللها سواقي المياه بكثرة ، ووُجد من بينها من كانت فيها أحواض جميلة⁶.

كما أن سمرقند هي الأخرى كان يحيط بها سور يحوي عدداً من الأبواب ، ويعلو السور أبراج للحرب وداخل هذا السور تقع المدينة وأهم منشآتها ، مثل المسجد الجامع والقلعة أو مسكن السلطان ومنازل العامة ، أما أبواب السور فكانت من الخشب في حين أن باب القلعة كان من الحديد¹ ، والغرض الرئيسي من الأسوار هو أن تكون سداً في وجه الغارات الدورية التي كان يشنها الأتراك² ، بالأخص على مدن بلاد ما وراء النهر .

¹ - ابن حوقل المصدر السابق : ص . 348 .

² - المقدسي : المصدر السابق ، ص . 261 ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ج . 12 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط . 2 ، 1419 هـ / 1999 م ، ص . 44 .

³ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 47 ؛

⁴ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ...، المرجع السابق ، ص . 43 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 296 .

⁵ - الحموي : المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 253 .

⁶ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 47 .

¹ - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص . 335 - 336 .

² - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 58 .

ونجد حول بلخ سور يحيط بها ، به عدة أبواب وداخله تقع المدينة وأهم منشآتها كالمساجد الجامع والأسواق وغيرها¹ ، فالغالب على المدن السامانية أن أهم منشآتها تقع داخل السور الذي يحيط بالمدينة ، وقد وُجدت بعض المدن التي كانت منشآتها تقع خارج الأسوار ، كنيسابور التي كانت أهم أسواقها المربعة الكبيرة والمربعة الصغيرة تقع خارج المدينة وجدير بالذكر أن الماء كان يصل لبيوت نيسابور عبر قنوات تجري تحت منازلهم كما أن عددا من الضياع والبساتين تُسقى بها².

هذا وقد أدى اهتمام الأمراء السامانيين بفن العمارة إلى تطورها ، خاصة وأنهم كانوا يُشرفون بأنفسهم على الكثير من المشاريع كشق القنوات وبناء الجسور ، وتشبيد المعادل والحصون وتحميل المدن بإقامة المنشآت الضخمة وبناء المدن الجديدة³ ، فقد أمر الأمير " نصر بن أحمد " ببناء قصر ببخارى أنفق عليه مالا كثيرا ، ووصف القصر بالجمال ، كما بنى على باب هذا القصر دارا لعمال دواوينه⁴.

كما أن الأمير السديد " منصور بن نوح " أمر ببناء وترميم عدد من القصور بالعاصمة ، وكان مما بناه سنة 356 هـ / 966 م ، قصرا كان يضرب به المثل في الجمال ، وإلى جانب الأمراء فقد اهتم الوزراء السامانيون بدورهم بفن العمارة ، فالوزير " العتيبي " قام ببناء مسجد غاية في الجمال ، بالقرب من إحدى المدارس ببخارى⁵ ، فهذا الاهتمام من كبار رجال الدولة السامانية بهذا الفن قد كان عاملا رئيسيا في ازدهاره .

وتجدر الإشارة إلى أن أبواب بعض المدن كان يُدون عليها معلومات تتمثل في المسافات الفاصلة بينها وبين غيرها من المدن⁶ ، كما أن بعض المناطق كانت مخصصة فقط لبناء القصور الجميلة ، مثل منطقة جوي موليان ببخارى والتي تشتهر ببساتينها وحدائقها الغناء التي تتخللها الكثير من قنوات المياه الجارية ، والتي يندهش من يشاهدها وكان قد خططها وأبدعها نواذر أساتذة العصر من المعماريين¹.

ومن المنشآت العمرانية المنتشرة بكثرة في الأراضي السامانية الرباطات والمدارس والخانقاوات والمكتبات ، كما انتشرت بالمدن السامانية وعلى الطرق الخانات والفنادق ، التي كانت تحتوي على أماكن لتخزين البضائع

¹ - الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 278 .

² - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 362 - 363 .

³ - بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 354 ؛ عدوان : المرجع السابق ، ص . 108 .

⁴ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 46 .

⁵ - النرشخي : المصدر نفسه ، ص . 46 وما بعدها بصفحات .

⁶ - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص . 326 .

¹ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 47 - 48 .

وحوانيت للمتاجرة إضافة إلى غرف للسكن والمبيت¹، وكان من أجمل ما في عمائر الخانات مداخلها المشيدة من الأبراج والعقود الشاهقة²، وقد ساهمت الخانات كثيرا في ازدهار التجارة بالدولة السامانية .

واستخدم السامانيون لتشييد عمائرهم عددا من المواد كالطين³ والحجر⁴، والطوب النيئ أو اللبن⁵ والأخشاب وقد كان استعمال الطوب والخشب أكثر من غيرهما من المواد ، وهذا راجع لتوفرهما وسهولة الحصول عليهما بالمنطقة ، وقد عمدوا لزخرفة عمائرهم واستعملوا في الزخرفة الطوب نفسه ، فأنشئوا به الأشكال الهندسية المختلفة وأشرطة الكتابات لتزيين منشآتهم المختلفة وبالأخص المآذن⁶ .

وامتازت بعض المناطق كأصفهان باستخدام السقوف الخشبية المرتكزة على الأعمدة ، كما أن عددا من أعمدة المساجد كانت من الأخشاب وكذلك الحال بالنسبة للقباب ، وبالأخص في بعض المناطق كقزوين ونيسابور وقد أدى الاعتماد على الأعمدة الخشبية في المساجد إلى سرعة تدهورها في بعض الأحيان ، لذلك تم استبدالها بالأعمدة الحجرية والطوب⁷ .

هذا وتأثرت العمارة السامانية بالفنون الساسانية⁸، وكانت تتم زخرفة أعمدة البنايات بصور لنباتات أو حيوانات أو بأشكال هندسية⁹، ويُعتبر بدء استخدام الآجر والجص من أهم أسباب ازدهار العمارة السامانية وجمالها حيث ساعد على بناء القباب النصف أسطوانية وغيرها ، كتلك المتواجدة في مشهد " إسماعيل الساماني "، كما ساعد على تقدم فن الزخرفة لسهولة تشكيله وتغطيته بالألوان¹ .

ومن الآثار المعمارية السامانية الباقية والتي تعطينا نظرة عن حال العمران بالعهد الساماني نجد ضريح الأمير " إسماعيل بن أحمد الساماني "² ، الذي يعد أقدم مشهد من نوعه في تاريخ العمارة الإسلامية بعد مشهد قبة

¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 362 .

² - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ...، المرجع السابق ، ص . 48 .

³ - الإصطخري : المصدر السابق ، ص . 255 ؛ ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص . 414 .

⁴ - النرشخي : المصدر السابق ، ص . 47 .

⁵ - Negmatov : op . cit , p . 94 .

⁶ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ...، المرجع السابق ، ص . 44 - 45 .

⁷ - المرجع نفسه ، ص . 45 - 46 .

⁸ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 297 .

⁹ - Negmatov : op . cit , p . 94 .

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 298 .

² - أنظر ملحق رقم 10 .

الصليبية بسامراء ، الذي أقامته أم الخليفة " المنتصر العباسي " له بعد وفاته سنة 248 هـ / 862 م ، ويعد هذا المشهد من أروع آثار العمارة السامانية الباقية ¹.

والنمط المعماري للضريح في الوقت الذي يُعبر فيه عن تقاليد الماضي ، يُظهر كذلك علامات واضحة على أن شيئا جديدا في الهندسة المعمارية قيد الظهور بالمنطقة ²، وقد اجتمعت في هذا المبنى مجموعة من المظاهر والسمات المعمارية ، التي جعلته يُعتبر أعظم المباني الإسلامية خلال القرن الثالث هجري التاسع ميلادي ، وهذا الضريح متواجد بالضواحي الغربية لبخارى ، وتأثرت بطريقة بنائه عدد من المباني الإسلامية الأخرى ³.

وقد شُيد بالآجر على شكل مكعب تعلوه قبة ، وجدرانه وأعمدته مزينة بالزخارف أما داخل الضريح فقد جمع بين البساطة والدقة في الأشكال على جدرانه ⁴، وأورد " أبو العلا " أنّ كل واجهة من واجهات هذا البناء تحتوي على عشرة عقود ، تخفي من الخارج منطقة الانتقال إلى القبة ، أما الحنايا فلكل واحدة منها طاقان صغيران وعليها أقيمت القبة ، وهذه المظاهر موجودة أيضا في مشهد السلطان " سنجر " في مرو القديمة ⁵.

وفي ركنين من أركان هذا البناء نجد زخرفتين مستديرتين ، وتوجد هذه الزخارف أيضا في عقود النوافذ ، وهذه الظاهرة الموجودة في كثير من أبنية بخارى توجد كذلك في المحراب الرئيسي لجامع " ابن طولون " ، وفي المحارب الفاطمية وفي عدد من الأبنية الإسلامية في الهند ¹، وهذا يُبين مدى تأثر أهل هذه المناطق بالفن المعماري الساماني .

كما أنّ القبة الرئيسية للمبنى التي قامت على أركانها أربع قباب أخرى صغيرة الحجم ، قد تكون نتيجة تأثر المعماريين السامانيين بالعمارة الهلينية والعمارة المسيحية الشرقية ، وقد كانت مقدمة لما جاء بعد ذلك في عمارة المشاهد الهندية الإسلامية ² ، فالعمارة كغيرها من الفنون عرفت تطورا ملحوظا ، نتيجة للعناية التي حظيت بها من قبل أمراء الدولة السامانية الذين ساهمت سياستهم القائمة على تشجيع الفن ، في ازدهار ورقي العمارة

¹ - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ...، المرجع السابق ، ص . 47 - 48 ؛ أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 296 .

² - Negmatov : op . cit , p . 93 .

³ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 296 .

⁴ - Negmatov : op . cit , p . 93 .

⁵ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 296 - 297 .

¹ - المرجع نفسه ، ص . 297 .

² - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ...، المرجع السابق ، ص . 47 - 48 ؛ أبو العلا : المرجع نفسه .

السامانية كغيرها من الفنون على عهد هذه الدولة التي خلّفت ميراثا حضاريا كبيرا ، مستمدا من عبق الماضي ومتأثرا بتعاليم الإسلام ومؤثرا في غيرها .

ثانيا - الموسيقى :

المعروف أن الموسيقى قديمة قدم الإنسان والبشرية¹ ، عرفت جميع الشعوب منذ أقدم العصور فلا يكاد يخلو زمان ولا مكان منها ، حتى أن البعض عدّها واعتبرها من مُستلزمات الحياة ، وقد أجمعت الدراسات النفسية منذ القدم على أن تأثير الموسيقى على المشاعر واضح ، بحيث تؤدي دورا كبيرا في ترفيه الأحاسيس ، والسُّمو بالنفوس وبعث الانشراح فيها ، فضلا عن رسم البسمة على الوجوه².

والموسيقى علم يُعرف به كيفية تأليف الألحان³ ، أو هي صياغة الألحان المرتبة على الأنغام⁴ ، وكلمة موسيقى يونانية الأصل ، ويسمى مؤلف الألحان أو المطرب بالموسيقار⁵ ويقصد بالتأليف الموسيقى تركيب النغمات ، أما النغمات فهي صوت محدد غير مُتغير⁶ وجدير بالذكر أن العلماء المسلمين وغير المسلمين ، خلال فترة العصور الوسطى كانوا يعتبرون الموسيقى من بين العلوم الرياضية¹ ، وكان تقدم المسلمين في مجال الموسيقى مرتبط بمدى تقدمهم في الرياضيات ، فلقد عرفوا السلم الموسيقي وقياس الوتر والإيقاع الدقيق قبل الأوروبيين بقرون².

ولقد اهتم السامانيون ورجال دولتهم اهتماما بالغا بالموسيقى ، ونظروا إليها نظرة إجلال واحترام ، هذا ما يتجسد من خلال الرعاية والتقدير والترحيب الكبير الذي حظي به المُجيدون والمشتغلون بالموسيقى³ ، ودفع اهتمام السامانيون بالموسيقى " الخوارزمي " إلى أفراد الباب السابع من كتابه **مفاتيح العلوم** للحديث عن الموسيقى حيث قسّم هذا الباب إلى ثلاثة فصول ، الأول تحدث فيه عن تسميات الآلات الموسيقية والثاني تحدث فيه عن مختلف

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 301 .

² - د. منى سنجقदार شعراوي: مقال **تعريف الموسيقى العربية** ، منشور في موقع الميكانيكا التطبيقية ، بتاريخ 18 / 09 / 2013 .

³ - جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) : **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم** ، تحقيق محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب القاهرة ، مصر ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2004 م ، ص . 164 .

⁴ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 301 .

⁵ - الخوارزمي: المصدر السابق ، ص . 259 .

⁶ - السيوطي : معجم مقاليد العلوم ...، المصدر السابق ، ص . 164 .

¹ - أبو العلا : المرجع السابق ، ص . 301 .

² - أحمد شلبي: **موسوعة النظم والحضارة الإسلامية** ، مكتبة النهضة المصرية ، ج . 2 ، ط . 8 ، 1986 ، ص . 80 .

³ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 194 .

الأنغام والثالث تطرق فيه إلى الإيقاعات الموسيقية المستعملة¹، وقد ألّف " الخوارزمي " هذا الكتاب مثلما صرح به في المقدمة خصيصا للوزير الساماني "أبي الحسن بن أحمد العتيبي" الذي اشتهر بتبجيل أهل العلم و تكريمهم².

وخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين واصلت الثقافة الموسيقية العريقة ، لشعوب المناطق الخاضعة للسامانيين والتي تعود إلى عصور قديمة في التطور خاصة في ظل تراثهم الموسيقي الكبير والتقدم الذي حازوه في ميدان النظريات الموسيقية ، وكان من إنتاجهم الموسيقي ابتكار عدد من المقامات والتي أعيدت صياغتها في الشاش على شكل ست مقامات³.

وكان بلاط السامانيين يعجّ بالمطربين والموسيقين ، الذين كان البعض منهم مقربا من أمراء الدولة ورجال الحكم فلقد كان عدد من ندماء الأمراء يجيد الغناء والضرب على مختلف الآلات الموسيقية واستعمالها ، بل اعتبر " نظام الملك " المهارة في الغناء واستعمال الآلات الموسيقية شرطا من شروط النديم الجيد⁴، وكثرت مجالس الطرب والغناء في قصر الأمير " عبد الملك بن نوح " ¹، وهذا يدل على أن الموسيقى قد كانت رائجة على العهد الساماني وأن الموسيقيين قد تمتّعوا بمكانة هامة .

حتى أن البعض منهم كان له رأي وكلمة في بلاط السامانيين ، فها هو " الرودكي " ينجح فيما فشل فيه عدد من كبار أمراء وقادة الدولة السامانية ، الذين حاولوا دفع الأمير " نصر بن أحمد " الذي فضّل الإقامة بخرّابة² على العودة إلى بخارى ، لكنهم لم يفلحوا في مسعاهم فكلّفوا بهذا الأمر " الرودكي "، الذي نجح في مهمته بعد أن ألقي على مسامع الأمير قصيدة تغني فيها بحسن بخارى ، مما جعله يغادر مسرعا دون أن يلبس خفه³.

وكانت العلاقة بين الشعر والموسيقى وثيقة على العهد الساماني ، فعدد كبير من شعراء هذه الدولة كانوا موسيقيين ومغنين بارعين في نفس الوقت ، و" الرودكي " واحد منهم ففضلا عن موهبته الشعرية كان موسيقيا

¹ - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 257 وما بعدها بعدة صفحات .

² - المصدر نفسه ، ص . 13 .

³ - Negmatov : op . cit , p . 99 .

⁴ - نظام الملك : المصدر السابق ، ص . 164 .

¹ - الكرديزي : المصدر السابق ، ص . 224 .

⁶ - كان نصر بن أحمد قد نزل بخرّابة بعد مقتل أبيه فأعجبته ، و أطال الإقامة فيها ، فاشتاق الأمراء للأهل والولد وحاولوا دون جدوى اقناع الأمير بالرجوع إلى بخارى ، فطلبوا من الرودكي أن يقنعه فأنشد له أبياتا بالفارسية حملته على العودة مسرعا ، عن هذه الأبيات أنظر ، (القزويني : المصدر السابق ، ص . 148 - 149 .) .

³ - القزويني : المصدر نفسه ؛الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق ، ص . 44 .

موهوبا ومغنيا معروفا ، يجيد استعمال الكثير من الآلات الموسيقية على غرار العود ، وإليه يرجع الفضل في تصميم عدد منها ، وقد أعاد صياغة عدد كبير من الألحان القديمة في قالب فني راقي ومعاصر¹ ، " فالرودكي " يُعتبر من بين أهم الأعلام والشخصيات الموسيقية على العهد الساماني .

كما يظهر الاهتمام بالموسيقى على العهد الساماني من خلال عدد من الرسوم والعادات التي فرضوها ، كوجود فرقة موسيقية تصاحب الجيش في السلم والحرب ، وتعزف عدد من الألحان في أوقات محددة كأوقات الصلوات الخمس ، هذا وقد استعملت هذه الفرقة أنواعا مختلفة من الآلات الموسيقية² .

ولأنّ تطور الموسيقى يرتبط أساسا بالتقدم في صناعة وابتكار الآلات الموسيقية ، فقد شهدت عدة آلات موسيقية تطورا بتطور الحضارة الإسلامية ، على غرار آلة العود التي كانت مُستعملة على نطاق واسع³ ، ومن بين الآلات الموسيقية التي ابتكرها المسلمون الشهروود التي أبدعها " أبو حفص الصغدي " ببغداد سنة 300 هـ / 913 م¹ كما ابتكر آلة أخرى تدعى الموسيقى² .

فالموسيقيون المسلمون ساهموا في ابتكار عدد من الآلات الموسيقية ، ومن بين موسيقيي الدولة السامانية الذين تركوا بصمتهم في هذا المجال ، الشاعر والموسيقي " الرودكي " الذي أضاف تصاميم لآلات موسيقية ، كما كان للطبيب والفيلسوف الكبير " أبو علي ابن سينا " الذي كان مهتما شديدا بالاهتمام بالموسيقى، الفضل في ابتكار آلة موسيقية تسمى السرناي³ وهي من آلات النفخ⁴ .

وشهدت البلاد السامانية انتشارا وشيوعا لعدة أنواع من الآلات الموسيقية ، التي أبدع فنانوها في استخدامها والعزف عليها ، وقد أحصاها " الخوارزمي " وعزف ببعضها وبطريقة عملها وكيفية العزف عليها ، اختلفت في أصلها فمنها من كانت من بلاد اليونان ومن بلاد الروم ومن بلاد الصين ومنها من كانت عربية خالصة أو فارسية

1 - Negmatov : op . cit , p . 99 - 100 .

2 - الثامري : المرجع السابق ، ص . 194 .

3 - جون كلود شاربويه : مقال علم الموسيقى ، ترجمة توفيق كرباح ، منشور ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية ، إشراف رشدي راشد وآخرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط . 2 ، 2005 ، ص . 740 .

1 - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 260 .

2 - Negmatov : op . cit , p . 100.

3 - idem .

4 - الخوارزمي : المصدر السابق ، ص . 260 .

وهي أنواع عدة ¹، منها الوترية كالعود والشاهرود ، ومنها آلات النفخ كالناي و السرناي ، إضافة إلى الآلات الإيقاعية كالدف والطبل والطنبور ²، وكان الطنبور الخرساني من بين أشهر الآلات الموسيقية ³.

وكان هناك تأثير وتأثر كبير بين الموسيقى العربية الإسلامية وبين موسيقى غيرهم من الشعوب ، خاصة وأنّ علماء الموسيقى بخراسان وما وراء النهر كانوا على دراية كبيرة بمعارف اليونان والفرس والصين الموسيقية ، وآلاتهم ومصطلحاتهم وأوزانهم وأنغامهم وإيقاعاتهم ⁴.

وقد قام الباحث " أنس غراب " بدراسة حاول من خلالها تتبع تطور النظريات الموسيقية بين النصوص الإغريقية والنصوص العربية ، وركز في عمله هذا على أعمال الكندي الموسيقية ⁵، الذي ربط بين نظرية الأمزجة الأربعة المعروفة عند " جالينوس " و " هيبوكراتيس " وبين أوتار العود ، الأمر الذي مهد لفكرة تطوير العلاج بواسطة الموسيقى ¹.

وقد أثبت العلم الحديث أن ذبذبات الموسيقى تؤثر تأثيراً مباشراً على الجهاز العصبي، إذ يمكن لكل ذبذبة أو أكثر أن تؤثر على جزء ما بالمخ ، خاص بعصب ما فتخدره بالقدر الذي يتيح له فرصة الاسترخاء ، واستجماع الإرادة للتغلب على مسببات الألم ، فيبدأ الجسم في تنشيط المضادات الطبيعية والإفرازات الداخلية التي تساعد الجهاز المناعي وغيره من التغلب على مصدر الداء ومكانه ²، هذا وقد كان " ابن سينا " نصح باستخدام الغناء والموسيقى على المصابين بآفات عقلية أو نفسية ، كما أوصى باستعمالهما أيضاً في تسكين الآلام ، إذ هما يساعدان على النوم وتخفيف الآلام ³.

كما أدرج الموسيقى والغناء في عداد الأدوية التي يُعالج بها عددا من المشاكل الصحية ، حيث بين أن هناك نعمات تكون فائدتها على الصحة أكبر إذا عُرُفت في أوقات محددة من اليوم ، والذي كان يرمي إليه "ابن سينا "

¹ - للمزيد حول هذه الآلات أنظر ، (الخوارزمي : المصدر نفسه ، ص . 259 وما بعدها بصفحات .) .

² - Negmatov : op . cit , p . 100.

³ - جون كلود شابرييه : المرجع السابق ، ص . 763 .

⁴ - الثامري : المرجع السابق ص . 195 .

⁵ - أنس غراب: مؤلفات الكندي الموسيقية ومعطيات أولية حول علاقتها بالمصادر الإغريقية ، ندوة الكندي ومدرسته ، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية وجدة ، المغرب ، تاريخ الندوة 23 / 10 / 2013 ، ص . 2 .

¹ - المرجع نفسه ، ص . 12 .

⁷ - عبد الناصر كعدان : رئيس قسم تاريخ الطب ، معهد التراث العلمي العربي ، حلب سوريا :مقال العلاج بالموسيقى في الطب العربي ، منشور بتاريخ 04 / 01 / 2010 ، الموقع الإلكتروني الطبي .

⁸ - المرجع نفسه .

من خلال تقسيمه الزمني لاستعمال النغمات الموسيقية ، أنّ الإنسان يمر بحالات نفسية مختلفة بل ومتناقضة أحياناً في اليوم الواحد تبعاً لظروف حياته ونمط معيشته من الاستيقاظ حتى النوم ، وفي هذا السياق كان " إخوان الصفا " قد استعملوا لحناً خاصاً في المارستانات وقت الأسحار بهدف تخفيف الآلام على المرضى¹.

فقد استغل " ابن سينا " الموسيقى لأغراض طبية ، خاصة في ظل اهتمامه الكبير بها ، هذا الاهتمام الذي يتجسد من خلال المؤلفات التي وضعها ، على غرار كتاب المدخل إلى صناعة الموسيقى ، كما كتب فصلاً مهماً عن الموسيقى في عدد من كتبه منها كتاب النجاة ورسائله في تقاسيم الحكمة ، التي وضع فيها نظريته في الموسيقى² التي برع فيها ، وحظيت أعماله عن الموسيقى التي وردت في كتابه الشهير الشفاء باهتمام عدد من الأوربيين الذين قاموا بترجمتها والاستفادة منها³.

ومن بين أهم رجال الموسيقى على العهد الساماني " أحمد بن محمد بن مروان السرخسي الخراساني " الذي وضع عدد من المؤلفات الموسيقية ، والمهندس الرياضي " أبو الوفاء البوزجاني " صاحب كتاب مختصر فن الإيقاع¹ كما وضع الطبيب " أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي " كتاب في جمل الموسيقى² ، وكان أول أمره يضرب العود قبل اشتغاله بالطب ، كما ألّف الفيلسوف الكبير " الفارابي " كتاب الموسيقى وكتاب الإيقاعات³.

هذا وقد احتلت الموسيقى مكانة هامة في الحياة الاجتماعية لسكان المناطق السامانية ، حيث أنها كانت عنصراً مهماً في مختلف جوانب حياتهم اليومية ، كالأعراس والأعياد والمهرجانات والشعائر الجنائزية ، وبذلك فلقد اختصت كل مناسبة بموسيقى معينة وظهرت بالدولة السامانية عدة أنماط موسيقية وعدد كبير من الألحان⁴.

كما برع عدد من عازفي الموسيقى على غرار عازف الناي ولاعب الطنبور " علي بيحي " وعازف الناي " زلز الرازي " ، ومن الموسيقيين " أبو عباس بختيار " و " عيسى برباتي " ، والعازف المتميز الشاعر " أبو طيب طاهر الخراساني " ¹.

¹ - عبد الناصر كعدان : المرجع نفسه .

² - الثامري : المرجع السابق ، ص . 194 .

³ - شابريه : المرجع السابق : ص . 271 .

¹ - الثامري : المرجع السابق ، ص . 194 - 195 .

² - المرجع نفسه ، ص . 195 . عن فارمر تاريخ ، مصادر .

³ - القفطي : المصدر السابق ، ص . 280 .

⁴ -

ويمكن القول أن الموسيقى كانت رائجة وشائعة على العهد الساماني على الصعيدين الرسمي والشعبي ، خاصة في ظل البراعة الكبيرة في استخدام مختلف الآلات الموسيقية من قبل عدد من الموسيقيين السامانيين ، هذه البراعة التي وصلت إلى درجت استُغلت فيها الموسيقى في محاولة لعلاج بعض المشاكل الصحية ، كما يعود ازدهارها وتطورها إلى الرعاية الرسمية التي حظي بها الموسيقيين البارزين من قبل كبار رجال الدولة ، هذه الرعاية التي وفرت المناخ المناسب لعدد منهم لتأليف كتب متعددة في هذا الميدان ، كان تأثيرها كبيرا على الموسيقى العالمية ، فضلا عن ما ابتكره بعضهم من آلات أصبحت ذات شهرة عالمية .

الخاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة عن الدور السياسي والحضاري للدولة السامانية ، إلى عدة نتائج يُمكن إجمالها فيما يلي :

1- أنّ السامانيين من أعرق الأسر الفارسية نسبا ، فهم من ولد بهرام جوبين ذلك القائد الذي قدم خدمات جليلة للدولة الساسانية ، وألحق العديد من الهزائم بأعدائها ، بل حتى أنه تربّع على هرم السلطة فيها .

2- أنّ موطن السامانيين الأصلي هو مدينة بلخ ، وأنّ جدّهم سامان كان من أكبر رجال الدين الزرداشتيين غير أنه تخلّى عن دينه واعتنق الإسلام على عهد الأمويين ، وأصبح أبناؤه من بعده من أكبر المدافعين عنه والحاملين لرايته على العهد العباسي .

3- أنّ الدولة السامانية ظهرت في مرحلة حرجة وبمباركة من الخلافة العباسية نفسها ، التي اعتمدت عليهم من أجل ضبط أمور منطقة المشرق الإسلامي ، والتصدي للمتمردين عليها والراغبين في الاستقلال عنها في ظل التردّي في أحوالها ، والضعف الذي حلّ بها ، فكان السامانيون خير سند لها في ظل هذه المحنة .

4- أنّ السامانيون وبالرغم من علاقتهم الجيدة مع الخلافة ، والطاعة والاحترام اللذين ميزا علاقتها مع الدولة الأم إلا أنّهم كانوا مستقلين في تسير شؤون دولتهم الداخلية ، ولهم مطلق الحرية بالتصرف في الأراضي الخاضعة لهم كما كان لهم جيشهم الخاص بهم وميزانيتهم ، وأنظمتهم التشريعية والقضائية المنظمة بشكل جيد والتي يَسَرّت لهم مهمة تسير شؤون دولتهم ، كما أنّ السامانيين لم يتبعوا أسلوبا واحدا لحكم أقاليم الخاضعة لهم ، بل راعوا خصوصية وظروف كل واحدة منها ، وقد ورثت عدة دول عنهم بعض الجوانب من نظم الحكم والإدارة .

5- أنّ الدولة السامانية ضُمَّت في ثناياها مزيجا من العناصر البشرية المختلفة ، عرقا ولغة ودينا وثقافة ، وكل هذه الاختلافات انصهرت في بوتقة واحدة ، بفضل سياسة الحكم الساماني التي كان قوامها العدل والإصلاح والتسامح الذي ساد المجتمع ، مما ساهم في بروز العديد من المبدعين في مختلف مجالات الحياة ، وعلى الرغم من كون السامانيين من الفرس إلى أن العنصر التركي قد علا شأنه في الدولة السامانية ، التي كانت تعتمد نظاما خاصا لتربية الغلمان الأتراك ، هذا النظام الذي اعتمدته مختلف الدول التي قامت بعدها .

6- أنّ السامانيين قد أقاموا دولتهم في منطقة جغرافية شاسعة ، غنية بالموارد الاقتصادية المختلفة ، فضلا عن موقعها المهم تجاريا ، ما وقر لها الكثير من المداخل المالية الإضافية ، الأمر الذي انعكس إيجابيا على مختلف جوانب الحياة في هذه الدولة .

7- أنّ الدولة السامانية وبحكم موقعها الثغري في مواجهة الترك الوثنيين ، انتهجت سياسة تعتمد على تجنب الصراع مع القوى الإسلامية على اختلافها معها ، غير أنها وجدت نفسها تدخل مضطرة في صراعات مع هذه القوى بأمر من الدولة العباسية نفسها ، أو لحفظ مصالحها من تهديداتهم .

8- أنّ التزام السامانيين بتنفيذ أوامر العباسيين ، هو الذي كان سببا في قضائهم على الدولتين الصفارية بخراسان والزيدية بطبرستان ، بسبب ما كان منهما من تجرأ واستخفاف بالعباسيين واختلاف مذهبي وفكري خاصة مع الزيديين الشيعة .

9- أنّه وفي أعقاب تمكن البويهيين من دخول بغداد ، وما نتج عنه من سيطرة على مقاليد الدولة العباسية التي أصبح خلفائها مجرد ألعوبة في أيديهم ، تدهورت العلاقة بين السامانيين والعباسيين ، ذلك أن البويهيين الشيعة استغلوا تحكمهم في الخلفاء الذين كانوا دوما مؤيدين للسامانيين ، فاستثمروا هذا الوضع الجديد لإصدار أوامر تمس بمصالح السامانيين الشئنة ، خاصة في ظل الصراع والعداء الذي كان بين الطرفين ، والذي أججّه الخلاف المذهبي بينهما .

10 - أنّ ظهور كل من دولة الأتراك القراخانيين ودولة الأتراك الغزنويين ، التي كان زعمائها خدما وأتباعا للسامانيين وتزايد قوتهم وتوالي ضرباتهم على الدولة السامانية ، التي تدهورت أوضاعها الداخلية نتيجة عدة عوامل أثرت عليها سلبا ، كان سببا رئيسيا في زوال هذه الدولة وانهارها ، رغم المحاولات التي بذلها أحد أبناء هذه الأسرة وهو المنتصر الساماني ، في سبيل إعادة بعثها من جديد والتي كان مآلها الفشل .

11- أنّه ورغم زوال دولة السامانيين إلا أن التاريخ قد خلد اسمها ، نتيجة الكثير من المنجزات الحضارية التي ساهمت فيها ، خاصة في ظل ما اشتهر عن أمراء هذه الدولة من تشجيع للعلم وأهله ، الأمر الذي جعل عدة مدن سامانية مراكز علمية مهمة ، على غرار بخارى وسمرقند ونيسابور وهراة ومرو وبلخ ، ففي ظل السامانيين أصبحت هذه المدن من أكبر حواضر العلم في العالم الإسلامي ، وتعتج بمفكرين في مختلف العلوم قدّموا الكثير للحضارة البشرية جمعاء .

12 - أنّ الأراضي السامانية عرفت ظهور المدارس قبل الدولة السلجوقية ووزيرها نظام الملك ، بل أكثر من هذا فقد عرفت ما يُمكن أن نسميه المدارس المتخصصة ، على غرار دور السنة التي تختص بتدريس الحديث وعلومه ودور القرآن التي تختص بتدريس علوم القرآن ، وقد كان رواد التدريس على العهد الساماني هم كبار العلماء ، كما كان من نتاج هذه الحيوية الفكرية بروز عدد كبير من المؤلفات في مختلف ألوان العلوم على العهد الساماني ، هذه المؤلفات التي لا يزال ينهل طلبة العلم منها إلى اليوم .

13 - عرف العهد الساماني نشاطا كبيرا في مجال العلوم الدينية والعقلية وكانت العربية هي لغة العلم ، كما ظهرت اللغة الفارسية الحديثة على هذا العهد كذلك ، وكتبت بالخط العربي واحتوت على الكثير من المفردات والألفاظ العربية ، وظهرت فئة من الأدباء الذين كتبوا باللغتين معا العربية والفارسية ، وكان من نتاج ظهور الفارسية الحديثة بداية ظهور الشعر والنثر الفارسيين .

14- عرفت حركة الترجمة ازدهارا كبيرا خلال هذه الفترة ، وبالإضافة إلى الترجمة من العربية ومختلف اللغات إلى الفارسية ، نشطت الترجمة من الفارسية القديمة إلى الفارسية الحديثة ، الأمر الذي ساهم في حفظ الكثير من معارف الفرس القدماء .

15 - أنّ السامانيين ساهموا بدور كبير في دفع الأتراك نحو الإسلام ، وقد انتهجوا في سبيل هذا الهدف عدة أساليب منها العسكرية ومنها أسلوب الدعوة السلمية ، هذا الجهد الذي كلل بإسلام الأتراك وعلى المذهب السني ، ونتج عنه أن أدى الأتراك ودولهم بعد زوال الدولة السامانية دورا حضاريا مهما ، وحملوا الإسلام إلى عدة شعوب ومناطق جديدة .

16 - أنّ اهتمام الأمراء السامانيين لم يقتصر فقط على العلوم ورؤاها ، بل أولوا رعايتهم كذلك للفن وأهله فشهدت بذلك أراضيهم نهضة فنية في مختلف المجالات ، تعبر عن ذوق رفيع وحس جميل ومرهف .

وعليه فالدولة السامانية وبالإضافة إلى دورها السياسي بالمنطقة ، فإنها قدّمت الكثير للحضارة الإسلامية والعالمية ، الأمر الذي نتج عنه احترام كبير من الدارسين الذين تطرقوا إلى تاريخها ، هذا التاريخ الذي يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث بهدف كشف خباياه بشكل أوضح ، والنقاط التي تحتاج إلى مزيد من البحث في هذا الموضوع كثيرة ، لعل من بينها الدور البويهى في إفساد روابط الود بينها وبين الدولة العباسية ، وكذلك دور ومكانة

العنصر التركي في هذه الدولة في مختلف المجالات وليست العسكرية فقط ، والعديد من النقاط التي لا يزال
يكتنفها الغموض في تاريخ هذه الدولة المسلمة .

وفي الختام، أرجو من الله عزّ وجلّ أن أكون قد وفّقت في مساعي من خلال هذا البحث، ولا أجزم أن
نتائجه نهائية ، وسيزيدها الأساتذة المتخصصون تصويبا وتحليلا ، بملاحظاتهم وآرائهم السديدة .

وكل توفيق في هذا العمل من الله وحده .

الملاحق

ملحق رقم 1: - الخلفاء العباسيون في فترة الدراسة .

	الخليفة	حكم من	إلى
1	المعتمد	256 هـ / 870 م	279 هـ / 892 م
2	المعتضد	279 هـ / 892 م	289 هـ / 902 م
3	المكتفي	289 هـ / 902 م	295 هـ / 907 م
4	المقتدر	295 هـ / 907 م	320 هـ / 932 م
5	القاهر	320 هـ / 932 م	322 هـ / 934 م
6	الراضي	322 هـ / 934 م	329 هـ / 940 م
7	المتقي	329 هـ / 940 م	333 هـ / 944 م
8	المستكفي	333 هـ / 944 م	334 هـ / 946 م
9	المطيع	334 هـ / 946 م	363 هـ / 974 م
10	الطائع	363 هـ / 974 م	381 هـ / 991 م
11	القادر	381 هـ / 991 م	422 هـ / 1031 م

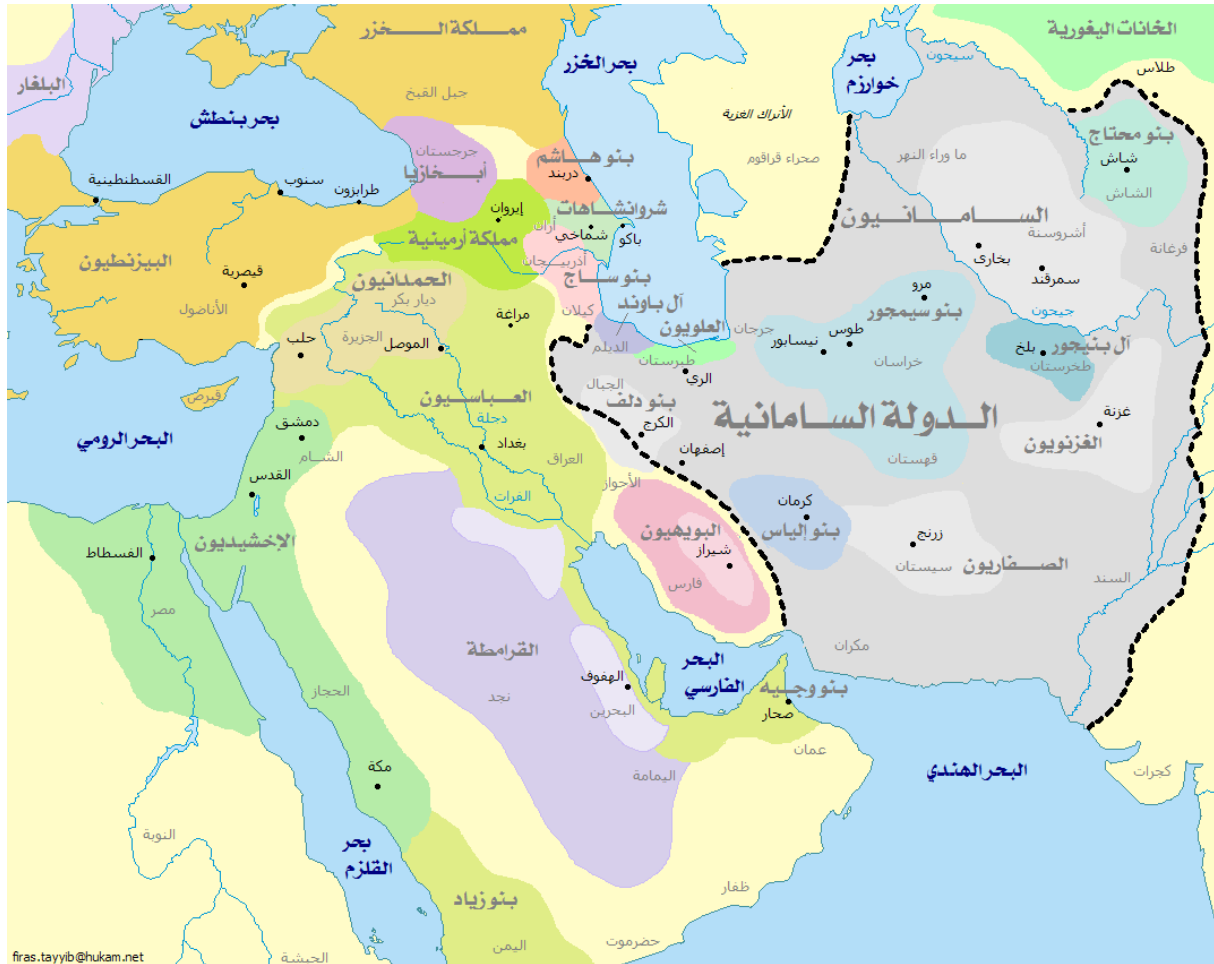
أنظر الثامري : المرجع السابق ، ص . 198 .

ملحق رقم 2 : - جدول الأمراء السامانيين ، سنوات حكمهم وألقابهم .¹

	الأمير	لقبه	حكم من	إلى
01	نصر الأول بن أحمد بن أسد الساماني .	—	261 هـ / 874 م	279 هـ / 892 م
02	إسماعيل بن أحمد بن أسد	الماضي	279 هـ / 892 م	295 هـ / 907 م
03	أحمد بن إسماعيل	الشهيد	295 هـ / 907 م	301 هـ / 914 م
04	نصر الثاني بن أحمد	السعيد	301 هـ / 914 م	331 هـ / 943 م
05	نوح الأول بن نصر	الحميد	331 هـ / 943 م	343 هـ / 954 م
06	عبد الملك الأول بن نوح	الرشيد	343 هـ / 954 م	350 هـ / 961 م
07	منصور الأول بن نوح	السديد	350 هـ / 961 م	365 هـ / 975 م
08	نوح الثاني بن منصور	الرضا	365 هـ / 975 م	387 هـ / 997 م
09	منصور الثاني بن نوح الثاني	—	387 هـ / 997 م	389 هـ / 999 م
10	عبد الملك الثاني بن نوح الثاني .	—	389 هـ / 999 م	389 هـ / 999 م

¹ - الشيخ الخضري محمد : الدولة العباسية ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط.5 ، 1420 هـ / 1999 م ، ص . 267 ؛ الثامري : المرجع السابق ، ص . 14 .

ملحق رقم 3 : - خريطة الدولة السامانية في أقصى إتساع لها .



والخلافة العباسية من النصف الثاني من القرن التاسع
وحتى النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد

الدولة السامانية

العلويون في طبرستان (م 864-929 م)	العباسيون
آل باوند (665-1349 م)	الحمانيون في الموصل (868-989 م)
بنو ساج (889-929 م)	الحمانيون في حلب (944-1004 م)
شروانشاهات (799-1607 م)	الإخشيدون (935-969 م)
بنو هاشم (869-1075 م)	دولة القرامطة في البحرين (886-1078 م)

بنو سيمجور (913-1002 م)	السامانيون (819-1005 م)
بنو إلياس (932-968 م)	حدود الدولة السامانية
بنو محتاج (933-954 م)	آل بنيجور (948-908 م)

ملحق رقم 4 : – شجرة نسب السامانيين ¹ .

¹ -ستانلي لين بول: المرجع السابق، ق . 1، ص . 270 .

أهم صادرات الدولة السامانية .

"....أما التجارة فترتفع من نيسابور ثياب البيض الخفية والبيبا ، والعمائم الشهبانية الخفية ، والراختيج والتاكتيج والمقانع ، وبين الثوبين والملاحم بالقز والمصمت والعتابي والسعيدي والظرائفي ، والمشطى والحلل ثياب الشعر والغزل المرتفع ، والحديد وغير ذلك ، ومن نسا وأبيورد القز وثيابه والسّمسم ودهنه وثياب الزنبفت ، ومن نسا ثياب البنوزية وفري الثعلب والبزاة ومن غلوس البرام الغائقة والحصر والحبوب ، ومن رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة ، ومن هراة البز الكثير وديياج دون وخلدى والزيب الطائفي العنجد الأخضر والأحمر ودوشابه وناطفة والبولاذ والفسق ، وأكثر حلاوات خرسان ومن مرو الملاحم ومقانع القز والإبرسيم والقطن والبقر والجن والبرز والشيرج والنحاس ، ومن سرخس الحبوب والجمال ومن سجستان التمور والزنايل والحبال من الليف والخصر ، ويرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابورية بيض وبسط ومصليات حسنة ، ومن بلخ الصابون والسّمسم والأرز والجوز واللوز والزيب والعنجد والسمن وعسل الشمسى من العنب ، والتين ولب الرمان والزاج والكبريت والرصاص ، واسبرك والزرنخ والآخرة والوقايات على عمل الجرجانية والأبراد والأدهان والجلود ، ومن غرج الشار الذهب واللبود والبسط الحسان والحقائب وما في معناها والخيل الجيدة والبغال ، ومن ترمذ الصابون والحلثيث ومن لوازم السّمسم ودهنه والجوز واللوز والفسق والارز والحمص والبيري والرخبين والسمن والقرون وجلود الثعالب ، ويرتفع من بخارى الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش الغندقية وصفر المناير والطبرى وحزم الخيل تنسج في المحابس وثياب اشموئى والشحم وجلود الظأن ودهن الرأس ، و من كرمينية المناديل ومن دبوسية و ذار ثياب الودارية وهي ثياب على لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها دياج خرسان ، ومن ربنجن أزر الشتاء من اللبود الحمر ومصليات وطاسات اسبيدروي والجلود وحرير القنب الكبريت ، ومن خوارزم السمرور والسناجب وقاقون وفنك ودله والثعالب وخزبوست وخركوش ملون ويزبوست والشمع والتوز والقلائس وغرا السمك وأسنان السمك وخزميان ونهروا والكيماخت والعسل والبندق وابوز والسيوف والدروع والخلنج والرقيق من الصقالبة والاغنام والبقر وكل هذا من بلغار ، ويرتفع منها عتاب وزيب كثير وملابن وسمسم وبرود وفروش وثياب اللحف وديياج بشكش ومقانع ملحّم واقفال وثياب أرنج والقسى لا يقوى على معط القوس إلا أشّد الرجال ، والرخبين والمصل والسمك والسفن تنحت وتعمل ، ومن ترمذ أيضا ، ويحمل من سمرقند ثياب سريمكون والسمرقندية والقذور العظيمة من النحاس والقملقم الجياد والاخبية

والركب و الحكامات والسيور ، ومن دزك اللبود الجياد والأقبية منها ومن بناكت ثياب تركستان ، ومن الشاش سروج الكيمخت الرفيعة والحياب والأخبية وجلود تجلب من الترك وتدبغ والأرز والمصليات والبنيقات والبرز والقسي الجيدة ، وابر دون والقطن يحمل إلى الترك والمقاريض ، ومن سمرقند أيضا ديباج يحمل الى الترك وثياب حمر تسمى ممرجل وسينيزي ، وقز كثير وثياب والبندق والجوز ومن طوس التكد الحسنه والأبراد الجيدة ، ومن فرغانة و أسفيجاب الرقيق من الأترك مع الثياب البيض وآلات السلاح والسيوف والنحاس والحديد ومن طراز بسبوست ، ومن شلجي الفضة ومن تركستان إلى هذه المواضع تخرج الخيل والبغال ، وكذلك من الختل ولا نظير لديواج وطراز وطن وكما وشهجانى وابر وسكاكين ورياس نيسابور ، ولا لمالين وأشترغاز وبطيخ مرو الكبير وعند كل من لم يدخل الرملة انه ، ليس في الدنيا مثل خبزهم ولكن لا نظير له في إقليم الأعاجم ، ولا ترى مثل هريستهم ولا نظير للحمان بخارى وجنس بطيخ لهم يسمى الساف ، ولا لقسي خوارزم وغضائر الشاش وكاغد سمرقند وباذنجان نسا وأعنان هراة ، وبه معادن كثيرة بنيسابور في رستاق ريوند معدن الفيروزج وبرستاق ... معدن السبج و برستاق بيهق معدن رخام بطوس البرام و بزوزن طين الاكل و برستاق.... طين الختم والكتابة ومعادن فضة بيروان وبنجهير وشلجي وهو جبل يمد إلى فرغانة النوشادر ، وفضة وذهب من بارمان ، وذو الفار من كورة إيلاق وهو ما يتصاعد من دخان الفضة ، وأقل ما يقع إلى الناس من خالصه والزبيق عين تفور قرب قبا ، وليست بمعدن ...وبواشجرد زعفران جيد وبقوانيان فوه ...و فيرزج لا يمكن منه وبه قير و زفت . " ¹

¹- المقدسي : المصدر السابق ، ص . 323 - 325 ؛بارتولد : تركستان ... ، المرجع السابق ، ص . 365 - 366 .

جباية عدد من المدن السامانية على عهد أبي صالح منصور .

سمرقند سبعمائة درهم وخمسين	أربنجن ثلاثمائة درهم	أشروسنة ستمائة درهم
خجنده ثلاثمائة درهم	الختل أربعمائة درهم	آمل وفرير أربعمائة درهم
كورة زم ثلاثمائة درهم	الجرجانية ستمائة درهم	مرو تسعمائة درهم
سرخس خمسمائة درهم	أبيورد خمسمائة درهم	باذغيس ثلاثمائة درهم
طوس ثلاثمائة درهم	الجوزان ستمائة درهم	الطالقان ثلاثمائة درهم
قوهستان ثلاثمائة درهم	نيسابور ثلاثة آلاف درهم	الصاغانيان ثلاثمائة درهم
اشتيخن والكشانية ثلاثمائة درهم	الشاش سبعمائة درهم	إيلاق ثلاثمائة درهم
فرغانة ألف درهم	بس ثلاثمائة درهم	كش ثلاثمائة درهم
خوارزم ألف درهم	كنج ورستاق وبغ ثلاثمائة درهم	مرو الروذ ثلاثمائة درهم
بلخ وأعمالها ألف درهم	هراة ألف درهم	بوسنج ثلاثمائة درهم
القوازيان مائتا درهم	الترمذ ثلاثمائة درهم	شومان وصرمنجي ثلاثمائة درهم

¹ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص . 389 .

دينار ساماني ضرب سمرقند 320هـ الحاكم / الملك سعيد نصر بن أحمد 301 . 331هـ	
	
الظهر	الوجه
المركز : لله / محمد / رسول الله / للقدر بالله / نصر بن أحمد الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون القطر : 2.5 سم	المركز : لا إله إلا الله وحده / لا شريك له الهامش الداخلي : بسم الله ضرب هذا الدين بسمرقند سنة عشرين وثلثمائة الهامش الخارجي : لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .
سمرقند : من المدن الهامة في إقليم بلاد ما وراء النهر . يقال إنها من أبنية ذي القرنين . تبعد عن بخارا بحوالي 150 ميلا إلى الشرق .	
دينار ساماني ضرب نيسابور 385هـ الحاكم / الملك الرضي نوح بن منصور 366 . 387هـ	
	
الظهر	الوجه
المركز : لله / محمد / رسول الله / الملك المنصور / نوح بن منصور الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون القطر : 2.5 سم	المركز : عادل / لا إله إلا الله وحده / لا شريك له / الولي سيف / الدولة محمود الهامش الداخلي : بسم الله ضرب هذا الدين بنيسابور سنة خمس وثمانين وثلثمائة الهامش الخارجي : لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .
يلاحظ وجود السيف في مركز الوجه بشكل رأسي . وهذا النوع من الدنانير أطلق عليه مجازا الدنانير السيفية .	

- ملحق رقم 8 :

- الأمراء الزيديين بطبرستان وسنوات حكم كل منهم .

- 1- الحسن بن زيد (الداعي الصغير) : 250- 270 هـ / 864 - 884 م .
- 2- محمد بن زيد (أخ الداعي الصغير) : 270 - 287 هـ / 884 - 900 م .
- 3- سنوات حكم السامانيين لها : 287 - 301 هـ / 900 - 913 م .
- 4- الحسن بن علي (الناصر الكبير أو الأطروش) : 301 - 304 هـ / 913 - 916 م .
- 5- الحسن بن القاسم (الداعي الصغير) : 304 - 316 هـ / 916 - 928 م .
- ثم دخولها في حكم السامانيين بعد سقوط الدولة الزيدية¹ .

¹ - آشتياني : المرجع السابق ، ص . 31 ؛ عدوان : المرجع السابق : ص . 89 .



ملحق رقم 10 : - من مدارس خرسان وبلاد ما وراء النهر في عهد السامانيين .

المدرسة	المصدر
1 مدرسة كولارتيكين	النرشخي، تاريخ بخارى، ص30.
2 مدرسة فارجك في بخارى احترقت سنة 325 هـ / 937 م	ن. م ، ص 128.
3 مدرسة اسحاق ابراهيم بن محمد البسطامي (ت 331 هـ / 942 م)	النيسابوري، تاريخ نيسابور ورقة 30 ب .
4 مدرسة ابي الوليد حسان بن محمد القرشي (قبل 349 هـ / 960 م)	السمعاني، الانساب، ج1، ص148، ج4، ص 471.
5 مدرسة ابي حاتم محمد بن حبان البستي (ت 354 هـ / 965 م)	ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 418.
6 مدرسة ابي حفص الكبير في بخارى قبل 461 هـ / 971 م .	السمعاني، الانساب، ج1، ص 179.
7 مدرسة ابي منصور محمد بن عبد الله بن حمشاذ النيسابوري، قبل 381 هـ / 998 م .	ابن الصلاح ، طبقات الفقهاء، ج1، ص 189.
8 مدرسة ابي بكر محمد بن الفضل الكماري البخارى في سكة درب الحديد ببخارى (ت 381 هـ / 991 م)	السمعاني، الانساب، ج2، ص 6.
9 مدرسة ابي صلاح التبانى في باب البستان بغرنة قبل 385 هـ / 995 م	البيهقي ، تاريخ، ص 213 – 214.
10 مدرسة الحسن بن داود بن رضوان السمرقندي في نيسابور، قبل 395 هـ / 1004 م.	القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص55.
11 مدرسة ابي العلاء صاعد في نيسابور قبل 402 هـ / 1011 م .	الصريفيني ، المنتخب ، ص 279 .
12 مدرسة ابي الطيب سهل بن محمد ابن سليمان الحنفي الصعلوكي (ت 404 هـ / 1013 م)	السبكي ، طبقات الشافعية ، ج 4 ، ص 393 .
13 مدرسة ابي علي الحسن بن علي بن محمد بن اسحاق الدقاق (ت 405 هـ / 1014 م) في سكة ابي علي الدقاق بنيسابور	ابن قاضي شهبه ، طبقات الشافعية ، ج 1 ، ص 169 .
14 مدرسة ابي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل الصابوني قبل 405 هـ / 1014 م .	الصريفيني ، المنتخب ، ص 199 .
15 مدرسة ابي اسحاق ابراهيم بن محمود بن حمزة القطان (ت 405 هـ / 1014 م)	ابن ماكولا ، الإكمال ، ج 6 ، ص 390 .
16 مدرسة ابي بكر محمد بن الحسن ابن فورك في نيسابور (ت 406 هـ / 1015 م)	القزويني ' آثار البلاد ، ص 297 .

17	مدرسة أبي سعد عبد الملك بن أبي عثمان الخركوشي (ت 407 هـ / 1016 م)	الصريفي ، المنتخب ، ص 88 .
18	مدرسة علي بن الحسين بن علي البيهقي (ت 414 هـ / 1023 م) .	الفارسي ، ذيل تاريخ نيسابور ، ورقة 61 ب .
19	مدرسة أبي القاسم علي بن محمد ابن الحسين بن عمرو النيسابوري في أسفريس بسابزار ، أنشئت عام 410 هـ / 1019 م .	ياقوت ، معجم الأدباء ، ج 4 ، ص 140 .
20	مدرسة ناصح الدولة في نيسابور ، قبل عام 408 هـ / 1017 م	الفارسي ، ذيل تاريخ نيسابور ، ورقة 52 ب .
21	مدرسة أبي الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حامد بن محمود القطان (405 هـ / 1014 م) .	ن . م ، ورقة 64 أ .
22	مدرسة أبي المظفر نر بن ناصر الدين (ت 412 هـ / 1021 م) .	العتبي ، اليميني ، ورقة 197 ب .
23	مدرسة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني قبل 418 / 1027 م .	ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 1 ، ص 28 .
24	المدرسة التي بجانب مسجد الوزير العتبي (ت 427 هـ / 1035 م) .	النرخشي ، تاريخ بخاري ، ص 44 .
25	مدرسة أبي صادق عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد الخفاف (ت 428 هـ / 1036 م)	الصريفي ، المنتخب ، ص 347 .
26	مدرسة أحمد بن محمد بن عبد الله البستي على باب داره بنيسابور (ت 429 هـ / 1037 م) .	إبن الملقن ، العقد المذهب ، ص 243 .
27	مدرسة أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي في نيسابور قبل (453 هـ / 1061 م)	ياقوت ، معجم الأدباء ، ج 2 ، ص 310 .
28	مدرسة السيوري ، كان محمد بن إسحاق ابن علي الزوزني البحاتي يسكنها ، و قد توفي 463 هـ / 1070 م .	ياقوت ، معجم الأدباء ، ج 5 ، ص 229 .
29	المدرسة التي دفن فيها أبو قاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري بنيسابور سنة 465 هـ / 1072 م و كان شيخه قد دفن فيها قبله .	إبن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 257 .

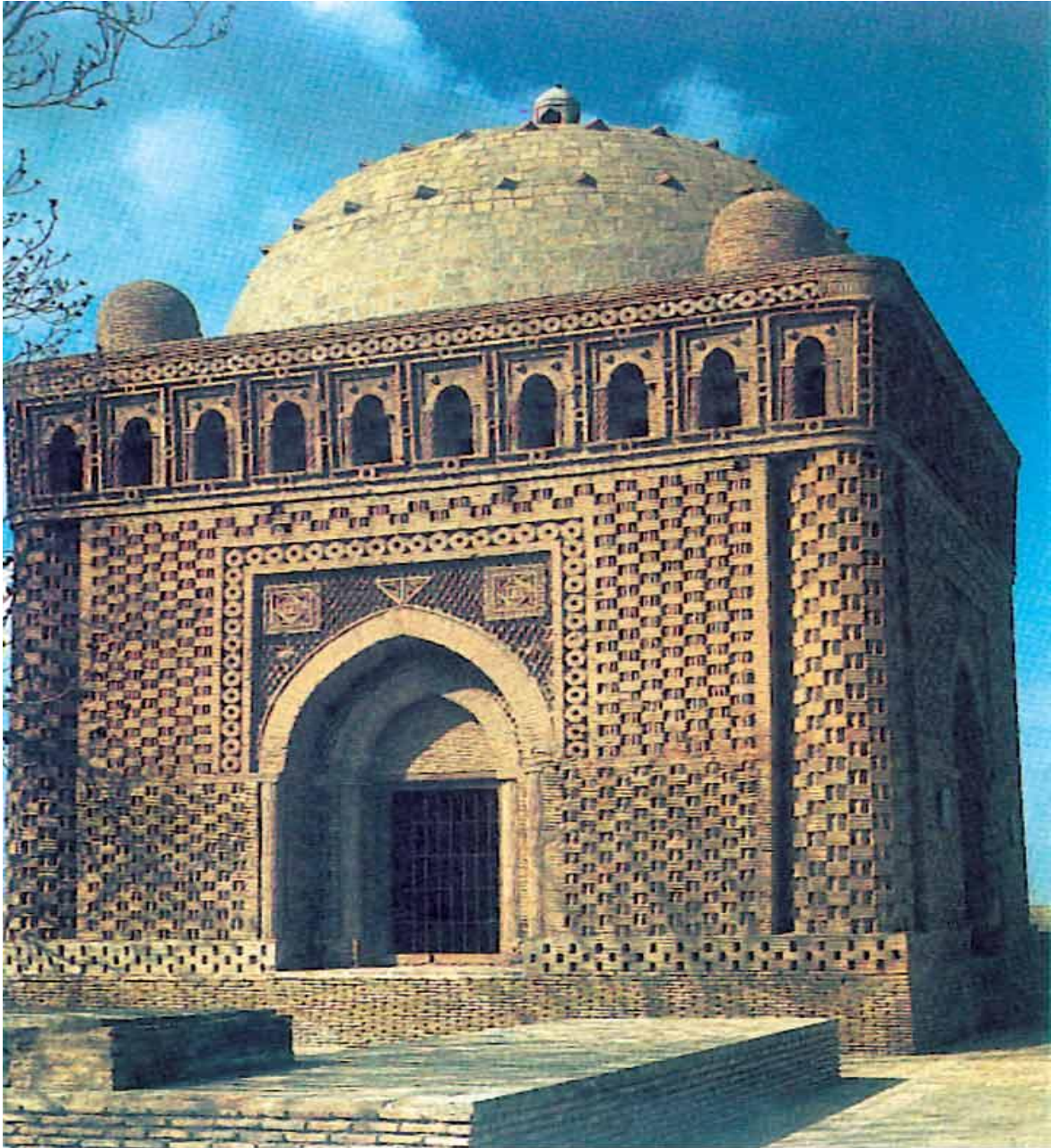
- الثامري : المرجع السابق ، ص . 199 - 200 - 201 .

- نسيج حريري يرجع للفترة السامانية¹.



¹ - هذه القطعة محفوظة بمتحف اللوفر بفرنسا ، مكتوب عليها العبارة التالية : " عزّ وإقبال القائد أبي منصور بختكين أطل الله بقاءه . " ، أنظر (أحمد الصاوي : مقال الأقمشة الإسلامية تسود أسواق التجارة طوال العصور الوسطى ، جريدة الاتحاد الإماراتية ، 12 / 09 / 2008 م) .

ملحق رقم : 12 . ضريح " إسماعيل بن أحمد الساماني " - بخارى - .



ضريح في بخارى يعود تاريخه
إلى منتصف القرن العاشر الميلادي

قائمة المصادر والمراجع .

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر العربية .

- 1- ابن الأثير الجزري عز الدين أبي الحسن علي (ت 630 هـ / 1233 م) : الكامل في التاريخ ، مج. 6 ، إعداد إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط. 4 ، 1424 هـ / 2003 م .
- 2- بن الأثير الجزري عز الدين أبي الحسن علي (ت 630 هـ / 1233 م) : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج . 3 ، دار صادر بيروت ، لبنان .
- 3- ابن أبي أصيبعة : عيون الإنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، د . ت .
- 4- الإصطخري إبراهيم بن محمد الكرخي (ت 346 هـ / 957 م) : المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1937 .
- 5- الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد (ت 599 هـ / 1166 م) : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مج 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، (د . ت) .
- 6- ابن بطوطة شمس الدين محمد اللواتي الطنجي : تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق عبد الهادي التازي ، مج 3 ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1417 هـ / 1997 م .
- 7- أبي دلف مسعر الخزرجي (ت في قرن 4 هـ) : الرسالة الأولى ، تحقيق مريزن سعيد مريزن عسيري ، جامعة أم القرى ، مركز إحياء التراث الإسلامي مكة ، 1416 هـ / 1995 م .
- 8- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله : تاريخ أصبهان ، تحقيق سيد كسروي حسين ج . 2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط. 1 ، 1410 هـ / 1990 م .
- 9- إسحاق بن حنين : تاريخ الأطباء والفلاسفة ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط . 2 ، 1405 هـ / 1985 م .
- 10- البغدادي الإسفراييني عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م) : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، 1416 هـ / 1995 .
- 11 - البيروني أبو الریحان أحمد بن محمد : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليزيغ ، 1878 .
- 12- البیهقي ظهير الدين: تاريخ حکماء الإسلام ، مخطوط منشور في الموقع الألماني Digitalisierte Sammlungen .

- 13- بن تغري بردي الأتابكي أبي المحاسن يوسف (ت 874 هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم محمد حسن شمس الدين ، ج . 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط . 1 ، 1413 هـ / 1992 م .
- 14- **الثعالبي** النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م) : **لطائف المعارف** ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1867 .
- 15- **الثعالبي** النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م) : **غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم** ، مكتبة الأسد طهران ، 1900 .
- 16- **الثعالبي** النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م) : **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ج . 4 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط . 1 ، 1403 هـ / 1983 م .
- 17- **الثعالبي** النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م) : **الإقتباس من القرآن الكريم** ، تحقيق إبتسام مرهون الصفار ومجاهد مصطفى بهجت ، ج . 2 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، ط . 1 ، 1412 هـ / 1992 م .
- 18- **الثعالبي** النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م) : **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، 1985 .
- 19- **الجاحظ** عمرو بن بحر البصري : **كتاب التبصرة بالتجارة** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط . 2 ، 1354 هـ / 1935 م .
- 20- **ابن الجوزي** البغدادي أبي الفرج : **تلبيس إبليس** ، دار ابن خلدون .
- 21- **ابن جليل** ، سليمان بن حسان الأندلسي (ألف 377 هـ) : **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط . 2 ، 1405 هـ / 1985 م .
- 22- **الحموي** ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1229 م) : **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ، 1397 هـ / 1997 م .
- 23- **الحموي** ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1229 م) : **معجم الأدباء** ، مراجعة وزارة المعارف العمومية ، مطبوعات دار المأمون ، ط . 2 ، ج . 1 .

- 24- الحميري محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط . 2 ، 1984 .
- 25- ابن خلدون عبد الرحمان (ت. 808 هـ) : تاريخ ابن خلدون ، مج.4 ، ط.1 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1413 هـ / 1992 م .
- 26- ابن خلدون: المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1428 هـ // 2007 م .
- 27- ابن خلكان أبي بكر (ت 681 هـ): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، 1397 هـ / 1977 م .
- 28- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (ت. 387 هـ) : مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط . 2 ، 1409 هـ / 1989 م .
- 29- الخوانساري محمد باقر الموسوي : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، بيروت ، ج. 4 ، ط . 1 ، 1411 هـ / 1991 م .
- 30 - الدمشقي أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي (ت 774 هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق محمد بن سامح عمر ، دار ابن الجوزي القاهرة ، مج.5 ، ج.10 ، ط.1 ، 1431 هـ / 2010 م .
- 31- الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، مكتبة جامعة الرياض ، قسم المخطوطات .
- 32- الداوداري أبو بكر بن عبد الله بن أيك : كنز الدرر و جامع الغرر ، ج.5 ، تحقيق دوروتيا كراقولسكي ، بيروت ، 1413 هـ / 1992 م .
- 33- الذهبي الإمام شمس الدين بن عثمان (ت 748 هـ) : سير أعلام النبلاء ، ج . 14 ، تحقيق أكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة ، ط . 1 ، 1403 هـ / 1983 م .
- 34- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت . 748 هـ) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج . 21 ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط . 1 ، 1411 هـ / 1991 م .
- 35- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ): تاريخ الاسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ، ج.20 ، تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . 1 ، 1412 هـ / 1992 م .

- 36- الروذراوري أبي شجاع ظهير الدين ، الوزير (ت . 488 هـ) : ذيل تجارب الأمم ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2003 م .
- 37 - الزرنوجي برهان الإسلام (ت 591 هـ) : تعليم المتعلم طريق التعلم ، الدار السودانية للكتب ، ط . 1 ، 1425 هـ / 2004 م .
- 38-السفاريني محمد بن أحمد بن سالم : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، ج . 2 ، مؤسسة قرطبة ، ط . 2 ، 1414 هـ / 1993 م .
- 39- السهمي أبي القاسم حمزة بن يوسف (ت 427 هـ) : تاريخ جرجان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ط . 1 ، 1369 هـ / 1950 م .
- 40- السيوطي جلال الدين (ت 911 هـ) : معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، تحقيق محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب القاهرة ، مصر ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2004 م .
- 41- السيوطي جلال الدين (ت 911 هـ) : تاريخ الخلفاء مراجعة محمود رياض الحلبي ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط . 4 ، 1420 هـ / 1999 م .
- 42- السلمي أبو عبد الرحمان (ت 412 هـ) : طبقات الصوفية ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . 1 ، 1419 هـ / 1998 م .
- 43- السمعاني ابن منصور التميمي (ت . 562 هـ) : الأنساب ، تقديم عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، ط . 1 ، 1408 هـ / 1988 م .
- 44- الطبري محمد بن جرير: تاريخ الرسل و الملوك ، ج.9 ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف مصر، ط . 2 ، 1975 .
- 45- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم : الملل و النحل ، ج.2 ، تصحيح أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط.2 ، 1413 هـ / 1992 م .
- 46- العسقلاني أحمد بن علي محمد الكناني : التلخيص الحبير ، ج . 3 ، مؤسسة قرطبة ، ط . 1 ، 1416 هـ / 1995 م .
- 47 -أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج. 2 ، مطبعة كريات فوترا ، سماراغ .

- 48- الغزي تقي الدين بن عبد القادر التميمي (ت 1010هـ/1601 م): الطبقات السننية في تراجم الحنفية، ج 1. شركة التراث للنشر، 1900.
- 49- ابن فضالان أحمد: رسالة بن فضالان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سوريا، 1376 هـ/1960 م.
- 50- أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850.
- 51- القفطي جمال الدين: تاريخ الحكماء، طبعة ليبزيغ، 1908.
- 52- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود (ت 682 هـ): عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1421 هـ/2000 م.
- 53- القزويني حمد الله (ت 750 هـ): تاريخ كزیده، منشور ضمن تاريخ بخارى للنرشخي.
- 54- القرمانی أحمد بن يوسف (ت 1019 هـ / 1610 م): أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط و فهمي سعد، مج 2، عالم الكتب، ط 1، 1416 هـ / 1996 م.
- 55- القاضي الرشيد بن الزبير (ق 5 هـ): الذخائر و التحف، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات و النشر، الكويت 1959.
- 56- قدامة بن جعفر الكاتب: الدواوين من كتاب الخراج و صناعة الكتابة، تحقيق مصطفى الحيارى، نشر بدعم الجامعة الأردنية، 1986.
- 57- ابن قاضي شهبة تقي الدين الدمشقي (ت 851 هـ): طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد الحليم خان، ج1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ط1، 1398 هـ / 1978 م.
- 58- الماوردي علي بن محمد بن حبيب البصري: الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ/1999 م.
- 59- مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 461): تجارب الأمم و تعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج 5، ط 1، 1424 هـ/2003 م.
- 60- المقدسي المطهر بن طاهر: البدء و التأريخ، (ينسب تأليفه الى أبي زيد محمد بن سهل البلخي)، ج3، باريس، 1903.

61 -المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ، بيروت ، مطبعة بريل ، 1906 .

62- المنجم الشيخ إسحاق بن حسين (ق 5 هـ / 11 م) : آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، طبعة حجرية ، (د . ت) ، (د . م .) ، (د . ن) .

63- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ج . 25 ، ط . 1 ، 1424 هـ / 2004 م .

ثالثا - المصادر الفارسية المترجمة إلى العربية .

1- ابن إسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن: تاريخ طبرستان ، ترجمة أحمد محمد نادي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، ط . 1 ، 2002 .

2 - ابن البلخي : فارس نامه ، ترجمة يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 1421 هـ / 2001 م

3- الكرديزي أبي سعيد ، عبد الحي بن الضحاك بن محمود : زين الأخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2006 .

4- النرشخي أبو بكر محمد بن جعفر : تاريخ بخارى ، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، ط . 3 .

5- ناصر خسرو علوي: سفر نامه ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط . 2 ، 1993 .

6- نظام الملك الطوسي (ت 485 هـ) : سياسة نامه ، ترجمة يوسف بكار ، ط . 2 ، مطبعة السفير ، الأردن 2012 .

رابعا - المصادر باللغات الأجنبية :

1 -Mirkhond : **Histoire des Samanides** , traduit au français par, M Defrémery, paris, imprimerie royal .

- 1- إبراهيم أيوب : التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ، ط . 1 ، 1989.
- 2 - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 .
- 3- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2013 .
- 4- أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 .
- 5- أحمد عادل كمال : الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، القاهرة ، ط . 1 ، 1427 هـ / 2006 م .
- 6- البار محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفياتي عبر التاريخ ، ج . 2 ، دار الشروق ، جدة ، ط . 1 ، 1403 هـ / 1983 م .
- 7- البار محمد علي : التركستان مساهمات وكفاح ، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ، ط . 1 ، 1411 هـ / 1990 م .
- 8- بدوي يوسف علي : عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط ، دار وحي القلم ، دمشق ط.1، 1431 هـ/ 2010 م .
- 9- بدوي عبد المجيد أبو الفتوح: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس هجري حتى سقوط بغداد ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط . 2 ، 1408 هـ / 1988 م .
- 10- بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف : العرب والإسلام في أوزباكستان ، تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط . 2 ، 1999

- 11- الجمل محمد عبد المنعم : الدول الإسلامية المستقلة في المشرق - التاريخ و الحضارة - دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2002 .
- 12- جرجي زيدان : أبو مسلم الخراساني ، كلمات عربية للترجمة و النشر ، القاهرة ، 2011 م .
- 13- جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، مج . 2 ، ج . 4 .
- 14- جنكيزخان عبد العزيز : تركستان قلب آسيا ، طبع الجمعية الخيرية التركستانية ، (د.ت) .
- 15- حامد بدر فاروق: تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر ، مكتبة مطبعة الآداب ، القاهرة .
- 16- حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، ط.1،(د.ت) ، (د.م.) .
- 17- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، ج.3 ، دار الجليل بيروت و مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط.15 ، 1422هـ / 2001 م .
- 18- حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحين العربي و التركي) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1986 .
- 19 - حسين مؤنس: عالم الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة .
- 20 - الخربلوطي علي حسني: الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط . 2 ، 1415 هـ / 1994 .
- 21 - خليل عبد الرحمان : أفتتا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية ، روافد الثقافة والفنون ، دمشق سورية ، ط . 2 ، 2008 .
- 22 - درويش هدى : دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط . 1 ، 2004 .
- 23- الدوري عبد العزيز : العصر العباسي الأول - دراسة في التاريخ السياسي الإداري و المالي - ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط . 3 ، 1997 .
- 24- الزركلي خير الدين : الأعلام ، قاموس تراجم ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، ج.3، ط.15 ، 2002 .

- 25 - زكي محمد حسن : في الفنون الإسلامية ، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2012 .
- 26 - زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العهد الإسلامي ، القاهرة ، 1940.
- 27- الساداتي أحمد محمود : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1979 .
- 28- السقاف أبكار : الدين في الهند و الصين و إيران ، العصور الجديدة .
- 29- سلامه أبو العلا إبراهيم عبد المنعم : في تاريخ الدولة الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2005 م .
- 30 - سغفان كمال : معتقدات آسيوية [العراق فارس الهند الصين و اليابان] ، دار الندى ، ط . 1 ، 1419هـ / 1999 م .
- 31-السيد عبد اللطيف عبد الهادي: العصر العباسي (132 - 656 هـ / 750 - 1258 م) ، المكتب الجامعي الحديث لإسكندرية ، مصر ، 2008 .
- 32- شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ...، ط. 4 ، دار المعارف القاهرة ، 1996.
- 33- صلاح سليم طابع أحمد: مدينة هراة دراسة سياسية وحضارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط . 1، 2007 م .
- 34 - الصلابي محمد علي : دولة السلاجقة وبرز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ،مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط . 1 ، 1427 هـ / 2006 م .
- 35- طقوش محمد سهيل : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت لبنان ، ط . 3 ، 1430 هـ / 2009 م .
- 36- العبادي أحمد مختار : قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م .
- 37- عطا زبيدة : بلاد الترك في العصور الوسطى -بيزنطة سلاجقة الروم والعثمانيون -، دار الفكر العربي .
- 38- عثمان محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1988 .

- 39-العسيري أحمد معمور : موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ / 1996م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الدمام ، ط . 1 ، 1417 هـ / 1996 م .
- 40- العقاد عباس محمود : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1968 .
- 41 - عزام عبد الوهاب: التصوف وفريد الدين العطار ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2013 .
- 42 -عدوان أحمد محمد : موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1410 هـ / 1990 م .
- 43-العمرجي أحمد شوقي ابراهيم : الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي (132- 365 هـ / 749 - 975 م)، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط . 1 ، 1420 هـ / 2000 م .
- 44- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1420 هـ / 1999 م .
- 45 - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1987 .
- 46- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند في العصر الإسلامي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1980.
- 47- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الفكر الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001.
- 48- قطب محمد : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، ط . 2 ، 2000 م .
- 49 - الكروي إبراهيم سلمان : البويهيون و الخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2008 .
- 50- الكيلاني جمال الدين فاتح : خراسان التاريخية في ضوء المصادر العربية الإسلامية ، مراجعة ، د . محي هلال السرحان ، مكتبة المصطفى للنشر ، القاهرة ، 2012 .
- 51- مكاريوس شاهين : تاريخ إيران ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1424 هـ / 2003 م .

52- ماجد عبد المنعم : الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية (567 - 648 هـ / 1171 - 1250 م) ، دار الفكر العربي القاهرة ، مصر ، ط . 2 ، 1418 هـ / 1997 م .

53 - محمود شaker : التاريخ الإسلامي ، ج . 9 ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط . 4 ، 1421 هـ / 2000 م .

54 - محاسنة محمد حسين : أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، ط . 1 ، 2001 .

55- مصطفى أحمد محمود : أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية و اللامركزية الادارية ، تقديم الامام جاد الحق علي جاد الحي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 .

56- محمد سيد أشرف صالح: الآثار الباقية عن البيروني ، دار النشر الإلكتروني القاهرة ، ط . 1 ، 2007

57- ندا طه : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1993 .

58- منيمنة حسن : تاريخ الدولة البويهية السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي ..، الدار الجامعية ، 1407 هـ / 1987 م .

سادسا - الدوريات والمجلات :

1- جريدة الإتحاد الإماراتية ، 12 / 09 / 2008 م .

2- حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الملك سعود ، الحولية الحادية والعشرون ، 1422 هـ / 2001 م .

3- مجلة المؤرخ العربي ، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، العدد 15 ، 1980 ، بغداد ، العراق .

4- مجلة جامعة أم القرى- مجلة فصلية للبحوث العلمية المحكمة - ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، عام 1411 هـ / 1991 م .

5- مجلة جامعة محمود الكاشغري للدراسات الشرقية ، شكيب ، قيرغيزستان .

6- مجلة الوعي الإسلامي - مجلة كويتية شهرية جامعة - ، إشراف وزارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، العدد 570 ، تاريخ ديسمبر يناير 2013 .

- 7- مجلة كلية التربية ، واسط ، العراق ، العدد 11 ، السنة 2010 .
- 8- ندوة الكندي ومدرسته ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة ، المغرب ، بتاريخ 23 / 10 / 2013 .
- 9- Cahier d'Asie centrale, 9 , 2001 .

سابعاً - الموسوعات والقواميس :

- 1- أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، ج . 2 ، ط . 8 ، 1986 .
- 2- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتناوي و آخرون ، مج . 11 ، (د . ت) .
- 3- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط . 4 ، 1425 هـ / 2004 م .
- 4- الموسوعة العربية العالمية ، ج . 12 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط . 2 ، 1419 هـ / 1999 م .
- 5- موسوعة العلوم العربية ، ج . 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط . 2 ، 2005 .
- 6- موسوعة تاريخ العلوم العربية ، إشراف رشدي راشد وآخرون ، ج . 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط . 2 ، 2005 .

ثامناً - المراجع الأجنبية :

- 1- **Barthold** Wassily : Turkistan Down to The Mongol invasion ,second edition ,translate by GIBB M . A , osmania univercity library , London.
- 2- **Buckley** Theodore Alois : The Great Cities of the Middele Ages or the landmarks of european civilization , G . Routledge and CO, Farrington- street , London , 1853 .
- 3- **Delatire** Alphonse : le peuple et l'empire des médés jusqu'a la fin du règne de cyaxare ,l'académie royale de Belgique, 1883 .

4- **Le strange G.** : The Lands of the Eastern Caliphate , universalle library ,new work , 1873 .

5- **Negmatov N. N** : **The Samanide State** , History of civilizations of Central Asia, the age of acheivement , V.4, P . 1 , unisco publishing .

6- **Klastornyj Sergej** : les Samanides et les Kaeakhanides : une étape initiale de la géopolitique impériale, Cahier d'Asie centrale (en ligne) , 9 , 2001 , mis en ligne le 13 janvier 2013 .

تاسعا - المراجع المترجمة :

1- آشتياني إحسان عباس : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205هـ/820 م - 1343هـ/1925 م) ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1989 .

2 - بروكلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة ، أمين فارس و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط.9 ، 1981 .

3- بوزورث أكليفورد : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - دراسة في التاريخ و الأنساب - ، ترجمة حسين علي اللبودي ، مراجعة سليمان ابراهيم العسكري ، مؤسسة الشراع العربي ، ط.2 ، 1995 .

4 - بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1996 .

5- بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، قسم التراث العربي ، الكويت ، ط . 1 ، 1401 هـ / 1981 م .

6- بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف ، مصر ، ط 4 ، 1966 .

- 7- ستانلي لين بول : الدول الإسلامية ، ترجمة محمد صبحي فرزات و محمد أحمد دهمان ، ج . 1 ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق .
- 8- عمران حسين : الدينار الذهبي والدرهم الفضي - الاسلام و مستقبل النقود - ، ترجمة تمام عدي ، نشر مسجد الجامعة ، مدينة سان فرناندو ، ترينيداد وتوباغو ، 2007 .
- 9 - كريستنسن آرثر : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د . ت .) .
- 10- كراتشكوفسكي إغناطيوس يوليانوفيتش : تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ق . 1 ، 1963 .
- 11- كتاب التفاعل العلمي بين الثقافات ، ترجمة فريق الدراسة والبحث في التراث العلمي العربي ، منشورات اللجنة الوطنية اللبنانية للأونيسكو، بيروت 2007
- 12 - لومبار موريس : الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5 هجري ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ط. 3 ، 1411 هـ / 1990 م .
- 13- ميتز آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، مج . 1 ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط. 5 .
- 14- نيتشه فريدريك : هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس ، مطبعة جريدة البصير الاسكندرية ، 1938 .
- 15 - هونكه زيفريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الجيل بيروت ، ط . 8 ، 1413 هـ / 1993 م .
- عاشرا - الرسائل الجامعية :
- 1- الثامري إحسان ذنون : الحياة العلمية زمن السامانيين - التاريخ الثقافي لخراسان و بلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث و الرابع لهجرة ، (رسالة دكتوراه منشورة) دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط.1، 2001 .
- 2- العمادي محمد حسن عبد الكريم : خراسان في العصر الغزنوي ، تقديم نعمان جبران ، دار الكندي للنشر و التوزيع ، الأردن ، 1997 .
- 3- علال خالد كبير : الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13 م ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي ، جامعة الجزائر، 2003 .

4- كباشي غنية ياسر : أثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق آسيا في العصور المتأخرة ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي جامعة بغداد، إشراف الدكتور هادي حسن محمود 1423 هـ / 2003 م.

5- المدرس محمد محروس عبد اللطيف : مشايخ بلخ من الحنفية و ما انفردوا به من المسائل الفقهية ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ص. 5. (رسالة دكتوراه مطبوعه 1977) .

. المواقع الإلكترونية :

1- islammemo.cc/2004/03/20/1420.html

2- www.inrp.fr/edition-electronique

3- www.cnrtl.fr/definition/touranien

4- موقع فتاوى اللجنة الدائمة. www.alifta.net/fatawa

5- www.reefnet.go .

6- من موقع قصة الإسلام . www.islamstory.com .

7- من موقع ستارتايمز = www.startimes.com/f.aspx?t=33911747.

8- الموسوعة العربية العالمية . www.arab-ency.com .

9- موقع تراثنا الإسلامي . our-musulman-monuments .

10- موقع الطي الإلكتروني .

11- موقع الميكانيكا التطبيقية .

12- موقع مجلة الوعي الإسلامي .

13- موقع آسيا الوسطى رصد الواقع واستشراف المستقبل .

14 - موقع نداء الإيمان .

الفهرس .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ - ن	المقدمة
23 - 1	الفصل الأول : السامانيون لمحة تاريخية
5 - 2	المبحث الأول : التسمية والأصل
3 - 2	أولا - التسمية
5 - 3	ثانيا - الأصل
8 - 6	المبحث الثاني : نسب السامانيين .
18 - 9	المبحث الثالث : موطنهم ومعتقدهم قبل الإسلام
12 - 9	أولا - موطنهم قبل الإسلام
18 - 13	ثانيا - معتقد السامانيين قبل الإسلام
23 - 19	المبحث الرابع : اتصالهم بالإسلام
111 - 24	الفصل الثاني : تشييد الدولة السامانية وعلاقتها بالخلافة العباسية
40 - 25	المبحث الأول : الدولة السامانية وعلاقتها بالخلافة العباسية
29 - 25	أولا - تأسيس الدولة السامانية
40 - 30	ثانيا - علاقتها بالخلافة العباسية
37 - 30	1- العلاقات السامانية العباسية قبل سنة 334 هـ / 945 م
40 - 38	2- العلاقات السامانية العباسية بعد سنة 334 هـ / 945 م
62 - 41	المبحث الثاني : نظام الحكم والنظم الإدارية
42 - 41	أولا - نظام الحكم
62 - 43	ثانيا - النظم الإدارية
44 - 43	1- الأمير
45 - 44	أ- المستشارون
46 - 45	ب- الندماء
45 - 46	ج - حرس الأمير
49 - 47	2- البلاط
52 - 50	3- الديوان

55 – 52	4- الجهاز الإداري
58 – 55	5- نظام الحكم في الولايات السامانية
62 – 58	6- الجيش الساماني
86 – 63	المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية في الدولة السامانية
70 – 63	أولا - عناصر السكان
64 – 63	1 - الفرس
67 – 65	2- الأتراك
70 – 67	3 - العرب
77 – 71	ثانيا - طبقات المجتمع في الدولة السامانية
73 – 71	1- الطبقة العليا الارستقراطية
74 – 73	2- الطبقة الوسطى
75 – 74	3- الطبقة العامة
77 – 75	4- الرقيق
79 – 77	ثالثا - مكانة المرأة في المجتمع الساماني
80 – 79	رابعا - الزواج
86 – 81	خامسا - بعض وسائل التسلية والترفيه في المجتمع الساماني
111 – 87	المبحث الرابع : الحياة الاقتصادية بالدولة السامانية .
96 – 87	أولا - الزراعة
94 – 90	1- المحاصيل الزراعية
90	أ - زراعة الحبوب
91	ب- الفواكه .
92	ج - محاصيل أخرى .
94 – 92	د- الثروة الحيوانية
96 – 94	2- أنواع ملكية الأرض
103 – 96	ثانيا - النشاط الحرفي (الصناعة)
98 – 97	1- الصناعات التي قامت على المعادن .
99 – 98	2- المنسوجات

100	3- السجاد
101	4- الصناعات الجلدية
101	5- الصناعات الخشبية
103 – 102	6- صناعات أخرى .
111 – 103	ثالثا - التجارة في الدولة السامانية
105 – 103	1- الأسواق والتجارة الداخلية
109 – 105	2- التجارة الخارجية
110 – 109	3- جوانب من الإدارة المالية
111 – 110	4- العملة السامانية
178 – 112	الفصل الثالث: العلاقات السياسية للدولة السامانية مع دول الجوار
123 – 113	المبحث الأول :العلاقات السياسية السامانية الصفارية
141 – 124	المبحث الثاني : العلاقات السياسية السامانية الزيدية
155 – 142	المبحث الثالث : العلاقات السياسية للسامانيين مع الدولة البويهية
178 – 156	المبحث الرابع : العلاقات السياسية للسامانيين مع الدولتين الغزنوية والقراخانية وزوالها .
167 – 157	أولا - العلاقات السياسية مع الدولة الغزنوية
175 – 168	ثانيا - العلاقات مع الدولة القراخانية
178- 175	ثالثا - زوال الدولة السامانية
258 – 179	الفصل الرابع : المنجزات الحضارية للدولة السامانية
190 – 180	المبحث الأول : العوامل المساهمة في النهضة الحضارية زمن السامانيين
210 – 191	المبحث الثاني : المنجزات الحضارية للسامانيين في المجال الديني
200 – 191	أولا - نشر الإسلام بين الترك الوثنيين
210 – 200	ثانيا- مراكز التعليم السامانية .
241 – 210	المبحث الثالث : تطور العلوم على العهد الساماني
227 – 211	أولا - العلوم الدينية والأدبية
219 – 211	1- العلوم الدينية
213 – 211	أ - علوم القرآن
215 – 213	ب - الفقه

216 – 215	ج - علم الحديث
218 – 216	د - علم الكلام
219 – 218	هـ - التصوف
227 – 219	2- العلوم الأدبية .
221 – 220	أ - النشر .
224 – 221	ب - الشعر
226 – 224	ج - التاريخ
227 – 226	د - الجغرافيا
241 – 227	ثانيا- العلوم العقلية
231 – 227	1- الفلسفة
235 – 231	2- الطب والصيدلة
236 – 235	3- الكيمياء
238 – 236	4- علم الفلك
241 – 238	5- الرياضيات والهندسة
258 – 242	المبحث الرابع : في مجال الفن والموسيقى .
253 – 242	أولا - في مجال الفن
246 – 245	1- الخزف
247 – 246	2- النسيج والسجاد .
248 – 247	3- الفنون الزجاجية والخشبية .
262 – 248	4- فن العمارة
272 – 263	ثانيا - الموسيقى
277 – 273	خاتمة
292 – 278	الملاحق
309 – 293	قائمة المصادر والمراجع .
314 – 310	فهرس الموضوعات